المغول والحضارة الإسلامية

رحلة المغول من الاستكبار الى الانصهار



الدكتور

إبراهيم محمد على مرجونة

مدرس التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية

كلية الآداب بدمنهور جامعة الإسكندرية

تقديم

الأستاذ الدكتور

أحمد مختار العبادى

أستاذ التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية

بكليـة الآداب جامعـة الإسكـنـدريـة

مؤسسة شباب الجامعة

40 ش د / مصطفى مشرفة

تليفاكس: 4839496 الإسكندرية

EMAIL:shabab_elgamaa@yahoo.com

المغـــول والحضـارة الإسلاميـه

(رحلة المغول من الاستكبار إلي الانصهار)

للدكتور
إبراهيم محمد على مرجونة
مدرس التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية
كلية الآداب بدمنهور جامعة الإسكندرية

تقديم
الأستاذ الدكتور
أحمد مختار العبادى
أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية
بكلية الآداب جامعة الإسكندرية

٢٠١٠

الناشر
مؤسسة شباب الجامعة
٤٠ ش د./مصطفي مشرفه
اسكندرية تليفاكس : ٤٨٣٩٤٩٦

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ
وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي
بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾

{سورة النمل الآية ١٩}

صدق الله العظيم

إهـــــداء

إلي

روح أمي و أبى طيب الله ثراهم واسكنهم فسيح جناته

إلي

زوجتي وابني يوسف وعمر وإخوتي وأخواتي

إلي

أستاذي الأستاذ الدكتور / أحمد مختار العبادي وأستاذتي الاستاذه الدكتورة /سحر السيد عبد العزيز سالم

إليهم جميعا أقول هذا بعض إحسانكم فجزاكم الله عني خيرًا

الفهـــرست

الفهرست

تقديم

في خلال وقت قصير منذ تأسيسها نعمت كلية الآداب بـدمنهور جامعة الإسكندرية بإعداد وتخريج عدد من خيرة روادها وشبابها الذين واصلوا المسيرة العلمية بعد الليسانس والحصول علي درجتي الماجستير والدكتوراه في التاريخ والآثار والحضارة الإسلامية .

وبين أيدينا الآن احدي ثمار نتاجهم العلمي وهو كتاب :

"المغول والحضارة الإسلامية "،رحلة المغول من الاستكبار إلي الانصهار

".للمؤرخ الدكتور إبراهيم محمد علي مرجونة " ابن كلية الآداب بدمنهور واحد خريجيها بدرجاتها العلمية المشرفة في الليسانس والماجستير والدكتوراه ثم عضوية هيأة التدريس فيها .

والكتاب يعتبر نقلة علمية قيمة وجديدة في دراسة عناصر البيئة الجغرافية القاسية لبلاد المغول و أثرها في بنية المغولي و تفكيره

وكذلك تحدث المؤلف عن

المغول من قيام الإمبراطورية حتى نهاية الدولة الإيلخانية

النظم الاجتماعية للمغول

النظم الدينية للمغول

مؤثرات الحضارة الإسلامية على النظم الاجتماعية و الدينية للمغول .

والكتاب عمل علمي قيم ودراسة مستوعبة ومستفيضة للمصادر المختلفة التي تناولت تاريخ المغول والحضارة الإسلامية .

ولا يسعني بمناسبة تقديم هذا الكتاب إلي الأمة العربية والإسلامية إلا إن أوجه خالص الشكر إلي مؤلفه الابن العزيز الدكتور إبراهيم محمد علي مرجونة علي ما بذله من جهد طويل في سبيل إخراج هذا العمل القيم المبتكر الذي سوف يثري المكتبة العربية إن شاء الله

ا.د.احمد مختار العبادي

أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية

كلية الآداب جامعة الإسكندرية

مقدمة :

تعرض المشرق الإسلامي منذ أواخر القرن الحادى عشر ولفترة تزيد على ثلاثة قرون ، لأخطار خارجية ، بلغت من الشدة والعنف ما كاد يلحق الضرر بالحضارة الإسلامية والتراث العربى.

وجاءت هذه الأخطار أول الأمر من جهة الغرب المسيحى ، بما سيره من حملات صليبية حربية ، أدت إلى أن تقيم فى جوف العالم الإسلامى إمارات الرها وأنطاكية وبيت المقدس وطرابلس ، ولم يلبث المسلمون أن أدركوا خطورة بقاء الإمارات الصليبية فبدأت حركة الجهاد ونجح صلاح الدين الأيوبى فى تحقيق نصر مؤزر كان بمثابة الضربة القاصمة للقوات الصليبية وكان ذلك فى موقعة حطين عام ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م.

ومما يستلفت النظر أن الخطر المغولى لم يقل خطورة عن الحملات الصليبية، فقد كانت حملات المغول على مراكز الحضارة الإسلامية، ونشوء دولتهم الكبرى التى كانت تضم الصين وفارس وما بين النهرين، وآسيا الصغرى وشرق أوروبا أهم حوادث التاريخ فى القرنين السابع والثامن الهجريين والثالث عشر والرابع عشر الميلاديين ومع أن غارات البدو على البلاد المتحضرة أمر مألوف إلا أننا لم نرَ قومًا آخرين غير المغول قد استطاعوا أن يغزوا فى مدة قصيرة مثل هذه الأقطار التى كانت قد بلغت أوج حضارتها ومدنيتها.

وحدث فى الشرق الإسلامى – إبان تلك الآونة من أسباب التشاحن والتخاصم والتصادم بين القوى الإسلامية – ما سهل من مهمة المغول فى الشرق الإسلامى وجعلهم يقهرون القوى الإسلامية الواحدة تلو الأخرى ، ولا شك أن استيلاء المغول على هذه البقعة الفسيحة من العالم صَحِبَهُ ضروبٌ من القسوة البالغة التى أدت إلى انقراض دول وذهاب عروش، وتقتيل آلاف عديدة من السكان ، وتخريب أمهات البلاد ، وبرغم ما اشتهر به المغول من البسالة والشجاعة ، فإنهم قلما استخدموها، ما دام بوسعهم أن يحققوا أغراضهم عن طريق الغش والخداع ، فإذا كان الموت

عقوبة الشخص الذى يبدى مقاومة لهم فإنه فى كثير من الأحـوال يعـد أيضًا عقوبة الشخص الذى يذعن ويستسلم ، فإذا أبقى المغول على حيـاة بعض سكان المدن التى أذعنت لهم، لم يكن ذلك إلا من أجل الإفادة مـن مهارتهم الفنية ، أو لاستخدامهم فى قتال مواطنيهم وإخوانهم فـى الـدين بجعلهم فى مقدمة جيوشهم عند الهجوم ، ولن يلبث المغول أن يجهـزوا عليهم بعد أن يتحقق غرضهم.

وقد كانت النظم الاجتماعية والدينية للمغـول – لاسـيما مغـول فارس الذين استوطنوا بداخل بلاد الإسلام – فى حالة تطور مستمر حتى صعد هرم احتياجاتهم إلى قمته بعدما كان المغولى يرضى بأقل القليل إذا به ينفتح على العالم الخارجى وينتقل من مرحلة البداوة إلى أعتاب مراحل التحضر ، ويتخلص من قسوة بيئته ذات التضاريس الـوعرة والتطـرف المناخى. موجز القول إن ظهور جنكيزخان وسط المغول أحـدث دويًـا عظيمًا أدى إلى طفرة فى حياة المغول على جميع المستويات الـسياسية والاجتماعية والدينية.

وقد حمل المغول معهم إلى الشرق الإسـلامى مجموعـة مـن العادات والتقاليد تربوا عليها فى موطنهم الأصلى منغوليا كـان بعـضها حسنًا وبعضها مقززًا وغير مألوف خاصة داخل بلاد الإسلام ، بيد أنهـا عكست في مجملها صورة المغولى وأظهرت مقومات شخصيته وتراثـه الذى نشأ عليه.

ولا شك أن احتكاك المغول بالحضارة الإسلامية أدى إلى الحـد بعض الشيء من همجيتهم وكذلك للوقوف بثبات داخل منظومة الحضارة ، وبدأت التأثيرات الإسلامية تظهر على مناحٍ عدة عند المغول - لاسيما مغول فارس – وكذلك أخذ المسلمون عن المغول بعض مـا استحـسنوه وارتضاه دينهم.

ومما يستلفت النظر أن الإسلام أخذ يستعيد مكانته رويدًا رويـدا ى البلاد التى خضعت للمغول ، ولم يلبث أن حاز من النجاح ما لم يظفر

به البوذيون والمسيحيون ، فعلى الرغم من مصرع أحمد تكودار (إيلخان دولة مغول فارس) فى عام ٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م بسبب اعتناقه للإسلام ، فإن أول ما قام به غازان محمود (٦٩٥ - ٧٠٤هـ/ ١٢٩٥ - ١٣٠٤م) من أعمال أنه اعتنق الإسلام وجعله الدين الرسمى لدولة مغول فارس ، ولم يلبث أن أقبل الموظفون ورجال الدين من المغول على اعتناق الإسلام ، وانقطع ما كان يربط إيلخانات فارس بمغول الوطن الأم (منغوليا) من علاقات فاستقر الإسلام بين المغول فى فارس والأقاليم التابعة لهم.

أما عن أهمية الموضوع وجدته فتكمنان فى إلقاء الضوء على النظم الاجتماعية والدينية لمغول فارس والتركيز عليها وعلى تأثرها بالحضارة الإسلامية لاسيما أن معظم المؤرخين كان اهتمامهم منصبًا على النواحى السياسية للمغول وحروبهم الخارجية ، ولم تلق نظمهم الاجتماعية والدينية القدر الكافى من الاهتمام.

وتعود أهمية هذا الموضوع كذلك إلى أنه يظهر الوجه الآخر للمغولي والذى لا يعرفه إلا القليل حيث شُغل المؤرخون بحروب المغولي وفتوحاته عن ذكر صفاته وطباعه وعاداته وتقاليده وتنشئته الاجتماعية ، وكذا مناحى حياته المعيشية وتفاصيل مايشغله من اهتمامات وأهداف ، بالرغم من أن إلقاء الضوء على مثل تلك الأمور يساعد على التعريف بشخصية المغولى ويظهر كيف استطاع المغولى فى فترة وجيزه أن يسود ويكون إمبراطورية مترامية الأطراف ، ويجعل التصدى له فى أحوال كثيرة ضربًا من ضروب المحال.

وتبدو أهمية هذا الموضوع أيضا فى كونه يتطرق إلى الفكر الدينى للمغول ؛ حيث أظهر أن السماحة الدينية هى شعار المغول فى كثير من الأحيان، فالدين لم يكن هو المحرك الأساسى لهم فى تحقيق أهدافهم مثلما كان حال معظم الدول آنذاك ، ولكن هدفهم السياسى طغى على فكرهم الدينى وترك أفراد المجتمع المغولى يعتنقون ما يرغبون من أديان ، وتحولت طاقاتهم الدينية إلى إطفاء قدسية على جنكيزخان

وخاناتهم العظام ، فلا غرو أن وجدنا المغول يطيعون خانهم طاعة قوم لنبيهم ولا يعصون له أمرًا.

وتكمن الأهمية كذلك فى إبراز دور الحضارة الإسلامية فى تهذيب سلوكيات المغول ومقدرتها الفائقة على صهرهم داخل بوتقة المجتمع الإسلامي ، حتى صار المغولى فى معظم نظمه الاجتماعية أقرب إلى الإسلام بعاداته وتعاليمه منه إلى عاداته ومعتقداته القديمة. ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل تعدى إلى اعتناق المغول للإسلام واعتباره الدين الرسمى لدولتهم بفارس ، فأضحى من كان يخرب ويحرق ويدمر بقسوة وفظاعة يقف اليوم موقف المدافع عن الإسلام وحضارته.

ولأنه لا يشكر اللهَ من لا يشكر الناس واعترافًا بالجميل وإحقاقًا للحق أتقدم بخالص شكرى وامتنانى وعرفانى بالجميل إلى العالم الجليل والأستاذ القدير ، بحر العلم الذى يعطى بلا حساب والذي كان ولما يزل نعم العون والسند ، إلى أستاذي الأستاذ الدكتور: أحمد مختار العبادى أستاذ التاريخ الإسلامى وحضارته بجامعة الإسكندرية ، من تعلمت منه الكثير وشرفت بالتتلمذ على يديه ولم يضنّ يوما بمساعداته وتوجيهاته القيمة ، فأدعو له بالحياة السعيدة والصحة والعافية والعمر المديد.

كما لا يفوتنى أن أرسل الشكر إلى كل من ساعدنى على إخراج هذا العمل المتواضع فلهم منى أعظم آيات الشكر والتقدير.

وأخيرًا فهذا عملي بذلت فيه ما استطعت من جهد وعناء فإن كنت قد أصبت فبفضل الله وتوفيقه وإن كان غير ذلك فحسبى المحاولة والكمال لله وحده وهو حسبى ونعم الوكيل.

المؤلف الدكتور

إبراهيم مرجونة

مدخـــــل

(دراســــة تمهيديــــــة)

مدخل

(دراسة تمهيدية)

يشتمل هذا المدخل على عنصرين أساسيين فـى هـذه الدراسـة التمهيدية وهما :

أولاً : البيئة الجغرافية لبلاد التتار والمغول

- أصل التتار

(١) الموقع الجغرافي.

(٢) المناخ وتأثيره على المغول.

(٣) أبرز المظاهر التضاريسية للأراضي المغولية.

(٤) تأثر المغول ببيئتهم الجغرافية.

ثانيًا : التتار والمغول وبداية ظهورهم المؤثر في الأحداث.

(١) أهم القبائل المغولية وبداية الظهور المؤثر للمغول.

(٢) محاولات توحيد القبائل المغولية.

أولاً: البيئة الجغرافية لبلاد التتار والمغول:

- أصل التتار:

قد يكون من السهل اليسير التحدث عن الدول المتحضرة التى كانت تقوم فى القارة الآسيوية فى القرن السادس الهجرى ، الثانى عشر الميلادى، تلك الدول التى شاءت لها الأقدار أن ترتبط فى فترة من تاريخها بتاريخ المغول ، ولكن من الصعب الوصول إلى حقائق ثابتة عن الأصول التركية والمغولية ، وأجناس الأمراء والشخصيات البارزة لندرة التدوين فى تلك الفترة ، وكثرة الخلط من قبل بعض المؤرخين بما فى ذلك الخلط بين التتار والمغول.

اختلف التتار[١] عن المغول رغم كونهما من أصل واحد (الأصل التركى) حيث كان التتار أسبق فى الظهور من المغول[٢] ومصطلح التتار هو اسم مشتق من (تات) بمعنى الجبل و(أر) بمعنى ساكن أى ساكن الجبل، وقيل كذلك (آر) كلمة فارسية بمعنى إنسان ، وكلمة (ترتر) فى الأساطير الإغريقية تعنى عالم الغيب أو الجحيم ، وقد عرفت أوروبا هذا الشعب باسم (ترتر) ويروى الكثيرون أن اسم التتار مشتق من اللغة الصينية ، إذ كانت هناك قبيلة يطلق عليها (تاتا) ، أو (دادا) أو (تاتان) تسكن منطقة منشوريا ، وشمال شرق منغوليا فى القرن الخامس الميلادى ، وكانت بعض اللهجات الصينية التى يتوفر فيها صوت يشبه صوت (ر)

---

(١) التتار : تضبط على هذا النحو بالتاء المثناه من فوق مكررة قبل الألف وبعدها راء. راجع : اليافعى اليمنى (الإمام أبى محمد عبدالله بن سعد المكى) ت ٧٦٨هـ : مرآة الجنان وعبرة اليقظان فى معرفة ما تغير من حوادث الزمان ، تحقيق خليل المنصور ، جـ٤ ، الطبعة الأولى ، دار الكتب، بيروت ، لبنان ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م ، ص٣٠.

(2) Jing Wei: Op.Cit., p.7.

تطلق عليها (ترتار) أو (تتار) وقد تميزت هـذه القبيلـة بـروح قتاليـة عالية[١].

وقد قيل أن التتار اسم يعنى رامى السهم Archer[٢] هـذا وقـد أطلق عليهم العديد من الأسماء الأخرى ، ومنها الططر ، والتتر ، والتتار ، وهى كلها مسميات لشعب واحد هم التتار[٣] وكانت أمة التتـار تعـيش على شاطئ بحيرة (بويور) فى أقصى الشرق هضبة منغوليا ، وحالهـا كان النزاع المستمر ، والحروب الدائمة، مما أكـسبها مهـارات حربيـة عديدة مكنتهم من السيطرة على بعض القبائل المجاورة لهـم مـن بنـى جلدتهم[٤].

وظل التتار هم المسيطرون على زمام الأمور أصحاب شدة البأس والجبروت ، ومع ذلك كانت تتشب بينهم الحروب لأتفه الأسـباب وقـد تستمر معاركهم عدة سنوات ، فذاع صيتهم ، وانتشرت شهرتهم ، وزادت شوكتهم بين غيرهم من القبائل[٥].

---

(١) إيرار كريم الله : من هم التتار، ترجمة وتعليق رشيد رحيم الصبروتى ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٤م ، ص٢٥- ٢٦؛ محمد فتحى الشاعر: مرجع سابق ، ص٦٠٥.

(٢) طه عبدالعليم رضوان : جغرافية العالم الإسلامى، ص١٤٣.

(٣) حميد محمد حسن الدراجي : ((بغداد من هجوم هولاكو إلى رحيل صدام)) مقال منشور بجريدة الصباح الجديد ، الاثنين ٩ أغسطس ، العدد ٤٠٠ ، العـراق ، ٢٠٠٥م ، ص١٢.

(٤) مؤلف مجهول : تتمة كتاب وليم الصورى والمنسوب خطأ إلى روثلان ١٢٢٩ – ١٢٦١م ، ترجمة وتحليل وتعليق أسامة زكى زيد، طبـع بجامعـة طنطـا ، ١٩٨٩م ، ص١٢٥ ، حسن عبد الوهاب حسنين : تـاريخ جماعـة الفرسـان التيوتون فى الأراضى المقدسة ، تقديم جوزيف نـسيم يوسـف ، دار المعرفـة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٨٩م ، ص٢٨٣.

(٥) فؤاد عبدالمعطئ الصياد : المغول فى التاريخ ، جـ١ ، دار النهضة العربيـة ، بيروت ، لبنان ، ١٩٧٠م ، ص٢٦.

ورأى (كلود كاهن) أن المغول هـم الأسـبق فـى الظهـور ، وبانتصار التتار عليهم ، ذاع وانتشر اسمهم بين الجميع ، وحـل محـل المغول لدى المؤرخين والكتاب[١] ولكن هذا غير صحيح ، وبه خلـط ؛ لأن المغول بدأ اشتهارهم ، وتأثيرهم فى الأحداث بعد عدة معارك داميـة خاضها جنكيزخان حاكمهم ضد التتار ، وحقـق انتـصارات عديـدة ، وانضمت القبائل إلى تبعيته ، ومن بعدها بدأ يطلق عليهم تارة المغـول ، وأخرى التتار.

وقد حاول التتار أن يقيموا اتحاد وحلف بينهم، لأنهم متفرقون فى أماكن عديدة من الأرض تمشيًا مع الوضع ، وظروف المعيشة[٢] ولكـن فكرة الاتحاد بدأت تهدد القبائل المغولية المجاورة لهم ، وتزعج الصينيين الذين عانوا من غاراتهم ، ورغم قوة الصينيين إلا أنهم نالهم كثيـر مـن التعب والعناء فى محاولة صد هجمات التتار عن بلادهم[٣].

أما عن المغول ، فقد تفرعوا من الأمة التركية ، ومنهـا تتفـرع معظم البطون ، ولقد سمى المغول كذلك نسبة إلى نشأتهم الأولـى فـى هضبة منغوليا الواقعة شمال صحراء جوبى[٤] ولم تكن لفظـة (مغـول)

---

(١) الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية : ترجمة أحمد الشيخ ، الطبعة الأولى ، سينا للنشر ، القاهرة ، ١٩٩٥م ، ص٢٥٨.

(٢) ماركو بولو : رحلات ماركوبولو ، ترجمه إلى الإنجليزيـة ولـيم مارسـدن ، ترجمه إلى العربية عبدالعزيز توفيق جاويد ، جـ١ ، الهيئة المـصرية العامـة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٧م ، ص٩٩.

(٣) محمد فتحى الشاعر : مرجع سابق ، ص٧.

(٤) السيد عبدالعزيز سالم ، سحر السيد سالم : دراسـات فـى تـاريخ الأيـوبيين والمماليك ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ٢٠٠٠م ، ص٢٢٤.

معروفة خارج البلاد التى كانت تسكنها القبائل المغولية على حدود صحراء جوبى قبل القرن الرابع الهجرى ، العاشر الميلادى حتى امتد نفوذ تيموجين (جنكيزخان) على جميع هذه العشائر المتحالفة[١].

ولما كان التتار يُعَادُون المغول ، ويناصرون القبائل الثائرة عليهم كان تيموجين (جنكيزخان) ينظر إليهم على أنهم ألد أعدائه ، وأعداء آبائه ، وأجداده ، فبعد أن انتهى من القضاء على القبائل المناوئة له تفرغ للتتار ، وكان مدفوعًا بدافع الحقد عليهم ، والانتقام منهم ، فقام مع جنوده بالإجهاز عليهم ، واستئصال شأفتهم ، وأصدر أمرًا قاطعًا بألا يترك واحدٌ منهم على قيد الحياة[٢].

وأثناء مجازر المغول فى مدن وقرى الغرب النائية ، راح العديد من التتار أمام جيوش الغزاة الجارفة ، ولم يبق منهم إلا القليل مع بقاء اسمهم (التتار) الذى كان يثير الرعب بين القبائل المختلفة، فأصدر جنكيزخان أمرًا بمنع استخدام اسم التتار الذى كرهه من أعماق قلبه[٣] وتحولت التبت ، ومناطق سكنى التتار إلى مناطق تابعة للسيطرة

---

(١) بارتولد (فاسيلى فلاديمير وفتش) : تركستان من الفتح العربى إلى الغزو المغولى ، نقله عن الروسية. صلاح الدين عثمان هاشم ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، قسم التراث العربى ، الكويت ، ١٩٧٤م ، ص٥٤٥ ؛ سيرتوماس. و. أرنولد : الدعوة إلى الإسلام ، ترجمة : حسن إبراهيم حسن وآخرين ، الطبعة الثالثة ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٧١م ، ص٢٤٨- ٢٤٩.

(٢) فؤاد عبد المعطى الصياد : المغول فى التاريخ ، ص٢٧ ؛ محمود السيد : التتار والمغول ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ٢٠٠١م ، ص١٧٧.

(٣) محمد فتحى الشاعر : مرجع سابق ، ص٧ ، منى محمد بدر: ((الأعلام الإسلامية منذ ظهور الإسلام حتى نهاية القرن الثانى عشر الهجرى – الثامن عشر الميلادى)) بحث منشور بمجلة آداب قنا ، جـ١ ، العدد السادس ، جامعة جنوب الوادى ، ١٩٩٦م ، ص٤٢٣- ٤٢٤.

المغولية[١] وأثناء عملية توحيد التتار والمغول كان جنكيزخان يخاطبهم قائلاً : إنكم جميعًا مغول زرق[٢].

على أن اللافت للنظر أنه رغم انتصارات جنكيزخان على التتار ، ومنعه استخدام اسم التتار ، والتفوق المغولى عليهم ، إلا أن الرياح جاءت بعكس ما تشتهى السفن، وبدأ اسم التتار يستخدم بكثرة وسط جيرانهم ، ولدى معظم المؤرخين ، وأصبح يعبر عن الفئتين (المغولية والتتارية) وآل الأمر فى نهايته إلى أن لفظتى تتار أو مغول كلاهما يعبر عن شعبٍ واحد وإمبراطورية واحدة ، وهى إمبراطورية جنكيزخان[٣].

أمّا عن الأصول التتارية ، والمغولية فقد اجتمعت معظم آراء المؤرخين على إرجاع نسبهم إلى الجنس التركى ((التتار نوع من الترك ومساكنهم جبال طغاج (طوغاج) من نحو الصين))[٤] والتتار والمغول يعودون إلى أرومة واحدة ، وهذا ليس فقط لكونهم من أصل واحد ، وهو التركى ، بل لاشتراكهم فى خصائص ثقافية ثابتة وواحدة[٥].

---

(1) Jing Wei: Op.Cit., pp.2-3.

(٢) كليفور أ. بوزورث : الأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامى ، ترجمة حسين على اللبودى ، مراجعة سليمان إبراهيم العسكرى ، الطبعة الثانية ، مؤسسة الشراع العربى ، الكويت ١٩٩٥م، ص٢٠٠- ٢٠١.

(٣) فؤاد عبدالمعطى الصياد : المغول فى التاريخ ، ص٢٧.

(٤) ابن الأثير (عز الدين أبى الحسن على ابن الكرم الشيبانى) : الكامل فى التاريخ الطبعة الأولى ، حققه وضبط حواشيه. على شيرى ، جـ٧ ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م ، ص٥٧٢.

(5) Haider Monura: ((The Mongol Traditions and Their Survival in Central Asia XIV – XIV Centuries)) central Asiatic Journal, Vol. 28, No 1- 2, Otto. Harrassowitz, Wiesbaden, 1984, p.68;

- نعمان محمود جبران : ((محاولات المغول السيطرة على طريق الحرير)) بحث منشور بمجلة دراسات تاريخية ، المجلد العاشر ، جـ١٢- ١٣ ، الأعداد ٤١- ٤٤ ، إشبيلية للدراسات دمشق ، سوريا ، ١٩٩١م ، ص١٤٠.

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد ، بل قيل إن التتار والمغول فرعان من فروع الأمة التركية ، ويزعم النسابون أن أحد ملوك الترك الأقدمين اسمه (النجه خان) قد أنجب ولدين هما (تتار خان) ، و(مغل خان) ومن هنا جاء النسب إما للتتار أو المغول[1].

وهذا الرأى ، وإن كان يؤكد النسب التركى ، إلا أنه قد جانبه الصواب فى أمر إرجاعهم إلى (تتار خان) و(مغل خان) لأنه عادة ما يلجأ بعض المؤرخين إلى هذا الأمر فى الأنساب عندما يعجزون عن الوصول إلى حقائق ثابتة.

وقد اتفقت كلمة معظم أهل التاريخ على ((أن أجناس الترك أكثر العالم ، وأن مساكنهم بلاد الشرق ، ومن أممهم التاتار))[2] وفى وصف جنكيزخان قال الذهبى:- ((من دهاة العالم، وأفذاذ الدهر ، وعقلا الترك ، وهو جد ابنى العم بركة وهولاكو))[3] وغاية القول إنهم من أصل تركى خرجوا إلى العالم من أقاصى الشرق مهاجمين[4].

---

(١) طه ندا : فصول من تاريخ الحضارة الإسلامية ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٩٣م ، ص١٣١ ، محمود محمد زيادة: مجتمعات إسلامية، جـ٢ ، الطبعة الأولى ، دار المحمدية ، الأزهر ، القاهرة ،١٣٨٢ هـ/١٩٩٣م ، ص٧٥.

(٢) الغزى (كامل البالى الحلبى) : نهر الذهب فى تاريخ حلب ، جـ٣ ، قدم له وعلق عليه ، شوقى شعث ، أ. محمود ماخورى ، دار القلم ، حلب ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م ، ص١٠١.

(٣) الذهبى (الحافظ الذهبى) ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م : العبر فى خبر من غبر، حققه وضبطه على مخطوطين أبو هاجر محمد السعيد بسيونى ، جـ٣ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ت ، ص١٩٢.

(٤) المدائنى (العلامة ابن أبى الحديد عز الدين عبدالحميد المدائنى) ت ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م : حملات الغزو المغولى للشرق ، دار الأرمائون ، باريس ، ١٩٩٥م ، ص١٩ ،

- Majid Khadduri: War and peace in the law of Islam, London, 1955, p.143; Sechin: Op.Cit., p.110;

- حميد رضا جلائى بور:كردستان علل تداوم بحران ،تهران،١٣٧٢م، ص٣٥.

ويرى علماء الأجناس ووصف الإنسان أن الترك ، والمغول ، والمماليك ، وأهل التبت ، تظهر عليهم صفات متشابهة من حيث الجلود المصفرة ، والوجه ، والعيون ، والشعور ولونها ، الجميع من أصل واحد[١] وحتى عندما اجتاح المغول العالم الإسلامي ، لم يقوَ على التصدى لهم إلا المماليك من بني جلدتهم[٢].

وذهبت بعض الآراء إلى أن أصولهم لم تكن تركية خالصة ، بل هم قاموا بطرد الأقوام التركية من منغوليا ، وحلوا محلهم ، وبعد التعايش ، والتزاوج ، حدث نوع من اختلاط الأنساب ، فأصبحوا ذوى أصول مختلطة[٣] ، وهناك زعم أيضًا إن الأتراك شاركوا العرب فى أنسابهم ، وهم من العرب متقاربون غير متباعدين[٤] وقيل إن أكثر أمم العالم فرقتان هما : العرب والترك ، وهم منتشرون بين الشمال والجنوب ، ويتناوبون الملك بينهم ، وليس فى العالم أمة أوفر منهم[٥].

---

(١) غوستاف : حضارة العرب ، مرجع سابق ، ص١٧٨ ، عباس العزاوى : تاريخ العراق بين الاحتلالين (حكومة المغول) جـ١ ، مطبعة بغداد ، العراق ، ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٥م ، ص٤٧- ٤٨.

(٢) غلب التتار على البلاد فجاءهم من مصر تركي يجود بنفسه
بالشام أهلكهم وبدد شملهم ولكل شيءٍ آفةٌ من جنسه
راجع ابن تغرى بردى (جمال الدين أبى المحاسن يوسف الأتابكى) ت ٨٧٤هـ : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، قدم له وعلق عليه محمد حسين شمس الدين ، جـ٧ ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٣/ ١٩٩٢م ، ص٢٣٨؛ محمد كرد على : خطط الشام ، جـ٢ ، الطبعة الثالثة ، دار الملايين ، بيروت، ١٩٨٣م ، ص١٠٩.

(٣) بارتولد : تاريخ الترك فى أسيا الوسطى ترجمة : أحمد السعيد سليمان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٦م ، ص١١٤.

(٤) الجاحظ : رسائل الجاحظ، القسم الأول ، اختيار الإمام عبدالله بن حسان ، جـ٣ ، الطبعة الأولى ، دار الجبل ، بيروت ، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م ، ص١٧٢.

(٥) ابن خلدون (عبدالرحمن بن محمد بن الحسن بن عبدالرحمن) ت ٨٠٨هـ : التعريف بابن خلدون ورحلته غربًا وشرقًا ، عارضه بأصوله وعلق عليه محمد بن تاويت الطنجى ، قدم له عبادة كحيلة ، سلسلة الذخائر عدد (١٠٠) ، القاهرة ، ٢٠٠٣م ، ص٣٥١.

وردًا على ما ذهب إليه بارتولد ، نقول إن اختلاط الأجناس عن طريق التعايش والتزاوج أمر وارد ، ولكن كون المغول حلوا محل الترك قد يكون مردُّه أنهم هم أنفسهم يعودون إلى الجنس التركى ، كما ذهب معاصروهم من المؤرخين ، وغيرهم من مؤرخى العرب والفرس ، وحتى المستشرقين ((ليس هناك أدني شك فى ان المغول من أصل تركى))[1]

((فإن المغول صنف من الأتراك))[2]. أما بالنسبة لمزاعم الأصول العربية ، فهذا كان حال أغلب الأمم فارسية كانت أم تركية ، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل تعدى إلى الغرب الإسلامى وظهرت هذه المزاعم عند البربر ، فقد حاول الجميع أن يربط نسبه بنسب العرب لينال بعضًا مما كان عليه العرب من أفضلية نسب ، وعندما تناول الجاحظ أمر الأصل العربى للمغول أورد أنه مزاعم لدى البعض وهذا يدل على أنه لم يؤكد نسبهم العربى ولعل هذا كان من أسباب انتشار كتب الأنساب أى أنساب العرب لمعرفة الدخيل والصريح منها.

أما عن كثرة أعدادهم ، فهذا أمر حق ، ودلالته كثرة الأمم التى تعود فى أصولها إلى الأتراك ، ومنهم السلاجقة والمماليك ، والمغول ، وغيرهم.

---

(١) القزوينى (زكريا بن محمد بن محمود القزوينى) : آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ت ، ص٨١ ؛ پاول هرن : تاريخ مختصر إيران ، ترجمة وحواشى دكتور رضا زاده شفق ، ازنشريات كميسيون معارف طهران ، ١٣١٤ ، ص٦٧ ؛

- Holt. P. M: The Age of the Crusades, The Near East from the Eleven Century to 1517, London, 1990, p.24.

(٢) رشيد الدين الهمذانى : خلفاء جنكيزخان ، مصدر سابق ، المجلد الثانى ، جـ١ ، ص٢١٢.

وعرفت الأساطير والروايات المغالى فيها طريقها إلى الأصول المغولية ، فذهب بعض المؤرخين إلى ((أن التتار من بقايا يأجوج ومأجوج ، وهم عن الإسلام منحرفون ، وعن الإيمان عوج ، وسموا بالترك لأنهم تركوا عن دخول السد بالخروج، فكانوا قبل جنكيزخان لا يتفق منهم اثنان))(١).

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، فذهب آخرون إلى أن أصل الترك والمغول يعود إلى ولد يافث بن نوح عليه السلام، وهم ينسبون إلى ترك حفيد يافث، وأجدادهم ركبوا السفينة مع سيدنا نوح، وعمروا في الصين ومنغوليا(٢). واعتقد المغول والأتراك أنهم حفدة الذئب الأغبر، فهو

---

(١) ابن عرب شاه : فاكهة الخلفاء ، ص٥٣٦ ، واتفق معه فى هذه الرواية كلا من : ابن خرداذبه : المسالك ، مصدر سابق ، ص١٥ ؛ ابن الشحنة (الشيخ محب الدين أبى الوليد محمد بن الشحنة) ت ٨١٥هـ : روض المناظر فى علم الأوائل والأواخر ، الطبعة الأولى ، تحقيق سيد محمد فهمى ، دار الكتب بيروت ، لبنان ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م ، ص٦٤ ، J. J. Saunders: Ganghis Khan and the Communists, History Today, Vol XX, London, 1970, p.391.

(٢) السويدى (الشيخ أبى الفوز محمد أمين البغدادى) : سبائك الذهب فى معرفة قبائل العرب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ت ، ص٢٩- ٣٠ ، خواندمير (غياث الدين بن همام الحسينى) : تاريخ حبيب السير فى أخبار أفراد وبشر ، از انتشارات : كتابخانة خيام ، خيابان ناصر خسرو ، حيدرى ، ١٣٣٣ شمسى ، ص٣٢٩ ، المسعودى (المؤرخ الكبير أبى الحسن على بن الحسين بن على) ت ٣٤٦هـ : أخبار الزمان ومن أباره الحدثان ، وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران ، دار الأندلس ، بيروت ، ١٩٩٦م ، ص٩٤ ، ابن إياس (محمد بن أحمد بن إياس الحنفى) : بدائع الزهور فى وقائع الدهور ، حققه محمد مصطفى ، جـ١ ، القسم الأول ، الطبعة الثانية ، الهيئة العامة ، القاهرة ، ١٩٨٢م ، ص٢٨٨ ، الدينورى (أبى محمد بن عبدالله بن مسلم بن قتيبة) ت ٢٧٦هـ : فضل العرب والتنبيه على علومها ، تقديم وتحقيق وليد محمود خالص ، الطبعة الأولى ، المجمع الثقافى ، أبوظبى ، ١٩٩٨م ، ص٥٠ ، القرمانى (أحمد بن يوسف الدمشقى أبوالعباس) ت١٠١٩هـ: أخبار الأول وآثار الدول، دار السداد، بغداد، ١٢٨٢هـ، ص٢٨٣.

جدهم الأسطورى ، واتخذ الترك الغربيون الذئب شعارًا لهم، فكانوا يضعون فى قمة سارية رايتهم رأس ذئب من ذهب[1] وهناك أسطورة[2] أن جنكيزخان جاء نتيجة جماع ذئب أزرق فى السماء لظبية على الأرض ، فنتج من ذلك هذا القائد ذو القوة الفائقة[3].

نخلص مما سبق إلى أمرٍ مهم، وهو أن الأسطورة دائمًا ما كانت تأتى لفرض سياج من المهابة ، والقوة الخارقة على أصحابها ، وتسد فراغًا ، وتجيب عن أسئلة كثيرة لا تتوافر لها إجابات ، وتجعل من الصعب تحقيق أى انتصارٍ على أصحاب هذه الأسطورة من قِبل أعدائهم ، لأنهم من أصول غير أصول البشر العاديين ، ولديهم قدرات خاصة تفتح لهم الأبواب المغلقة ، ويجد ضعيف الحيلة المنهزم أمامهم بغيته لكى يعلق فشله وفساده على أنه واجه قومًا أصحاب قوة خارقة ليسوا ببشر بل ذئاب يقتلون ، ولا يرحمون مثلما فعل معظم حكام البلدان الإسلامية، عندما تهاوت بلادهم المدينة تلو الأخرى أمام أعينهم ، وهم مستسلمون عاجزون.

---

(١) سعد زغلول : الترك والمجتمعات ، ص٨١.

(٢) الأسطورة والاحتفالات : كان المتبع فى عهد جنكيزخان ، وفى عهد أبنائه من بعده أن يحتفلوا أول يوم من كل عام لاعتقادهم أن أجدادهم استوطنوا هضبة منغوليا منذ أزمان بعيده وأنهم تعرضوا للقتل عن بكرة أبيهم ولم ينجُ منهم سوى رجلين وامرأتين استطاعوا الهرب إلى منطقة خصبة اسمها ارجين كونErguen Coun ثم تناسلوا ، وكثر عددهم ، ووصلوا إلى ضفاف أنهار الأونوان ، وكيراولان ، وتوجولاتولا وكان ذلك فى القرن الثامن الميلادى ، ولقب الذئب الأغبر أطلق حديثًا على كمال أتاتورك ، راجع : محمد فتحى الشاعر : مرجع سابق ، ص٥ ، مصطفى طه بدر : محنة الإسلام الكبرى أو زوال الخلافة العباسية من بغداد على أيدى المغول ، الطبعة الثانية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٩م ، ص٩٩.

(3) Bawden. C. R: Modern History of Mongol , London, 1968, p.28.

١ – **الموقع الجغرافي :**

مما يستلفت النظر أن الدراسة الجغرافية لها أهميتها القصوى فى معرفة التأثيرات البيئية على الشعوب والمجتمعات، حيث أنهـا تتـدخل بشكل مباشر فى الصفات والمكونات الجسدية ، والاتـصال الخـارجي ، والعزلة ، يضاف إلى ذلك الثقافات ، لذا كان لزامًا علينا قبل الخوض في غمار الحديث عن المغول أن نتناول بإيجاز أبرز ما ميز مظاهر بيئـتهم الجغرافية، وموطنهم، ومناطق سكناهم وانتشارهم.

لقد توطن التتار في مناطق عديدة بآسيا الوسطى، تمتد مـا بـين حدود ممالك الخطا[١] وأقصاها مدينة (خـان بـالق) شـرقًا[٢] وولايـة الأويغور غربًا والقرغيز وسلنكاى شمالاً[٣] وقبائل التنكوت جنوبًا[٤] هـذا

---

(١) ابن عرب شاه (أحمد بن محمد بن عرب شاه) ت ٧٩١ – ٨٥٤هـ/ ١٣٩٢ – ١٤٥٠م : فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء ، تقديم وتحقيق وشرح أ. محمد رجب النجار ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، سلسلة الذخائر ، عـدد ٩٤ ، منتـصف أبريل ، ٢٠٠٤م ، ص٥٣٧.

(٢) مدينة خان بالق : مدينة من أقاصي الشرق عند بلاد الخطا ، وكانـت تابعـة للصين ، بل كانت قاعدتها القديمة ، وهى مدينة محـصنة كثيـرة الخيـرات ، عظيمة الشأن ، وهى بكين الحالية عاصمة الصين ، راجع ابن عـرب شـاه : فاكهة ، ص٥٣٧.

(٣) الأويغور، القرغيز ، سلنكاى : أما الأويغوريون ، فقد كانوا يسكنون أراضـي أواسط آسيا ، مثلهم في ذلك كأي فرد ينتمي إلى الجنس التركي ، وقد كانت لهم دولة ذات سيادة بلغت أوج قوتها خلال الفترة من عام ١٣٣هـ/ ٧٧٠م وإلـى سنة ٢٣٦هـ/ ٨٥٠م إلى أن طردوا من منغوليا على أيدي عنصر آخـر مـن الجنس التركي عرفوا بـ ((القرغيز وسلنكاى)) ، ثم انكمشت قوة الأويغـوريين في أواسط آسيا على أيدي الدولة القرخطائية المغولية ، ولمزيد مـن التفاصـيل راجع : سعد بن محمد بن حذيفة الغامدى : المغول بيئتهم الطبيعيـة وحيـاتهم الاجتماعية والدينية ، الطبعة الأولى ، الرياض ، السعودية ، ١٤١٠/ ١٩٩٠م ، ص١٤–١٩.

(٤) التنكوت : (أوهسى–هسيا) وهم يرجعون في أصلهم الجنسي إلى التبتيين الترك ، وهم القاطنون في مناطق مرتفعات جبال التبت ، وقد كونوا لهـم دولـة تقـع أراضيها إلى الشمال الغربي من الأراضي الصينية ، وقد شرع المغول بقيـادة=

بجانب اتخاذ التتار من الهضاب مناطق للسكنى وأشهرها كانت هضبة التبت Tibet[1] وهذه المناطق أقل ما يقال عنها إنها غاية في الصعوبة لا يقوى على الإقامة فيها إلا أناس ذوو طبائع خاصة يميزهم قوة التحمل والقدرة على التعايش وسط ظروف معيشية سيئة[2] لكثرة جبالها وقلة أنهارها وقسوة مناخها، وعلى الأخص هضبة التبت موطن الغالبية العظمى من التتار[3] وهي تمتد جنوب غرب الصين، وتعد من أوسع هضاب العالم من حيث المساحة[4].

=جنكيزخان في مهاجمة أراضيهم ، وذلك في أوائل القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي فاستطاعوا إخضاعهم تحت نفوذهم، راجع: سعد الغامدى: المغول بيئتهم الطبيعية ، مرجع سابق ، ص١٧.

(١) برتولد شبولر: العالم الإسلامي في العصر المغولي ، نقله إلى العربية أ/ خالد أسعد عيسى ، راجعه وقدم له سهيل زكار، الطبعة الأولى ، دار حسان ، دمشق ، سوريا ، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م ، ص١٩ ، عصام الدين عبدالرؤوف الفقي : الدول المستقلة في المشرق الإسلامي منذ مستهل العصر العباسي حتى الغزو المغولي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م ، ص١٦٨.

(٢) الصرفى (رزق الله منقريوس الصرفى) : تاريخ دول الإسلام ، جـ٢ ، مطبعة الهلال ، الفجالة ، القاهرة ، ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م ، ص٢٦٧ ، ابن إياس (عبدالله محمد بن أحمد بن إياس) : نشق الأزهار في عجائب الأقطار، منشور وملحق مقتطفات منه بكتاب مؤلف مجهول ، أخبار المجوس من الأرمن وورنك الروس ، ليدن ، د. ت.، ص١١٣ ، طه عبدالعليم رضوان : في جغرافية العالم الإسلامي ، جـ١ ، الطبعة الخامسة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م ، ص١٤٢ - ١٤٣.

(٣) طه عبدالعليم رضوان : المرجع السابق ، ص١٤٣ ، ب. يا. فلاديمير ستوف : حياة جنكيزخان الإدارية والسياسية والعسكرية ، ترجمه من اللغة الروسية إلى الإنجليزية ميرسكى ، وإلى العربية سعد بن محمد حذيفة الغامدى ، الطبعة الأولى ، الرياض ، السعودية ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م ، ص١٥ ، أحمد حطيط: حروب المغول "دراسة فى الاستراتيجية العسكرية للمغول من أيام جنكيزخان حتى عهد تيمورلنك" ، الطبعة الأولى ، دار الفكر اللبنانى ، بيروت ، ١٩٩٤م ، ص١٣.

(٤) الإدريسى (أبوعبدالله محمد بن إدريس الحموى الحسينى) من علماء القرن الـ٦هـ: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، دراسة وتحليل إبراهيم خورى=

وعلى الجانب الآخر، عاش المغول في سهول منغوليا التي تؤلف جزءًا من هضبة آسيا الوسطى والشرقية إلى الشمال من صحراء جوبى بين بحيرة بيكال غربًا، وجبال خنجان على حدود منشوريا شرقًا، حيث تشكل الجبال المحيطة بها حاجزًا منيعًا عن الأقاليم الصينية وسيبريا[١].

ومعظم الأراضي التي عاش فيها التتار والمغول أراضى حمراء غير صالحة للزراعة[٢] هذا مع تعقد طبيعتها الجغرافية، مما كان له أكبر الأثر فى تحول التتار والمغول إلى سكان براري رعاةً عُرف عنهم الشر، والغدر، والبحث المستمر عن العشب والتنقل من مكان لآخر وراءه[٣] وشكل المغول عدة قبائل مختلفة انتشر بعضها على شواطئ بحر قزوين، وأقاموا حول هذه الشواطئ مهاجرين من أرضِ التبت سعيًا وراء

=الطبعة الأولى، مركز زياد للتراث، الإمارات، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ص٢٣٩ ، بنيامين التطيلى (الربى بنيامين بن يونه التطيلى البنارى الأندلسى): رحلة بنيامين (٥٦١ – ٥٦٩هـ/ ١١٦٥ – ١١٧٣م)، ترجمها عن الأصل العبرى عزرا حداد، قدم لها عباس العزاوى، الطبعة الأولى، المطبعة الشرقية، بغداد، ١٣٦٤هـ/ ١٩٤٥م، ص١٦٠؛ سعد الغامدى: المغول بيئتهم الطبيعية، المرجع السابق، ص١٢.

(١) محمد خميس الزوكه: آسيا (دراسات في الجغرافيا الإقليمية) الطبعة الثالثة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م، ص٢١٢؛ محمد فتحى الشاعر: مصر قاهرة المغول فى عين جالوت، دار المعارف، القاهرة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ص٥.

(٢) البيرونى (أبوالريحان محمد بن أحمد) ت ٤٤٠هـ: تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، قدم هذه الطبعة محمود على مكى، سلسلة الذخائر، عدد ١٠٩، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، ٢٠٠٣م، ص١٦٠.

(٣) ابن الوردى (سراج الدين أبى حفص عمر): خريدة العجائب وفريدة الغرائب ، منشور وملحق بكتاب: مؤلف مجهول: أخبار أمم المجوس من الأرمن وورنك الروس، ليدن،د. ت.، ص١٤٩ ؛ محمود شاكر: التاريخ الإسلامي (الدولة العباسية)، المجلد الخامس، الطبعة السادسة، دار المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ص٣٢٩.

الرزق[١] ونزل آخرون إلى بقاعٍ أخرى في الشمال ما بين منغوليا وجبال آرال[٢].

ومع أواخر القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي ظهر شخص يدعى (يسوغاى) وهو سَليل عائلة نبيلة من المغول، وكان قائدًا على فئة صغيرة من الجنود، وقضى حياته في دفاع مستمر عن أملاكه، وعندما مات في عام ٥٦١هـ/ ١١٦٥م ترك عدة أبناء ، كان أكبرهم يدعى (تيموجين)[٣] في العاشرة من عمره ، وطبقًا للعادات المغولية، فقد اضطر هذا الصبي بسبب المصيبة التي نزلت به بوفاة والده أن يظل دائم التنقل منذ نعومة أظفاره لتأمين حقوقه الوراثية ، وراودته فكرة الزعامة

---

(١) الذهبى (الحافظ المؤرخ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى) ت ٧٤٨هـ: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، حوادث ووفيات ٦٣١ – ٦٤٠هـ، تحقيق عمر عبدالسلام تدمرى، الطبعة الأولى، دار الكتب الجامعية، بيروت – لبنان، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، ص٢٦؛ غوستاف لوبون: حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص١٧٧؛ جورجى زيدان: طبقات الأمم أو السلائل البشرية، مطبعة الهلال، الفجالة، مصر، ١٩١٢م، ص١٣٥؛ خليل مطران: مرآة الأيام فى ملخص التاريخ العام، دار مارون عبود، بيروت، ت، ص٥٥.

(٢) الفردوسى (أبو القاسم الفردوسى): الشاهنامة، ترجمة الفتح بن على البندارى، تحقيق عبدالوهاب عزام، جـ٢، الطبعة الثانية، سلسلة الألف كتاب الثانية عدد ١١٥، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٩٣م، ص١٣٩؛ أحمد محمود حسن عامر: "تاريخ بلغار الفولجا المسلمين في شرق أوروبا إبان العصور الوسطى" بحث منشور في مجلة التاريخ والمستقبل، العدد الثاني يوليو، كلية الآداب – جامعة المنيا، ٢٠٠٠م، ص٢٥٩؛ جلال يحيى: العالم الإسلامي الحديث والمعاصر ، المكتب الجامعي الحديث ، الإسكندرية، ١٩٨٢م، ص٣١.

(٣) تيموجين: معناه في اللغة الصينية الصلب الخالص، ولقب جنكيزخان يعنى أقوى الحكام وهو الذي اختار هذا الاسم لنفسه وقد تمكن بعد حروب ومنازعات مع أبناء جنسه أن يصل إلى غايته وهى زعامة المغول عام ٦٠١هـ/ ١٢٠٤م. راجع أحمد مختار العبادى: قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٦م ، ص١٤٥.

منذ الصغر ، وجمع من حوله المؤيدين وعندما اشتد عوده بدأ في السيطرة على القبائل التترية والمغولية الموجودة آنذاك ، ومنها قبيلة (الميركيت) ثم (المانجول) ، ثم تلقب بلقب جنكيزخان ، وواصل سياسته التوسعية ، وصارت أعمال جنكيزخان ومجهوداته تحقق نجاحات كبيرة في إسقاط القبائل والمدن المجاورة له ، وأضحى قاب قوسين أو أدنى من تأسيس إمبراطورية مترامية الأطراف، وساعدته الظروف في تحقيق بغيته، حيث وجد مؤيدين مخلصين يثق فيهم، وأغدق عليهم العطايا(١) يضاف إلى ذلك الانحلال السياسي والاجتماعي الذي كانت عليه القبائل المغولية والتتارية ، بجانب ذكائه وحنكته العسكرية ومهارته الحربية(٢).

تجمعت كل هذه الأسباب لكي تحدث طفرةً في تاريخ المغول، وحولتهم من مجرد قبائل متصارعة إلى إمبراطورية منظمة يهابها القاصي والداني، وبمجرد ترديد اسمها ترتعد الأبدان وتشيب الولدان.

وعلى هذا الأساس، بدأت تتسع حدود الإمبراطورية المغولية، وضمت إلى أقاليمها عديدًا من بلاد الصين، ومنذ ذلك الحين أصبحت لفظة مغول أوسع انتشارًا من لفظة التتار، ولكن هذا الأمر لم يستمر كثيرًا إذ أضحت لفظة التتار هي الأكثر شيوعًا ولاسيما في المصادر العربية ثم صار التعبير بلفظ المغول أو التتار يعني شيئًا واحدًا، وهو إمبراطورية

---

(١) برتولد شبولر: مرجع سابق، ص٢٢.

(٢) المنشي النسوي (شهاب الدين محمد المنشي): سيرة جلال الدين منكبرتي، الطبعة الثانية، تحقيق حافظ أحمد حمدي، دار الكتب، القاهرة، ١٩٥٣م، ص١١؛ عادل إسماعيل هلال: العلاقات بين المغول وأوروبا وأثرها على العالم الإسلامي، الطبعة الأولى، عين للدراسات الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ١٩٩٧م، ص٣٣.

جنكيزخان[١] وتوزع المغول في المناطق الممتدة من سد الصين جنوبًا إلى بحيرة بيكال شمالاً، وكان مستواهم الحضاري على درجات متفاوتة وحسب مناطق سكناهم، وهم على ثلاثة أنواع: البيض الأكثر تحضرًا، يليهم السود أقل تحضرًا ثم المتوحشون[٢]، وتغيرت حياة المغول شيئًا فشيئا بعد الاحتكاك بشكلٍ مباشر بالصين وحضارتها فسكنوا المنازل الواسعة بعد سكنى الخيام في بلاد التبت ومنغوليا[٣].

وبشكل عام أصبح انتشار المغول في المناطق الممتدة من سور الصين العظيم جنوبًا إلى بحيرة بيكال شمالاً، وفي الجنوب الشرقي لهضبة

---

(١) ابن خرداذبه (أبى القاسم عبيد الله مولى أمير المؤمنين): المسالك والممالك، مطبعة بريل، مدينة ليدن، ١٨٨٩م، ص٣١؛ البغدادى (أبى الفرج قدامه بن جعفر الكاتب): الخراج وصنعة الكتابة، ملحق بكتاب ابن خرداذبه، المسالك والممالك، مطبعة بريل، ليدن ١٨٨٩م.، ص٣٩٣ ، Marris Rossabi: Women of the Mongol Court, New York, The Columbia Encyclopedia: "Mongols", ، 1997, p.3. Net; Columbia University, 2004, p.1. Net.

(٢) زبيده عطا: بلاد الترك في العصور الوسطى، دار الفكر العربي، القاهرة، ت، ص١٢٩؛ حافظ أحمد حمدى: الشرق الإسلامي قبيل الغزو المغولي، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ص١٢٩؛ ثروت محمود عكاشة: جنكيزخان الإمبراطور الدموي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٥١م، ص٨٧.

(٣) نظام الدين الهروى (أحمد بخشى الهروى): المسلمون في الهند من الفتح العربي إلى الاستعمار البريطاني، الترجمة الكاملة لكتاب طبقات أكبري، ترجمه عن الفارسية أحمد عبدالقادر الشاذلى، جـ٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٥م، ص٣٠٤؛ المسعودى (أبى الحسن بن الحسين بن على) ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٦م: مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق وتعليق قاسم الشماعى الرفاعى، الطبعة الأولى، المجلد الثانى، دار القلم، بيروت، ١٩٨٩م، ص٦٩؛ محمد محمد مرسى الشيخ: أوروبا والتتار، الإسكندرية، ٢٠٠٠م، ص١٦٨.

منغوليا[١] حيث تقع صحراء جوبى، وهى عبارة عن سهل متسع مسطح ومتموج، تغطيه طبقة من الحصباء شديدة الصلابة؛ إذ جردتها الرياح الشديدة من التربة، والرمال، حتى ظهرت في بعض جهاتها مساحات من الصخور أشبه بالجزر في البحار ونتج عن ذلك أن انعدمت الزراعة في أكثر جهاتها، حيث لم تشاهد إلا في أماكن قليلة ومتفرقة[٢].

ولم يتوقف المد المغولي عند هذا الحد، بل خرج إلى مناطق شتى أخرى في آسيا الوسطى من النهر الأصفر شرق آسيا إلى حدود أوروبا الشرقية، أي ما بين الصين ومنغوليا وإيران وأرمينيا وروسيا[٣].

---

(١) شيخ الربوة الدمشقى (شمس الدين أبى عبدالله محمد الأنصارى): نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص٢٠٧؛ عبدالسلام عبدالعزيز فهمي: تاريخ الدولة المغولية في إيران، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠م، ص١١.

(2) Howorth. Henry, H. F. S. A: History of the Mongols, I. IV, London, 1927, p.4; Richard. L, Ibm: "Mongol Empire: The Biggest Land Empire in History (1279 – 1368) London, 1998, p.5. Net;

- أرمنيوس فامبرى: تاريخ بخاري منذ أقدم العصور، ترجمة أحمد الساداتى، راجعه وقدم له يحيى الخشاب، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٨٧، ص١٦١.

(3) Smith John Masson: "Mongol Manpower and Persian Population", Journal of Economic and Social History of the Orient, Vol XVIII, part III, USA, October, 1975, p.287; The World Book Encyclopedia: "Mongol Empire", Vol 13, London, 1992, p.557;

- عبد العزيز حافظ دنيا : هزيمة التتار على أيدي العرب ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، ص١١.

وبمعنى آخر يمكننا أن نقول إن الإمبراطورية المغولية عشية وفاة جنكيزخان عام ٦٢٤هـ/ ١٢٢٧م كانت تمتد من النهر الأصفر في الصين، والمحيط الهادي شرقًا إلى العراق العجمي غربًا، ومن نهر السند، وجبال الهملايا جنوبًا إلى سيبريا شمالاً ، وما أن شارف النصف الأول من القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي على النهاية، حتى وصل المغول في فتوحاتهم إلى قلب أوروبا، وآسيا الصغرى في الغرب ، وتوغلوا في أراضى الصين الجنوبية في حملة بقيادة (قوبيلاى خان بن تولوى بن جنكيزخان) ، والأخرى بقيادة هولاكو الذي استطاع أن يصل إلى أراضى الشام بحلول عام ٦٥٧هـ/ ١٢٥٩م بعد أن قوض قوة الإسماعيلية الحشاشة الشيعة بإيران ، وقضى على الخلافة العباسية في بغداد(١).

غاية القول ، وعلى حسب هذه التقسيمات الجغرافية، نجد أن نطاق الأراضي المغولية يتبع الإقليمي السادس والسابع على ما ذهب المقدسى ، لأن هذين الإقليمين يتضمنان معظم بلاد الترك ، وما أضيف عليهما من جراء التوسعات الخارجية.

الموقع الفلكي : لقد سكن المغول في مناطق شتى من أطراف الصين إلى أواسط آسيا وكانت جغرافية تلك المناطق تتضمن عددًا كبيرًا من خطوط الطول ودوائر العرض، ولذا اختلفت بيئتها ، وتنوع مناخها ، وتضاريسها ، وغلب عليها الصفة السهولية ذات المراعى المتغيرة(٢).

---

(١) سعد بن محمد حذيفة الغامدى: "الملك الناصر يوسف والمغول"، بحث منشور بمجلة كلية الآداب . المجلد ٣٤، الإسكندرية، أكتوبر ١٩٨٦م، ص١٠٤- ١٠٥؛ David Morgen: The Mongols, USA, 1996, p.87; ، ثروت محمود عكاشة: جنكيزخان الإمبراطور، ص٨٧.

(٢) عبدالحميد العبادى، محمد مصطفى زيادة، إبراهيم أحمد العدوى: الدولة الإسلامية تاريخها وحضارتها، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، الفجالة، القاهرة، د.ت.، ص١٤١؛ إبراهيم أحمد العدوى: مصر والشرق العربى درع الإسلام، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٤م، ص١٦٢؛ إبراهيم أحمد العدوى: العرب والتتار، وزارة الثقافة، المكتبة الثقافية، عدد ٨٨، القاهرة، ١٩٦٣، ص٢٥.

وتمتد التبت بين دائرتي عرض 44° – 27° شمالا وخطى طول 71° – 108° شرقًا[١] أما منغوليا فهي تمتد شمال الصين بين دائرتي عرض 42° – 53° شمالاً، وخطى طول 88° – 120° شرقًا، وتبلغ جملة مساحتها نحو مليون ونصف كم٢[٢].

أما عن الصين فهى تمتد بين دائرتي عرض 18° – 53° شمال خط الاستواء، وبين خطى طول 74° – 135° شرقًا[٣] والصين بهذا الامتداد تختلف مناخيًا من الجنوب ذى المناخ الموسمي دون المدارى إلى الشمال ذي المناخ الموسمي المعتدل البارد، وامتدادها بين خطى الطول 74° – 135° شرقًا جعل الشرق يختلف عن الغرب، حيث توجد مناطق قارية تعد من أكثر بلدان العالم قارية[٤].

أما عن إيران والتى كانت تعرف ببلاد فارس، وهى مليئة بالخيرات[٥] وتقع جنوب غرب آسيا، وتمتد بين دائرتى عرض 25° – 40° شمالاً، وبين خطى طول 44° – 63° شرقًا ، وتبلغ مساحتها مليون وستمائة وثمانية وأربعين كيلو مترًا وتحدها روسيا من الشمال ، وتركيا والعراق من الغرب ، وباكستان وأفغانستان من الشرق، وخليج عمان من

---

(١) محمد خميس الزوكه: مرجع سابق، ص٢١٢.
(٢) نفسه: ص٢٥٩.
(٣) نفسه: ص٢٠٧.
(٤) محمود محمد شاكر: ((الأقليات المسلمة فى قارة آسيا))، فصل منشور ضمن كتاب البلدان الإسلامية والأقليات المسلمة فى العالم المعاصر، المؤتمر الجغرافى الإسلامى الأول، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، السعودية، صفر ١٣٩٩هـ/ يناير ١٩٧٩م، ص٦١٣.
(٥) ابن البلخى: فارس نامه، تحقيق يوسف الهادى، الطبعة الأولى، الدار الثقافية، القاهرة، ١٩٩٩، ص١٣؛ خسرو (ناصر خسرو علوى): سفر نامه، ترجمة يحيى الخشاب، تصدير عبد الوهاب عزام، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، ١٩٩٣م، ص١٧٣.

الجنوب[1] فقد قامت بها دولة مغول فارس المعروفة بالدولة الايلخانية (٦٥٦ – ٧٣٥هـ/ ١٢٥٨ – ١٣٣٥م) واتخذت من تبريز بآذربيجان عاصمةً لها، بعد توقف مد المغول على إثر هزيمتهم من المماليك بمصر تحت قيادة قطز (٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م) ، وكان جيش هولاكو بقيادة كتبغا، وأرادوا قصد البلاد المصرية والاستيلاء عليها؛ فتصدى لهم المماليك، ودارت معركة عين جالوت عام ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م وحقق المماليك فيها نصرًا كبيرًا[2].

٢- المناخ وتأثيره على المغول:

تنوع المناخ فى منغوليا وبلاد الصين نتيجة كثرة خطوط الطول ودوائر العرض ، وهو متدرج فى حالة السوء والصعوبة، حيث تعصف

---

(١) حسن عبدالقادر صالح: ((البلدان الإسلامية فى قارة آسيا)) فصل منشور ضمن كتاب البلدان الإسلامية والأقليات فى العالم المعاصر، المؤتمر الجغرافى الإسلامى الأول، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، السعودية، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ص٢١٦.

(٢) مما دعا حسين الكردي أحد الشعراء ينشد قائلاً:

هلك الكفر في الشام جميعًا ... واستجد الإسلام بعد دحوضه
بالمليك المظفر الأروع ... سيف الإله عند نهوضه
ملك جاءنا بحزم وعزم ... فاعتززنا بسمره و ببيضه
أوجب الله شكر ذاك علينا ... دائما مثل واجبات فروضه.

راجع: بيبرس المنصورى (الأمير ركن الدين بيبرس الدوادار الناصرى المنصورى) ت ٧٢٥هـ: التحفة المملوكية فى الدولة التركية (تاريخ دولة المماليك البحرية فى الفترة من ٦٤٨ إلى ٧١١هـ) نشره وقدم له ووضع فهارسه، عبدالحميد صالح حمدان، الطبعة الأولى، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص٤٤.

الرياح بشدة[1] وتهب فى معظم أيام السنة بشدة عاتية، حتى أنها تحمل معها الحصى، وتنقله إلى مسافات بعيدة، مما يجعل مواجهتها مستحيلة[2].

ويروى جون الكاربينى: ((إن الرياح والأعاصير الباردة تطوح بالخيالة من على صهوات جيادهم ، ويصبح من الصعب عليهم مواصلة ركوب دوابهم أثناء هبوب تلك الرياح الشديدة ، وعندما تشتد أكثر فأكثر ، نجد القوم يلقون بأنفسهم على الأرض خشية أن تجرفهم الرياح مع ما تحمله من الكميات الهائلة من الأتربة التى يتعذر معها الرؤية الكلية))[3].

وقد تحايل أهل الصين من راكبى البحر على هذه الظروف القاسية والرياح العاتية فهم: ((يحملون معهم جرباناً من جلود البقر، فإذا اعتصفت الرياح، وأنذرتهم بقرب الهلاك ، دخلوا هذه الجربان، ومعهم سكين، وربطوها من الداخل، حتى لا يتسرب الماء إليها، ورموا بأنفسهم فى اليم ، فتهجم عليهم طيور عظيمة (طائر يدعى الرخم) ظناً بأنها جيفة ، وتحملها إلى الوديان أو اليابسة لتأكلها ، وهنا يخرج مَن بداخل الجربان عن طريق تقطيعها بالسكين؛ فيستولى الرعب على الطائر ويلوذ بالهرب))[4].

---

(١) بنيامين التطيلى: مصدر سابق، ص١٦٧؛ عبدالحميد العبادى، محمد مصطفى زيادة، إبراهيم أحمد العدوى: مرجع سابق، ص١٤١.

(٢) عبدالسلام عبدالعزيز فهمى: مرجع سابق، ص١٢؛ محمد عبدالعزيز مرزوق: الناصر محمد بن قلاوون، سلسلة أعلام العرب، عدد ٢٨، وزارة الثقافة والإرشاد القومى، القاهرة، ١٩٦٤م، ص٥١.

(٣) نقلاً عن: سعد الغامدى: المغول بيئتهم الطبيعية، ص٢٧؛ ثروت عكاشه: جنكيزخان الإمبراطور، مرجع سابق، ص١٥؛ إسماعيل عبدالعزيز الخالدى: العالم الإسلامى والغزو المغولى، الطبعة الأولى، مكتبة الفلاح، الكويت، ١٩٨٤، ص١٩.

(٤) بنيامين التطيلى: مصدر سابق، ص١٦٨.

مما سبق يتضح أن أهل تلك البقاع من مغول وصينيين لديهم مهارات عديدة ، وحلول فريدة ، تساعدهم فى التغلب على ظروفهم المناخية القاسية ، وتعينهم على بيئتهم ، فهم من أقدر الناس على التعامل مع البيئة وصعوبتها.

وعلى الرغم من كثرة الرياح ، وشدتها، وقوتها كما تبين مما سبق نجد أن درجات الحرارة جاءت مرتفعة ، وفى فصل الصيف تكون شديدة الارتفاع[١] على معظم منغوليا والتبت والصين ، مما يخلق نوعًا من العناء والشدة على ساكنى تلك المناطق[٢].

وتسود صفة القارية مناخ منغوليا ؛ لبعدها عن المسطحات المائية، فالمدى الحرارى الفصلى واليومى كبير ، فبينما تتراوح درجة الحرارة ما بين 35° إلى 40° درجة خلال شهور الشتاء وترتفع إلى أكثر من ذلك فى شهور الصيف مما يعكس صفة القارية السائدة وتعد "جوبى" التى تشغل النطاق الجنوبى من البلاد ، أكثر صحارى العالم القارية امتدادًا[٣].

وقد نتج عن هذا المناخ القارى شديد الحرارة صيفًا قارس البرودة شتاءً جاف ، أن تفاوتت درجات الحرارة فى منغوليا تفاوتًا كبيرًا بين

---

(١) ابن خرداذبه: مصدر سابق، ص٦٩؛ سعد الغامدى: المغول بيئتهم الطبيعية، ص٢٨.

(٢) ابن سعيد المغربى (أبى الحسن على بن موسى): بسط الأرض فى طولها والعرض، منشور وملحق مقتطفات منه بكتاب، مؤلف مجهول: أخبار المجوس من الأرمن وورنك الروس، ليدن، د.ت.، ص١٣٨؛

- Morris Rossabi: Op.Cit., p.5; Anonymous: Geography of China, Foreign Languages Press, Peking, 1972, pp. 39- 40.

(٣) محمد خميس الزوكه: مرجع سابق، ص٢٦١، ٢٦٢؛ سعد زغلول عبدالحميد: ((الإسلام والترك فى العصر الإسلامى الوسيط))، بحث منشور فى مجلة المختار من عالم الفكر (١)، دراسات إسلامية، تصدر عن عالم الفكر، وزارة الإعلام، الكويت، ١٩٨٤م، ص١٧١.

شدة الحرارة وشدة البرودة ولهذا دخلت هضبة منغوليا فى نطاق الاستبس ، ويستثنى من ذلك مناخ هضبة التبت(١).

نخلص من كل ما سبق بأن مناخ منغوليا سريع التغيـر، بـرده قارس، وحرارته شديدة، والرياح معظم أيام السنة، محملة بالحصى وقوية لدرجة يصعب معها بقاء الرجل على فرسه(٢)، وهذه الصعاب مجتمعـه جعلت المغولى شديد التحمل معاندًا متحديًا.

والشتاء عند المغول أتى شديد البرودة، كثير الرياح والعواصـف والأعاصير(٣) ((ولقد رأيت الأرض تنشق فيها أودية عظام لـشدة البـرد وإن الشجرة العظيمة العادية لتنفلق نصفين لذلك))(٤).

ولعل الرواية السابقة توجز الأمر، وتوضح مدى ما وصل إليـه الشتاء من شدة البرودة بتلك البقاع، وتبين لنا أن المغولى تربـى وسـط طبيعة جغرافية لم ترحمه، أو تحنو عليه، بل أصبح ينقلب معها من سيئ

---

(١) محمد مرسى الشيخ: مرجع سابق، ص١٦٨- ١٦٩؛ جوزيف نـدهام: مـوجز تاريخ العلم والحضارة فى الصين، ترجمة محمد غريب جوده، الهيئة المـصرية العامة، القاهرة، ١٩٩٥م، ص٤٥.

(2) Howorth: Op.Cit., P.III, 1927, p.15; Willam of Rubruck: ((Journey to the Land of the Tartars)), New York, 1998, Net, p.3.

(٣) مؤلف مجهول: حدود العالم من المشرق إلى المغرب، تحقيق يوسـف الهـادى، الطبعة الأولى، الدار الثقافية للنشر، القـاهرة، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ص٦٠؛ Harald Lamb: Genchis Khan Emperor of all Men, London, p.123; ، مونتجمرى: الحرب عبر التاريخ، ترجمة وتعليـق فتحـى النمـر، جـ٥، مكتبة الأنجلو، القاهرة، ١٩٧٢م، ص٥٢٦.

(٤) ابن فضلان: رسالة ابن فضلان ((ن رحلته إلى بلاد الترك والخزر والصقالبة والروس واسكندنيافيا فى القرن العاشر الميلادى))، جمع وترجمة وتقديم حيدر محمد غيبة، دار الكتاب العالمى، بيروت، لبنان، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ص٤٣.

إلى أسوأ ، حتى خرج لا يحول بينه وبين تحقيق أهدافه حائل وأصبح مثل قطعة من الجبل في المقدرة على التحدى والعناد.

واللافت للنظر أن الشتاء لم يتوقف عند هذا الحد، بل صاحبه صقيع، وتساقط ثلوج، وأصبحت هذه الأجواء المناخية هي السائدة في معظم جهات منغوليا، والصين، ومناطق الاستبس[١]، حتى أصبحت أرض المغول يطلق عليها أرض الثلج[٢].

أمَّا بالنسبة لفصول السنة، فنجد أن الربيع يبدأ في شهر نيسان / أبريل، حيث تبدأ درجة الحرارة في الصعود، ويتميز هذا الفصل بشدة هبوب الرياح والأعاصير الرملية[٣] ويكسو الجليد معظم المناطق والبقاع[٤].

ويستمر فصل الربيع لمدة شهرين تقريبًا[٥] مما يؤدى إلى ندرة الزراعة حتى قيل إن في عهد جنكيزخان ((زرع أحد الأشخاص فجلاً

---

(١) محمد خميس الزوكه: مرجع سابق، ص٢١٧؛ عصام الفقى: مرجع سابق، ص١٦٨.

(2) Sechin Jagchid: Why the Mongolian Khan Adopted Tibetan Buddhism as their Taipat, 1970, p.124; Rockhill: (William of Rubruk first Europeans traveld to Khan's Court), New York, 1997, p. 2; Rockhill, Peter Jackson: The Journey of William of Rubruck to the Eastern Ports of the World 1253 – 1255 London, 1990, p.4.

(٣) ابن فضلان: مصدر سابق، ص٤٢؛ سعد الغامدى: المغول بيئتهم الطبيعية، ص٣١.

(٤) الدمشقى (شمس الدين أبى عبدالله محمد بن أبى طالب) نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر، منشور مقتطفات منه بكتاب، مؤلف مجهول: أخبار أمم المجوس من الأرمن وورنك الروس، ليدن،د. ت.، ص١٤٤؛

- Sechin Jagchid: Op.Cit., p.121.

(٥) سعد الغامدى: المغول بيئتهم الطبيعية، ص٣٠.

ونتج بعض المحصول فأحضره إلى حضرة الخان فأمر بإحصاء أوراق الفجل فكانت مائة فأشار بإعطاء هذا الرجل مائة كيس من النقود)) فشكره قائلاً:

لو كان القلب واليد بحرًا ومنجما   لكانا قلب مولانا ويده[١]

وهذا ينم على أن أهل هذه البلاد يعيشون عيشة سيئة ((الشقاوة غالبة على أهلها لقلة أقواتهم، وكثرة أمطارهم وثلوجهم))[٢].

أما عن أشهر فصل الصيف فكانت ثلاثة أشهر "حزيران/ يونيه، تموز/ يوليو، آب/ أغسطس"، وبه تبلغ درجة الحرارة قمتها، ويعقبه فصل الخريف وشهوره أزهى الأشهر وأحبها، وأفضلها لدى أهل منغوليا، حيث السماء تصبح صافية، وتسمن المواشي خلال هذه الأشهر، ويكثر فيهما حليب الأفراس بكميات كبيرة، ويصنع المغولي منه شرابه المفضل[٣].

ومع كثرة الخيرات، يعيش المغولي أفضل أيامه بين البلدان في تنقل مستمر وراء المراعي والأعشاب، والحشائش المنتشرة في بقاع شتى، وتبرز حرفة الرعي، وتنبت الأشجار في بعض الجهات، لتؤلف نظامًا من الغابات[٤].

---

(١) رشيد الدين الهمذاني (رشيد الدين فضل بن عماد الدولة أبي الخير بن موفق الدولة الفارسي) ت ٧١٨هـ: جامع التواريخ "تاريخ خلفاء جنكيزخان من أوكتاي قا آن إلى تيمورقا آن" نقله إلى العربية فؤاد عبدالمعطي الصياد، راجعه وقدم له يحيى الخشاب، المجلد الأول، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٨٣م، ص٧٩.

(٢) الحَّراني (أحمد بن حمدان بن شبيب): جامع الفنون وسلوة المنحزون، منشور مقتطفات منه بكتاب مؤلف مجهول: أخبار أمم المجوس من الأرمن وورنك الروس، ليدن،د. ت.، ص١٤٧.

(٣) سعد الغامدي: المغول بيئتهم الطبيعية، ص٣٠- ٣١.

(٤) ابن خرداذبه: مصدر سابق، ص٦٩؛ محمد الشيخ: مرجع سابق، ص١٦٩.

ثم يأتى فصل الشتاء أطول فصول السنة حيث يتراوح ما بين أربعة إلى خمسة أشهر(١)، ويتميز بالشتاء القارس والبرد الزمهرير والعواصف والأعاصير(٢) هذا بجانب البرق والرعد الذى يقض على حياة الكثيرين منهم(٣).

وتسدى الرياح الثلجية التى تهب من سيبريا بقوة وعنف على منغوليا خدمة عظيمة للمغول والرعاة منهم، لأنها تغطى التربة ، وتجمدها بلورات الثلج ، فتحافظ بذلك على النباتات الرعوية للحيوانات المغولية طيلة السنة.

وعلى وجه العموم ، فإنه يمكن تلخيص مناخ منغوليا على النحو التالى: إن الصيف صحراوى شديد الحرارة ، الشتاء غاية فى البرودة ، والربيع سريع التقلب بين درجات الحرارة والعواصف الرملية المفاجئة ، ولعل الخريف هو الأفضل لدى المغول ، ومع هذا ، فإن التطرف المناخى هو السمة السائدة لمناخ منغوليا(٤).

وكان لهذه الصعوبة المناخية لمنغوليا ، والتبت ، والصين أثرٌ بالغٌ على مكونات الشخصية المغولية ، فخرج المغولى غليظ القلب ، شديد التحمل ، شرسًا ، صامدًا وسط الشدائد ، لا يجزع ولا يلين(٥).

---

(١) سعد الغامدى: المغول بيئتهم الطبيعية، ص٣١.

(٢) رشيد الدين الهمذانى: خلفاء جنكيزخان، مصدر سابق، المجلد الأول، ص٢٨؛ The World Book, Op.Cit., p.559.

(3) Howorth: Op.Cit., III, p.16.

(٤) سعد الغامدى: المغول بيئتهم الطبيعية، ص٣١.

(٥) جلال يحيى: مرجع سابق، ص٣٠؛ ثروت عكاشة، جنكيزخان الإمبراطور، ص٢٧.

٣- **أبرز المظاهر التضاريسية للأراضي المغولية:-**

تنوعت مظاهر التضاريس فى إقليم منغوليا، والتبت، والصين مناطق سكنى المغول من حيث الجبال الشاهقة، والسهول المنتشرة، والصحارى المنبسطة الواسعة؛ فالمعروف عن بلاد المغول أنها ((قليلة الماء كثيرة الجبال صعبة المعيشة))(١) فالجبال منتشرة بين أطرافها والسلاسل الجبلية متصلة ببعضها بين الصين والتبت(٢) حيث يأوى إليها المغول والترك كالوحوش(٣).

ومن السلاسل الجبلية الشهيرة سلسلة جبال قراقورم، وهى تبدأ جنوب غرب شينجيانج بالصين، وتمتد صوب الشرق حتى شمال التبت، ثم تغير اتجاهها ليصبح جنوبى شرقى، ويزيد ارتفاع منسوبها على ٦٠٠ مترًا فوق مستوى سطح البحر، وتقع قراقورم عاصمة الإمبراطورية المغولية فى وسطها تقريبًا وهى مدينة فى منغوليا على نهر أرخون فى وسط آسيا ولم يبق منها فى الوقت الحالى سوى دير يتبع المعتقد البوذى(٤)

---

(١) الأصطخرى (أبى إسحق إبراهيم بن محمد الفارسى الكرخسى) المتوفى فى النصف الأول من القرن الرابع الهجرى: المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبدالعال الحينى، مراجعة محمد شفيق غربال، سلسلة الذخائر، عدد ١١٩، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص١٦٦.

(٢) البيرونى: مصدر سابق، ص١٥٧؛

- Online. Since: "Antique Chinese Porcelain" Decembers 3, 1998, p.2.

(٣) القزوينى: آثار البلاد، ص٦٠٩؛

- The Editors of Tim – life Books: "The Mongol Conquests AD 1200 – 1300", USA, 2000, p.11;

- ميربصرى: أعلام التركمان والأدب التركى فى العراق الحديث، الطبعة الأولى، دار الوراق، لندن ١٩٩٧، ص١٤.

(٤) محمد خميس الزوكه: مرجع سابق، ص٢١٥؛

- A. J. Grajdanzev: The Mongol of Manchuria, Vol 8, No. 3, University of British Columbia, 1935, pp.367- 368.

فحولت الطبيعة بداخل هذه البلاد النواحى المعيشية إلى أعلى درجات الصعوبة[١] وهناك أيضًا مرتفعات جبلية بمنغوليا مثل مرتفعات التاى، تانو اولا، سايان، ومتوسط الارتفاعات ستة آلاف قدم[٢].

وتمتد جنوب غرب الصين هضبة التبت، وهى أوسع هضاب العالم مساحة، وأكثرها ارتفاعًا، ويزيد ارتفاعها على اثنى عشر ألف قدم فوق مستوى سطح البحر ويظهر فوق سطحها عدة قمم جبلية عالية، ولذلك أطلق عليها حديثًا الهضبة الجبلية[٣].

وهناك أيضًا سلسلة الهملايا، ومعناها بلغة أهل التبت موطن الثلج، وتضم هذه السلسلة عدة قمم جبلية شاهقة الارتفاع، أشهرها افرست Everst ويبلغ ارتفاعها ثمانية آلاف وثمانمائة واثنين وثمانين مترًا فوق منسوب سطح البحر، والتى تعرف لدى الصينيين باسم (قمة جومولونجما) Ghomolonghoma وهى تقع على الحدود الصينية النيبالية التى تعد أعلى قمة جبلية فى العالم[٤] ويكثر ببلاد التبت، وسط هذه الطبيعة الجبلية غزال المسك[٥].

---

(١) أبودلف (أبى دلف مسعر بن المهلهل الخزرجى) ت ٣٢٦ – ٣٨٥هـ: الرسالة الثانية (رحلته من بخارى إلى الصين مارًا بخراسان)، اعتنى بنشرها مينورسكى، وزارة التربية والتعليم، إدارة الثقافة، جامعة القاهرة، ١٩٥٥م، ص٣٢؛ أحمد عامر: المرجع السابق، ص٢٩٦ – ٢٩٧.

(٢) محمد خميس الزوكه: مرجع سابق، ص٢٦٠؛ سعد الغامدى: المغول بيئتهم الطبيعية، ص٢٥.

محمد خميس الزوكه: المرجع السابق، ص٢١٢؛

- Jing Wei: 100 Questions about Tibet, Beijing, China 1989, p.5-6.

(4) Geography of China: Op.Cit., p.40;

- عفاف سيد صبرة: التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية، الطبعة الأولى، دار الكتاب الجامعى، القاهرة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص١٥١.

بنيامين التطيلى مصدر سابق، بيروت ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م، ص١٦٠؛ الثعالبى (أبى منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل) ت ٤٢٩هـ: لطائف المعارف، تحقيق إبراهيم الإبيارى، حسن كامل الصيرفى، دار إحياء المكتبة العربية، القاهرة، ١٩٦٠م، ص٢٢٤.

ونخلص مما سبق إلى أن السلاسل الجبلية منتشرة بداخل منغوليا فى الأجزاء الغربية والجنوبية الغربية، كما توجد فى الأجزاء الشمالية، والشرقية من البلاد، ونجد أيضًا الجبال، والتلال، والنجود تغطى الجهات الغربية، والجنوبية الغربية، والوسطى، والشرقية من منغوليا(١).

وما تبقى من بلاد المغول عبارة عن سهول عشبية تخبو شتاءً، وتجف صيفًا، فالسهول العشبية التى تغزر فى الأقاليم التى يتوفر بها الماء تتحول إلى صحراء فى المناطق الوسطى المعزولة، ثم تظهر، وتمتد من منشوريا حتى شبه جزيرة القرم، ومن (أواجرا) بأعلى منغوليا حتى إقليم مرو، وأفغانستان(٢) وترعى فيها قطعان من الأغنام والبقر، والخيل، وتسرح فيها الحيات، والذئاب والضوارى، ولا تخلو سماواتها من بغاث الطير وسباعه، ولهذا عرفت عند الصينيين باسم "تساورتى" Tsao – Ti أى أرض العشب، كما سماها الترك المغول كوبى (غوبى) أو قبشاق، بمعنى الفراغ والخلاء(٣).

ولقد كان للمنخفضات والصحارى نصيب داخل الأراضى المغولية، وضمن بيئتها الجغرافية، وأشهر هذه الصحارى كانت صحراء جوبى، وتشغل النصف الجنوبى من منغوليا الذى يمتد فى شكل هضبة مموجة السطح ارتفاعها من ألفين وسبعمائة إلى أربعة آلاف وخمسمائة قدم وهناك أيضًا طبقة من الحصباء شديدة الصلابة(٤).

---

(١) سعد الغامدى : المغول بيئتهم الطبيعية ، مرجع سابق ، ص٢٤؛
- Rockhill: First, OP.Cit., p.2.

(٢) السيد الباز العرينى : المغول ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٦م ، ١٩٨٦م ، ص٦– ٧.

(٣) سعد زغلول : الترك ، مرجع سابق ، ص١٦٩؛

(4) Howorth: Op.Cit., III, p.10;
– محمد خميس الزوكه : مرجع سابق ، ص٢٥٩.

وسكن الأتراك من الخطا والمغول مواضع عديدة من الجبال والوهاد والآجام، ولم يعتادوا السكنى فى القرى، أو المدن، وأصبحوا من محبى الجبال المنيعة[1] ومر ببلادهم طريق تجارى، وهو طريق الحرير، فكان بمثابة جسر عبر عليه الرواج التجارى، ونقل ثقافات ومؤثرات مختلفة إلى المغول[2] هذا بجانب كشفه النقاب عن خيرات بلاد المشرق الإسلامى، وحالة الضعف السياسي التى انتابت هذه البلاد مما أهلها لأن تكون مطمعًا لغارات، وهجمات المغول بدايةً من عام ٦١٧هـ/ ١٢٢٠م.

وانتهى المطاف بالمغول إلى تأسيس دولة مغولية فى بلاد فارس ذات الخيرات الحسان[3] ونعود إلى إقليم منغوليا؛ فنجد أن النطاقات السهلية بداخله تعددت، ومنها وادى البحيرات (أوبا، دروكى، هاراأوسو)، بجانب نطاقات الأودية النهرية[4]، ومعظمها كان بالصين مثل النهر الأصفر Yellow River واليانجستى Yangtze[5] وحوض نهر تاريم،

---

(١) رشيد الدين الهمذانى: خلفاء جنكيزخان، مصدر سابق، المجلد الثانى، جـ١، ص٢١٢؛ السمرقندى: جهار مقالة (المقالات الأربع فى الكتابة، الشعر، النجوم، الطب) وعليه خلاصة حواشى محمد بن عبدالوهاب القزوينى، نقله إلى العربية عبدالوهاب عزام، يحيى الخشاب، الطبعة الأولى، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م، ص٩٦.

(٢) عبدالرحمن حميدة: "طريق الحرير بين ابن بطوطة وماركو بولو"، بحث منشور بمجلة دراسات تاريخية، المجلد العاشر، جزء ١٢ – ١٣، الأعداد ٤١ – ٤٢، إشبيلية للدراسات والنشر، دمشق، سوريا، ١٩٩١م، ص٨٣.

(٣) ابن حوقل (أبى القاسم بن حوقل النصيبى): صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ١٩٩٢م، ص٢٣٤؛ والتر. ج. فيشل: لقاء بن خلدون لتيمورلنك، ترجمة محمد توفيق، راجعه يوسف روشا، قدم له وعلق عليه مصطفى جواد، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ١٩٥١م، ص٨٤.

(٤) محمد خميس الزوكه: مرجع سابق، ص٢٦٠.

(٥) جوزيف نيدهام: مرجع سابق، ص٤١.

فإن حدث اعتداء من الصحراء على البرارى، جعل ذلك له مصيرًا خاصًا، ففى حالة عدم توفر حياة رعوية لدى مغول الشمال، يبدأ تفكيرهم فى الغارات والهجوم والسيطرة عليه، فقد اشتهرت واحاته بحياة المدن والنشاط التجارى، وهذه الواحات المتناثرة ربطت بين حضارة الشعوب المستقرة المتحضرة فى الغرب، حيث عالم البحر المتوسط، وإيران، والهند، وبين الحضارة الزاهرة فى الشرق، وهى حضارة الصين[١].

وعلى الرغم من انتشار الهضاب ، والصحارى ، والأودية ، والجبال المجهولة الخربة غير المسلوكة لوعورتها إلا أن الأراضى المغولية عرفت الأنهار[٢] فأصبحت بذلك البيئة الجغرافية للمغول متضمنة معظم مظاهر السطح.

٤- تأثر المغول ببيئتهم الجغرافية :

أثرت البيئة الجغرافية على المغول أيما تأثير، حيث أنها فرضت عليهم نظامًا حياتيًا ومعيشيًا، ولم تترك لهم فرصة الاختيار، وظلوا أغلب فترات حياتهم فى صراع مع الطبيعة لتطويعها لصالحهم حتى تتأتى لهم الحياة. فلقد أدت العزلة التى فرضتها الطبيعة على المغول بسبب ما يحيط

(١) السيد الباز العرينى: مرجع سابق، ص٨.

(2) Rudipoul Lindner: Nomadism, Horses and Huns, Published by the Past and Present Society, Number (92) University of Michigan, 1981, p.3;

- ابن العميد (المكين جرجس أبى الياس بن المكارم النصارى): أخبار الأيوبيين، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت، ص٧؛ البيرونى (أبو الريحان محمد بن أحمد البيرونى): التفهيم لأوائل صناعة التنجيم، منشور وملحق بكتاب مؤلف مجهول: أخبار المجوس من الأرمن وورنك الروس، ليدن، د. ت.، ص١٧٣.

بمنغوليا من سلاسل جبلية عديدة أن انفصل هذا المجتمع عن بقية أنحاء آسيا وأجبر على مواجهة ظروفه الصعبة وأقداره، وأصبح لزامًا عليه محاولة التوافق معها(١) ونجح بالفعل في تطويع أغلب المعوقات التي واجهته، ومنها دهن جسده بالشحم ليقي نفسه البرودة في حالة اشتداد البرد(٢).

ولم تحمل الزراعة بارقة أمل للمغولي حيث كانت أرضه غير مهيأة، أو صالحة لذلك، والأمطار متقلبة، والطبيعة الجغرافية معقدة، فتحول إلى رعوي يرحل مع ماشيته وأغنامه سعيًا وراء الكلأ والعشب(٣) ولذلك كثرت الصراعات والنزاعات ، وساعد على إذكاء نارها اختلاط القبائل وانعدام الحواجز الداخلية والفقر وشدة الحاجة(٤)، فتحولت حياة المغولي إلى الاقتتال على المراعي، والعشب، وأصبح ذا شراسة، واستماتة في سبيل تحقيق أهدافه(٥)، لأن ندرة سبل المعيشة لم تجعل أمامه خيارًا آخر للحياة(٦).

---

(١) محمد مرسي الشيخ: مرجع سابق، ص١٧٣.

(2) Leopold, F. Mala Feeu: Orthodox Idea of the Peace Loving in Aspect of Ethnic Relations in the Crimea, 2002, p.3.

(3) Abdul Hamid A. Abusulayman: Towards an Islamic Theory of International Relations, USA, 1993, p.110;

- عطيه القوصي: عين جالوت ٦٥٨هـ - ١٢٦٠م، مطابع الدار القومية، القاهرة، ت، ص٥.

(٤) محمد أحمد حسونة: أثر العوامل الجغرافية في الفتوح الإسلامية، دار نهضة مصر، القاهرة،د. ت.، ص٢١.

(5) Jack Weather Ford: Ganghis Khan and making of Modern world, New York, 2005, p.82;

- إبراهيم العدوي: التتار، مرجع سابق، ص٢٥.

(٦) ابن الوردي: خريدة العجائب، مصدر سابق، ص١٤٧.

وهناك ارتباط بين البيئة وما كان عليه المغول من مزايا وعيوب، فسبب لهم المناخ غير المعتدل والطبيعة القاسية والانعزال، نوعًا من الوحشية والهمجية، وجعلهم بعيدين عن العلوم والمعارف، غير مقبولين فى الهيئة والمنظر، منحرفى المزاج[١] سريعى الغضب ولكنهم خرجوا فى نهاية الأمر بقوة الجسد والروح والعقل وسرعة الحركة وقوة تحمل يعجز غيرهم عن الوصول إليها، هذا بجانب البنيان الجسمانى القوى والفروسية والقدرة الفائقة على القتال[٢].

ولم تسلم الصفات الشكلية للمغول من أثر البيئة عليها، حيث إن تأثير كل بقعة من الأراضى النامية، أو غير النامية يتطلى بشكل أو بآخر على وجوههم ويتبدى فى صغر أعينهم وقاماتهم[٣] ونال التأثير بعض حيواناتهم، فنجد جمالهم قصرت قوائمها؛ وغلظت رقابها، وابيض وبرها[٤] لذا عندما هاجمت جحافل المغول بلاد الإسلام لم يقف أمامها أىّ عائق جغرافى لما امتلكوه من مقدرة فى التعامل مع أصعب الظروف الجغرافية[٥].

---

(1) Rudipaul lindner: Op.Cit., p.3;

-عزيز العظمة: العرب والبرابرة (المسلمون والحضارات الأخرى)، ط١، مطبعة رياض الريس، قبرص، ١٩٩١م، ص١٣٣.

(2) Richard Hakluyt: The Principal Migrations, Voyages Traffiques and Discoveries of the English Nation, Vol I, New York, 1927, pp.91- 92;

- جوزيف نيدهام: مرجع سابق، ص٤٥؛ ثروت عكاشة: جنكيزخان إمبراطور، ص٢٩.

(٣) سعد زغلول عبدالحميد: ((الترك والمجتمعات التركية عند الكتاب العرب وغيرهم)) بحث منشور بمجلة كلية الآداب جامعة الإسكندرية، المجلد العاشر، مطبعة الجامعة، ديسمبر ١٩٥٦م، ص٦٧.

(٤) سعد زغلول عبدالحميد: الترك، مرجع سابق، ص١٨٤، ١٨٥.

(5) Barthold V, V: Four Studies on the History of Centrak Asia, Vol I, Leiden, 1956, p.40.

ومن خلال ما ورد سابقًا، نخرج بأن الطبيعة تدخلت بشكلٍ كبيرٍ في تكوين فكر وجسد وبنيان المغولي، وأكسبته مهارات خاصة، وفي المقابل حمل العديد من العيوب، مثل الهمجية والوحشية بسبب عزلته، وتحولت معظم فترات حياته إلى قتال مستمر سعيًا وراء العشب والكلأ، بل أحيانًا ليقي نفسه شرور البيئة، وقسوتها عليه، فكان لزامًا عليه أن يفعل كثيرًا، ويحصد قليلاً.

لذا يجب علينا أن نتعرف على أصل التتار والمغول وبداية ظهورهم على مسرح الأحداث السياسية وكيف أصبحوا قوة غيرت خريطة العالم آنذاك، وأسسوا إمبراطورية مترامية الأطراف، وخرج غالبية العالم بطلب ودهم، وتمنى رضاهم.

ثانيًا: التتار والمغول وبداية ظهورهم المؤثر في الأحداث:-

١- أهم القبائل المغولية وبداية الظهور المؤثر للمغول :

كان المغول في عصورهم القديمة أممًا متفرقة، وقبائل عديدة اتسموا بالعنف والتخريب وكانوا عناصر جيدة في الجيوش لأنهم محاربون من طراز فريد[١] وانقسمت الأمة المغولية إلى عدة أقسام وعدة قبائل؛ ففي أقاصي الغرب بين أعالي نهري أرتش، أورخون شمال جبال التاي هنالك سكنت قبيلة النايمان (نيمان) وبسبب اقتراب هذه القبيلة من

---

(١) جوانفيل: القديس لويس حياته وحملاته على مصر والشام (مذكرات جوانفيل)، ترجمة وتعليق حسن حبشي، الطبعة الأولى، دار المعارف، مصر، ١٩٦٨م، ص١٧؛ الطوسي (نظام الملك أبوالحسن بن علي بن إسحق) ت ٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م: سياست نامة، ترجمة وتعليق السيد العزاوي: دار الرائد العربي بالاشتراك مع بنيادفرنك ، إيران ، القاهرة، ١٩٧٥م، ص١٣٦؛
- Sykes Brigadier – General: A History of Persia, London, 1958, .70; Richard. IBM: Op.Cit., p.6.

قبائل الأوغور التركية فى الجنوب، وهى على درجة من الحضارة؛ لـذا فقد امتصت قبائل النايمان "النيمان" فى مرحلة مبكرة عناصر متعددة من ثقافة آسيا الوسطى كحروف الهجاء الأوغورية، والديانة المسيحية حسب الطقوس النسطورية، فأصبحت من أكثر القبائل المغولية حضارة[١].

وهناك قبيلة المركيت Markits التى كانت تسكن الإقليم الواقـع شمال أرض الكريت، وكانت من أكثر قبائل المغول بأسًا وشـدة[٢] هـذا بجانب قبيلة (القيات) الصغيرة التى ظهر منها جنكيزخان، وكانت سكناهم على شواطئ الشعب العليا لآمور وجبال قراقورم[٣].

وارتبط تواجد القبائل فى الغالب الأعم بجوار مناطق الرعى حيث احترافهم حرفة الرعى، وإمكانية استغلال مراعيهم بسهولة ويسر[٤] ومن هذه القبائل قبيلة (أويرات) Oirat، وكانوا يقيمون فى المنطقة الواقعة بين نهر أونن Onon وبحيرة بيكال[٥].

---

(١) برتولد شبولر: المرجع السابق، ص٢٠؛

- Rev – H. J. Schraeder: Disciplinary Decrees of the General Councils, London, 1937, p.330; John Smith: Mongols, Op.Cit., p.273.

(٢) السيد عبدالعزيز سالم، سحر السيد سالم: الأيوبيين والمماليك، مرجـع سـابق، ص٢٢٤؛ مصطفى طه بدر: محنة الإسلام، ص١٠١.

(٣) عباس إقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام نقله عن الفارسية وقدم له محمد عـلاء الدين منصور، مراجعة السباعى محمد السباعى، دار الثقافة القـاهرة، ١٩٩٠م، ص٣٤٦؛ عبدالسلام فهمى، مرجع سابق، ص١٣.

(4) Patricis Buckley Ebrey: Chinese Civilization, A Source book Second Edition Revised and Expanded, New York, 1993, p.192; Cot Riona Macpherson: The Mongols, USA, 2000, p.1 Net.

(٥) عبدالسلام فهمى: مرجع سابق، ص١٣.

وظهرت قبيلة الكرايت Karait، وذاع صيتها، وكان موطنهم فى الواحات الشرقية الداخلة فى صحراء جوبى جنوب بحيرة بيكال حتى سور الصين العظيم[١] هذا بالإضافة إلى العديد من القبائل الأخرى ومنها (السويرات Ouirates ، الجلاير Djelaires ، الأوراسوات Orassautes، والتنجوت Taidjoutes وقبائل البارجوت Bergoutes والبايوت التيدجوت ، بالإضافة إلى قبيلة التتار[٢].

والسمة السائدة لدى معظم هذه القبائل أنهم يعيشون على الرعي، والصيد، ومن عاداتهم السرقة، والعنف، والفجور، ويدينون بالولاء لحاكمهم، وغالبًا ما يكون لباسهم من جلود الكلاب والجرذان وطعامهم جميع أنواع الحيوانات[٣] ولدى المغول شراسة تدعو إلى تركهم، وعدم التعرض لهم ما داموا فى حالهم[٤].

والمغول بصفة عامة قبائل رعوية ذات حضارة فطرية بدائية[٥]، وإن اشتهروا بالهمجية والوحشية، وأنهم يعيشون فى الأرض فسادًا، ويتلقب حاكمهم بـ"قآن" أو "خان"[٦] وفكرة التوحيد والدعوة إلى إله واحد لا شريك له كما عرفوها بعد ذلك في الإسلام والتى ترتقى بالعقل وتسمو

---

(١) إسماعيل الخالدى: مرجع سابق، ص٢٦- ٢٧.

(٢) محمد فتحى الشاعر: مرجع سابق، ص٨.

(٣) عصام عبدالرؤوف الفقى: دول مستقلة، ص١٦٨؛ عفاف سيد صبره، مرجع سابق، ص١٥١.

(٤) البغدادى: الخراج، مصدر سابق، ص٣٩٢.

(٥) على حسنى الخربوطلى: بين المغول واليهود، دراسات فى الإسلام يصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، العدد ١٠٣، السنة التاسعة، القاهرة، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م، ص١١.

(٦) ابن الحنبلى الحلبى ت ٩٧١هـ: الزُّبد والضَّرب فى تاريخ حلب، حققه وشرحه الدكتور محمد التنوبجى، الطبعة الأولى، جمعية إحياء التراث، مركز التراث والمحفوظات، الكويت، ١٩٨٨م، ص٤٧؛ السمرقندى: جهار مقالة، مصدر سابق، ص٩٦؛ حسن الباشا: الألقاب الإسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار، مكتبة النهضة، القاهرة، ١٩٥٧م، ص٥٩.

به[1] لم تصل إليهم في بداية أمرهم، وكان لديهم اعتزاز وتفاخر بالألقاب وإن اقتصرت الألقاب عندهم على الحكام دون غيرهم[2].وكانت الأمة المغولية تمثل وحدة متماسكة جنسًا ولغةً، وتعيش عيشةً بربرية لا تعرف معنى للحضارة حتى راودتهم فكرة الاتحاد والتجمع تحت زعامة واحدة[3].

٢- محاولات توحيد القبائل المغولية:

وجرت محاولات عديدة لتوحيد القبائل المغولية قبل ظهور جنكيزخان، غير أن هذه المحاولات ذهبت أدراج الرياح، وفي القرن العاشر الميلادى كانت الكلمة العليا في منغوليا لقبائل الخطا، ثم بعد ذلك خضعت منغوليا لأسرة كين، وهذه الأسرة كانت تسيطر على الصين الشمالية، فضلاً عن أملاكهم الأصلية في كل من منشوريا ومنغوليا، وقد اتخذوا من بكين عاصمة لهم، وإن كان اسم المغول قد سبق محاولات التوحيد، ولكن لم يتحقق للمغول الذيوع والانتشار إلا مع جنكيزخان وحتى بعد توحيد التتار والمغول في إمبراطورية واحدة تحت زعامة جنكيزخان إلا أن لفظة التتار ظلت هي الأكثر شيوعًا[4].

---

(١) الكلبى (أبى المنذر هشام بن محمد بن السائب): كتاب للأصنام، تحقيق الأستاذ. أحمد ذكى باشا، الطبعة الثالثة، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٥م، ص٣٣.

(٢) السيوطى (الحافظ جلال الدين عبدالرحمن) ت ٩١١هـ: الوسائل في معرفة الأوائل، تحقيق إبراهيم العدوى، على محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٠م، ص٨٩.

(3) M. Press – Noxon: The Nature of Shamanism Albany: State University of New York, 1993, pp.57- 59; Frauk Smith: Genghis Khan, New York, 2005, p.4.

(٤) أبوشامة: الذيل على الروضتين، ص٢٠٨.

واستطاعت الأمم المغولية التخلص من حكم أسرة كين عند موت الإمبراطور تاى تنج Tai Taung ١١٣٧م وخاض زعماء المغول غمار حرب طاحنة من أجل الوحدة حتى نجحوا فى ذلك، ومن الزعماء الـــذين قادوا فكرة الوحدة المغولية كابل Kabul وكوبلاى Kubilay ويسوجاى Yesugaii ، وهو والد جنكيزخان، وبالرغم من بعض النجاحات التـــى حققتها تلك المحاولات، إلا أنها سرعان ما تهاوت أمام صراعات القبائل المغولية التى لم تنقطع أو تتوقف[١].

كذلك كان الصراع محتدمًا بين أفراد كـــل قبيلـــة، والنزاعـــات والمشاحنات تقوم لأتفه الأسباب، بجانب التنافس على موارد الرزق القليلة من العشب أو الصيد، واتخذ المغول طريق الإغارة والسلب وسيلة اخرى لمعيشتهم فكانوا يغيرون على القبائل المعادية لهم، ويغتصبون حيواناتهم ، ويسبون نساءهم وأولادهم، فتتحين القبيلة المنهزمة الفرصة لكـــى تنـــتقم لنفسها، وهكذا تستمر حياتهم فى صراع وصدام ؛ ومن أجل ذلك كانـــت القبيلة التى تضعف تضطر إلى الاحتماء بقبيلة قوية تذود عنها.

هذه الحالة من الفوضى الاجتماعية والسياسية التى كانت عليهـــا تلك القبائل المغولية لابد وأن يتمخض عنها فى النهاية وجـــود شخـــصية قوية توحد شتات هذه القبائل ، وتجبر سائر الطوائف على الخضوع لها، وتوحد الجميع فى دولة واحدة وقد شاءت الأقدار أن تتمثل هذه الشخصية فى شاب مغولى اسمه تيموجين[٢].

---

(١) محمد فتحى الشاعر: مرجع سابق، ص٩؛ عباس إقبال: إيران بعـــد الإســـلام، ص٣٤٧؛ M. Ripinsky – Noxan: Op.Cit., p.59.

(٢) فؤاد عبدالمعطى الصياد: المغول فى التاريخ، ص٣٦.

وقد عُرف عن طائفة تيموجين أنها من أشجع القبائل المغولية ، وأصبرهم على القتال، وقوة التحمل[١] وكان لها مركز الصدارة بين قبائل الترك مثلها مثل قريش بين قبائل العرب ، لا يقدر أحد أن يتقدم عليها[٢].

وتيموجين هذا هو بعينه جنكيزخان الذى هز بفتوحاته وهجماته أركان الدول جميعًا فيما بين الصين شرقًا ، والبحر الأدرياتى غربًا فى النصف الأول من القرن السابع الهجرى، الثالث عشر الميلادى[٣] وأنشد أحد الشعراء عندما علم بخروجه محاربًا:

وعلمتُ أنَّ فراقَكم لابد أن   يجرى له دمعى دمًا وكذا جرى[٤].

---

(١) العينى (بدر الدين أبو محمد محمود بن يوسف) ت٦٥٥هـ: السيف المهند فى سيرة الملك المؤيد، حققه وقدم له. فهيم محمد شلتوت، راجعه محمد مصطفى زيادة، سلسلة الذخائر عدد (٩٢)، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص١٧٩؛ محمد مرسى الشيخ: المرجع السابق، ص١٦٧.

(٢) سعد زغلول: الترك، المرجع السابق، ص١٨٩.

(٣) فؤاد عبدالمعطى الصياد:المرجع السابق، ص٣٦.

(٤) ابن عرب شاه: فاكهة الخلفاء، ص٥٦٠.

الفصل الأول

المغول من قيام الإمبراطورية حتى نهاية الدولة الإيلخانية

(دولة مغول فارس)

[٦٠٠ – ٧٣٦هـ/ ١٢٠٣ – ١٣٣٦م].

الفصل الأول

المغول من قيام الإمبراطورية حتى نهاية الدولة الإيلخانية

(دولة مغول فارس)

[٦٠٠ - ٧٣٦هـ/ ١٢٠٣ - ١٣٣٦م].

أولاً : الإمبراطورية المغولية وتوسعاتها الخارجية

١- تيموجين (جنكيزخان) وتوطيد دعائم الإمبراطورية المغولية.

٢- التوسعات الخارجية على حساب الصين ٦٠٦هـ/ ١٢١٠م.

٣- أحوال القوى الإسلامية فى المشرق إبان غزوات المغول.

٤- حملات المغول للاستيلاء على المشرق الإسلامى.

ثانيًا : عهد الدولة الإيلخانية (مغول فارس) وأبرز مظاهرها

(٦٥٦ - ٧٣٥هـ/ ١٢٥٨ - ١٣٣٥م)

- هولاكو وقيام الدولة الإيلخانية. (بداية من عام ٦٥٤هـ/١٢٥٦م)
- آباقاخان (٦٦٣ - ٦٨٠هـ/ ١٢٦٤ - ١٢٨١م)
- أحمد تكودار (٦٨١ - ٦٨٣هـ/ ١٢٨٢ - ١٢٨٤م).
- أرغون خان (٦٨٣هـ - ٦٩٠هـ/ ١٢٨٤ - ١٢٩١م).
- كيخاتوخان (٦٩٠ - ٦٩٤هـ/ ١٢٩١ - ١٢٩٤م)
- بايدوخان (٦٩٤هـ/ ١٢٩٤م).
- غازان محمود (٦٩٤ - ٧٠٣هـ/ ١٢٩٥ - ١٣٠٤م).
- محمد خدابنده (أولجايتو) (٧٠٣ - ٧١٦هـ/١٣٠٣ - ١٣١٦م).
- أبو سعيد بهادر خان وانهيار الدولة الإيلخانية (٧١٦-٧٣٦هـ/ ١٣١٦-١٣٣٥م).

أولاً : الإمبراطورية المغولية وتوسعاتها الخارجية:

١ـ تيموجين ((جنكيزخان)) وتوطيد دعائم الإمبراطورية المغولية:

ولد تيموجين فى حدود عام ٥٤٩هـ/ ١١٥٥م على الضفة اليمنى لنهر الأونون فى منطقة دولون بولـداق Dulun - Boldaq بقراقـورم (وهى منطقة تتبع روسيا حاليًا)(١) وتيموجين تعنـى الحـداد(٢) وباللغـة الصينية تعنى الحديد الصلب الخالص القوى(٣) وأبوه يدعى ((يـسوكاى)) وكان رئيسًا لقبيلة قيات وأمه تدعى ((هوئلون))(٤) وله ثلاثة أخوة وهـم (قسار، ختشيئون، تيموج) وأخت تدعى تيمولون(٥) وقضى تيموجين حياته شريدًا طريدًا تتلقفه أيدى من يشفق عليه من أصدقاء أبيه ، حتى إذا ما بلغ السابعة عشرة من عمره بدأ نجمه يلمع بسبب أفكاره حول توحيد المغول

---

(١) ابن عرب شاه: فاكهة الخلفاء، ص٥٣٦؛ عباس إقبـال: إيـران بعـد الإسـلام، ص٣٤٨.

(2) Sheila. S. Blair: ((The Arts of the Mongols)), Saudi Aramco World, Calderwood University, January/ February 2003, p.27.

(٣) أحمد مختار العبادى:فى التاريخ الأيوبى والمملوكى، شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٢م، ص١٣٧؛

- Cahen Claude: ((The Mongols and the Near East in Setton (ed))), New York, p.15.

(٤) هوئلون: أم جنكيزخان قيل إنها حملته من شعاع الشمس ولهذا لا يعرف لـه أب لذلك يطلق عليه أحيانًا ابن الشمس وخرجت نبوءات إلى كونه سـيرتفع شـأنه ويعلو قدره وسيحكم العالم بأثره للمزيد راجع: ابن كثير (الإمام الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقى) ت ٧٧٤هـ: البداية والنهاية، جـ١٣، أخرجه الشيخ محمد بيومى، أ. عبدالله المنشاوى وآخرين، مكتبة الإيمان، المنصورة، ٢٠٠١م، ص١١٣- ١١٤.

(٥) هارولد لامب: جنكيزخان وجحافل المغول، ترجمة مترى أمين، مراجعة زكى نجيب محمود، الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٢م، ص٤.

وما اتصف به من الجلد والذكاء والعقل والدهاء والهيبة والحزم والشجاعة، فكان محاربًا سفاكًا متعطشًا للدماء[1] يمتلك إرادة قوية وحنكة سياسية انفرد بها دون غيره من بنى جنسه آنذاك[2].

ولقد خاض تيموجين حروبًا عديدة ضد بني جنسه من التتار والمغول من أجل الوصول إلى توحيد جميع القبائل تحت زعامته، وبعد سلسلة من الانتصارات التى انتهت بالقضاء التام على جميع القبائل المعادية[3]، أدى ذلك إلى ارتفاع شأنه فى مدة عقد من الزمان، واقترابه من أن يكون حاكمًا مطلقًا بدون منازع لمنغوليا، والتبت وأصبح يرى نفسه أساسًا لأمته، ومعبرًا عن إرادة مجتمعه المغولى، وكانت لديه رغبة فى أن يُمنح حق الشرعية لسلطته بعد تحقيق كل هذه النجاحات، وتحول إلى مصدر إعجاب وإبهار ورعب فى آن واحد لدى السامعين عنه والمحتكين به واستخدم ذكاءه فى محاولة تجميع الناس من حوله وتحالف مع القوى على الضعيف حتى استطاع أن يتغلب على أقوام التتار فى منطقة التبت وشرقى تركستان[4] رغم مهاراتهم الحربية بجانب امتلاكهم

---

(١) مايك إدواردز: ((جنكيزخان سيد المغول)) مقال منشور بمجلة الثقافة العالمية، ترجمة سعد بساطة، مراجعة أحمد خضر، عدد ٨٣ يوليو – أغسطس، المجلس الوطنى للثقافة والفنون، الكويت، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، ص٨٤؛ محمد مرسى الشيخ: أوروبا والتتار، ص١٨٥- ١٨٦.

(٢) هيلدا هوخام: تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين، ترجمة أشرف محمد كيلانى، الطبعة الأولى، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص٢٢.

(٣) أحمد مختار العبادى: الأيوبى والمملوكى، ص١٣٧.

(٤) المدائنى: حملات الغزو المغولى للشرق، ص٢٤- ٢٥؛

- J. J. Saundes: Genghis Khan and the Communists, p, 39; Martin. H. Desmond: The Mongol Army, Journal of the Royal Asiatic Society of Britain, London, 1943, p.46.

كثرة الأعداد والعدة وقوة الشوكة[١] ولكن ساعده على تحقيق أهدافه ما عانته تلك الأقوام من انحلال سياسي وتردٍ اجتماعي كانا ينذران بحتمية ظهور زعيم قوى يلم الشتات، فنجح جنكيزخان فى أن يلعب هذا الدور[٢].

وبعد أن ظهرت شجاعة تيموجين ومقدرته اجتمع حشد كبير من القبائل على حدود نهر أونن في عام ٦٠٠هـ/ ١٢٠٣م وأقيم حفل عظيم ووافق مجلس القوريلتاى الذى أسسه تيموجين والحاضرون على انتخابه إمبراطورًا عليهم وأسموه ((جنكيزخان))[٣] ومعناها أعظم الحكام أو إمبراطور كل البشر وبايعوه على الطاعة.

ومهما يكن من أمر ، فإن سنة ٦٠٠هـ/ ١٢٠٣م تعتبر بدء دولة جنكيزخان الذى حصل على لقب خان فى سنة ٦٠٣هـ/ ١٢٠٦م حين

---

(١) الجوينى (علاء الدين عطاء ملك بن بهاء الدين محمد) ت ٦٨١هـ: جهانكشاى، ترجمة السباعى محمد السباعى، نشر وتصحيح محمد بن عبدالوهاب القزوينى، ليدن ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٧م، ص٤٠٢؛ أرمنيوس فامبرى، تاريخ بخارى منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر، ترجمة أحمد محمود الساداتى، مراجعة وتقديم يحيى الخشاب، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٨٧م، ص١٦٣- ١٦٤.

(٢) المنشى النسوى: سيرة جلال الدين، ص١١؛

- Paul Ratchnevsky: Genghis Khan: His life and Legacy Blackwell, U. S. A, 2000, p.90

(٣) جنكيزخان: الباحثون المعاصرون يعتبرون ((شنجيز Chinggis)) هو النطق الصحيح لاسم جنكيز خان فى اللغة المغولية ولكن تم استخدام اسم جنكيزخان لأنه الأكثر ذيوعًا وشيوعًا بين جميع الأوساط، وقيل إن جنكيزخان اسم لشبح من نور حيث كان معتنقو الشامانية من المغول يعبدونه فى ذلك الوقت واعتبروه مقدرًا له أن يحكمهم من قبل السماء ورأى جنكيزخان نفسه أن عليه أن يكون الحاكم المطلق للعالم بأجمعه. راجع، فلاديمير ستوف: حياة جنكيزخان الإدارية والسياسية والعسكرية، ترجمه عن الروسية الأمير ميرسكى، ترجمه إلى العربية، سعد بن حذيفة الغامدى، الطبعة الأولى، الرياض، ١٩٨٣م، ص٦٤؛ مايك ادواردز: مرجع سابق، ص٨٤.

أصدر دستوره الشهير المعروف بالياسا[١] وبعد تحقيقه كل هذه الإنجازات، يصح أن نطلق على جنكيزخان لقب الإسكندر الآسيوى[٢] ولقب إيلخان تعنى الخان الكبير انفرد جنكيزخان وذريته به فكانوا من المغول بمثابة قريش من العرب، فهم قريش الترك ولا يقدر أحد أن يتقدم عليهم أو ينتزع منهم هذا الشرف[٣].

وقد ساد اعتقاد لدى المغول أن جنكيزخان كان لديه تفويضٌ إلهى فى حكمهم، وأن على الجميع طاعته وعدم الخروج عليه[٤].

ومن خلال ما سبق نلاحظ أن جنكيزخان أضفى على نفسه صبغة دينية وكان لديه إحساس أنه جاء ليحكم بتفويض إلهىّ، وهذه الأمور ساعدته فى تحقيق كل مطالبه وضمنت له طاعة رعيته لأن طاعته من علامات رضا الإله، وهذا يؤكد أن جنكيزخان ذو عقلية متميزة لأنه يعلم أن الدين محرك لكل البشر؛ فهم دائمًا على حالتين:- إما الطمع فى رضا الرب أو الخوف من عقابه. فأصبح لزامًا عليهم طاعة خانهم لنيل رضا ربهم والبعد عن عقابه.

وكان أول عمل قام به الخان الجديد المنتخب (جنكيزخان) هو تنظيم مخيمه الخاص به وترتيبه أو بمعنى آخر إنشاء مركز لقيادته العسكرية لأنه يعلم جيدًا ما جُبل عليه المغول من طبيعة هجومهم المباغت

---

(١) فؤاد عبدالمعطى الصياد: المغول فى التاريخ، ص٤٨ – ٤٩.
(٢) أحمد مختار العبادى: الأيوبى والمملوكى، ص١٣٧.
(٣) يمنى رضوان: الدولة الجلائرية وأهم مظاهر الحضارة فى العراق وآذربيجان خلال القرنين الثامن والتاسع بعد الهجرة، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ص١١.
(٤) برتولد شبولر: العالم الإسلامى فى العصر المغولى، ترجمة خالد أسعد عيسى، مراجعة سهيل زكار، الطبعة الأولى، دار إحسان، دمشق، ١٩٨٢م، ص٢٦.

على بعضهم البعض فى أى وقت يشاؤون، فقام جنكيزخان بتكوين بطانة صغيرة قوامها مجموعة من رجال السيوف ورامى السهام، الذين أصبح واجبهم المرابطة الدائمة إلى جانب خيمة الخان والقيام بحراسته ليل نهار ، وبالإضافة إلى ذلك ، أخذ على نفسه مسألة تنظيم ورعاية وحماية تلك القطعان الهائلة من الخيول وتبنى مشروعًا لتدريب جياد احتياطية لتكون جاهزة لامتطاء صهواتها عندما تدعو الحاجة إلى ذلك، فهذا النوع من الخدمات يعتبر شيئًا بالغ الأهمية وأساسيًا بالنسبة للجماعة البدوية المغولية[1].

وقد اتخذ جنكيزخان من قراقورم بمنغوليا عاصمةً له وأسس مجلسًا وطنيًا عرف بالقوريلتاى سالف الذكر[2] وبهذا المجلس الوطنى تحول المغول من كونهم مجموعة من البدو يغلب عليهم الشجاعة والوحشية والقدرة على انتزاع ما فى أيدى غيرهم[3] لا حاكم يردعهم ولا دين ولا اعتقاد يجمعهم فى مجتمع منظم داخليًا يقوده خان عظيم يدعى

---

(١) فلاديمير ستوف: مرجع سابق، ص٦٥.

(٢) النويرى (شهاب الدين أحمد عبدالوهاب) ت ٧٣٣هـ: نهاية الأرب فى فنون الأدب، جـ٢٧، تحقيق محمد شفيرة، مراجعة محمد مصطفى زيادة، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، ١٩٩٠م، ص٣٠١؛ جيهان محمد الشناوى: ((المغول ذلك الإعصار المدمر)) مقال منشور بمجلة العربى الكويتية، عدد ٤٧١، فبراير، الكويت، ١٩٩٨م، ص١٥٤.

(٣) ابن خلدون (عبدالرحمن بن محمد بن خلدون) ت٨٠٨هـ: المقدمة (المسماة مقدمة العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر)، تعليق تركى فرحان المصطفى، جـ١، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ص١٣٨-١٤٥؛

- Sykes Brigadier: A History of Persia, pp.73 – 74.

جنكيزخان[1] الذى كان أميًا وعرف عنه أن لم يكن تابعًا لأى دين أو ملة رغم كون المغول يتبعون العقيدة الشامانية، وكان بعيدًا عن التعصب ولم يرجح مذهبًا على مذهب وعظم وكرم زهاد وعلماء كل طائفة دون تفريق[2].

وعدل الحاكم وصلاحه دعامتان أساسيتان لازدهار وقوة أية أمة من الأمم ((إذا شارك السلطان الرعية فى متاجرهم هلكوا وإذا شاركوه فى حمل السلاح هلك))[3]. وبجانب عدل جنكيزخان كانت القيود والشدة ومعاقبة المخطئ سواءً كان من علية القوم أم أدناهم ضمن أسباب نجاحه فى توطيد دعائم أركان إمبراطوريته[4] هذا إلى جانب روح الإقدام والمواهب العسكرية التى امتلكها منذ نعومة أظفاره وما وهبته له حياة الصحراء من قسوة وفراسة[5].

---

(١) القرماني: أخبار الدول وآثار الأول، ص٢٨٤؛
- Barthold. W: Turkistan Down to the Mongol, London, 1928, pp.384 – 385.

(٢) طه ندا: الحضارة الإسلامية، ص١٥٦؛
- The Editors of Tim – Life Books: ((The Mongol Hordes)), The Mongol Conquests, U.S.A, p.12.

(٣) الدمشقى (الشيخ أبى الفضل جعفر بن على الدمشقى): الإشارة إلى محاسن التجارة ومعرفة جيد الأعراض ورديها وغشوش المدلسين فيها، مطبعة المؤيد، القاهرة، ١٣١٨هـ، ص٤١.

(4) Henry Serruys, C. I. C. M. Arlington: Prisons and Prisoners in Traditional Mongolia, Vol 27, Central Asiatic Journal, 1983, p.284; Pamela Kyle Grossley: The Manchu's, Cambridge, U.S.A, 1997, p.3.

(٥) ماركوبولو: رحلات ماركوبولو، جـ١، ص١٠٠؛ ابن خلدون (عبدالرحمن بن محمد بن خلدون المغربى) ت ٨٠٨هـ: العبر وديوان المبتدأ والخبر المشهور بتاريخ بن خلدون، علق عليه تركى فرحان، جـ٥، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ص٥١٠؛ عادل إسماعيل هلال: العلاقات بين المغول وأوروبا، ص٣٣.

وفى عام ٦٠٣هـ/ ١٢٠٦م ، نظم جنكيزخان إمبراطوريته من خلال جمع القوانين والشرائع التى كانت تحكم القبائل الرعوية المنتشرة فى صحراء جوبى وكوَّن منها مصنفًا قانونيًا صارمًا ليمثل دستور الإمبراطورية العالمية التى كان يهدف جنكيزخان إلى إنشائها لتسود العالم الكائن آنذاك ، وقد امتازت هذه القوانين بطابع القسوة والصرامة فى مضمونها وفى تنفيذها ولذلك كان جميع أفراد المجتمع المغولى من الخان إلى الطفل يحترم ويقدس هذه القوانين خشية الوقوع تحت طائلة العذاب الأليم(١).

ومن الجدير بالذكر أن هذه القوانين والشرائع قد عالجت كافة مناحى الحياة السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية والقضائية وعلى ذلك فهى دستور كامل لحكم الإمبراطورية، ولقد ضرب المجتمع المغولى أروع الأمثلة فى احترام قوانينه وشرائعه، وتظل الدولة قوية ما دام ظل القانون محترمًا ومقدسًا، وأطلق على هذا المصنف اسم (الياسا)(٢).

---

(١) الدلجى (الإمام شهاب الملة والدين أحمد بن على) ت ١٢١٠هـ: الفلاكة والمفلوكون، قدمت له زينب محمود الخضيرى، سلسلة الذخائر عدد ١٠٥، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص١٥٥؛ صبرى أبو الخير: ((قيام دولة مغول القفجاق فى روسيا وسياستها الخارجية)) رسالة دكتوراه غير منشورة، إشراف أحمد عبدالحميد الشامى، جامعة الزقازيق، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ص١٥٥.

(2) Morgan: ((The Great Yeas of Chingiz Khan and Mongol Law in the Khanate)), Bulletin of the School of Oriental and African Studies, Vol 49/ 1, 1986, p.163; Haider Mansura: The Mongol Traditions, p.60.

وأصبحت الياسا – منذ وضعها – شريعة جنكيزخان في حكم المغول[1] وأعطت الياسا الحاكم سلطة مطلقة وحصرت لقب الخان فيه وحده حيث يلقب المرء الذى يتوج على العرش الخانى بلقب واحد فقط يضاف إلى اسمه الأول، وهذا اللقب هو ((الخان)) أو ((القاآن)) فلا شيء غير هذا يضاف إلى اسمه فى أية كتابة رسمية وغير رسمية ، أو عند التخاطب معه ، أما البقية من أبناء الخان الآخرين وإخوانه فيجب ألا يسموا، سواءً فى حضورهم أم فى غيابهم، بغير الأسماء الى مُنحها كل فرد حين ولادته وهذا ينطبق أيضًا على بقية القادة والنبلاء ، وعلية القوم فى المجتمع المغولى ، فلا يكتبون سوى الاسم مجردًا من كل الألقاب الزائفة والرنانة فلا فرق بين سلطان ورجل عادى ، فكل واحد يسمى باسمه[2].

وقد أقرت الياسا اجتماعًا سنويًا للجمعية العمومية الشعبية (القوريلتاى) بشكلٍ دائم فى قراقورم موطن المغول الأصلى ومن أهدافه:

أ- أن يعقد على أرض المغول الأصلية وبحضور كافة الأمراء ، وكبير كل أسرة على رأس قوم أبيه ، وهذا يمنع أى أمير آخر أن تسول له نفسه بالاستقلال عن الدولة المركزية مهما بلغت قوته.

---

(١) المقريزى (تقى الدين بن عباس بن أحمد على) ت ٨٤٥هـ: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، جـ٢، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ت، ص٤٠ ؛ الدلجى : مصدر سابق، ص١٥٥.

(٢) سعد بن حذيفة الغامدى : ((الياسا دراسة نقدية تحليلية واستنتاجيه لبعض نصوصها))، بحث منشور بمجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، المجلد السابع والثلاثون، ١٩٨٩م، ص١٠؛ عصام عبدالرؤوف الفقى: دول مستقلة، ص١٧٠؛ إبراهيم العدوى: مصر والشرق العربى، ص١٦٣.

ب- أن تكون الإمبراطورية وحدة واحدة، عليها رجل واحد، وهو الخان فى (قراقورم) فلا يكون هناك أى مجال لتفككها.

جـ- تأكيد سلطة الخان المطلقة على كافة الأسر وعلى جميع الولاة والقادة العسكريين فهم يأتون لإعطائه البيعة ثم يتلقون منه الأوامر والنواهى.

د- تأكيد الالتزام بما جاء فى الياسا وذلك باستخراجها فى كل اجتماع وإعادة قراءة ما ورد فيها من بنود ، لذا كان عليهم أن يكيفوا أعمالهم وينفذوها طبقًا لما جاء فيها[(١)] لذا نال جنكيزخان صلاحيات أهلته لأن يكون إمبراطور المغول بلا منازع[(٢)].

أما عن أبرز بنود هذه الياسا التى ساعدت على تقدم المغول فى النواحى الخلقية والاجتماعية والعسكرية، وكانت أساسًا صالحًا لبناء نظمهم الإدارية وثبتت بعض مبادئ المساوة لدى المجتمع المغولى[(٣)]؛ فكان أهمها ما يلى:

- من يتدخل كطرف ثالث بين اثنين يتقاتلان، ليساعد أحدهما على الآخر - حتى لو كان أبًا لصالح ابنه - فجزاء ذلك القتل.

- يحق للرجل أن يتقدم إلى القضاء لمحاكمة خصمه ، وعندما تثبت دعواه فإنه يذهب ويجلب خصمه إلى المحكمة كالأسير بين يديه فى الحال وبدون تأخير[(٤)].

---

(١) سعد بن حذيفة الغامدى : المجتمع المغولى ضوابطه وقوانينه، الطبعة الأولى، الرياض، السعودية، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ص٤٤- ٤٥؛ سعد الغامدى: الياسا، ص٩٤- ٩٥؛ محمود محمد زيادة: مجتمعات إسلامية، ص٨١.

(٢) ابن عرب شاه : فاكهة الخلفاء، ص٥٣٦.

(3) Haider Mansura: Op.Cit., p.60;

- محمود محمد زيادة: مجتمعات إسلاميات، ص١٨.

(٤) سعد بن حذيفة الغامدى: المجتمع المغولى، ص٥٦.

- يعاقب بالموت كل من حاول أن ينصب من نفسه إمبراطورًا دون سابق انتخاب.

- الزاني والزانية جزاؤهم الذبح.

- لا تذبح الحيوانات إلا على طريقة شق البطن(١).

- إقامة العدل بين الرعية مع طاعة الخان العمياء والمطلقة.

- المساواة بين الخان والعامة ومن يخالف الأوامر والتعليمات يعاقب بكل عنف(٢).

- من أقدم على قتل إنسان فإنه يُقتل.

- إذا اتهم مجموعة من الناس أناسًا بتهمة ما، فيعذب المتهمون حتى يعترفوا وفي حالة الاعتراف يكون الجزاء على حسب الجرم، فالجزاء من جنس العمل.

- يربط الحيوان جيدًا قبل ذبحه ثم تبقر بطنه وينزع قلبه ويعصر بقوة حتى يموت الحيوان واشتهرت هذه الطريقة وأصبحت هي طريقة الذبح المغولية(٣).

وفي ضوء ما سبق يتضح لنا أن المغولي انتقل من الحياة الهمجية إلى النظامية، يحكمه دستور قائم على العدل والمساواة في معظم بنوده، يحترم آدميته، ويقسو عليه إذا أخطأ، وبذلك يكون جنكيزخان صاحب

---

(١) ثروت عكاشة: إعصار من الشرق ((جنكيزخان)) الطبعة الثالثة، الناشر الحديث، القاهرة، ١٩٦١م، ص٩٩.

(2) Morgan : The Great Yasa, p.163;

عصام الفقي: دول مستقلة، ص١٧٠.

(٣) الجويني : جهانكشاي، ص١٦٢؛

- Kata Bercwe: The Journey of William of Rúbruck, London, 2000, p.147;

- سعد بن حذيفة الغامدي: المجتمع المغولي، ص٥٧ إلى ص ٦١.

أفضلية على المجتمع المغولى لأنه توصل إلى حل يضمن معه البقاء على إمبراطوريته لأكبر وقت ممكن وأكد للجميع أن "العدل أساس الملك" حقيقة غابت عن كثيرين رغم أسبقيتهم لجنكيزخان.

وحتى يتسنى لجنكيزخان اكتمال توطيد دعائم إمبراطوريته كان عليه أن يفكر فى تنظيم جيشه بشكل يضمن معه حماية إمبراطوريته من الهجمات الخارجية ليس لهذا فحسب بل ليكون أداة تساعده فى رحلة التوسعات الخارجية على حساب جيرانه.

وقد تميز التركى بصفة عامة بالمقدرة العسكرية الفائقة فكان لا يضاهيه أحد فى ميادين الحرب والقتال[١] وبدأ جنكيزخان فى ترتيب جيشه وتنظيمه على حسب ما حددت الياسا وأوجد نظامًا لحصر الجند ومعرفة مواقعهم وذلك بتسجيل أسمائهم وأسماء قادتهم فى دفاتر منظمة ولكل فرقة من الجيش كشافة تقوم بنقل الأخبار والأموال ولها أسلحة محددة خاصة بها وتدرب بشكل خاص[٢] وأصبح الجيش هو العمود الفقرى والمؤسسة الرئيسة لدى الإمبراطورية المغولية التى سيحققون بواسطتها جميع أهدافهم التوسعية وبالفعل سينجح الجيش المغولى فى تحقيق انتصارات عديدة دون هزائم[٣] ولقد اعتمدت الاستراتيجية العسكرية عند المغول على الدقة والنظام فكانوا يبدأون خطتهم العسكرية

---

(١) أسامه بن منقذ (مؤيد الدولة أبو مظفر بن مرشد الشيرزى): كتاب الاعتبار، حرره فيليب حتى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ت، ص٧٥.

(٢) عصام الفقى: دول مستقلة، ص١٧٠- ١٧١؛

- Martin. H. Desmond: The Mongol Army, p.56.

(٣) العسقلانى (الإمام شهاب الدين ابن الفضل أحمد بن حجر العسقلانى) ت٨٥٢هـ: إنباء الغمر بأبناء العمر، طبع تحت مراقبة محمد عبدالمجيد خان، الطبعة الثانية، جـ١، دارا لكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦م، ص١٨؛

- Morgan: The Mongols, p.84; Richard, IBM: Mongol, World book, p.10.

بإرسال فرق الكشافة والجواسيس لاستطلاع الأخبار عن أحوال الدولة المراد الاستيلاء عليها ، وهجومهم يعتمد على السرعة والخفة والمهارة فهى كلها طباع طبعتهم عليها الصحراء والجبال بجانب ما تعلموه من الصين حول كيفية حصار المدن، ويسبق الهجوم إرسال الرسل إلى ملك البلاد المراد الاستيلاء عليها ليسلم البلاد طواعية أو يناله غضب الرب وغضبهم ، ومن التكتيكات العسكرية التى اتبعوها فى حروبهم تطويق العدو بسرعة فائقة ومحاولة فتح ثغرات فى جيوشهم لإيهام العدو بالتقهقر حتى يمر فى سلام ثم الانقضاض عليه من الخلف، وعملية التمويه بالانسحاب حتى يطمئن العدو ثم الرجوع بسرعة فائقة وخاطفة من حيث لا يدرى[١].

وقد قسم جنكيزخان الجيش المغولى إلى وحدات على أساس النظام العشرى حيث قسم الجيش إلى عشرات، وإلى مئات وإلى ألوف ، وإلى عشرات الألوف وهذا النظام العشرى أطلق عليه التومن Tumen ، وكان يقوم على رأس كل تسعة رجال منهم عاشرهم وهو (عريفهم) ، ويعين على عشرة عرفاء واحد من بينهم كرئيس أعلى على مئة (أى على عشرة عشرات) ، ثم يتم اختيار واحد من بين الرؤساء العشرة لفصائل المئات ليكون قائدًا لهم وبذلك يصبح الأخير قائدًا لألف رجل ، وأخيرًا ينصب رجل واحد من بين مجموع رؤساء العشرة ليكون قائدًا عامًا ((نويان)) أى أنه قائد التومن Tumen ورتبت هذه الوحدات على شكل جماعات وزعت إلى ميمنة وقلب وميسرة[٢].

---

(1) Martin. H. Desmond: Op.Cit., p.56; Morgan: Op.Cit., p.89;

- صبرى أبو الخير: مرجع سابق، ص٦٥- ٦٦.

(٢) برتولدشبولر: مرجع سابق، ص٢٧؛ السيد الباز العرينى: المغول، ص٥٦-٥٧؛ سعد بن حذيفة الغامدى: المجتمع المغولى، ص٩٧.

وعلى ضوء ما سبق نخلص إلى نتيجة مهمة وهى إن جنكيزخان كان بمثابة طفرة فى تاريخ المغول ، فقد أحدث نقلة لهذا المجتمع على أعلى المستويات ، وحقق إنجازات عسكرية تعد بمثابة معجزات عند المغول من خلال الدقة والتنظيمات واكتساب مهارات من القوى المحيطة والمجاورة لهم، ولكن على المستوى العام فهو لم يبدع إبداعًا خاصًا ولم يأت بجديد فكل هذه التنظيمات والتكتيكات عرفتها الجيوش الإسلامية منذ فجر الإسلام ومع بداية غزواتها فى بدر عام ٢هـ استخدمت الجواسيس ونظم الكر والفر والخداع والميمنة والميسرة والقلب ، وهذا لا يقلل من تفوق جنكيزخان ومهارته التى فاقت الحد فى أغلب الأحيان ، أما إن كان جنكيزخان لم يطلع على هذه الخطط والتكتيكات ولم يسمع عنها وإن كنت أميل إلى كونه كذلك فى هذا الوقت المبكر فى تاريخ الإمبراطورية ، ففى هذه الحالة يكون جنكيزخان عبقرى ذاك الزمان، وساعده على تحقيق التفوق عدة أشياء منها:- روح الجيش وشراسته وشدة التزامه، بجانب النظام الصارم وعدم السماح لخرق هذا النظام، وشدة معاقبة المتخاذل ، بجانب ظنهم أنهم جنود الرب، هذه الأمور أهلت المغول لأن يسودوا العالم فى معظم بلدانه وبدأت سلسلة التوسعات الخارجية بالصين.

٢ـ التوسعات الخارجية على حساب الصين ٦٠٦هـ/ ١٢١٠م:ـ

بعد أن وطد جنكيزخان دعائم إمبراطوريته ونظم النواحى الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بدأ يظهر فكره التوسعى وعلى الأخص أنه يمتلك جيشًا أعده أفضل إعداد وحالته أفضل بكثير من جيوش القوى المجاورة له ؛ فكان تفكيره فى الهجوم على بلاد الصين(١) وقد سبق ذلك

(١) المنشى النسوى: سيرة جلال الدين، ص١١- ١٢؛
- Stephen. H. West: "Mongol Influence on the Development of Nothern Drama" Ed Jhohn, China under Mongol Rule University Press, pp.436- 437.

التوسع على حساب طوائف القرغيز، ودخول الأويغوريين الأتراك في طاعته وهم أقوام متمدينة، عرفوا ديانات عديدة منها المانوية والبوذية والمسيحية فعرف المغول ديانات جديدة بجانب ما كانوا عليه من الديانة الشامانية، فالمانوية أول دين دخل على المغول بعد الشامانية، وكان دينا ذا أسس أخلاقية لأن الشامانية ترى ضمن معتقداتها أن قتل الإنسان يفيد يوم القيامة، فالمانوية تحرم ذلك وتحرم أكل الحيوان[1] وقد عرف المغول اللغة الأويغورية وبدأوا يكتبون ويتعاملون بها فيما بينهم[2].

وبعد نجاح جنكيزخان فى الإرهاصات الأولى الخاصة برحلته التوسعية رسم لنفسه سياسة واضحة تهدف إلى التوسع فى الأقاليم الجنوبية بقصد اقتطاع ما يمكن اقتطاعه من البلاد الصينية[3] والتوسع فى الأقاليم الغربية بقصد تعقب بعض القبائل المغولية التى فرت من وجهه وأبت طاعته والرضوخ له ، ولقد ذاعت سمعة جنكيزخان وأنظمته وتعاليمه وانتشرت فى طول البلاد وعرضها وشعر أفراد المجتمع المغولى أنهم أصبحوا أصحاب رسالة عالية راقية ؛ فهم جنود الله على أرضه كما أوهمهم جنكيزخان ، فأصبحوا جسمًا واحدًا طاغيًا ، قلما تجد من يقف فى وجهه[4].

---

(١) فؤاد عبدالمعطى الصياد: المغول فى التاريخ، ص٤٩؛
- Martin. H. Desmond: The Mongol Army, p.59.

(٢) عبدالسلام عبدالعزيز فهمى: منظومة فرهاد وشيرين للأمير على شير نوائى ومقارنتها بمنظومة خسرو وشيرين لنظام الكنجوى، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨١م، ص٣١.

(٣) القزوينى (حمد الله بن بكر بن أحمد بن نصر مستوفى) ت ٧٣٠هـ: تاريخ كزيده، جلد آول، بسعى واهتمام أدوراد براون انكلس، دار السلطنة ، لندن ، ١٣٢٨ ، ص٥٠٠ ؛ أحمد عبدالكريم سليمان: المغول والمماليك حتى نهاية عصر الظاهر بيبرس (٦٤٨ – ٦٧٦هـ/ ١٢٥٠ – ١٢٧٧م) ، الطبعة الأولى ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م، ص١٥- ١٦.

(٤) المنشى النسوى: سيرة جلال الدين، ص١١- ١٢؛
- Morgan: Mongols, pp.48, 89; Colin Mackerras: Eastern Asia an Introductory History, New York, 1994, p.111.

ولقد كانت هناك عدة عوامل ساعدت على نجاح جنكيزخان؛ منها عوامل الضعف والانحلال التى كانت تنخر فى الأقاليم الصينية الخصبة الغنية المجاورة لأملاك جنكيزخان وهذا كان مدعاة للتفكير فى الاستيلاء عليها(١) هذا بجانب حالة الزهد التى كان عليها جنكيزخان ونقلها إلى جيوشه وحثهم على ضرورة تحقيق الانتصارات رغبة فى طاعة الإله، فقيل إن جكيزخان سأل بعض اليهود فقال لهم: ((بما أعطى الله موسى وعيسى ومحمدًا هذه المنزلة العظيمة، وشاع لهم هذا الذكر)) فقال له اليهودى ((لأنهم أحبوا الله وانقطعوا إليه فأعطاهم)) فقال جنكيزخان: ((وأنا أحببت الله وانقطعت إليه)) ، وبهذه الروح خرج جنكيزخان إلى العالم محاربًا واقتنع جنوده بفلسفته الحربية واتحدوا حول جنكيزخان ولم تراود أحدًا منهم فكرة العصيان أو الخروج عليه(٢) وأصبح ذلك لزامًا على كل فرد صغيرًا كان أو كبيرًا، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل منذ أن أعلن المغول جنكيزخان إمبراطورًا وخانًا عليهم ((أطاعوه طاعة أصحاب نبى لنبيهم))(٣).

---

(١) عادل إسماعيل هلال: مرجع سابق، ص٣٣؛

- Peringe Oestmoon: Welcome to the Realm of the Mongols, Norway, 1998, p.2;

- جمال عبدالهادى محمد مسعود، وفاء محمد رفعت: الطريق إلى بيت المقدس، الطبعة الثانية، دار النشر الإسلامية، القاهرة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ص١٣٥.

(٢) على أحمد السيد: مشاهدات أودوريك دوربوردنون الفرنسيسكانى فى الصين، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٦م، ص١٤؛

- Dafid. J: Islam and Islamic history in Arabia and the middle East, Norwag, 2000, p.5; The Columbia Encyclopedia, Mongols, p.33.

(٣) الكتبى (الصلاح محمد بن شاكر أحمد) ت ٧٦٤هـ: فوات الوفيات، حققه وعلق عليه محمد محى الدين عبدالحميد، جـ١، النهضة المصرية، القاهرة ، ١٩٥١م ، ص١٣٩.

وبدأت حملات جنكيزخان العسكرية من قلب منغوليا متجهة ناحية الجنوب فغادر ضفاف نهر كُرولين في فصل ربيع سنة ٦٠٧هـ/ ١٢١١م مصطحبًا أبناءه الأربعة (جوتشي ، تشغتاى (جغتاى) أوكتاى ، تولوى) ومعه أيضًا أفضل قادته العسكريين[١] قاصدًا المناطق الحدودية الصينية وحاول الصينيون الخروج بهجوم معاكس على جوبى والتصدى لقوات جنكيزخان على الأخص ، ولاسيما أن التفوق العددى لصالحهم ، لكنهم لم يقووا على التصدى لجيش المغول وأثبتوا فشلهم من حيث الكفاءة والقدرة والصبر على القتال وتحققت أولى انتصارات جنكيزخان على الصينيين ٦٠٧هـ/ ١٢١١م[٢].

وبعد تحقيق النصر كثر السلب والسبى والنهب حتى أضحى جنكيزخان ((تركيًا متروكًا ، يتحكم في رقاب أكابر الملوك وأضحى جنوده يستعبدون أحرارًا أولادهم، ويستفرشون زوجاتهم وبناتهم في بلادهم))[٣]، وقد وصف أحد الشعراء تلك الأحوال[٤].

وهذه الانتصارات التى بدأت تتحقق للمغول حسنت من أوضاعهم، وزادت من مواردهم، وتشجعوا على خوض مغامرات جديدة وفوق كل هذا فقد أعلت روح الثقة بالنفس لديهم وشعروا بقوتهم واستولت

---

(١) فلاديمير ستوف: مرجع سابق، ص١٤١؛
- Jack Weather: Genghis Khan, p.80; Smith John Masson: Mongol Manpower, p. 288.

(٢) فلاديمير ستوف: مرجع سابق، ص١٤١؛
- Namik. R. Pak: ((The impact of ICT Revolution in Turkey Tunneling Through Barriers,, Perceptions)), Journal of International Affairs, Vol VI, March – May – Terkey, 2001, p.15.

(٣) ابن عرب شاه: فاكهة الخلفاء، ص٥٤٠.

(٤) علَى رأس عبدٍ تاج يزنيهُ وفى رجل حر قيد ذل يشينه.

هيبتهم على القلوب وانتشر صيتهم في العالم[١] وهنا بدأ التفكير بتوجيه الهجمات إلى داخل الصين، فالمعروف أن الصين انقسمت إلى قسمين:- الصين الشمالية وعاصمتها (ينكين) بالقرب من بكين، والصين الجنوبية وأكبر مدنها (هانج شو)، (أوكنساى)، وتولى حكم الصين الجنوبية أسرة سونج، بينما حكمت أسرة كين الصين الشمالية وكانت لها السيطرة والسيادة على بلاد المغول لفترات طويلة وخضع لهم أقوام مغولية عديدة حتى ظهور جنكيزخان الذى استطاع أن ينزل هزائم بجيش أسرة كين، فأذعنت له البلاد الواقعة فى داخل سور الصين وذلك أواخر عام ٦٠٧هـ/ ١٢١١م[٢] وتنعم بخيرات الصين التى لا حصر لها لكثرتها[٣].

واللافت للنظر أن حروب جنكيزخان صحبها الخراب والدمار لمعظم المدن التى دخلها سواء سلم أهلها طائعين أم مقهورين[٤] هذا بجانب نهب المغول للأراضى الصينية بشكل فظيع ليس له مثيل؛ فقد تحولت مساحة كبيرة من الأراضى إلى مراعٍ خاصة فى شمال النهر الأصفر وأصبح معظم الفلاحين عبيدًا لدى المغول وقاموا لهم مرغمين بالأشغال المختلفة بلا مقابل وفى بعض المناطق كان الملاك من المغول يحق لهم بيع عبيدهم أو تأجيرهم للملاك الآخرين[٥].

---

(١) الغزى الحلبى (كامل البالى الحلبى الشهير بالغزى): نهر الذهب فى تاريخ حلب، جـ٣، قدم له وعلق عليه شوقى شعث، أ. محمود ماخورى، دار القلم، حلب، ١٩٩٣م، ص١١٢؛ برتولد شبولر: مرجع سابق، ص٢٩.

(٢) السيد الباز العرينى: مرجع سابق، ص٥٦؛

- Catriona Macpherson: The Mongols, p.1

(٣) ابن خلدون: تاريخ بن خلدون، جـ٥، ص٥١٠.

(٤) ابن عرب شاه (أقضى القضاة شهاب الدين أحمد بن محمد الدمشقى): عجائب المقدور فى أخبار تيمور، الطبعة الأولى، مطبعة وادى النيل، القاهرة، ١٢٨٥هـ، ص٢٠٥.

(٥) جيان بوه تسان، شاوشيون تشنغ: موجز تاريخ الصين، الطبعة الأولى، دار النشر باللغات الأجنبية، بكين، الصين، ١٩٨٥م، ص٥٢- ٥٣،

- Oestmoon Peringe: The Realm of the Mongols, Norway, November 12, 1998, p.5.

وقد مهدت هذه الانتصارات الطريق لشن هجوم على نطاق واسع، ففى سنة ٦١٠هـ/ ١٢١٣م، وتحركت ثلاثة جيوش ضخمة تولى قيادة الجيش الرئيسى منها جنكيزخان وأصغر أبنائه تولوى، واتخذ وجهته نحو الجنوب الغربى، وأنفذ أبناءه الثلاثة الآخرين، جوجي، وجغتاى، وأوكتاى على رأس جيش آخر ليؤلف الجناح الأيمن لجيشه وسارت هذه الحملة نحو الجنوب ، بينما أرسل من تبقى من القوات تحت قيادة إخوته إلى الشرق وفى اتجاه المحيط ولم تتوقف فتوح جنكيزخان إلا عند مرتفعات شانتوج[1] وبذلك يكون جنكيزخان قد امتلك معظم ممالك الصين التى ظهرت عليها الانقسامات وبدأت فى التساقط أمام الجيوش المغولية التى أذاقتها مرارة الهزيمة فى أكثر من معركة[2].

وبعد ما ثبت جنكيزخان أقدامه فى البلاد التى اقتطعها من المغول أرسل إلى إمبراطور الصين الذى يدعى (واى وانج Wai Wang) يطلب الصلح عام ٦١١هـ/ ١٢١٤م[3] لأن جنكيزخان كان يرى ضرورة العودة إلى منغوليا فأرسل إلى إمبراطور الصين قائلاً: ((كل ما تمتلكه فى شانتونج من أراض، وكل ما يقع شمال النهر الأصفر من بلاد يعتبر ملكاً لى، فيما عدا بكين، فما أصبحت فيه من الضعف ، يقابله ما توافر لى من القوة غير أننى أحب أن أتوقف عن المضى فى القتال والفتح وإنما لا يتم

---

(١) فؤاد عبدالمعطى الصياد: المغول فى التاريخ، ص٥٢- ٥٣ ؛ السيد الباز العرينى: مرجع سابق، ص٦٥؛

Foster and Charles Hartman: A History of Chinese Civilization, New York, 1985, p.119; Arnold Toynbee: La Chine d'Hier et aujourd' hui, France, 1981, pp.115- 116.

(٢) المنشى النسوى: سيرة جلال الدين، ص٣٩؛

(3) Rabban Sawma: The Monks of Kûblâi Khân Emperor of China, London, 1928, p.102; Patricia Buckley Ebrey: Chinese Civilization, p,192.

ذلك إلا بشرط واحد وهو أن تبذل من الضيافات والهبات لقادتى ورجالى ما يجعلهم يخلدون إلى الهدوء والسلام)) فلم يجد إمبراطور الصين (واى وانج Wai Wang) أمامه إلا قبول الصلح وأرسل الهدايا ومنها أميرة صينية لكى يتزوجها جنكيزخان، وخمسمائة من الغلمان والجوارى، وثلاثة آلاف فرس[١].

وعاد جنكيزخان إلى منغوليا عام ٦١٣هـ/ ١٢١٦م تاركًا نائبه (موقلى Mukuli) وقد استعادت أسرة كين بعض أملاكها ولكنها ظلت ضعيفة تدين بالتبعية للمغول[٢] ولأن الحضارة تزدهر وتتقدم عندما تجد طبيعة وبيئة صالحة وإمكانيات طبيعية ورغبة فى التطور والتجديد[٣] فقد نتج عن احتكاك المغول بالصينيين أعظم صدام بين الثقافة البدوية التى عرفتها أرض السهول والحضارة القائمة على الزراعة وكان من تأثير هذا الصدام أن انتقل المغول خطوة إلى الأمام فى طريق معرفة الحضارة[٤].

ولقد كان سبب عودة جنكيزخان إلى منغوليا يكمن فى رغبته بالذهاب باتجاه الغرب لمطاردة الفارين من حروبه فى السنوات الأولى ما بين (٦٠٨ – ٦١٣هـ/١٢١١ – ١٢١٦م) أثناء توحيده القبائل المغولية ، فبعد هزيمة قبائل النايمان والقضاء على ملكهم ((تايانك خان)) فر ابنه كوچلك خان إلى بلاد القراخطائيين الأتراك وأراد المغول تعقبه[٥].

---

(١) السيد الباز العرينى: مرجع سابق ، ص٦٦– ٦٧؛ فؤاد الصياد: المغول فى التاريخ، ص٥٢– ٥٣؛

- Smith John Masson: Op.Cit., p.271.

(٢) الغزى الحلبى: نهر الذهب، ص١١٢؛ الجوينى : تاريخ جهانكشاى، ص٤٦.

(٣) أحمد محمد إسماعيل الجمال: دراسات فى تاريخ الحضارة الإسلامية، دمنهور، ٢٠٠٢، ص١٠– ١١.

(٤) جوزيف نيدهام: الحضارة فى الصين، ص٩٩.

(5) Colin: Op.Cit., p.110.

وانتهز كوچلك فرصة العداء الشديد بين الخوارزميين والقراخطائيين فاتفق مع سلطان الخوارزميين محمد خوارزم شاه على إزالة الدولة القراخطائية واقتسامها فيما بينهما وبالفعل حدث ذلك وحصل كوچلك على عديد من المناطق منها ((كاشغر وختن))[١] فخشى جنكيزخان من ازدياد نفوذه واشتداد ساعده، فأرسل إليه جيشًا كبيرًا بقيادة أحد قادته المشهورين يدعى (جبه نويان) وتحقق النصر على كوچلك وفر هاربًا قاصدًا ((بدخشان))[٢] ولكن قبض عليه بعض الصيادين وسلموه للمغول وتم قتله ، ثم أعملوا سيوفهم فى كل من وجدوه من طائفة النايمان حتى قضوا عليهم جميعًا فى عام ٦١٥هـ/ ١٢١٨م ، وبهذا الانتصار تمت للمغول السيطرة على جميع القبائل التركية التى كانت تخضع للقراخطائيين، كما احتلوا المناطق الأخرى التى كان كوچلك خان قد ضمها إلى دولته وبوقوع هذه المناطق فى أيدى المغول صاروا يجاورون الخوارزميين المسلمين[٣].

---

(١) كاشغر وختن: أما عن مدينة كاشغر فيقال لها كاشغار أيضًا وهى ومدينة ختن تقعان على الحدود الصينية وكانتا من المدن التى استولى عليها جنكيزخان وتوافرت بهما الخيرات والتربة الخصبة، ولم تذكرهما مراجعنا إلا لممًا ودون أن تنطوى على فائدة جغرافية ذات بال ، راجع كى لسترانج: بلدان الخلافة الشرقية، ص٥٣٠- ٥٣١.

(٢) بدخشان: وتنطق بذخشان وهى تقع شرقى طخارستان على الضفة اليسرى الجنوبية لنهر جيحون وكانت ضمن ممتلكات بلاد الترك وتميزت بالكروم ووفرة الأنهار ، راجع، ياقوت الحموى: معجم البلدان، تحقيق فريد الجندى، الطبعة الأولى، جـ٣، دار الكتب، لبنان، ١٩٩٠، ص٥٠١؛ محمود شتيت خطاب: بلاد ما وراء النهر، الطبعة الرابعة، دار قتيبة، بيروت، ١٩٩٠، ص٣٨.

(٣) فؤاد عبدالمعطى الصياد: المغول فى التاريخ، ص٥٤ إلى ص٥٧؛

- David Talbot Rice: Islamic Art, New York, 1992, p.113.

وتحقق للمغول كل هذه المكاسب والانتصارات لقوة جيشهم وطاعتهم لخانهم ((فأطاعوه ولا طاعة الأبرار للملك القهار))[1] وقد صاحب فتوحات المغول القتل والتشريد والتخريب والحرق لجميع الكتب التى تقع بين يديهم وعندما يتمكن المغول من الاستيلاء على البلدان يطلبون من أهل المدن إخلاء مدينتهم والاجتماع فى صعيد مجاور لها[2] وهناك يقسمون أهل تلك المدن إلى ثلاث فئات: الأولى تتألف من الجنود والرجال القادرين على حمل السلاح ، ومصير هؤلاء إما الاندماج فى سلك الجيش المغولى، وإما الذبح على أيدى المغول المنتصرين الذين كانوا يلتفون حولهم في شبه دائرة وهم متأهبون للقضاء عليهم كما تنص عاداتهم وتقاليدهم ، أما الفئة الثانية فكانت تتألف من النساء الجميلات وربات الفنون وكان يضم إليهن كل ذى ثروة يرجى منه أن يفتدى نفسه بالمال وكانت هذه الطائفة توزع بين الجند الفاتحين، أما عن الفئة الثالثة وهم بقية أهل المدينة فتستوى بشأنهم مسألة الحياة والموت فإما أن يقتلوا أو يُسمح لهم بالعودة إلى المدينة التى أجهز عليها المغول وسلبوها كل ما تتمتع به، على أن يفرض عليهم الضرائب[3] التى استحدثها المغول وسنوها على البلاد المهزومة وتم تقديرها من خلال سفرائهم الذين

---

(١) الذهبى : العبر فى خبر من غبر، جـ٣، ص١٩٢.

(٢) التوحيدى (أبى حيان على بن محمد) : أخلاق الوزيرين ((الصاحب بن عباد وابن العميد))، حققه وعلق عليه ووضع حواشيه محمد تاويت الطنجى، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ص٩٤.

(٣) محمود محمد زيادة : مجتمعات إسلامية، ص٩٢؛ روجية غارودى: ما يعد به الإسلام، ترجمة قصى أتاسى، ميشل واكيم، تقديم محمد البجاوى، محمد ياسر شرف، الطبعة الثانية، دمشق، ١٩٨٣م، ص٣٧.

يرسلون لتحديد قيمة هذه الضرائب من خيرات تلك البلاد[1] وكان ضمن الضرائب المفروضة ضريبة البريد Jam وخصصت دخول هذه الضريبة لتمويل محطات البريد بالخيول والماعز والعلف والطعام والمواشى وبناء الاستراحات، هذا بجانب تجنيد الفلاحين والمزارعين لحماية وصيانة المحطات وتمويلها بالأعلاف[2].

وقد سيطر المغول على طريق التجارة العالمى وهو طريق الحرير جسر التواصل بين الشرق والغرب وحدث نوع من الاتصال الفكرى والثقافى بين الشعوب عن طريق رحلات التجارة[3] وبدأت تظهر لوحات فنية لبعض المغول وهذه خطوة مهمة فى طريق التحضر والخروج عن البداوة والهمجية[4].

---

(1) Novgorod: The Chronicle of Novgorod, Vol XXV, Translated from the Russian by Robert Michell and Nevill Forbes, London, 1914, p.96;

جيان بوه تسان: مرجع سابق، ص٥٣

(2) Abû'l – Faraj Bar Hebraeus: The Chronography of Gregory, Amsterdam, 1976, p.445;

كلود كاهن: الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية، ص٢٥٥.

(٣) نعمان محمود جبران: محاولات المغول، ص١٣٩؛ حسين محمد فهيم: أدب الرحلات (دراسة تحليلية من منظور انثوجرافى)، عالم المعرفة، عدد ١٣٨، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص٢٢٩؛

- Marilyn Wong Fu: "Northern Elements in the Life and Art of Hsien- Yu Shu (1257- 1302), pp.372- 373.

رتشارد اتجهاوسن: الفن الإسلامى والآثار الإسلامية، فصل منشور ضمن كتاب الشرق الأدنى مجتمعه وثقافته، إعداد كويلدينج، ترجمة عبدالرحمن محمد أيوب، مراجعة أبوالعلاء عفيفى، محمد الصياد، الطبعة الثانية، سلسلة الألف كتاب الثانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص٩٤.

وقد ارتقت حياة المغولي ومستواه ، جراء ما غنم من غنائم كثيرة ببلاد الصين واستولى على مزيد من الكنوز والنفائس مما كان له أكبر التأثير في تحسين مستوى حياة المغول إذا أصبحوا يصنعون خيامهم من الحرير ويرصعون سيوفهم بالجواهر وكذلك أخذوا عن الصينيين صناعة البارود(١) وعرفوا معتقدات دينية أخرى غير الشامانية مثل البوذية والمانوية(٢).

وظل حال المغول يتغير شيئًا فشيئًا إلى الأفضل وخرجوا من الانغلاق إلى الانفتاح على العالم الخارجي وكانوا سعداء الحظ لأن تواجدهم في بلاد مثل الصين أكسبهم كثيرًا من المزايا لما تتمتع به الصين من حضارة وفنون ومستوى معيشي مرتفع بجانب احتوائها على ثقافات عديدة ومؤثرات متنوعة أتتها مع رحلات التجارة والاحتكاكات الخارجية.

ولقد تحقق للمغول استفادات عديدة في شتى النواحي العسكرية بعد سلسلة حروبهم في الصين(٣) كما تبين مما سبق ولكن اللافت للنظر أن جنكيزخان بعد تحقيق الانتصارات الساحقة في الصين لم يرد الإقامة في المناطق الفاخرة الفارهة بل زحف إلى الهضاب وأقام بها وأنشأ جنوده ومن معه من المغول مساكنهم على هذه الهضاب(٤).

---

(١) فؤاد عبدالمعطي الصياد: المغول في التاريخ، ص٥٣.

(2) Michell Robert: Inner Asian and Uralic National ((Shamanism, Golomt Center for Shamanist Studies, Indiana University, 1997, p.4.

(3) Novgorod: Op.Cit., p.96.

(4) Horold Lamb: Genchis Khan Emperor of All Men, London, p.103; David. M. Farquhor: Structure and Function of the Yuan Imperial Government, Ed China under Mongol Rule, pp.26- 28.

وفى رأيى أن جنكيزخان فعل ذلك لعدة أسباب منها:-

أ - أن الإقامة بين مساكن الصين الفارهة الفاخرة ستجعل الجنود يتحولون إلى حياة الرفاهية بعد قسوة المعيشة مما سيفقدهم كثيرًا من قوتهم بل سيجعلهم يتخاذلون عن المسير فى طريق الحروب.

ب- إنه أراد لهم أن يتوطنوا على الهضاب ببيئة أشبه ببيئتهم التى تربوا فيها وعاشوا بينها لتظل لهم نفس المزايا ولا تفسدها حياة المدينة.

جـ- وحتى يكون جنودهم فى حالة تأهب دائمة للقتال غير متخاذلين ولا كسالى، وهذا يؤكد عبقرية جنكيزخان وبعد نظره للأحداث المقبلة لأن العمود الفقرى لإمبراطورية هو الجيش، فإذا خسره خسر كل شىء.

كما يتضح أيضًا مما سبق أن المغول كانوا كالجراد يقضون على الأخضر واليابس وانتقلوا من مرحلة السلب والنهب حتى يجدوا ما يقتاتون به إلى الحصول على كل ما يميز البلاد المفتوحة من موارد مادية وخيرات، حتى الموارد البشرية لم تسلم منهم فاستفادوا منهم إلى أقصى درجات الاستفادة سواءً أكانت حربية أم علمية أم حِرفية.

وقد استخدم المغول الجواسيس فى حروبهم مع الصين لإطلاعهم على أخبار البلاد قبل السيطرة عليها حتى يقفوا على مواطن القوة والضعف، وجواسيسهم كانوا إما تجارًا أو من أهل البلاد المراد معرفة أخبارها[١] ويحسب للمغول أنهم كانوا من أمهر الأقوام آنذاك فى استخدام نظم الجواسيس والاستخبارات وتعود عظمتهم ومهارتهم فى هذا الأمر إلى كونهم كانوا حديثى عهد بهذه الأمور فهم عدة قبائل متصارعة همجية

---

(١) سعد بن حذيفة الغامدى: المجتمع المغولى، ص١٠٦- ١٠٧؛

- Marilyn Wong: Op.Cit., p.379.

قبل عهد جنكيزخان منغلقون على أنفسهم وعندما خرجوا للعالم اســتفادوا من كل ما عرفوه واستخدموا كل ما أتيح لديهم من أشياء معرفية وماديــة وعلى الأخص فى نظم الحرب والقتال لأنه أميز شىء لديهم.

غاية القول إن نبأ انتصارات جنكيزخان على الصينيين واستيلائه على بكين أحدث دويًا هائلاً في الممالك الإسلامية فــزادت هيبتــه فــى نفوسهم[١] ولكن ماذا عن هذه الممالك الإسلامية ؟ ومــا أحوالهــا إبــان غزوات المغول ؟ خصوصًا أنهم أصبحوا يجاورون الخــوارزميين بعــد القضاء على كوچلك عام ٦١٥هـ/ ١٢١٨م.

٢ـ أحوال القوى الإسلامية فى المشرق إبان غزوات المغول:ـ

بعد أن حكم الإسلام مناطق شتى حتى وصــل مــا وراء النهــر والصغد وأشروسنه وعاشت مشارق الدولة الإسلامية أزهى عصورها[٢] بدأ الضعف والانحلال والفساد ينسج خيوطه فى ثوب الخلافة الإســلامية بداية من ٢٣٢هـ/ ٨٤٧م عهد الخليفة المتوكل العباسى وما تــلاه مــن خلفاء ضعفاء فتحولت الأمور من سيئ إلى أسوأ[٣] ومردود ذلك إلى حياة

---

(١) فؤاد عبدالمعطى الصياد: المغول فى التاريخ، ص٥٣؛

- Hok- Lam Chan: "The Composition of the Liao Chine and Sung Histories, p.57.

(٢) البلاذرى (الإمام أبى الحسن البلاذرى): فتوح البلدان، عنى بمراجعته والتعليق عليه. رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص٤٢٠؛ ابن أعثم (العلامة أبى محمد بن أحمد بن أعثم) ت٣١٤هـ: الفتوح، الطبعة الأولى، المجلد الرابع، دار الكتــب العلميــة، بيــروت، لبنــان، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص١٧٦.

(٣) قاسم عبده قاسم: عصر سلاطين المماليك (التــاريخ الــسياسى والاجتمــاعى، الطبعة الأولى، دار عين للدراسات الإنسانية والاجتماعيــة، القــاهرة، ١٩٩٨م، ص٥٦.

اللهو التى عاشها الخلفاء لأن ((من آثر اللهو ضاعت رعيته، ومن داوم السكر فسدت رويته، ومن قصر عن سياسة نفسه كان عن سياسة غيره أقصر))[1].

ولقد كانت أحوال المشرق الإسلامى مع الغزو المغولى فى غاية السوء ومما زاد الطين بلة أن آسيا الإسلامية لم يوجد بها وقتذاك قوة تستطيع مواجهة مثل ذلك الغزو العنيف الذى قاده جنكيزخان وأولاده وأحفاده؛ فالخلافة العباسية تسير فى الاضمحلال ودولة السلاجقة فى بغداد تبدو كأنها أثر بعد عين، أما عن غرب بغداد فتوجد دولة سلاجقة الروم بآسيا الصغرى وهى الأخرى آخذة فى الضعف والتدهور ثم الدولة المملوكية الناشئة بمصر والشام وكيانها لا يزال فى كفة الميزان، هذا بجانب الدولة الخوارزمية[2] وغيرها من القوى الإسلامية الأخرى المستقلة والمنفصلة عن بعضها.

وأصبحت حالة القوى الإسلامية تنذر بالسقوط، وإمكانية السيطرة عليها من أية قوة خارجية وشيكة الحدوث ، لتفرغ قوى الإسلام للتصارع على أتفه الأسباب، رغم أنهم يمتلكون أخصب أقاليم الأرض وأفضلها منزلة وأنزهها وأكثرها خيرًا ، فغلب عليهم الضعف والتخاذل ، وسادت الفتن والدسائس وسيطر على حكام المسلمين التنازع والتخاصم والتباغض وأضحوا يؤثرون مصالحهم الشخصية على مصالح رعيتهم وشئون بلادهم[3].

---

(١) القلعى (الإمام أبى عبدالله محمد بن على القلعى) ت ٦٣٠هـ: تهذيب الرياسة وترتيب السياسة، تحقيق إبراهيم يوسف مصطفى، الطبعة الأولى، مكتبة المنار، الزرقا، الأردن، ١٩٨٥م، ص١٣٠.

(٢) أحمد مختار العبادى: الأيوبى والمملوكى، ص١٣٧؛ إسماعيل الخالدى: العالم الإسلامى، ص٤٧.

(٣) جوانفيل: القديس لويس، ص١٧؛ ابن حوقل: صورة الأرض، ص٣٨٤.

وقد كانت أهم الدول التى تمثل الشرق الإسلامى آنذاك موزعة فى نطاقها الجغرافى بين إيران والعراق والشام ومصر، ونجحت هذه الدول فى تحقيق الاستقلال عن الخلافة العباسية بسبب حالة الضعف والتردى التى أصابت تلك الخلافة حتى أضحت لا حول لها ولا قوة[1]

السلاجقة (٤٢٩ - ٥٩٠هـ/ ١٠٣٨ - ١١٩٤م.) يرجع أصل السلاجقة إلى القبائل التركية المعروفة بالأغوز التى كونت إمبراطورية فى القرن السادس للميلاد تمتد من الصين إلى البحر الأسود وتعرضوا لبعض الهجمات من قِبل الصينيين وعرفوا بلاد الإسلام عن طريق التجارة واعتنقوا الديانة الإسلامية وترجع تسميتهم بالسلاجقة إلى جدهم سلجوق بن دقماق[2].

وبلغت الدولة السلجوقية أقصى اتساعها فى عهد السلطان ملكشاه السلجوقى (٤٦٥ - ٤٨٥هـ/ ١٠٧٣ - ١٠٩٢م) وتمتعت دولة السلاجقة بوحدة لم تعرفها الدولة العباسية منذ نشأتها سواء سلاجقة العراق وفارس أم سلاجقة كرمان (٤٣٣ - ٥٨٢هـ/ ١٠٤١ - ١١٨٦م) حتى سلاجقة الروم فى الأناضول (٤٧٠ - ٧٠٧هـ/ ١٠٧٧ - ١٣٠٧م) عرف عن الجميع القوة والتماسك وشدة البأس[3] .

---

(١) المقدسى البلخى (أبى زيد أحمد بن سهل المقدسى) ٥٠٧هـ: البدء والتاريخ، المجلد الثانى، جـ٦، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ت، ص١٢٤؛ فؤاد الصياد: المغول فى التاريخ، ص٦١.

(٢) ابن فضل الله العمرى (أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يحيى) ت ٧٤٢هـ/ ١٣٤١م: مسالك الأبصار وممالك الأمصار، تحقيق كلاس شيى قيسبادن، ١٩٦٨م، ص٣٩.

(٣) كليفور أ. بوزورث: الأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامى، ترجمة حسين على اللبودى، مراجعة سليمان إبراهيم العسكرى، الطبعة الثانية، عين للدراسات الإنسانية، القاهرة، ١٩٩٥م، ص١٦٥- ١٨٥.

ولكن الأحوال تبدلت بعد وفاة ملكشاه عام ٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م وبدأ الضعف يعرف طريقه إلى السلاجقة لأنهم اهتموا بالحرب والتوسع الخارجى دون وضع دستور اجتماعى ينظم حياتهم ويحكمهم ولم يضعوا نظامًا لوراثة العرش بجانب صراعاتهم الداخلية[١] ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل تعدى إلى قتل وزرائهم وتهديد سلاطينهم من قبل الفدائيين الإسماعيلية ولم يتمكنوا من الدفاع عن أنفسهم أو حماية وزرائهم[٢].

وآل الأمر فى نهايته إلى أن استقلت كل فرقة تربطها وحدة لغة وعادات وتقاليد عن الأخرى فظهر ما يغلب عليه المسحة الفارسية القديمة، وما لديه طابع عربى، وحتى إبان عهد ألب أرسلان (٤٥١هـ/ ١٠٥٩م) وما عرف عنه من قوة غير أن إلغاءه نظام البريد قلل من اتصالات الدولة بحاكمها وساعد على ازدياد الأمور سوءًا[٣] ثم أعقب ذلك ازدياد فى نفوذ الأتابكة[٤] وضعف دولة السلاجقة.

---

(١) حافظ أحمد حمدى: الشرق الإسلامى، ص٨٧.

(٢) عماد الدين الأصفهانى (أبو عبدالله محمد بن الفتح على) ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠١م: تاريخ دولة آل سلجوق، بولاق، القاهرة، ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م، ص٦٣.

(٣) نفسه، ص٦٢.

(٤) الأتابك: كلمة تتكون من مقطعين وهما ((آتا)) ومعناها أب و ((بك)) ومعناها أمير، وانتشر هذا النظام فى دولة السلاجقة ولفظ الأتابك معنا ((الأمير الوالد)) أو ((أبو الأمير)) ويرجع الأصل فى ذلك إلى أن سلاطين السلاجقة كانوا يعهدون فى تربية الأمراء من أبنائهم إلى المقربين منهم من الأتراك الذين ترعرعوا فى كنفهم فإذا ما عين سلطان ابنًا من أبنائه على مدينة ذهب معه هذا التركى الوالد الذى رباه ليعاون هذا الأمير فى الحكم ويسدى له النصائح وبعد فترات الضعف حل الأتابكة محل السلاجقة وصاروا يحكمون لمزيد من التفاصيل راجع. حافظ أحمد حمدى: الشرق الإسلامى، ص٨٩ إلى ص٩١.

وكذلك قامت الدولة الخوارزمية فى إيران وكانت من أقوى الكيانات الإسلامية عشية الغزو المغولى لبلاد المشرق الإسلامى وهذه الدولة تنسب إلى مؤسسها توشتكين[١]، وكان السلاجقة يعينون على إقليم خوارزم حكامًا من قبلهم وفي عهد ملك شاه السلجوقى (٤٦٥ – ٤٨٥هـ/ ١٠٧٢ – ١٠٩٢م) كان الوالى عليها مملوكًا تركيًا يدعى توشتكين الذى أستقل بخوارزم ولم يُبق للسلاجقة إلاَ التبعية الاسمية وحصل على لقب خوارزم شاه عام ٤٩٠هـ/ ١٠٩٦م وأصبح خلفاؤه حكامًا بالوراثة واتخذوا أيضًا لنفسهم لقب خوارزم شاه[٢] ومن أبرز حكام هذه الدولة السلطان علاء الدين تكش (٥٦٨ – ٥٩٦هـ/ ١١٧٢ – ١١٩٩م) ولما اعتلى عرش الخوارزميين سنحت له الفرصة أن يوطد دعائم ملكه، ويتوسع ويضم أراضى جديدة إلى دولته على حساب طغرلبك الثالث آخر السلاطين السلاجقة فى العراق، خاصةً أن الخليفة العباسى الناصر لدين الله (٥٧٥ – ٦٢٢هـ/ ١١٧٩ – ١٢٢٥م)، أراد أن يعيد هيبة الخلفاء العباسيين فاستنجد به للقضاء نهائيًا على السلاجقة ووعده أن يقطعه ما بيده من البلاد إذا أنجز هذا الأمر وقد تحقق له ما أراد[٣].

---

(١) توشتكين: كان فى أول أمره عبدًا اشتراه أحد أمراء السلاجقة من غرجستان ثم شغل منصب الطشت دار وكان أحد الموظفين الذين يعملون فى الطشت خانة وهو المكان الذى تغسل فيه الأقمشة وكان يحوى ملابس السلطان وأسرته وكذا المقاعد والمخاد والسجاد الذى يجلس ويصلى عليه وعرف بعض الصبيان الذين يعملون فى هذا المكان بالطشت دارية وظل توشتكين يترقى حتى صار حاكمًا على خوارزم، لمزيد من التفاصيل راجع. كليفور أ. بوزورث: الأسرات الحاكمة، ص١٥٩.

(٢) النويرى: نهاية الأرب، جـ٢٧، ص١٣٧؛ عصام الدين عبدالرؤوف الفقى: تاريخ الإسلام وحضارت، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ص٣٢١.

(٣) حافظ أحمد حمدى : الدولة الخوارزمية والمغول (غزو جنكيزخان للعالم الإسلامى وآثاره السياسية والدينية والثقافية)، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٤٩م، ص٢٤.

وعندما اعتلى علاء الدين محمد خوارزم شاه عرش الخوارزمية عام ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م حقق نجاحات عديدة فى مجال التوسعات الخارجية حيث احتل معظم إقليم ما وراء النهر، وأقاليم الدولة الغورية (فى خراسان وأفغانستان)، واعترف بهم القفجاق وأسهموا فى تدمير الخطا، واكتملت أعمالهم بإنشاء أسرة مستقلة فى كرمان استمرت بعد الغزو المغولى تدين بالتبعية للمغول حتى القرن الرابع عشر الميلادى[١].

ويرجع الفضل فى تحقيق كل هذه الانتصارات إلى قوة الخوارزميين فى تلك الآونة هذا بجانب جهود علاء الدين محمد خوارزم شاه وما اشتهر به من الدراية العسكرية وحسن التدبير والمهارة والكفاءة الحربية هذا بجانب ما عرف عنه من حبه للأدب فهو يعد أديبًا[٢] وقد كانت لديه رغبة في التوسعات الخارجية هذا إلى جانب مطامعه فى بغداد وأملاك الخلافة العباسية فحاول الخليفة العباسي الناصر لدين الله (٥٧٥ – ٦٢٢هـ/ ١١٧٩ – ١٢٢٥م) التصدى له ودخل معهُ فى عدة معارك حقق علاء الدين فى معظمها انتصارات مهمة، مثل هزيمة سعد بن زنكى فى العراق العجمى ٦١٤هـ/ ١٢١٧م، وأوزبك بن البهلون أتابك أذربيجان الذى جاء بتحريض من الخليفة العباسى[٣].

---

(١) السيد الباز العرينى: مرجع سابق، مرجع سابق، ص٨٣.

(٢) أبو الفدا (عماد الدين إسماعيل بن على بن محمود صاحب حماه) ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣٢م: المختصر فى أخبار البشر، جـ٢، الطبعة الأولى، المطبعة الحسينية المصرية، القاهرة، ١٩٠٧م، ص٢٠٩.

(3) Jack Weather: Genghis Khan and The Making of Modern World, New York, 2005, p. 85;

- فؤاد الصياد: المغول فى التاريخ، ص٧٠- ٧٢.

توجه بعد ذلك علاء الدين إلى همذان ومنها قصد بغداد وذلك إبان فصل الخريف ٦١٥هـ/ ١٢١٧م وفى طريقه هبت عواصف ثلجية شديدة، فأهلك البرد كثيرًا من جنوده وعتاده ودوابه وتعرض الجنود الباقون لغارات الأتراك الأكراد وهكذا كانت ثورة الطبيعة سببًا فى تشتيت شمل الجيوش الخوارزمية وأخيرًا وجد السلطان علاء الدين نفسه مضطرًا إلى العودة إلى بلاده فى نفر ضئيل هم البقية الباقية ممن كتب لهم النجاة من جنوده[١].

ومهما يكن من أمر فقد أدى النزاع بين الخوارزميين والعباسيين إلى استنزاف القوى فى كلتا الدولتين هذا بجانب القضاء على دولة القراخطائيين وهم قبائل الخطا النازحين من شمال الصين فى القرن السادس الهجرى واستولوا على مناطق عديدة فيما وراء النهر[٢] وكان فى القضاء عليهم خطأ كبير لأنهم بذلك قضوا على الحاجز الذى يحجزهم عن بلاد المغول ولم يعد يحول بينهم وبين المغول حائل وبدأ الضعف يتطرق إلى الخوارزميين ويزداد لدى العباسيين مما سهل الأمر على المغول فى اكتساحهم فيما بعد ذلك[٣] وكان هناك كيان آخر من الكيانات الإسلامية وهم الإسماعيلية.

الإسماعيلية : (٤٨٣ – ٦٥٣هـ/ ١٠٩٠ – ١٢٥٦م) فى فارس (٤٩٣ – ٦٧١هـ/ ١١٠٠ – ١٢٧٣م) فى سوريا: وهى طائفة تتمذهب بالمذهب الشيعى وتقوم فى الشمال الغربى بالنسبة للدولة الخوارزمية وتسكن إيران وسميت الإسماعيلية نسبة إلى إمامهم إسماعيل بن جعفر

---

(١) فؤاد الصياد: المغول فى التاريخ، ص٧٣.

(2) Jack Weather: OP.Cit., p.86; Jing Wei: 100 Question About Tibet, p.8.

(٣) السمرقندى: جهار مقالة، ص١٠٨؛ السيد الباز العرينى: مرجع سابق، ص٨٤.

الصادق[١] ولجأ الأئمة الإسماعيلية إلى التخفى (سياسة التقية والستر)، حتى لا يتعرضوا لبطش بنى العباس وكانوا يرسلون دعاتهم سرًا إلى البلاد الإسلامية ونجحت الدعوة الإسماعيلية وظهر المهدى المنتظر فى إفريقية على حسب زعمهم وهو عبدالله بن المهدى الذى أسس الدولة الفاطمية عام ٢٩٦هـ/ ٩٠٨م[٢] وانتقل أحد هؤلاء الأئمة إلى مصر عام ٣٦٣هـ/ ٩٧٣م وهو المعز لدين الله الفاطمى ونقل حاضرة دولته إلى المدينة الجديدة القاهرة وبذلك دخل تاريخ الإسماعيلية دورًا جديدًا، وهو دور الظهور والجهر بالأفكار والآراء التى يتضمنها المذهب الإسماعيلى[٣].

وقد زاد هذا الاستقلال من ضعف وهزال الخلافة العباسية[٤] وعلى هذا النحو ظل الفاطميون يتزعمون الحزب الإسماعيلى حتى عهد الخليفة المستنصر الفاطمى (٤٢٧ - ٤٨٧هـ/ ١٠٣٥ - ١٠٩٤م) وقد أوصى بأن يكون ابنه الأكبر نزار وليًا لعهده غير أنه بعد وفاته تقرر خلعه وتولية أخيه المستعلى عرش الخلافة الفاطمية مما أحدث انقسامًا بين طائفة تؤيد نزارًا وأخرى مع المستعلى وكان مؤيدو نزار منتشرين فى إيران ونجحوا فى أن يمدوا نفوذهم إلى ما وراء بلاد الشام وآلت إليهم زعامة الحركة الإسماعيلية فى مختلف الأقطار الإسلامية بعد سقوط الدولة الفاطمية سنة ٥٦٧هـ/ ١١٧١م ويعتبر الحسن بن الصباح مؤسس هذه الفرقة فى إيران[٥].

---

(1) David. J: Islam and Islamic Art in Arabia and the Middle East (The Mongols and Mamluks), 1999, p.7;

- حافظ أحمد حمدى: الشرق الإسلامى قبيل الغزو المغولى، ص٦٥.

(٢) عصام الفقى: دول مستقلة، ص١٩١.

(٣) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ٤، ص١٠٨- ١٠٩.

(٤) المقدسى البلخى: البدء والتاريخ، جـ٦، ص١٢٤.

(٥) فؤاد عبدالمعطى الصياد: المغول فى التاريخ، ص٧٧- ٧٨.

ولقد اشتهر الإسماعيلية بأنهم قوم أهل حـــرب أقويـــاء وأشـــداء قاوموا سلاطين السلاجقة واهتزت بسببهم السلطنة والخلافة، فلا غرو أن كان العداء بينهم وبين سائر المسلمين خاصة بعدما ظهرت لـــديهم فرقـــة الفدائيين، وكان دورها يتركز فى أنه إذا ظهر حاكم قـــوى فـــى الـــبلاد الإسلامية المجاورة أسرع الفدائيون إلى اغتياله حتى يأمنوا جانبه[١] وكان الإسماعيلية بذلك بمثابة السوس الذى ينخر فى عظام الدولـــة الإســـلامية ويزيد من ضعف الكيانات الإسلامية السنية ويعلو فى المقابـــل أنـــصار مذهب الشيعة..

وظلت قوة الإسماعيلية فى ازدياد مستمر وارتفع شأنها مما أحدث فزعًا فى قلوب حكام الدولة الخوارزمية والسلجوقية بل تعدى الأمر لأكثر من ذلك حيث راسل جلال الدين حـــسن (٦٠٧ – ٦١٨هـــ/ ١٢١٠ – ١٢٢١م) زعيم الإسماعيلية جنكيزخان بقصد التقرب إليه وحثـــه علـــى مناهضة ومهاجمة الدولة الخوارزمية[٢].

وقد عجزت القوى الإسلامية عن القضاء على جماعة الإسماعيلية وازداد الأمر سوءًا حينما رأينا سنجر السلجوقى يتـــرك سياســـة الجهـــاد ضدهم، ويعمل على استمالتهم والتودد لهم وذلك خشية بأســـهم وتجنبًـــا لشرهم، والأدهى والأمر من كل هذا أن سلاطين الـــسلاجقة مـــن جهـــة والخلفاء العباسيين من جهة أخرى تسابقوا فى خطبة ود هذه الجماعـــة، واستعانوا بهم للخلاص من الأشخاص المعادين لهم، مع أن أولئك يعلمون تمام العلم أن الإسماعيلية هم ألد أعدائهم[٣].

---

(١) نفسه، ص٨١- ٨٢.

(2) Brets Schneider: Medieval Researches from Eastern Asiatic Sources, London, 1887, p.116.

(٣) عصام الفقي: دول مستقلة، ص١٩٥- ١٩٦؛ فؤاد عبدالمعطى الصياد: المغـــول فى التاريخ، ص٨٥.

هكذا أصبحت طائفة الإسماعيلية عاملاً فعالاً من عوامل ضعف وفرقة وانقسام وتدهور العالم الإسلامى ومهدت الطريق أمام جحافل الجيوش المغولية لكى تهاجم بلاد الإسلام حيث كان حكام المسلمين يشوبهم العجز والاستسلام.

الأيوبيون فى الشام ومصر:- (٥٦٤ - ٦٤٨هـ/ ١١٦٩ - ١٢٥٠م) تعد وحدة الصف هى الدعامة فى الرئيسية مجال الحروب والاستراتيجيات العسكرية ((ولو أن أمور الحرب تصلحها الشركة لما عز علينا أن يكون هناك كثير من المشاركين، ولا ساعنا أن تكون الدنيا كثيرة المالكين وإنما أمور الحرب لا تحتمل فى التدبير إلا الوحدة فإذا صح التدبير، لم يحتمل فى اللقاء إلا العدة))[١].

لقد أيقن صلاح الدين هذا الأمر فوحد جبهته ووسع ممتلكات دولته حتى أصبحت تمتد من برقة غربًا إلى الفرات شرقًا، ومن الموصل وحلب شمالاً إلى النوبة واليمن جنوبًا[٢] وفى ظل هذه الوحدة الوطيدة وبهذه الروح القوية الوثابة استطاع صلاح الدين أن يحرز نصرًا مؤزرًا على أعدائه الصليبيين فى موقعة حطين سنة ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م وعندما ((وضعت الحرب أوزارها أمر السلطان بضرب مخيم عظيم وجلس فيه على سرير المملكة، وعن يمينه أسرة، وعن يساره مثلها، وجىء بالأسارى تتهادى قيودها فأمر بضرب أعناق جماعة من مقدمى الداوية))[٣].

---

(١) أبو شامة (عبدالرحمن بن إسماعيل بن شهاب الدين الدمشقى) ت ٦٦٥هـ/ ١٢٦٧م الروضتين فى أخبار الدولتين النورية والصلاحية، جـ٢، القاهرة، ١٢٨٧هـ، ص٤٨.

(٢) أحمد مختار العبادى: قيام دولة المماليك الأولى فى مصر والشام، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٨م، ص٨٥.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٢، ص٧٠٧.

ولقد توفى صلاح الدين عام ٥٨٩هـ/ ١١٩٣م وأدت وفاته إلى وقوع منازعات بين أبناء البيت الأيوبى مما أضعف المقاومة الإسلامية بوجه عام وانتهز ملك قبرص عمورى لوزجنان هذه الفرصة وهاجم بيروت واستولى عليها عام ٥٩٣هـ/ ١١٩٧م دون مقاومة من صاحبها عزالدين أسامة[١].

ولقد انتهز العادل (٥٩٦ – ٦١٥هـ/ ١١٩٩ – ١٢١٨م) الفرصة وحاول أن يجمع الشتات تحت إمرته فلم يتردد فى فرض سلطانه على مصر إلى جانب أملاكه فى الشام وهكذا لم يمض على وفاة صلاح الدين سوى سبع سنوات حتى أقام العادل دولة موحدة وقضى على خلافات أبناء صلاح الدين[٢] وهذا الأمر لم يستمر طويلاً بل انقسمت الدولة من جديد إلى سبعة أقسام رئيسة استقل بعضها استقلالاً تامًا عن مصر وخضع لها الآخر خضوعًا اسميًا ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل استعان بعضهم بالصليبيين على أعدائهم من أفراد أسرتهم الأيوبية.

وظلت الأمور بداخل البيت الأيوبى تسير من سيئ إلى أسوأ رغم محاولات السلطان الكامل محمد (٦١٥ – ٦٣٥هـ/ ١٢١٨ – ١٢٣٨م) ومن بعده السلطان الصالح أيوب (٦٣٧ – ٦٤٧هـ/ ١٢٤٠ – ١٢٤٩م) رأب الصدع ولم الشمل ولكن الصراعات الداخلية والحروب الصليبية

---

(١) وأحدث هذا استياء لدى الكثيرين مما دعا أحد الشعراء المعاصرين إلى إنشاد هذه الأبيات:

سلم الحصن ما عليك ملامة ... ما يلام الذى يروم السلامة

فعطاء الحصون من غير حرب ... سنة سنها بيروت أسامة

راجع : أحمد مختار العبادى: الأيوبى والمملوكى، ص٧٢.

(٢) أحمد مختار العبادى: قيام دولة المماليك الأولى، ص٨٨.

أنهكت قوة هذه الدولة الأيوبية[1] كما لو كان مقدرًا لهذه الكيانات الإسلامية أن يكون بأسهم بينهم شديدًا.

ولم يلبث النزاع أن دب بين المماليك وتوران شاه الأيوبى الذى أراد أن يحل أتباعه ومماليكه القادمين معه من الجزيرة مكان المماليك الصالحية وانحازت شجرة الدر[2] إلى المماليك الصالحية ولقى توران شاه مصرعه صباح يوم الاثنين الموافق ٢٧ محرم سنة ٦٤٨هـ/ ٢ مايو سنة ١٢٥٠م، وبذلك سقطت الدولة الأيوبية، وقامت على أنقاضها دولة تلاميذهم ومواليهم المماليك[3] .

هذه هى أهم الدول التى كانت تقوم فى الشرق الإسلامى قبيل غزوات المغول ووجدت تحت راية الخلافة العباسية التى عانت كثيرًا من الاحتضار فهم تركوا الجهاد وتفرغوا للشقاق والنزاع والصراعات والانقسامات[4] ولكن اللافت للنظر أن خلفاء الدولة العباسية وحكام

---

(١) حافظ أحمد حمدى: الشرق الإسلامى، ص١١٩- ١٢٠؛
- Jing Wei: Op.Cit., p.10; Brets Chnider: Op.Cit., p.116.

(٢) شجر الدر: انتهت حياتها بالقتل على أيدى الجوارى وكان من المحتمل إنقاذ شجرة الدر من الموت فى ذلك الوقت نظرًا لحماية البحرية لها ولخدماتها الجليلة التى لا تنسى لولا أنها جلبت على نفسها حقد إمرأة المعز الأولى وأم ولده التى حرضت الجوارى على ضربها بالقباقيب حتى ماتت وألقوها من سور القلعة إلى الخندق وذلك عام ٦٥٥هـ/ ١٢٥٧م ، راجع أحمد مختار العبادى : الأيوبى والمملوكى، ص١٣٣، ١٣٤.

(٣) السيد الباز العرينى: مرجع سابق، ص٩٥؛
- Joosvan Ghistele: Voyage en Egypte, Préaux, pp.30- 34.

(٤) ((الجهاد ذروة سنام الإسلام وقبته ومنازل أهله أعلى المنازل فى الجنة كما لهم الرفعة فى الدنيا فهم الأعلون فى الدنيا والآخرة فيجب على كل مسلم أن يجاهد فى الله بالقلب والجنان والدعوة والبيان والسيف والسنان)). راجع ابن قيم الجوزية (الإمام شمس الدين محمد بن أبى بكر) ت ٦٩١ – ٧٥١هـ: زاد المعاد فى هدى خير العباد، ٤ أجزاء، جـ٢، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص٥٥.

الكيانات الإسلامية المستقلة فى تلك الآونة كانوا ضعفاء ومنشغلين ((وغلب على الخلفاء الضعف والبخل والانشغال بالمال))[١] بجانب انتشار فرق الزندقة وحركات الصوفية، الذين خرجوا عن العكوف للعبادة والانقطاع لله إلى التواكل والتمسح بالشيوخ[٢] وبات من المؤكد أن أى هجوم على هذه البلاد سيكشف سترها ويقطع أوصالها ولن تصمد كثيرًا، حتى الدولة الخوارزمية التى كانت تعد أقوى الدول الإسلامية آنذاك كانت تحمل بداخلها عوامل الضعف من تدخل النساء فى الحكم بجانب افتقاد حكامها للرؤية السياسية المستقبلية والدخول فى تحالفات ولكن شغلهم الصراعات والانقسامات الداخلية.

وعلى ضوء ما سبق يصبح أمر سقوط العالم الإسلامى شيئًا حتميًا ومتوقعًا لما كان عليه الحكام من فساد، والرعية من انشغال؛ فالحالة العامة متردية وليس هناك حاكم قوى يستطيع أن يجمع الشتات ويوحد الممالك الإسلامية لذا وجد المغول ضالتهم فى العالم الإسلامى وبات من المؤكد أنه ليس هناك من يقوى على صد السيل الجارف لهجمات المغول البربرية.

كل هذه الأسباب مجتمعة بالإضافة إلى توتر وفساد العلاقة بين جنكيزخان والدولة الخوارزمية كانت مدعاة لمهاجمة جيوش المغول للمشرق الإسلامى.

---

(١) الأزدى (جمال الدين أبو الحسن على منصور ظافر بن حسين) ت ٦١٣هـ/١٢١٦م: أخبار الذول المنقطعة، تحقيق عصام هزايمة، محمد محافظة، جـ٢، مؤسسة حماد، الأردن، ١٩٩٩م، ص٣٦٢.

(٢) محمود إسماعيل: دراسات فى الفكر الإسلامى، الطبعة الأولى، دار سينا للنشر، القاهرة، ١٩٩٤م، ص٧٣؛ عبدالقادر طليمات: مظفر الدين كوكبورى أمير أربل، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة، ١٩٦٣م، ص٢٠٣- ٢٠٤.

٤- حملات المغول للاستيلاء على المشرق الإسلامي:-

كانت العلاقات بين الدولة الخوارزمية والمغول سلمية خاصةً أن جنكيزخان بعد اتساع ملكه وفرض هيبته على القاصي والداني أراد أن يمضي باقي عمره في الراحة والدعة وأن يسالم من حوله من الملوك ويلتفت إلى تعمير ملكه ورفاهية رعيته وخصوصًا بعدما أصبح الخان الأعظم بتغلبه على جميع منافسيه[١].

وقد عقد جنكيزخان مع علاء الدين محمد خوارزم شاه معاهدة ومهادنة في عام ٦١٢هـ/ ١٢١٥م من خلال رسل أرسلهم إلى علاء الدين محمد وهم ((محمود يلواج الخوارزمي، علي خواجه البخاري، يوسف الأتراري)) وكان هدف هذه المعاهدة تأمين التجارة بين شرق آسيا وغربها وتوسيع نطاقها[٢] لأن ((التجارة من أفضل الأنشطة وأسعد للناسِ لما تدره من دخل يرفع مستوى المعيشة))[٣].

وبعد ثلاثِ سنوات من المعاهدة قدم عديدٌ من التجار أرسلهم جنكيزخان إلى أترار[٤] وهي ثغر يجاور بلاد جنكيزخان وفيها والٍ من قبل علاء الدين محمد خوارزم اسمه ((أينالجق)) له صلة قرابة من علاء الدين محمد خوارزم شاه حيث إنه ابن خال السلطان وبعد توليه الولاية

---

(١) الغزي الحلبي: نهر الذهب، ص١١٢؛ ابن خلدون: تاريخ بن خلدون، جـ٥، ص٥١١.

(٢) المنشي النسوي: جلال الدين، ص٨٥.

(٣) الدمشقي: الإشارة إلى محاسن التجارة، ص٤٧.

(٤) مدينة أترار: تقع هذه المدينة عند معبر نهر سيحون وكانت تعرف قديمًا باسم (بباراب أفاراب) وفيها لقي تيمورلنك حتفه عام ٨٠٧هـ/ ١٤٠٥م، وهي مدينة كبيرة محصنة بها جامع وأسواق وأرضها سبخه كثيرة الخيرات وبعدما خربها المغول وسقطت في أيديهم سعوا لتجديدها والاهتمام بها. راجع: كي لسترانج، بلدان الخلافة، ص٥٢٨.

أطلق عليه ((ينال خان)) فعندما رأى ما عليه التجار من مالٍ وخيرات فشرهت نفسه الدنيئة إلى الغدر بهم والتخلص منهم للحصول على خيراتهم[١] وهؤلاء التجار هم (عمر خواجه الأتراري، الجمال المراغي، فخر الدين البخاري، أمين الدين الهروي) ومعهم قرابة أربعمائة وخمسين وقيل خمسمائة آخرون[٢]، فراسل ينال خان مولاه محمدًا خوارزم شاه يقول له:- ((إن هؤلاء القوم جاءوا إلى أترار في زي التجار وهم أصحاب أخبار وجواسيس فيجب قتلهم اتقاءً لشرهم[٣] فأرسل إليه السلطان يأمره بقتلهم، فنفذ ينال فيهم القتل واستولى على أموالهم وكل ما كان معهم))[٤].

وقد أورد الحلبي عدة أمور بشأن جنكيزخان منها أنه لم يرد الدخول مع المسلمين في حرب أو قتال لحبه للمسلمين وتعظيم شعائر الدين الإسلامي، وأن سبب قتل التجار يعود إلى ينال خان الذي غضب من ذكر التجار اسمه القديم (أينالجق) بجانب طمعه في أموالهم، وقال:- إن جنكيزخان طلب من قاضي القضاة في بخاري أن يرسل إليه من يعلمه الشريعة الإسلامية فآمن بالشهادتين والصلاة والصوم والحج والزكاة إلا أنه لما ذكرت له الكعبة باسم بيت الله قال الدنيا بيت الله وليس الكعبة، ولمّا رجعوا على "صدر جهان" قاضي القضاة وأخبروه بما حدث حكم بإسلامه[٥].

---

(١) النويري: نهاية الأرب، جـ٢٧، ص٢٣٩- ٢٤٠؛
- D'ohsson: Histoire des Mongoles, T I, Amsterdam, 1892, p.201.

(٢) قاسم عبده قاسم: سلاطين المماليك، ص٥٥؛
- Harold Lamb: Genghis Khan, Op.Cit., p.117.

(٣) المنشي النسوي: مصدر سابق، ص٨٥؛ عفاف السيد صبرة: التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية، ص١٦٢.

(٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ٧، ص٥٧٢؛ ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٣، ص٨٠.

(٥) الغزي الحلبي: نهر الذهب، ص١١٣- ١١٤.

والرواية التى ذكرها الحلبى الخاصة بإسلام جنكيزخان فى رأى قاضى القضاة، جانبها الصواب، ودلالة ذلك أنه لم يرد ذكر إسلام جنكيزخان لدى المؤرخين المعاصرين سواءً أكانوا رحالة أوروبيين أم عربًا أم فرسا، هذا بجانب ما فعله من قتل وتشريد وحرق للمصاحف وتدنيس للمساجد، وكل ذلك له دلالته على بعده عن الإسلام، ثم إنه ليس هناك خلاف لدى المسلمين أن الكعبة وغيرها كلها بيوت الله ((لله المشرق والمغرب)) فكيف بمن ذهب لكى يعلمه الشريعة ، ولماذا لم يقنعه بذلك مادام أنه يرى أن الدنيا بيت الله. الأمر الثانى الذى أورده الحلبى أن ينال خان قتل التجار لأنهم ذكروه باسمه القديم وهذا أمر غير مقبول أن يقتل شخص ما يربو عن خمسمائة فرد لكونهم نادوه باسم هو كاره له، ولم تذكر المصادر أن فى هذا الاسم قبحًا أو سبًا ولكن دافعا الطمع والجشع هما اللذان حركا ينال خان لقتل التجار.

فلما أن علم جنكيزخان بمقتل التجار أرسل إلى السلطان محمد خوارزم شاه رسالة طلب فيها إرسال ((ينال خان)) إليه حتى يقتص منه، على فعلته الشنعاء وقتله للتجار[1] وحمل هذه الرسالة أبو كفرج بغرا وكان معه شخصان آخران من التتار وقالوا: أيضًا للسلطان محمد خوارزم شاه إنهم رسل جنكيزخان وجاءوا من أجل إخبار السلطان أن جنكيزخان ((جهز التجار إلى الجهات الغربية والولايات الإسلامية ببضائع من أمتعة الخطا والصين، فى صفة التجار، ليتعاملوا فى هذه

---

(١) القزوينى (حمد الله المستوفى القزوينى) ت ٧٥٠هـ/ ١٢٤٩م: تاريخ كزيده التاريخ المختار، دراسة، وتعليق وترجمة محمود محروس قشطة، رسالة ماجستير غير منشورة، آداب عين شمس، ١٩٦٨م، ص٢٠١؛ الكتبى: فوات الوفيات، ص١٣٩؛ المدائنى: حملات الغزو المغولى، ص٢٥.

الديار وتنفتح المسالك على السالك وتنقل إليهم بضائع هذه الممالك والولايات، وتكثر المعاملات وتتحد الممالك والولايات))[1] فلماذا أقدم ينال خان على قتلهم؟، لذا فإنك ((قد أعطيت خطك ويدك بالأمان للتجار وألاّ تتعرض إلى أحد منهم فغدرت ونكثت، والغدر قبيح ومن سلطان الإسلام أقبح، فإن كنت تزعم أن الذى ارتكبه ينال خان كان غير أمر صدر منك فسلمّ ينال خان إليَّ لأجازيه على ما فعل، حقنًا للدماء وتسكينًا للدهماء وإلا فأذن بحرب ترخص فيها غوالى الأرواح وتتعضد معها عوامل الرماح))[2].

ولقد جاء رد فعل السلطان محمد خوارزم شاه أشد قسوة من فعلة ((ينال خان)) حيث كان يصعب عليه تسليم ينال خان لأن أغلب قادة الجيش من أقاربه وأتباعه بل لم يكتف بذلك فأمر بقتل رسل جنكيزخان بعد إهانتهم[3]؛ فكان ذلك بمثابة انطلاق إشارة البدء لجحافل المغول لاجتياح العالم الإسلامى.

نخلص مما سبق إلى شيء مهم؛ وهو أن محمدًا خوارزم شاه افتقد الدبلوماسية فى التعامل مع الأمر من بدايته إلى نهايته فلم يكن لديه بعد نظر ولا يعلم ما وصل إليه المغول من قوة، ولم يحاول اللجوء إلى الحلول السلمية وتقديم الترضية، وفى ظنى أن هذا كان سيؤخر الهجوم على العالم الإسلامى فقط لأن الهجوم كان آتيًا لا محالة لعدة أسباب:

---

(١) ابن عرب شاه: فاكهة الخلفاء، ص٥٨٨؛ عباس إقبال: تاريخ عمومى إيران، براى سال بيجم دينبير ستانها، أستاد ومانكشاه، تهران، ١٣١٩، ص٧٢؛ قاسم عبده قاسم: سلاطين المماليك، ص٥٥.

(٢) المنشى النسوى: مصدر سابق، ص٨٧.

(٣) القزوينى: كَزيده التاريخ المختار، ص٢٠٠؛ المنشى النسوى: مصدر سابق، ص٨٧.

أ - ما وصل إليه جنكيزخان وإمبراطوريته من قوة داخلية وخارجية وامتلاكه جيشًا قويًا يحقق له طموحاته وأحلامه.

ب - سياسته التوسعية على حساب البلدان المجاورة له.

جـ- بعد القضاء على كوچلك خان أصبحت الدولة المغولية مجاورة للخوارزمية فكان الاحتكاك آتيًا لا مفر منه.

د - حالة الضعف والوهن التى كان عليها العالم الإسلامى، وعلم جنكيزخان بهذه الأحوال، فقد اشتغل المسلمون بأمور الدنيا والفتن، وفى صحيح البخارى: ((عن عمرو بن عوف أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: والله ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم كما بسطت على من كان قبلكم فتتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم))(١) وهذا ما حدث بالفعل، ووصف هذه الأحوال أحد الشعراء(٢).

هـ- أيضًا ما كان يعتقده المغول من المبررات لغزو الدولة الخوارزمية وغيرها من الدول والممالك فى آسيا وأوروبا وأهم تلك المبررات زعمهم أن زعيمهم مفوض من السماء لحكم العالم شرقه وغربه

---

(١) الحنبلى (الحافظ بن رجب الحنبلى) ت ٧٩٥هـ: كشف الكربة فى وصف حال أهل الغربة، تحقيق ودراسة يسرى عبدالغنى البشرى، مكتبة القرآن، القاهرة، ت، ص٤٤- ٤٥.

(٢) رأيت الدهر يرفع كل وغدٍ ... ويخفض كل ذى شيمٍ شريفة
كمثل البحر يغرق كل درٍ ... ولا ينفك تطفو فيه جيفة
وكالميزان يخفض كلِ وافٍ ... ويرفع كل ذى زنةٍ خفيفة

راجع: عطا ملك الجوينى: جهانكشاى، ترجمة محمد التنوبجى، المجلد الأول، حلب، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص٥١.

ومن ثم فإن أى إقليم لا يمكن خضوعه الكامل للمغول ويسلمهم جزءًا من رجاله وخيوله ومحصولاته يعتبر عدوًا يستحق القتل والتدمير[١].

ووضع جنكيزخان خطة للاستيلاء على بلاد ما وراء النهر فى خريف عام ٦١٦هـ/ ١٢١٩م وساعده ما ميز جيشه وقوته العسكرية فى تلك الآونة، من دقة التنظيم، وعدم التهاون مع المقصرين، والطاعة العمياء للرؤساء[٢]، هذا بجانب الرؤية العسكرية المتميزة فقبل الشروع فى مهاجمة أية دولة تدرس من حيث حالتها العسكرية وأخبارها السياسية والاقتصادية وذلك من خلال نظام الجواسيس ذوى الكفاءة العالية[٣] ويحسب للمغول حسن استخدامهم للعامل النفسى فى الحروب فقد عرف عنهم أنهم يقومون بنشر بعثات إلى المدن المراد الاستيلاء عليها يكون دورها تسريب إشاعات عن مدى قوة المغولى وعدم القدرة على التغلب عليه، وكثرة أعداد جيوشهم وعدتهم، وطرق قتلهم وانتقامهم مما كان له أكبر الأثر فى الهزيمة النفسية للجيوش المقابلة لهم[٤].

نخرج مما سبق بشىء مهم وهو أن التنظيمات المغولية كانت على أعلى مستوى وتدار بشكل علمى متميز من حيث دراسة الشعوب وأحوالها ونشر شائعات للتأثير على الجانب النفسى فهم لا يتركون شيئًا للظروف وفى ذلك دلالة على الذكاء الحربى والمهارات فى توظيف كل الإمكانيات والاستفادة بها فى الحروب.

---

(١) عادل إسماعيل هلال: المغول وأوروبا، ص٣٣.

(2) Barthold: Four Studies on the History, p.39.

(3) Martin: The Mongol Army, p.58.

(4) Ibid, p.59.

وعلى الجانب الآخر كانت الجيوش الخوارزمية والسلطان محمد الخوارزمى أكثر تفوقًا فى العدد من قوات جنكيزخان ولكنهم لم يستفيدوا من هذه الميزة ولم يحسن سلطانهم التصرف[١] ((ينبغى للملك أن يبنى أمره مع عدوه على أربعة أوجه على اللين والبذل والكيد والمكاشفة))[٢] وهذا لم يحدث بجانب تجرؤ الولاة على مخالفة الشرع فخرجوا عن حدود الله إلى أنواع من الظلم والبدع وخلعوا القيود وهتكوا الحرمات والحدود[٣].

ولقد وقع السلطان محمد الخوارزمى فى خطأ عندما وزع جيوشه فى الأماكن والمواضع الحصينة الواقعة بين نهر سيحون وداخل إقليم ما وراء النهر، وأرسل عشرين ألف فارس للتعسكر فى بخارى وخمسين ألفًا إلى سمرقند، وقرر المسير إلى خوارزم وخراسان كى يجمع العساكر ويستنجد بالمسلمين ولم ينجح فى ذلك لعلاقاته العدائية مع بعض القادة والحكام وأمر بتشييد سور حول سمرقند وأخذ يعد الجيش فى بلخ[٤].

وتحرك جنكيزخان صوب منطقة ما وراء النهر عام ٦١٦هـ/ ١٢١٩م وقسم قواته إلى أربعة جيوش كلف كلاً منها بفتح منطقة معينة كانت على النحو التالى:-

---

(١) السيد الباز العرينى: مرجع سابق، ص١٢١.

(٢) القلعى: الرياسة، ص٢٢٩.

(٣) التونسى (السيد خير الدين التونسى): أقوام المسالك فى معرفة أحوال الممالك، الطبعة الأولى، مطبعة الدولة، تونس، ١٢٨٤هـ، ص٤٣.

(٤) النويرى: نهاية الأرب، جـ٢٧، ص٢٤٤- ٢٤٥؛ المدائنى: حملات الغزو المغولى، ص٢٩؛ رحمت الله مهزار: بزركان شيراز، ص١٢.

الأول : بقيادة ابنيه "جغتاى" و"أوكتاى" أو "أوكداى" وهذا الجيش كان مكونًا من سبعة تومانات (التومان يساوى عشرة آلاف). ومهمة هذا الجيش الاستيلاء على مدينة أترار.

الثانى : بقيادة ابنه الأكبر "جوجى" وعهد إليه بمهمة الاستيلاء على البلاد التى تقع على ساحل نهر جيحون وخصوصًا مدينة "جند"[١] إحدى الحصون الإسلامية المهمة وتقع على هذا النهر.

الثالث : وهو عبارة عن فرقة صغيرة قوامها خمسة آلاف جندى وأمرت بفتح مدينتى بناكت وخنجد[٢] أهم المنافذ على نهر سيحون.

الرابع : يتكون من أغلب المغول وعلى رأسه جنكيزخان وابنه تولوى وكان قاصدًا وسط إقليم ما وراء النهر وخاصةً بخارى، وكان يهدف من وراء ذلك إلى الحيلولة دون اتصال السلطان محمد ببقية جنوده[٣].

---

(١) جند: وهى من مدن الإسلام الكبرى فى تركستان فى ما وراء سيحون وتقع على نهر جيحون وهى محصنة كثيرة الخيرات ذات تربة خصبة وحدائق وبساتين. راجع، ياقوت الحموى: معجم البلدان، جـ٣، ص٣٦٦.

(٢) بناكت وخنجد: تقوم مدينة بناكت ثانية مدن إقليم الشاش ويقال لها بناكث ويسميها الفرس فناكنت وتقوم على ضفة سيحون اليمنى وبها جامع وسوق وهى غير محصنة وهى قريبة من سمرقن أما خنجد: فهى بلدة مشهورة بما وراء النهر على شاطئ سيحون قريبة أيضًا من سمرقند تتميز بالفواكه وحسن المناخ وفى وسطها نهر جار وبها جبال. راجع محمود شتيت خطاب: مرجع سابق، ص٤٨؛ كى لسترانج: بلدان الخلافة، ص٥٢٥.

(٣) ذبيح الله صفا: تاريخ أدبيات إيران، جلد سوم، بخش أول، انتشارات فردوس، تهران، ١٣٧٢، ص٢٤؛ فؤاد عبدالمعطى الصياد: المغول فى التاريخ، ص١١٣.

وكانت مدينة أترار أول مدينة قصدها المغول لأنها تعتبر من جهة مفتاح إقليم ما وراء النهر، ومن جهة أخرى كان لا يزال يحكمها "ينـال خان" الحاكم الخوارزمى الذى قتل التجار المغول فأثـار بـذلك حفيظـة جنكيزخان وجعله يصمم على تأديبه والثأر لمقتـل رعايـاه فاجتاحـت الجيوش المغولية بقيادة جغتاى مدينة أترار ٦١٦هـ/ ١٢١٩م[(١)].

((وأسرع المغول لحصار مدينة أترار واستعلموا آلات الحـصار من المجانيق والمتاريس، ولما رأوا أن بلاد خوارزم خالية مـن حجـارة المجانيق وجدوا هناك من أشجار التوت غلاظ الجداول كبار الأصول ما يكفى ويفضل فأخذوا يقطعون منها قطعًا مدورة ثم ينقعوهـا فـى المـاء فتصير كالحجارة ثقلاً وصلابة فتعوضوا بها عن حجارة المجانيق))[(٢)] فهم دائمًا يمتلكون حلولاً للصعوبات التى تواجههم والفضل كان يعـود دومًـا لبيئتهم التى ربتهم على تخطى الصعاب.

وفى أثناء ذلك الحصار لم يدخر ينال خان وسعًا فـى تحـصين المدينة والدفاع عنها دفاع المستميت وصمدت المدينة فى وجـه المغـول لمدة خمسة أشهر[(٣)] واعتصم هو وجنوده بقلعة المدينة وظل شهرًا يوقـع الضربات الجريئة بجنود المغول وبعد أن امتلك المغول زمـام الأمـور وقتلوا جنوده من حوله قذف بنفسه إلى سقف أحد المنازل حيث كان يدافع عن نفسه بقطع من الطوب كانت تنتزعها بعض النسوة مـن الجـدران، ولكنه سقط فى يد المغول وأرسل إلى معسكر جنكيزخان فأمر بأن تصهر الفضة وتسكب فى عينيه وأذنيه حتى مات[(٤)].

---

(1) The Chronicle of Novgorod, Op.Cit., p.65;

-عباس العزاوى: حكومة المغول، جـ١، ص١١٢.

(٢) المنشى النسوى: مصدر سابق، ص١٧٤.

(٣) بارتولد: التركستان، ص٥٧٩؛

- Martin: The Mongols Army, p.63.

(٤) فؤاد عبدالمعطى الصياد: المغول فى التاريخ، ص١١٣.

وعلى إثر دخول المغول مدينة أترار مفتاح التركستان الشمالى الغربى أزالوا الحصن كله وقتلوا السكان جميعًا وصاحب ذلك عنفٌ وتخريبٌ لم تشهده البلاد من قبل[١] ومن نجا من القتل وقع فى الأسر المغولى وأذاقوهم شتى أنواع العذاب والتنكيل ودانت بذلك مدينة أترار ثم أسرع الجيش المغولى إلى اللحاق بجيش جنكيزخان الذى كان مشغولاً بفتح المناطق الوسطى من إقليم ما وراء النهر[٢].

وقد هاجم المغول المدن الواقعة على نهر سيحون بشراسة وقوة وكان على قيادة هذاالجيش "جوجى" ووصلوا إلى مدينة "سقناق" على مقربة من مدينة أترار فأرسل إليهم جوجى أحد التجار المسلمين الملتحقين بخدمة جنكيزخان كرسول يدعوهم إلى التسليم فقتلوه فهجم عليهم جوجى وحاصرهم سبعة أيام ثم سقطت المدينة فى يده وعين عليها ابن حسن حاجى حاكما[٣].

وكان هدفه بعد ذلك مدينة جند أحد الثغور المهمة على نهر سيحون وسقطت فى شهر صفر عام ٦١٧هـ/ ١٢٢٠م وأجبر أهلها على المغادرة فيماعدا من صمد ومن رد بغلظة على رسائل المغول، وترجع سهولة سقوط المدن إلى حالة الوهن والتفكك وعدم تنظيم الدفاعات

---

(١) غياث الدين خواندمير : حبيب السير، ص٤٧٧؛ أرمنيوس فامبرى: تاريخ بخارى، ص١٦٦.

(٢) السيد عبدالعزيز سالم، سحر السيد عبدالعزيز سالم : الأيوبيون والمماليك، ص٢٢٥؛
عصام الفقى: الإسلام وحضارته، ص٣٢٦- ٣٢٧.

(٣) المقريزى : (تقى الدين أحمد بن على المقريزى): الذهب المسبوك فى ذكر من حج من الخلفاء والملوك، تحقيق وتعليق جمال الدين الشيال، الطبعة الأولى، مكتبة الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص٩٠؛ فؤاد عبدالمعطى الصياد: المغول فى التاريخ، ص١١٤.

واشتغال السلطان محمد خوارزم بالإقامة على الحدود فى انتظار المـدد والأموال[١] وسار جيش المغول إلى محاصرة مدينة "بناكت" علـى نهـر سيحون وبعد إسقاطها اتجه صوب "خنجد" إلـى الجنـوب مـن بناكـت واشتهرت هذه المدينة بالحدائق والبساتين ورواج التجارة وشجاعة أهلها، وظل حاكمها تيمور ملك يدافع عنها بقوة إلى أن سقطت سنة ٦١٧هـ/ ١٢٢٠م ورحل تيمور ملك إلى خوارزم ومن هناك هرب إلى خراسان[٢].

ولقد صاحب سقوط المدن من قبل المغول عديـدٌ مـن المـذابح الجماعية والتشريد والسبى وهتك الأعراض والحرق والتدمير والتخريب والاستيلاء على كل خيرات المدن فهبوا على العالم الإسلامى مثل شياطين من جحيم أو جراد جائع لا يخلف وراءه إلا خرابًا فظيعًا[٣] وقد عرف عن بلاد ما وراء النهر اشتهارها بنخبة زاخـرة مـن العلمـاء والحـرفيين والمشايخ والفنانين[٤] فتم نقلهم إلى قراقورم (حاضرة المغول) مـن قبـل جنكيزخان للاستفادة من خبراتهم وعلمهم[٥].

---

(١) المنشى النسوى: مصدر سابق، ص١٠٠؛ D'ohsson: Histoire des Mongoles, p.243.

(٢) القلقشندى (٧٥٦ – ٨٢٠هـ): مآثر الإنافة فى معالم الخلافة، جـ٢، تحقيق أحمد فراج، الطبعة الأولى، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ١٩٨٠م، ص٦٦؛ Howorth: History of Mongols, I, p.77.

(٣) ابن سباط (حمزة بن أحمد بن على): صدق الأخبار (تاريخ بن سباط)، عنى به وحققه عمر عبدالسلام تدمرى، الطبعة الأولى، جروس برس، طرابلس، لبنان، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ص٢٧٠؛

- Kazakevich. V. D: The History of Russia and USSR, New York, 1947, p.41.

(٤) البلخى (شيخ الإسلام وصفى الملة والدين أبوبكر عبدالله عمر داود): فضائل بلخ، ترجمة عبدالله محمد بن حسين، تصحيح وحواشى، عبدالحى حبيبى، إيران، ص٣٤٧.

(5) Rudi Paul Lindner: Nomàdism, Horses and Huns, p.8; Oestmoon Peringe: The Realm of Mongols, p.1..

ونخرج من ذلك بنتيجة مهمة وهى أن جنكيزخان قد سن سنة جديدة أخذها عنه من جاء بعده من حيث نقل الصناع والحرفيين والمتعلمين إلى الحواضر للاستفادة من مهاراتهم وخبراتهم، وعلى شاكلته فعلت الدولة العثمانية في فتوحاتها وتوسعاتها فيما بعد.

ولقد اتجه جنكيزخان ومعه ابنه تولوى وأمهر القواد من المغول باتجاه بخارى فى الرابع من ذى الحجة ٦١٦هـ/ ١٢١٩م وحاصروها وقاتلوا الجند المرابطين بها أما قلعة المدينة فاستمرت تقاوم لمدة اثنى عشر يومًا ولكن آل مصيرها إلى السقوط فى نهاية الأمر[١] ((ونال أهل تلك البلاد القتل، والأسر، والسبى، والنهب، والتخريب، وأنواع الفساد)) [٢] وخاطب جنكيزخان أهلها قائلاً: ((أنا مدراسُ القدِّ إذا أنت ما ارتكبت ذنوبا عظيمة، الله ما كان سيرسل عقابًا مثلى فوقك))[٣].

ودخل جنكيزخان المسجد الجامع وظن أنه قصر السلطان فقيل له: إنه بيت الله فترجل من على حصانه وصعد المنبر وطلب من جنوده أن يأتوا بعلف للخيول ووضع العلف فى صناديق المصاحف بعدما ألقيت المصاحف تحت حوافر الخيول وأحضروا كؤوس النبيذ والمغنيات وصاروا يشربون ويرقصون بينما وقف الأئمة والمشايخ والسادات والعلماء أمام المزاود يعلفون الخيول ويحافظون عليها[٤] وشهد المسجد

---

(١) المدائنى : حملات الغزو المغولى، ص٣١- ٣٢.؛

- D'ohsson: Op.Cit., T I, p.245. ؛

قاسم عبدقاسم : سلاطين المماليك، ص٥٥.

(٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ، جـ٢، ص٥٨٩- ٥٩٠؛

- Sykes Brigadier: History of Persia, p.77.

(3) The Editors of Tim - Life Book: “The Mongol Hordes”, p.9.

(٤) الجوينى : جهانكشاى، ص٨٠- ٨١؛ أرمنيوس فامبرى: بخارى، ص١٧٠.

حفلاً غنائيًا كبيرًا، وراح جنود المغول يمرحون ويلعبون وفى خمـــورهم كانوا منغمسين[١].

وبعد أن انتهى جنكيزخان من بخارى اتجه إلى سمرقند ٦١٧هـ/ ١٢٢٠م وهى حاضرة بلاد ما وراء النهر وحمل معه عددًا كبيـرًا مـن الأسرى لتسخيرهم فى الأعمال الحربية وحتى يعتقد أهل سمرقند أنهم من ضمن جيشه فيفزعوا لضخامته وقاوم أهل سمرقند لمدة ثلاثة أيـام ثـم خارت قواهم أمام جيش المغول، ودخل جنكيزخان المدينة فى العاشر من المحرم عام ٦١٧هـ/ ١٢٢٠م بعد أن خرب قصر الحاكم وأمر بالقتـل والنهب وعامل سمرقند بما عامل به بخارى من قبل[٢].

وبعد أن انتهت الجيوش المغولية من الاستيلاء علـى بخـارى وسمرقند أسرعت فى محاولة اللحاق بالسلطان محمد خوارزم شاه فسارت من هراه إلى خراسان حتى وصلت إلى طوس وفى طريقها استولت على الرى، وكان السلطان محمد خوارزم شاه مختفيًا فى إقليم مازندران[٣] فعلم

(١) القزوينى: تاريخ كَزيدة، ص١٨٤.

(٢) رشيد الدين الهمذانى (فضل الله بن عماد الدولة أبى الخير بـن موفـق الدولـة الفارسى) ت٧١٨هـ: جامع التواريخ (تاريخ المغول الإيلخانيين) تاريخ هولاكو، المجلد الثانى، جـ١، نقله إلىالعربية محمد صادق نشأت، فؤاد الصياد، راجعه وقدم له يحيى الخشاب، وزارة الثقافة، القاهرة، ١٩٦٠م، ص٢٣٩؛ ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، جـ٧، ص٥٧٤- ٥٧٥؛ عباس العزاوى: حكومة المغـول، ص١١٦.

(٣) مازندران: يغلب عليها الجبال وهى قريبة من بحر قزوين كان يطلق عليها قديمًا (طبرستان) ومع الفتوحات المغولية بطل استعمال اسم طبرستان وحـل محلـه مازندران وتميز هذا الإقليم بكثرة هطول الأمطار وبتوافر غلات الثوم والـرز والأسماك ويربى أهله دودة القز.
لمزيد من التفاصيل راجع، ياقوت الحموى: معجم البلدان، جـ٣، ص٥٠٣؛ كى سترانج: بلدان الخلافة، ص٤٠٩- ٤١٠.

المغول فهاجموه فهرب إلى جزيرة "سد بنجاته" وعاش فى محنة وكــرب وبلاء واستدعى ابنه الأكبر ((جلال الدين منكبرتى)) وأعطاه ولاية العهد والبيعة لأنه وجد فيه الشخص الذى يستطيع مقاومة المغــول، ووصــلته أخبار بأن المغول استولوا على قلعة مازندران التى يحتمى بهــا نــساؤه وأبناؤه وأن أولاده الصغار قتلوا ووقعت نساؤه فى الأسر فلم يحتمل الأمر ومات فى شوال ٦١٧هـــ/ ١٢٢١م ولم يجدوا ما يكفنونه به فصنعوا لـــه كفنًا من قميص واحد منهم ودفن بالجزيرة عام ٦١٧هـــ/ ١٢٢١م(١).

ولقد كان إقليم خوارزم نصب عــين جنكيزخـــان ورغــب فـــى الاستيلاء عليه لأهميته فهى ((خصبة كثيرة الطعام والفواكه، ويرتفع منها من ثياب القطن والصوف أمتعة كثيرة تنقل إلى الآفاق)) (٢).

وحوصرت (جرجانية)(٣) حاضرة خوارزم من المغول لمدة خمسة أشهر وقتل من الفريقين أعداد كثيرة وأرسل المغــول إلـــى جنكيزخـــان يطلبون العون والمدد، فأمدهم بخلقٍ كثير ورغم استبسال أهلها من رجال ونساء وأطفال إلا أنها لم تقو على الصمود أمام المغول ونالت ما نالتـــه غيرها من عقاب وقتل وتشريد وحرق(٤) وكان إقليم خـــوارزم خاضـــعًا لسيطرة "تركة خاتون" أم السلطان محمد خوارزم شاه، ووقعت أسيرة بين

---

(١) ابن الأثير: مصدر سابق، جـــ٧، ص٥٧٧- ٥٧٨؛ عصام الفقى: دول مستقلة، ص١٧٨.

(٢) الأصطخرى: المسالك والممالك، ص١٧٠.

(٣) جرجانية: قصبة ناحية خوارزم وهى مدينة عظيمة مشهورة على شاطئ جيحون من أمهات المدن جامعة لأشتات الخيرات وأنواع المسرات وهى كثيرة الأهـــل وأهلها كلهم أجناد من البقال والقصاب والخباز والحائك، راجع: القزوينى: آثار البلاد، ص٥١٩- ٥٢٠.

(٤) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، جـــ٧، ص٥٩٢؛

- D'ohsson: Op.Cit., T I, p.172.

يدى المغول وظلت تعيش ذليلة إلى أن ماتت فى سنة ٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م، وقيل إنه بعد سقوط إقليم خوارزم نقل ما يربو على مائة ألف من أرباب الحرف والصناعات إلى الأقاليم المغولية(١).

وكان جنكيزخان حريصًا على فتح بقية الأقاليم التى تتكون منها الدولة الخوارزمية فى أسرع وقت ممكن فنجح فى إسقاط بلخ سنة ٦١٨هـ/ ١٢٢١م وكان حريصًا على إسقاط إقليم خراسان بأجمعه، واستمر فى تنقله ببلاد خراسان من مدينة إلى مدينة ومن قلعة إلى قلعة يقتل ويأسر وينهب إلى أن دوخ تلك النواحى وأزال معالم المدنية منها وخرب معظم بلاد الإقليم(٢) وقد استطاع جنكيزخان وجيشه تحقيق انتصارات عديدة فى إقليم غزنة ومنها انتصاره فى مدينة باميان عام ٦١٨هـ/ ١٢٢١م، وخرب وقتل كل من فيها حتى الدواب والأجنة، وتركها أرضًا قفراً لا يسكنها أحد وسماها "ماوباليغ" أى مدينة البؤس(٣).

ثم ما لبث أن ظهر جلال الدين منكبرتى فى إقليم غزنه فرحب به الأهالى وانضم تحت لوائه جموع كثيرة من مختلف الأجناس، كما أسرعت إلى الانضمام إليه الجنود الخوارزمية المشتتة فى عديد من المدن وعلى حدود الهند وبذلك استطاع أن يجمع جيشًا كبيرًا بلغ ستين ألفًا من المشاة وسبعين ألفًا من الخيالة(٤).

---

(١) فؤاد عبدالمعطى الصياد: المغول فى التاريخ، ص١٢٥.

(٢) ابن الأثير: مصدر سابق، جـ٧، ص٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢؛ ابن عرب شاه: فاكهة الخلفاء، ص٥٨٢؛

- Sykes Brigadier: Op.Cit., pp.87-80

(3) D'Ohsson: Op.Cit., T I, p.170;

- عباس العزاوى: حكومة المغول، جـ١، ص١٢٦.

(٤) القزوينى: كزيده التاريخ المختار، ص٢٠٦- ٢٠٧؛ فؤاد الصياد: المغول فى التاريخ، ص١٣٣.

وبعد أن اطمأن جلال الدين إلى إعداد جيشه خرج فى ربيع سنة ٦١٨هـ/ ١٢٢١م إلى السهول المحيطة (ببراون) فى الشمال الشرقى فى غزنه وتقابل مع جيش المغول وانتصر عليهم، فسير إليه جنكيزخان جيشاً بقيادة (قوتوقونويان) واستمرت الحرب يومين واستبسل جلال الدين فى المقاومة حتى حقق نصرًا آخر، ولما بلغ خبر انتصار جلال الدين مدن خراسان وجنوب ما وراء النهر قام أهل هذه المدن بالثورة وقتلوا عديدًا من المغول[1] ولكن بعد فتح براون دب الخلاف بين قواد جلال الدين مما أضعف قوته ودارت عدة حروب بينه وبين جنكيزخان كانت الغلبة فى معظمها لجنكيزخان[2].

على ضوء ما سبق تبين أنه عندما ظهر جلال الدين أعطى بارقة أمل حاول المسلمون الالتفاف حولها لكى يخرجوا من تحت السيطرة المغولية فإذا بها توأد فى المهد لأن جلال الدين كان محاربًا ماهرًا ولم يكن قائدًا سياسيًا محنكًا بجانب حياة اللهو والفجور التى عاشها جلال الدين وجنوده بعد تحقيق أية مكاسب على المغول ((فما كان من السلطان وأمرائه وجنوده إلا أن عكفوا على الشراب واللهو والطرب))[3].

---

(1) Sykes Brigadier: Op.Cit., p.81;

عباس إقبال: إيران بعد الإسلام، ص٣٧١- ٣٧٢.

(٢) النويرى: نهاية الأرب، جـ٢٧، ص٢٩٧؛ القزوينى: كَزيدة التاريخ المختار، ص٢١٢.

(٣) رشيد الدين الهمذانى (رشيد الدين فضل الله بن عماد الدولة أبى الخير بن موفق الدولة) ت ٧١٨هـ:- جامع التواريخ (تاريخ أبناء هولاكو من آباقا إلى كيخاتوخان)، المجلد الثانى، جـ٢، نقله عن الفارسية محمد صادق نشأت، فؤاد الصياد، القاهرة، ١٩٦٠م، ص٣٣.

عودة جنكيزخان إلى منغوليا وموته فى عام ٦٢٤هـ/ ١٢٢٧م:-

بعد أن استولى المغول على بلاد ما وراء النهر ومنطقة غزنه وسقطت المدن والبلاد تحت أقدام جيوش جنكيزخان، وأضيفت ((بلاد خوارزم بأشجارها وخيراتها التي لا تحصى ومطرها الدائم وتجارتها الرائجة، إلى أملاك الإمبراطورية المغولية))[1].

ولقد حقق المغول من جراء استيلائهم على بلاد خوارزم مكاسب عديدة ((من نفائس الأموال والجواهر وأنواع المفاخر والذخائر، ومصونات الخزائن، ومكنونات المعادن، ما لا يعلمهُ إلا نحُه، ومن الكنوز ما ينوءُ بالعصبة أولى القوة مفاتيحه، ولا يجتمعُ لسلطان قط، ولا ضبط قلمُ ديوان ولا خط، فتباغتوا مُواجهة، وتواجهو مباغته، وتباهتوا مشافهة، وتشافهوا مباهتة فوقعوا فى شبكة الصيد، وأحاطت بهم دائرة الكيد وتورطوا فيما فروُا منه، وناداهم هاتف الطالع الفظ)).[2]

وهذا يوضح ما آلت إليه أحوال البلاد التى سيطر عليها المغول وما تحقق من مكاسب لجنكيزخان وإمبراطوريته التى حصلت على أغلب ممتلكات الدولة الخوارزمية، فبدأ تفكير جنكيزخان فى العودة إلى منغوليا لأنه اطمأن على تحقيق أهدافه، بجانب أن الأحداث فى منغوليا كانت

---

(١) أبودلف: الرسالة الثانية (رحلته إلى الصين)، ص٢٥؛ ابن الوردى (زين الدين عمر بن مظفر) ت٧٤٩هـ: تتمة المختصر فى أخبار البشر (تاريخ بن الوردى)، الطبعة الأولى، جـ٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦م، ص١٣٨.

(٢) وإذا أَرَادَ اللهُ إِنفَاذَ القَضَا ... وَظُهُورَ قَهْرٍ للبَصَائِرِ باتِلاً
جَعَل الدواء لذاك داء مُمرضًا ... وَفَوَائد الترياق سُمّاً قاتلاً
والكوْن خصمًا والمكان مُناقضًا ... والعيشَ موتًا والصديق مُقاتِلاً

راجع، ابن عرب شاه: فاكهة الخلفاء، ص٥٨٤.

تستدعى تواجده لحدوث بعض الثورات فى الصين[1] والتبت التى تميزت بالرواج التجارى وإنتاجها أفضل أنواع المسك على الإطلاق وهو يستخدم فى التطيب والعطور[2] فخروجها على جنكيزخان بمثابة الخسارة الفادحة سياسيًا واقتصاديًا.

ولقد سلك جنكيزخان فى طريق العودة إلى منغوليا طريق هراة[3]، كما أمضى ثلاثة أشهر فى أطراف بيشاور وولاية البنجاب ومن بيشاور توجه إلى كابل وحدود نهر سيحون ثم انتقل إلى باميان عبر نهر سيحون ووصل إلى سمرقند حيث أمضى الشتاء من عام ٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م وبالقرب من نهر سيحون أرسل فى استدعاء أبنائه ليقوموا

---

(1) Paul Ratchnevskg: Genghis Khan, p.118;

- محمد فاتح رمضان غانم: ((قيام الدولة المغولية فى الهند ونظمها الداخلية فى الفترة (٩٣٢ - ٩٦٢هـ/ ١٥٢٦ - ١٥٥٦م)) رسالة ماجستير غير منشورة، آداب الزقازيق، ١٩٩٨م، ص١٢؛ هارولدلامب: جنكيزخان وجحافل المغول، ص١٠٤.

(٢) الشيرزى (عبدالرحمن بن نصر بن عبدالله جلال الدين الشافعى) ت ٥٨٩هـ: نهاية الرتبة فى طلب الحسبة، قام على نشره السيد الباز العرينى، بإشراف محمد مصطفى زياده، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م، ص٤٨.

(٣) هراة: مدينة بفارس قرب اصطخر، كثيرة البساتين والخيرات تشتهر بكثرة النساء وهى طيبة ومحصنة، أما بيشاور وولاية البنجاب فهما مدينتان محصنتان بالقرب من هراه ولكنهما إلى كابل أقرب التى تقع بأرض الهند وأهلها ما بين مسلمين وكفار ويجلب منها أفضل أنواع النوق والإبل أما مدينة باميان فهى تتبع إقليم خراسان وقيل عنها إنها ذات خير ورخص ويكثر فيها شجر الفستق، راجع، ياقوت الحموى: معجم البلدان، ص٤٦١- ٤٨١؛ القزوينى، آثار البلاد، ص٢٤٣- ٢٨١.

بالصيد والقنص وليتفاوض معهم فى مهام الأمور التى تتعلق بتدبير شئون الممالك التى ضمها للإمبراطورية المغولية فلحق به ((جغتاى وأوكتاى)) عند هذاالنهر وفى ربيع ٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م انضم إليه ((جوجى)) الابن الثالث[١].

وعقد جنكيزخان مع أبنائه اجتماعًا أطلق عليه "قوريلتاى مصغر" للتشاور معهم ووضع الخطط المستقبلية وتدبير شئون الإمبراطورية وبعد الانتهاء من هذا الاجتماع عاد (جوجى) إلى وادى القفجاق، ومكث جنكيزخان فترة الصيف من عام ٦٢١هـ/ ١٢٢٤م فى المنطقة المحيطة بنهر أرتش ولم يعد إلى موطنه الأصلى إلا فى سنة ٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م[٢] وفى نفس العام قام بحملته الأخيرة على ولاية التانجوت فى شمال التبت وانتصر انتصارًا ساحقًا على ملكها فانسحب من أمامه ولم تقم له قائمة بعدها[٣].

بعد ذلك مرض جنكيزخان واشتد عليه المرض ((ثم إن جنكيزخان الهامة الهامية والفتنة الطامَّة الطامية، لما علق به المرض، استمر مرضه فى ازدياد، ولم يزل على ذلك، حتى أُورِدَ سبيل الهالك وتسلم روحه الخبيثة مالك))[٤] وقد توفى جنكيزخان فى النصف الأول من رمضان عام ٦٢٤هـ/ الموافق لشهر أغسطس ١٢٢٧م ومات ((طاغية التتار وملكهم الأول الذى خرب البلاد وأباد العباد وليس للتتار ذكر

---

(١) عباس إقبال : عمومى إيران، ص٣٧٥- ٣٧٦؛ فؤاد الصياد: المغول فى التاريخ، ص١٣٦- ١٣٧.

(2) Sykes Brigadier: Op.Cit., p.85.

(٣) السيد الباز العرينى: مرجع سابق، ص١٤٣؛ جيهان الشناوى: المغول الإعصار المدمر، ص١٥٤- ١٥٥.

(٤) ابن عرب شاه: فاكهة الخلفاء، ص٥٩١.

قبله))[١] وبعد حياة حافلة بالأحداث نجح خلالها فى تكوين إمبراطورية مترامية الأطراف تمتاز بالقوة العسكرية والمهارات الحربية بجانب وضع دستور (ياسا) ينظم حياتهم ويحدد اختصاصاتهم، وخلف وراءه عدة أولاد أوكل إليهم مهمة استكمال الاستيلاء على المناطق المجاورة لحدودهم[٢]، مما دعا أحد الشعر إلى أن ينشد فيه شعرًا[٣].

وترك جنكيزخان ذريةً كبيرةً تبلغ أربعين ولدًا ما بين ذكر وأنثى إلا أن أفضلهم وأشهرهم من أولاده أربعة فقط وهم (جوجى، جغتاى، تولوى، أوكتاى)[٤] وبعد موت جنكيزخان حمل جثمانه إلى منغوليا ودفن فى المنطقة التى يخرج منها نهر أونون وكرولين وبقى موضع الدفن سرًا من الأسرار كما هى عادة المغول[٥] وهناك أسطورة شعبية تقول إن جنكيزخان كان ذات يوم مع جنوده وحاشيته فوق جبل التاى Al Tai وأراد معاقبة أحد المسيئين فإذا بسوطه يقع، فأخبر جنوده أن يدفنوه فى هذا المكان وحققوا له ما أراد بعد موته[٦].

---

(١) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ٦، ص٢٣٨.

(2) Claude Cahen: The Mongols, Op.Cit., p.716; Parker. E. H: A Thousand Years of the Tartars (The History of Civilization), London, 1996, pp.2, 3.

(٣) تضرعَ جنكيزخانُ للهِ ساعَةً ... وأخلَصَ فيما رَاقَهُ وهو مُشرِكُ
فماَ خَافَ فيما رَامَهُ من فَسَادِهِ ... ومازَالَ يعثوُ فى الأنـام ويَسفِكُ
فَمَا بالُ من للهِ طولَ حَيَاتِـه ... يُوحَدُ بالإخلاَص هَل هوَ يُهـلكُ
راجع ابن عرب شاه: فاكهة الخلفاء، ص٥٧٠.

(٤) الغزى الحلبى: نهر الذهب، ص١١٥.

(٥) فؤاد الصياد: المغول فى التاريخ، ص١٣٨؛
- Sykes Brigadier: Op.Cit., p.85.

(6) Sain Jirgaland Sharaldai: "the Offering Ceremonies of the Goldem Ordon", New York, 24 Dec, 1997, p.20.

أما عن أبرز ما ميز عهد جنكيزخان على الأخص فى النواحى الدينية والاجتماعية فإنه كان يقدر رجال الدين من المسلمين والمسيحيين واليهود والسحرة الذين كان لهم نفوذ فى دولته وجمع فى حاضرته بقراقورم كل ما يشتهيه، فقطعانه تغطى السهول، وخيام قبائله تمتد إلى مرمى البصر، ولبست نساؤه وجواريه ملابس من القطيفة المطرزة بخيوط من الذهب والفضة وشربوا العسل المخمر ونبيذ شيراز، بدلاً من لبن الخيل؛ وكانت رياش الطاووس تتمايل فوق الستائر المصنوعة من العاج والذهب، على حسن غناء الجميلات من أسيرات الصين بأعذب الألحان، ولم يعد جنود جنكيزخان يلبسون جلود وفراء أغنام بل كانوا يلبسون الملابس الحريرية[1]، غاية القول إن الأحوال الاجتماعية تحسنت وانتعشت وتحول المغول إلى حياة الاستقرار والرفاهية بعد حياتهم الرعوية، هذا بجانب السماحة الدينية وتقدير أصحاب المعتقدات الأخرى.

وقد قسم جنكيزخان قبل وفاته إمبراطوريته بين أولاده الأربعة لتدريبهم على مهام الحكم وتحمل المسئوليات، فكان نصيب (جوجى) البلاد الواقعة بين نهر أرتش والسواحل الجنوبية لبحر قزوين، وكانت هذه البلاد تسمى بالقبجاق ويطلق عليها القبيلة الذهبية Golden Horde نسبةً إلى خيام معكسراتها ذات اللون الذهبى وبعد وفاة جوجى أعطاه جنكيزخان لحفيده (باتو بن جوجى)، واختص (جغتاى) ببلاد الأويغور وأقاليم ما وراء النهر وكاشغر وبلخ، وغزنة، ونال (أوكتاى) جبال ثار باجاى، وأطراف بحيرة ألاجول، ونهر إيميل وهى تقع غربى منغوليا، وكانت منغوليا تشمل وديان أنهار كرولين وأدنن وأرخن

---

(١) عصام الفقى: دول مستقلة، ص١٨٦.

ومنطقة قراقورم من نصيب (جنكيزخان) ومن بعده (تولوى) [١] الذى حكم الإمبراطورية المغولية عامين فيما بين (٦٢٤ - ٦٢٦هـ/ ١٢٢٧ - ١٢٢٩م) بصفته وصيًا على العرش طبقًا للتقاليد والأعراف المغولية، وذلك بمساعدة ثلاثة من المستشارين إلى أن تم انتخاب خان أعظم خلفًا لجنكيزخان[٢].

وقد تم انتخاب الخان الأعظم بواسطة مجلس الشورى (القوريلتاى) ووقع اختيارهم على (أوكتاى) طبقًا للتقاليد المغولية لأنه يعرف الأصول والقوانين ولازم أباه فترة طويلة، وامتثل (أوكتاى) للأمر وعندئذ رفع الجميع القلانس عن رؤوسهم وألقوا الأحزمة على أكتافهم، واخذ (جغتاى) بيد (أوكتاى) اليمنى، وأخذ (تولوى) بيده اليسرى وأمسك عمه (أونجكين) بمنطقه (حزامه) وأجلسوه على سرير الخانية، ثم رفع (تولوى) كأسًا فرفع الحاضرون بدورهم كؤوسهم داخل البلاد وخارجها وباركوا الملك بخانيته ولقبوه بالقآن وذلك عام البقرة حسب مسمياتهم سنة ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م[٣].

---

(١) الغزى الحلبى: نهر الذهب، ص١١٥؛ المقريزى (تقى الدين أحمد بن على): السلوك لمعرفة دول الملوك، قام بنشره محمد مصطفى زيادة، جـ١، القسم الثانى، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٣٦م، ص٣٩٤- ٣٩٥؛ كليفور أ. بوزورث: مرجع سابق، ص٢٠٠- ٢٠١.

(2) Kazakevich: Op.Cit., p.41.

(3) Rabban Sowm: The Monks of Kublai Khan, p.103; رشيد الدين الهمذانى: خلفاء جنكيزخان، ص٣٠؛ مايك إدواردز: ((أبناء جنكيزخان الخانات العظام))، مقال منشور بمجلة الثقافة العالمية، ترجمة أحمد خضر، عدد ٨٣، المجلس الوطنى للثقافة، الكويت، أغسطس، ربيع آخر، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، ص١٠٧.

وفور تولية أوكتاى عرش المغول أراد أن يرفع الظلم عن المظلومين ويقر العدل فخفف الضرائب وأمر أن تكون كل الأحكام التى أمر بها جنكيزخان نافذة المفعُول واهتم اهتمامًا كبيرًا بإكمال التوسعات الخارجية فكون جيشًا لغزو إيران والصين وأوروبا[1].

واتجه مقصد المغول صوب إيران ((لما تتميز به من جمال وحسن وخيرات وموقع))[2] هذا بجانب استكمال سلسلة التوسعات الخارجية واستولى المغول على همذان وكانت قد اجتمع بها كثير ممن هربوا من البلاد المهزومة، فأبادهم المغول قتلاً وأسرًا ونهبًا وخربوا البلاد[3] لأن اعتبارات الرحمة وتحقيق العدالة فى المنهزمين معدومة عند المغول فالقوة هى قانونهم الوحيد واللغة التى يعرفونها هى السيوف والخناجر والأقواس والقتل والتشريد والتوسع على حساب الآخرين[4].

وعندما وصل المغول إلى الرى وجدوا بها جيشًا من الخوارزميين فانتصروا عليهم وقتلوا منهم أعدادًا كبيرة وفر الباقون من الجيش الخوارزمى إلى أذربيجان[5] وقد حاول جلال الدين منكبرتى

---

(١) الصرفى: دول الإسلام، ص٢٧٥؛ محمود السيد: التتار والمغول، ص١٢١.

(٢) خسرو (ناصر خسروعلوى): سفر نامه، ترجمة يحيى الخشاب، تصوير عبدالوهاب عزام، سلسلة الألف كتاب الثانية، الطبعة الثانية، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، ١٩٩٣م، ص١٧١.

(٣) ابن الأثير: مصدر سابق، جـ٧، ص٦٠٧؛ حميد رضا جلائى: كردستان علل تداوم، ص٣٥.

(4) Parker, E H: Op.Cit., p.5; Ibrahim H. J. T. Y: Muslims in China, Islamic Da'wah Center Cetakan Pertama, 1991, p.34.

(٥) ابن العميد: أخبار الأيوبيين، ص٨؛ خواندمير (محمد بن خاوند شاه) ت ٩٠٣هـ: روضة الصفا فى سيرة الأنبياء والملوك، راجعه وقدم له السباعى محمد السباعى، ترجمه عن الفارسية وعلق عليه وقدم له أحمد عبدالقادر الشاذلى، الطبعة الأولى، الدار المصرية للكتاب، القاهرة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص٥٥.

التصدى للزحف المغولى ولكن دون جدوى ورحل جلال الدين إلى تبريز ظنًا منه أن المغول سيقضون الشتاء فى العراق العجمى، فإذا بهم يفاجئونه فى أوائل عام ٦٢٨هـ/ ١٣٢١م وبدأت مدن أذربيجان تتساقط فى أيديهم دون عناء إلا فيما ندر[١] واستولى المغول على أذربيجان وولايات عراق العجم وموغان وكرجستان والأرمن وكردستان وإقليم فارس[٢] وفى فترة قصيرة كانت كل الأراضى الممتدة من منغوليا موطنهم الأصلى حتى بلاد فارس ضمن ممتلكاتهم وراح ضحيتهم من جراء ذلك أعداد كبيرة من الناس وخاصةً من المسلمين الذين راحوا بلا حساب ودمرت ممتلكاتهم[٣] وحاول المغول القضاء على جلال الدين ففر إلى إحدى القرى فى ميافارقين ومنها إلى كردستان وهناك قُتل بيد أحد الأكراد انتقامًا لأخيه الذى قتله جنود السلطان وحدث ذلك فى منتصف شوال ٦٢٨هـ/ ١٥ أغسطس ١٢٣١م[٤] وانفرط عقد الدولة الخوارزمية وسقطت بعد مقتل جلال الدين وتمكن المغول من القضاء على منافس أزعجهم بعض الشىء، وتفرق جند جلال الدين وطمع فيهم الأكراد والفلاحون فتخطفوهم وقتلوهم وأخذوا ما معهم[٥].

---

(١) ابن الأثير: مصدر سابق، ص٥٨٥- ٦٥٩.

(٢) رحيم رئيس نيا: آذربيجان در سير تاريخ إيران، از آغازتا اسلام، بخش أول تهران، ت، ص٧٧؛

- Barthold: Turkistan down to the Mongol, p.51.

(٣) مؤلف مجهول: تتمة كتاب وليم الصورى، ص١٢٥؛ بارتولد: التركستان، ص٦٠٢؛ كى لسترانج: بلدان الخلافة الشرقية، نقله إلى العربية ووضع حواشيه وفهارسه، بشير فرنسيس، كوركيس عواد، مؤسسة الرسالة، بغداد، ١٩٣٦م، ص١٩٤.

(٤) النويرى: نهاية الأرب، جـ٢٧، ص٢٩٧.

(٥) اليافعى: مرآة الجنان وعبرة اليقظان، جـ٤، ص٥٢، ٥٣؛ الذهبى: العبر فى خبر من غبر، جـ٣، ص٢٠٠.

ولقد واصل المغول زحفهم على البلاد الإسلامية وأرسلوا رسولهم إلى الملك الكامل محمد بن المظفر غازى بن العادل أبىبكر بن أيوب صاحب ميافارقين برسالة تقول: ((من نائب رب السماء ماسح وجه الأرض ملك الشرق والغرب، يأمر (ملوك الإسلام) بالدخول فى طاعة القان الأعظم)) فرفض حاكم ميافارقين طلبهم وحاول الاستماتة فى الدفاع عن مدينته[١] ولكن آلت الأمور إلى هزيمته ودخول المغول ميافارقين وديار بكر وقُتل الكامل محمد بن المظفر وحملوا رأسه على رمح ومروا بها على البلاد الشامية فى طريقهم للاستيلاء عليها[٢] وسقطت أرزن الروم وماردين ونصيبين وسنجار وتقدم هذا الجيش حتّى بلغ ساحل الفرات وهو يقتل ويسلب وينهب دون أن يجرؤ أحد من سكان هذه المناطق على مقاومتهم وذلك فى عام ٦٢٨هـ/ ١٢٣١م[٣].

واستمر الغزو المغولى فى إسقاط مدن المشرق الإسلامى وبلاده وغيرها من البلدان الأخرى حتى وصلت حدود الإمبراطورية المغولية إلى الهند[٤]، وعلى الجانب الآخر أحرز جيشهم المتجه إلى مدينة بدليس انتصارات عديدة واستولى على القلاع المحيطة بخلاط وغيرها عام

---

(١) الذهبى: تاريخ الإسلام، ص٤٠؛ المقريزى: السلوك، جـ١، ص٤٤١.

(٢) رشيد الدين الهمذانى: الإيلخانيون (تاريخ هولاكو)، المجلد الثانى، جـ١، ص٣١٩- ٣٢٣.

(٣) كى لسترانج: بغداد فى عهد الخلافة العباسية، ترجمة وتعليق بشير يوسف فرنسيس، الطبعة الأولى، المطبعة العربية ببغداد، العراق، ١٩٣٦م، ص٢٩١؛ فؤاد الصياد: المغول فى التاريخ، ص١٧٩.

(٤) الكرمانى (أبوحامد بن حامد أفضل الدين): بدائع الأزمان فى وقائع كرمان، دراسة وترجمة وتعليق ثريا محمد على، راجعه بديع محمد جمعه، الطبعة الأولى، عين للدراسات، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص١٩؛ جمال الدين الشيال: دولة أباطرة المغول الإسلامية فى الهند، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٦٨م، ص٣٠.

٦٢٩هـ/ ١٢٣٢م، واستطاع المغول دخول إقليم آربل عـام ٦٣٣هـ/ ١٢٣٥م واستبسل الأكراد فى الدفاع عنه ولكنهم لقوا مصيرهم المحتـوم فسقط الإقليم وأحدثوا فيه مذبحة رهيبة[١].

وانتقلت القوات المغولية إلى العـراق عـام ٦٣٤هـ/ ١٢٣٦م وهزموا المسلمين واستولوا على عديد من المدن مثل الخانقين وحـصلوا على كل خيرات هذه البلاد من أموال وذخائر وأشجار وثمار وأصبح كل يوم يمر يزيد من قوة المغول ويقوى شوكتهم[٢].

وقد تمكن المغول عام ٦٤١هـ/ ١٢٤٣م من هزيمـة الـسلطان غياث الدين زعيم سلاجقة الروم بالرغم من قدوم عساكر حلـب لنجدتـه والسلطان غياث الدين، صالح المغول على أن يدفع لهم كل يـوم ألـف دينار، وفرسًا، ومملوكًا، وكلبًا للصيد[٣].

---

(١) رشيد الدين الهمذانى: الإيلخانيون (تاريخ هولاكو)، المجلـد الثـانى، جـ١، ص٢٩٨؛

- Rabban Sowma: Op.Cit., p.269.

(٢) أبى البقاء (عبدالله البدرى أبى البقاء): نزهة الأنام فى محاسن الـشام، الطبعـة الأولى، دار الرائد العربى، بيروت، لبنان، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ص٥؛ تـشانغ تشى تشنغ: "السملون فى شانغهاى" مقال منشور بكتاب المسلمون الصينيون من هم والى أين؟، الطبعة الأولى. نشر بمجلة بناء الصين، بكين، الصين ، ١٩٨٣م، ص١١١.

(٣) عبدالله سعد بن محمد سافر الغامدى: "دور المتطوعة فى حركة الجهـاد ضـد الصليبيين والمغول" بحث منشور بمجلة المؤرخ العربى ، تصدر عـن اتحـاد المؤرخين العرب ، العدد الثانى ، المجلد الأول ، القاهرة ، مـارس ، ١٩٩٤م ، ص٣٤٦- ٣٤٧؛ محمود سعيد عمران: المغـول والأوروبيـون والـصليبيون وقضية القدس ، دار المعرفة الجامعيـة ، الإسـكندرية ، ٢٠٠٣م ، ص١٠٨، ١٠٩، ١١٠.

وتوفى أوكتاى قاآن الخان الأعظم للمغول عام ٦٣٩هـ/ ١٢٤١م وقيل إنه أفرط فى الشراب فمات وهو نائم، واتفقوا على إجلاس كيوك خان" على العرش فكان يأبى تقلد هذا المنصب – جريًا على العادة المتبعة لدى المغول – معتذرًا بضعفه واعتلال صحته، وبعد إلحاح الأمراء عليه قال لهم: ((إنى أقبل هذا المنصب، بشرط أن تبقى الخانية فى ذريتى)) فكتبوا كلهم تعهدًا بالموافقة على رأيه قائلين ((إذا بقيت من نسلك قطعة لحم ملفوفة فى الشحم والعلف، وتعافها الكلاب والبقر، فإننا لن نعطى الخانية شخصًا آخر)) وجلس على العرش عام الحصان الموافق ربيع الثانى ٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م وجريًا على المعهود حسب عاداتهم تناول الجميع شرب الكؤوس وشغلوا مدة أسبوع بالمآدب والحفلات(١).

وشارك الناصر يوسف الأيوبى الخان المغولى فى حفل التتويج، فأنعم عليه (كيوك خان) بلوحه براءة تسمى "اليارليغ والبيزا" وهى تجعل حاملها من أتباع المغول وتحميه من التعدى عليه أو التطاول أو إلحاق الأذى والضرر به، وأملاكه أملاك للمغول ومواطنوه تحت الحماية المغولية(٢).

نخرج من ذلك بأن المغول توصلوا إلى لغة جديدة فى التحالفات والمعاهدات وأعطوا صكًا يضمن الحماية ويفرض الوصاية والتبعية ويجعل لهم أصدقاء وحلفاء حتى يحقق التوازنات المطلوبة وهو تفوق فى الفكر الحربى وتقدم يحسب للمغول.

ثم خلفه على عرش الخانية منكوقا آن (٦٤٨ – ٦٦٥هـ/ ١٢٥٠ – ١٢٥٧م) وجاء بعد منكوقا آن قوبيلاى قا آن (٦٥٨ – ٦٩٣هـ/

---

(١) رشيد الدين الهمذانى: خلفاء جنكيزخان، المجلد الأول، ص١٨٢.

(٢) سعد بن حذيفة الغامدى: الملك الناصر يوسف والمغول، ص١٠٩.

١٢٦٠ – ١٢٩٤م) واتسعت رقعة الإمبراطورية المغولية في عهده وبلغت الامتداد وضمت الصين وكوريا والهند الصينية والتبت والهند إلى حدود نهر الكنج وإيران وآسيا الصغرى والقرم وجزءًا كبيرًا من روسيا وحتى نهر الدينبر[١].

وقد وضعت خطة بين هولاكو وأخيه منكوقا آن قبل وفاته تهدف إلى قيام الأول بحملة إلى بلاد إيران تسير على العادات والطقوس والقوانين الجنكيزخانية وتهدف إلى القضاء على الشيعة الإسماعيلية وإسقاط الخلافة العباسية[٢] ((سر من توران إلى إيران مظفرًا واعلُ باسمك إلى الشمس الساطعة))[٣].

ودخل هولاكو مع الإسماعيلية في عدة حروب استخدم فيها الكر والفر والخديعة والمؤمرات وكل سبل الحرب حتى دانت جميع معاقل الإسماعيلية إلى هولاكو وكان آخر هذه المعاقل قلعة الموت[٤] وسلمت بعد

(١) رشيد الدين الهمذاني: مصدر سابق، المجلد الأول، ص١٩٨، ٢٤٢؛ فؤاد الصياد: المغول في التاريخ، ص٢١٨.

(٢) خواندمير (المؤرخ الإيراني غياث الدين): دستور الوزراء، دراسة وترجمة وتعليق، حربي أمين سليمان، تقديم فؤاد عبدالمعطي الصياد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٠م، ص٣٢٩؛ فؤاد عبدالمعطي الصياد: مؤرخ المغول الكبير رشيد الدين فضل الله الهمذاني، الطبعة الأولى، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٧م، ص٢٧- ٢٨.

(٣) رشيد الدين الهمذاني: الإيلخانيون (تاريخ هولاكو)، المجلد الثاني، جـ١، ص٢٣٦.

(٤) قلعة ألموت: تقع إلى شمال غرب قزوين وهي كرسي حكم الإسم الإسماعيلية الحشاشة ويقال إن ألموت تعني (عش العقاب) وقيل إنها قلعة جبل وحولها وهاد لايمكن نصب المنجنيق عليها ولا النشاب يبلغها، لمزيد من التفاصيل راجع: كي لسترانج: بلدان الخلافة، ص٢٥٥ – ٢٥٦.

حصار ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع أمنهم هولاكو على أرواحهم لو أسرعوا بالتسليم وتم له ما أراد فى عام ٦٥٤هـ/ ١٢٥٢م[١].

أراد هولاكو بعد تحقيق هدفه فى إسقاط طائفة الإسماعيلية أن يتجه صوب بغداد لإسقاط الخلافة العباسية التى حكمت لمدة خمسة قرون تقريبًا[٢] وكانت الظروف مواتية لكى يحقق هولاكو هدفه، ولكن موجة الضعف أثقلت كاهل العباسيين ومنعتهم من أن يجاهدوا[٣] أو ينفروا واجتمعت عدة أسباب ساعدت على سقوط الدولة العباسية منها تحكم السلاجقة والبويهيين وحالة الحكم اللامركزى وضعف الخلفاء[٤].

---

(١) بيبرس الدوادار: زبدة الفكرة فى تاريخ الهجرة، تحقيق زبيدة محمد عطا، جـ٩، جامعة المنيا، ت، ص٧٠- ٧١؛ خواندمير: روضة الصفا، ص٢٥٧؛ رأفت محمد النبراوى: النقود الإسلامية منذ بداية القرن السادس وحتى نهاية القرن التاسع الهجرى، الطبعة الأولى، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص١٥٩.

(٢) أحمد مختار العبادى: فى تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ت، ص١٥.

(٣) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونيه وإذا استنفرتم فانفروا)). فلم يطبق المسلمون هذا الحديث وقلما وجد من يجاهد ضد المغول ، راجع البخارى (أبى عبدالله محمد بن إسماعيل البخارى) ت٢٥٦هـ: صحيح البخارى، علق عليه ووضع حواشيه الإمام أبوالحسن نورالدين السندى، المجلد الثانى، دار المعرفة بيروت، ت، ص١٣٥.

(٤) ابن العمرانى (محمد بن على محمد) ت ٥٨٠هـ: الأنباء فى معرفة تاريخ الخلفاء، تحقيق وتقديم قاسم السامرائى، الطبعة الأولى، دار الآفاق العربية، القاهرة، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ص١٩٠؛ المقدسى البلخى: البدء والتاريخ، جـ٦، ص١٢٤؛ الأزدى: أخبار الدول المنقطعة، ص٢٨٢.

وأرجع عددٌ من المؤرخين سقوط بغداد إلى الدور الذى قام به الوزير مؤيد الدين بن محمد العلقمى من مساعدة ومساندة المغول فى دخول بغداد عام ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م وذلك لكونه يتبع المذهب الرافضى[(١)] الشيعي ويكره السنة وأن الدولة العباسية التى ترجع بنسبها إلى آل بيت النبوة أساءت كثيرًا فى معاملة الرافضة[(٢)].

والحقيقة أن هذا الأمر مبالغ فيه لأن ابن العلقمى ليس وحده من أسقط بغداد، وإن كان هو مَنْ تسبب فى إسقاطها فإلى من يعود سقوط باقى البلاد من إقليم ما وراء النهر حتى بغداد.

فلقد كان التوجه صوب بغداد أمرًا حتميًا وضروريًا للمغول؛ لأن هذا حصاد جهود طويلة قاموا بها فى منطقة غرب آسيا منذ عام ٦١٨هـ/ ١٢٢١م وذلك للانقضاض على أبرز القوى الإسلامية الموجودة آنذاك هذا بجانب ضعف الخليفة المستعصم وقلة حيلته وزيادة شأن

---

(١) الروافض: هم إحدى فرق الشيعة ومنهم السبئية نسبة إلى عبدالله بن سبأ وظهرت بدعهم منذ زمان علي ابن أبى طالب رضى الله عنه فقال بعضهم لعلى (أنت الإله) فأحرق (الإمام علىَ) قومًا منهم ونفى ابن سبأ إلى ساباط المدائن وهذه الفرقة خطيرة على الإسلام وليست من فرق الإسلام، والرافضة يرفضون إمامة أبى بكر وعمر ويرون أن عليا أحق بها والمقصود بالرافضة عموما هم معظم الشيعة، والخلافة العباسية كانت سنية لمزيد من التفاصيل، راجع: البغدادى (الإمام أبى منصور عبدالقاهر بن طاهر بن محمد) ت ٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م: الفَرقُ بين الفِرق وبيان الفرقة الناجية منهم، دراسة وتحقيق محمد عثمان الخشت، مكتبة بن سينا، القاهرة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص٣٥.

(٢) البناكتى (فخر الدين أبوسليمان): روضة أولى الألباب فى معرفة التواريخ والأنساب المعروف بتاريخ بناكتى، به كوشش كوششى، جعفر شعار، سلسلة انتشارات انجمن آثار ملىء، تهران، ١٣٤٨، ص٢١٥؛ القلقشندى: الإنافة فى معالم الخلافة، جـ٢، ص٨٩- ٩٠.

هولاكو[1] وبالفعل يوم الثلاثاء ٢٢ من محرم سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م أحكم الحصار حول مدينة بغداد واستمر حتى نهاية الشهر وفى خلال تلك الفترة كان المغول يطلقون يد التخريب فى المدينة[2]، حتى جاء يوم الأحد ٤ من صفر، ١٠ فبراير سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م. ويعتبر هذا التاريخ شؤمًا على الدولة الإسلامية إذ استولى فيه المغول على بغداد قلعة السلام وحاضرة العباسيين وأعملوا فيها معاول التخريب والسيف والنار سبعة أيام[3].

والخليفة المستعصم العباسى سلم حاضرته ونفسه للمغول دون قيدٍ أو شرط بعد أن وعده هولاكو بالأمان[4] وكانت تحذف أقوال الخليفة المتسعصم عديدة فى رثاء ما آلت إليه الأمور[5].

---

(١) ابن طباطبا (محمد بن على بن طباطبا المعروف بابن الطقطقى): الفخرى فى الآداب السلطانية والدولة الإسلامية، دار صادر، بيروت، لبنان، ت، ص٣٣٤-٣٣٥؛ عبدالمجيد أبوالفتوح بدوى: التاريخ السياسى والفكرى للمذهب السنى فى المشرق الإسلامى من القرن الخامس الهجرى حتى سقوط بغداد، الطبعة الثانية، دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص٢٧٠.

(٢) عباس إقبال: عمومى إيران، ص٧٨؛ فؤاد عبدالمعطى الصياد: المغول فى التاريخ، ص٢٦١.

(٣) أحمد مختار العبادى: دولة المماليك، ص١٤٧؛ محمد جواد مشكور: نظرى به تاريخ آذربيجان وآثار باستانى وجمعيت تناسى آن، سلسلة انتشارات انجمن آثار ملى (٧٧)، تهران، ١٣٤٩، ص١٧٢.

(٤) أبى البسام الفاطمى (أبى الخطاب عمر بن الإمام أبى على حسن بن سبط المعروف بذى النسبين (دحية والحسين) ت ٦٣٣هـ/ ١٢٣٥م: النبراس فى تاريخ خلفاء بنى العباس، صححه وعلق عليه عباس العزاوى، مطبعة المعارف، بغداد، العراق، ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م، ص١٧١؛ البناكتى: مصدر سابق، ص٢١٤.

(٥) وأصبحنا لنا دارٌ كجنات و فردوس
وأمسينا بلا دارٍ كأنا لم نكن بالأمس

رشيد الدين الهمذانى: الإيلخانيون (تاريخ هولاكو)، المجلد الثانى، جـ١، ص٢٩٤.

ولقد توغل المغول داخل بغداد مخربين ومفسدين يسبون ويقتلون وكانت الكلمة العليا لسيوفهم حتى قتل أعداد كثيرة من العلماء وأهل العدل والتوحيد وضاعت ما كانت عليه بغداد من مكانة علمية وأدبية[١] مما دعا الشيخ تقى الدين إسماعيل أن ينظم قصيدته المشهورة (البسيط)[٢]، ولم يقتصر الأمر على شعراء العرب فقط بل رثى شاعر الفرس سعدى الشيرازى حالة المسلمين المتردية[٣].

واهتز المسلمون فى شتى البقاع لتلك الكارثة لأن الخلافة العباسية ظلت رغم ضعف سلطانها السياسى محتفظة بمركز الزعامة الروحية إلى درجة تفوق مركز البابوية فى روما[٤] وقتل هولاكو المستعصم لكن دون

---

(١) الصفدى (صلاح الدين خليل بن أيبك) ت٧٦٤هـ: تحفة ذوى الألباب فيمن حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنواب، القسم الثانى ، حققه إحسان بنت سعيد خلوسى، زهير حمدان، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، ١٩٩٢م ، ص١٢٢؛ العرشى (القاضى حسين بن أحمد): بلوغ المرام فى شرح مسك الختام فيمن تولى مُلك اليمن من ملك وإمام، فأوصل حوادثه الأب أنستاس مارى الكرملى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ، ١٩٠٠م ، ص٤٩ ؛ أبوالفداء : التبر المسبوك فى تواريخ الملوك، تقديم وتحقيق وتعليق محمد زينهم محمد عزب، الطبعة الأولى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ص٧٩.

(٢) لسائل الدمع عن بغداد أخبارُ ... فما وقوفك والأحبابُ قد ساروا

يا زائرين إلى الزوراء لاتفروا ... فما بذاك الحمى والدار دَيَّارُ

تاج الخلافة والربع الذى شرفت ... به المعالم قد عَفَّاه إقفارُ

راجع ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ٧، ص٤٨.

(٣) (آسمانرا حق بودكر خون بريذر برزمين برزوال ملك مستعصم أمير المؤمنين) ومعناها: للسماء حق إذا بكت على وجه الأرض دمًا لزوال ملك المستعصم أمير المؤمنين ، راجع فؤاد عبدالمعطى الصياد: رشيد الدين الهمذانى، ص٤٠.

(٤) أحمد مختار العبادى: دولة المماليك، ص١٤٧.

أن يريق دمه كعادة المغول مع الملوك والأكابر فوضعوه فى جوال وداسوه بأرجلهم وأرجل الخيل حتى مات فى ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م وبموته زالت الخلافة العباسية(١) وراح المغول يلهون ويلعبون على ظهور خيولهم فالخيل شيء أساسى فى حياة المغولى قائدًا كان أم جنديًا حتى لو كان فردًا عاديًا، فمن على ظهور خيولهم احتفلوا بانتصاراتهم(٢).

وبعد أن استتبت لهم الأمور أقام المغول دور قضاء تستمد قوانينها من الياسا وهدفت إلى فض المنازعات بين المغول أنفسهم وبين المغول وأهل البلدان المفتوحة(٣) هذا ويُعد الفتح المغولى للمشرق الإسلامى فى منتصف القرن السابع الهجرى الثالث عشر الميلادى بمثابة كشف جديد لآسيا، فتوحيد شرق آسيا بغربها تحت رايات المغول بمثابة الكشف الحقيقى للقارة العظيمة وأن هذا الكشف لا يقل فى أهميته عن كشف كولومبوس للعالم الجديد(٤).

ولما فرغ هولاكو من فتح قلاع الإسماعيلية والاستيلاء على بغداد بقى عليه من البرنامج الذى رسمه له أخوه "منكوقاآن" أن يخضع الشام ومصر؛ فوجه همته لإخضاع هذين الإقليمين، فالشام كان يسيطر عليه عدد من ملوك بنى أيوب أبرزهم الناصر يوسف صاحب حلب ودمشق

---

(١) ابن تغرى بردى (جمال الدين أبوالمحاسن يوسف) ت٨٧٤هـ: حوادث الدهور فى مدى الأيام والشهور، تحقيق محمد كمال الدين عز الدين)، جـ١، الطبعة الأولى، عالم الكتب، القاهرة، ١٤٠٠هـ/ ١٩٩٠م، ص١١؛ ابن بطوطه (أبوعبدالله محمد بن إبراهيم اللوانى) ت ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م: رحلة بن بطوطه، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، ص٣٩٨.

(٢) العسقلانى: أنباء الغمر، جـ١، ص١٦.

(3) Morgan: The Great Yasa, p.175.

(٤) سعد زغلول عبدالحميد: الترك فى العصر الإسلامى الوسيط، ص١٤٨.

(٦٤٠ - ٦٥٩هـ/ ١٢٤٢ - ١٢٦٠م) الذى سارع يخطب ود هولاكو اتقاءً لشره فعرض عليه المساعدة ، أما مصر فقد زال عنها حكم الأيوبيين وصار سلاطينها من مماليكهم[١].

وهناك عامل شجع هولاكو والمغول على المضى قدمًا فى فتوحاتهم وقصد بلاد الشام ألا وهو الحركة المسيحية الغربية واتجاهها لمحاولة التحالف مع المغول، وقد ساعد على التقارب بين الطرفين عاملان وهما :

١- عدم معارضة المغول لحركة التبشيريين بين رعاياها.

٢- التفكير فى تكوين تحالف حربى بين المغول والمسيحيين لمحاربة المسلمين بعامة ومصر بخاصة.

وكان من أكبر المتحمسين لهذا الرأى البابا أنوسنت الرابع (٦٤١ - ٦٥٢هـ/ ١٢٤٣ - ١٢٥٤م) الذى عاصر لويس التاسع فأرسل سفارة إلى كيوك (خان الخان) الأعظم ثم أعقب ذلك بسفارة على رأسها أنسلم Anselmu الراهب اللمباردى ونهجت نهج سابقتها من دعوة المغول إلى المسيحية الكاثوليكية كما صحبت معها رسولين من المغول إلى البابا فى روما، وتلقاهما أنوسنت الرابع فى مستهل عام ٦٤٩هـ/ ١٢٥١م[٢] ثم رأى هيثوم ملك إرمينية[٣] أن الفرصة سانحة للانضمام إلى المغول

---

(١) أحمد مختار العبادى: دولة المماليك، ص١٥٠؛ فؤاد الصياد: رشيد الدين الهمذانى، ص٤٦.

(٢) جوانفيل: مصدر سابق، ص١٧- ١٨.

(٣) إرمينية: بكسر الهمزة وسكون الراء وكسر الميم وياء ساكنة وكسر النون هى بلدة فى آسيا محصنة ذات هواء طيب ومناخ طيب وبها خيرات كثيرة. راجع ياقوت الحموى: المشترك وضعًا والمفترق صقعًا، الطبعة الثانية، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص٢٠.

لاستخلاص الشام بوجه عام وبيت المقدس بوجه خـاص فتحـالف مـع هولاكو وحرضه على غزو بلاد الشام وذلك عـام ٦٥٧هـ/ ١٢٥٩ – ١٢٦٠م[١].

وتحرك الجيش المغولى بقيادة هولاكو وابنه يشموط وكتوبووقـا فى شهر رمضان لعام ٦٥٧هـ ١٢٥٩م وبدأت الحملة بغارة على إمارة ميافارقين وكان حاكمها يدعى الملك الكامل محمد بن المظفر غازى بـن العادل بن أيوب[٢].

وأرسل إليه المغول رسولهم يدعونه إلى الانقياد والطاعة ولكـن الملك الكامل فضل الجهاد والدفاع عن بلاده حتى يموت دونهـا وحـث أهالى ميافارقين على الاستماتة في الدفاع عن مـدينتهم وشـدد المغـول ومعهم فرق إرمينية الحصار على المدينة وصبر أهلها علىالجوع ولمـا طال الحصار عم الوباء ومات أهالى ميافارقين جوعًا وعطشًا ومرضًا فلم يجد الملك الكامل بدًا من المقاومة فاستسلم للمغول[٣] وقتله المغول شـر قتلة إذ كانوا يقطعون من لحم جسده ويضعون فى فمه حتى مات[٤].

ولما تم للمغول فتح ميافارقين، تقدموا نحو ماردين، وكانت فـى قبضة الملك السعيد الذى أبى إلا أن يقاوم، فاستمر المغول يحاصـرونها

---

(١) فايد حماد محمد عاشور: الجهاد الإسلامى ضد الصليبيين والمغول فى العـصر المملوكى، الطبعة الأولى، جروس برس، طرابلس، لبنان، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ص١٥١.

(٢) المقريزى: السلوك، جـ١، ص٣٨٣؛ ابن سباط: تاريخ بن سباط، ص٥٢٢.

(٣) ابن الوردى: تتمة المختصر، جـ٢، ص١٩٣؛ بيبرس الدوادار: زبدة الفكـرة، ص٦٢.

(٤) فؤاد عبدالمعطى الصياد: المغول فى التاريخ، ص٢٩٣.

مدة ثمانية أشهر دون أن ينجحوا فى احتلالها وأخيرًا حاول أحد أبناء الملك السعيد أن يثنى أباه عن عزمه ويحمله على التسليم للمغول، فلما فشل فى إقناعه، لم يجد بدًا من قتله ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م وسلم القلعة للمغول فنصبوه واليًا على ماردين بدلاً من أبيه(١).

وبعد ذلك تقدم هولاكو على رأس جيش كبير يعاونه الأرمن والفرنج لمحاصرة حلب وجريًا على عادة المغول أرسلوا إلى حاكم حلب الملك المعظم تورانشاه يدعونه إلى التسليم مقابل تأمينه هو وأتباعه ولكنه صمم على محاربتهم(٢) وقد شجعه على موقفه طبيعة مدينته؛ فهى قوية محصنة ذات أسوار عالية تمنع وقوعها بسهولة، بها خيرات كثيرة تكفى أهلها إذا ضرب حولها الحصار(٣).

ونتيجة لذلك قام هولاكو بحشد أكبر عدد من المجانيق وظل المغول يضربون فى المدينة وشددوا من حصارهم عليها حتى أجبر أهلها على التسليم بعد أن استمرت قلعتها فى المقاومة ثلاثين يومًا وبعد السقوط فى عام ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م استباحها المغول سبعة أيام وأسروا النساء ونهبوا الأموال هذا بالإضافة إلى ما حدث من قتل وتخريب وتشريد(٤).

---

(١) ابن العبرى (غريغوريوس يوسف الملطى) ت ٦٨٥هـ: تاريخ مختصر الدول، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، لبنان، ص٢٨٠؛ فؤاد الصياد: رشيد الدين الهمذانى، ص٤٨.

(٢) ابن العميد: أخبار الأيوبيين، ص٥٠؛ اليافعى: مرآة الجنان، جـ٤، ص١١٤.

(٣) البندارى (الفتح بن على البندارى): سنا البرق الشامى، اختصار كتاب البرق الشامى للعماد الكاتب الأصفهانى، تحقيق فتحية النبراوى، مكتبة الخانجى، القاهرة، ١٩٧٦م، ص١٠٣؛ ابن الحنبلى الحلبى: الزُبد والضَرب فى تاريخ حلب، ص٤٦.

(٤) رشيد الدين الهمذانى: الإيلخانيون (تاريخ هولاكو)، المجلد الثانى، جـ١، ص٣٠٥- ٣٠٦؛ بيبرس المنصورى: التحفة المملوكية فى الدولة التركية، ص٤٣؛ محمد كرد على: خطط الشام، جـ٢، ص١٠٥.

وبعد تحقيق هولاكو لكل هذه الانتصارات سارع أمـراء الـشام بتقديم فروض الطاعة للمغول فكان ممن جاءوا إلـى هولاكـو الملـك الأشرف موسى الأيوبى ملك حمص وسليل أسد الدين شيركوه وكان فـى ذلك الوقت يملك قرية تل باشر قرب الرها فكافأه هولاكو علـى ولائـه للمغول وذلك بأن رد إليه حمص التى كان الناصر قد انتزعها منه عـام ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م كما اختاره نائبًا عنه ببلاد الشام(١).

ثم تقدم المغول نحو دمشق ((ودمشق كثيرة الخيرات، ولوصـاف صفاتها تتضاعف أعدادها ولا تحصى ومن يمتلكها ينـال خيراتهـا))(٢) وكان عليها الملك الناصر آخر حكام بنى أيوب بالشام فلم يحاول أن يحمى المدينة، فهجرها وانسحب إلى غزة وتركها المدافعون عنها خوفًا مـن أن يؤول مصيرهم إلى ما آل إليه مصير أهل حلب وذهـب بعـضهم إلـى هولاكو وقدموا إليه الهدايا ودخل هولاكو دمـشق فـى المحـرم لعـام ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م دون إراقة دماء ولتفق رأى هولاكو ورجاله علـى أن الناصر أمير دمشق(٣) أنفع لهم ولسياستهم التى يريـدون اتباعهـا مـع

---

(١) أحمد مختار العبادى: دولة المماليك، ص١٥٣.

(٢) أبى البقاء: نزهة الآنام فى محاسن الشام، ص٨.

(٣) الناصر يوسف الأيوبى: رفض أن يقدم الولاء لهولاكو كما فعل الأشرف موسى وأرسل وفدًا ينوب عنه ورفض هولاكو هذا الوفد الذى لا يرتقى إلـى مـستواه وبعد فترة أرسل القائد المغولى كتبغا نوين ثلة من- -الفرسـان قبـضت علـى الناصر يوسف، ولكن أحسن إليه من قبل المغول لأنهم وجدوا فيه حليف أقـوى من الملك الشاب الأشرف موسى أمير حمص، ووعدوه باحياء الدولة الأيوبيـة شريطة أن يعترف بسلطان المغول وسيادة خانهم الأعظم.
لمزيد من التفاصيل راجع: أبوشامه: الذيل علـى الروضـتين، ص٢٠٥؛ ابـن واصل (جمال الدين أبوعبدالله محمد الشافعى) ت ٦٩٧هـ: مفرج الكروب فـى أخبار بنى أيوب، حققه حسنين ربيع، راجعه وقدم له سعيد عبدالفتاح عاشور، جـ٥، مطبعة دار الكتـب، القـاهرة، ١٩٧٧م، ص٣٧١- ٣٧٢؛ أبوالفـداء: المختصر فى أخبار البشر، جـ٢، ص٢٠٩- ٢١٠؛ المقريزى: السلوك لمعرفة دولة الملوك، تحقيق محمد مصطفى زيادة، القاهرة، ١٩٣٦م، ص٤٢٧- ٤٣٩؛ أحمد مختار العبادى: قيام دولة المماليك، ص١٥٣- ١٥٨.

المسلمين فى تلك الآونة[١] وبعد فتح دمشق بثلاثة أسـابيع أتـم المغـول استيلاءهم على بلاد الشام ومدنه مثل نابلس وغزه وصرخد (مدينة جنوب سوريا) وغيرها من المدن الأخرى[٢].

وفى تلك الآونة بدأت تظهر دولة المماليك الأولى بمصر تحـت قيادة قطز الذى تولى فى ظروف لا يُحسَد عليها بسبب خطـر المغـول، فبينما كان الصليبيون مشغولين بخلافاتهم الداخلية كان المماليك يحاولون تثبيت أقدامهم والتغلب على مشاكلهم الداخلية فعقدوا اتفاقًا مع الـصليبيين عام ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م لمدة عشر سنوات أتاح لهم تثبيت أقدامهم[٣]. ولم يبرح هولاكو الشام فى عام ٦٥٨هـ/ ١٢٥٩م حتى أرسل رسله ليهددوا قطز وليدعوه إلى الطاعة والاستسلام، وليحذروه من العواقب إن رفـض مطالب المغول وجاء فى رسالته:

---

(١) الدمشقى (محمد بن طولون الصالحى) ت ٨٥٣هـ: إعلام الوردى بمـن ولـى نائبًا من الأتراك بدمشق الشام الكبرى، تحقيق محمد أحمد دهمان، الطبعة الثانية، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٤م، ص٣١؛ بيبرس المنصورى (نائب الـسلطنة فـى مصر) ت ٧٢٥هـ: مختار الأخبار تاريخ الدولـة الأيوبيـة ودولـة المماليـك البحرية حتى سنة ٧٠٢هـ، حققه وقدم له ووضع فهارسه عبدالحميـد صـالح حمدان، الطبعة الأولى، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ص١١؛ بيبرس الداودار: زبدة الفكرة، ص١٢٣.

(٢) الدمشقى (محمد بن عيسى بن كنان الصالحى) ت١٠٧٤ – ١١٥٣هـ: المواكب الإسلامية فى الممالك والمحاسن الشامية، تحقيق حكمت إسـماعيل، مراجعـة محمد المصرى، القسم الثانى، وزارة الثقافة، دمـشق، ١٩٩٣م، ص٢٦- ٢٧؛ ابن العبرى: مختصر الدول، ص٢٧٨- ٢٨٠.

(٣) السخاوى (شمس الدين محمد بن عبدالرحمن السخاوى) ٩٠٢هـ: وجيز الكـلام فى الذيل على دول الإسلام، تحقيق بشير عواد معروف، عصام فارس، جـ١، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ص٢١؛ حسن عبدالوهاب: الفرسان التيوتون، ص٢٨.

ألا قل لمصر هاهلاوون قد أتى بحد سيوف تنقضى وبواتر

يصير أعزة القوم منها أذلـــة ويلحق أطفالاً لهم بالأكابـــر

فرد قطز على تهديدات هولاكو بالقبض على رسـله وإعـدامهم توسيطاً[1] وبدأ يحث الناس على الجهاد تحت شعار ((لـو أن المـسلمين أدركوا شريعة الله وأن العمل فى سبيل الله حتى ولو كان قليلاً خير مـن الدنيا وما فيها وأقل شيء فى الجنة خير من الدنيا وما فيها))[2] وفى يوم ١٥ رمضان عام ٦٥٨هـ/ ٣ سبتمبر ١٢٦٠م التقى جيش المغول تؤيده نجدات إرمينية بجيش المماليك تحـت قيـاده قطـز والأميـر بيبـرس البندقدارى، وقائد المغول يدعى كيتوبوقا (كتبغا) فى معركة عين جالوت بالقرب من نهر الأردن[3]، ودارت معركة شديدة الشراسة بين الطـرفين تقهقر فيها الجيش المملوكى في بـادئ الأمـر حـسب خطـة محكمـة وموضوعة من قبل قطز فطمع فيهم المغول وتعقبوهم حتى وقعـوا فـى كمين نصبه لهم الجيش المملوكى وخرجوا عليهم من ثلاث جهـات وآل الأمر فى نهايته إلى انتصار ساحق للمسلمين[4].

---

(١) أحمد مختار العبادى: الأيوبى والمملوكى، ص٢٦٨؛ أحمد مختار العبادى: دولة المماليك، ص٢٦٠.

(٢) ابن كثير (أبو الفداء الحافظ بن كثير الدمشقى) ت ٧٧٤هـ: النهاية فـى الفـتن والملاحم، تحقيق محمد أحمد عبالعزيز، جـ٢، دار التراث الإسلامى، القاهرة، ت، ص٢٦٨.

(٣) عين جالوت: بلدة شرق دارين بين بيسان ونابلس، من أعمال فلسطين ويرجـع هذا الاسم إلى الأسطورة القائلة بأن داود قتل جالوت فى هذا المكان وقد سـماها الصليبيون مدينة Tubanéa ، ويروى صارم الدين تفاصيل عن معركـة عـين جالوت، وصارم الدين أزبك بدأ حياته مملوكا عند الملك الأشرف موسى صاحب حمص، وشغل وظائف إدارية فى الشام، وعاش ببلاد المغول مدة من الزمـان، وأعطانا معلومات دقيقة عن المغول، وتوفى فى سن الخمسين عـام ٦٧٩هـ/ ١٢٨١م.راجع أحمد مختار العبادى: قيام دولة المماليك، ص١٦٣- ١٦٦.

(٤) مؤلف مجهول: تتمة وليم الصورى، ص٢٤٤؛ تيودو بيشوف الجرمانى: تحـف الأنباء فى تاريخ حلب الشهباء، ترجمة وتحقيق شوقى شعت، أ. فـالح بكـور، الطبعة الثانية، دمشق، ١٩٩٢م، ص١٣٠.

ولقد استطاع قطز بذلك أن يوقف زحف ومد المغول، وكسر شوكتهم وأعاد الثقة إلى جيوش المسلمين، وتبين لهم أن المغول يمكن تحقيق النصر عليهم إذا أحسن الاستعداد لملاقاتهم(١)، وقيل في هذا الصدد:

غلب التتار على البلاد فجاءهم	من مصر تركى يجود بنفسه
بالشام أهلكهم وبدد شملهم	ولكل شيء آفة من جنسه(٢)

وبعد تحقيق هذا النصر تقهقر هولاكو إلى البلاد التى استولى عليها من قبل وظل خطر المغول قائمًا وفى عام ٦٦١هـ/ ١٢٦٣م جاء إلى هولاكو نبأ تنصيبه واليًا على الممالك الواقعة بين شاطئ نهر جيحون وبين الشام ومصر من قبل أخيه الخان الأعظم قوبيلاى وأرسل له مددًا قوامه ثلاثون ألفًا، فما كان من هولاكو إلا أن ولى أبناءه والمخلصين من أمرائه على الأقاليم التى فتحها فاختار ابنه اباقا (أبغا) واليًا على العراق

---

(1) Rabban Sowma: Op.Cit., p.107; Majid: War and Peace, p.143.

(٢) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ٧، ص٢٣٨؛ أحمد مختار البادى: الأيسوبى والمملوكى، ص١٥٦. هذا وقد تغنى العديد بهذا النصر فقال السيوطى:

كل نهر فيه ماء قد جرى	فإليه الماء يومًا سيعود
مماليك كأسد فى الوقائع	ملوكهم ليوث فى المعامع
بنو ترك فكم تركوا قتيلاً	شجاعًا كان يخشى فى الطلائع

راجع: السيوطى (جلال الدين أبوبكر ناصر محمد بن همام الدين الخضيرى) ت ٩١١هـ: التحدث بنعمة الله، تحقيق اليبزيث سارتن، قدم له عواطف الغبارى، سلسلة الذخائر عدد ١٠٦، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص١٩؛ الظاهرى (غرس الدين خليل بن شاهين): زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، اعتنى بتصحيحه بولس راويس، مطبعة الجمهورية، باريس، ١٨٩٤م، ص١٤٢.

وخراسان ومازنداران، وولى ابنه يشموط على آران وأذربيجان وولــى معين الدين بروانة على بلاد الروم لإخلاصه وطاعته للمغول كذلك فوض إلى شمس الدين محمود الجوينى منصب صاحب الديوان للــبلاد كلهــا، وأطلق يده في حل الأمور وعقدها وعهد بحكم بغداد إلى أخيــه المــؤرخ علاء الدين عطا ملك الجوينى[1] ومنذ ذلك الحين تعاقب على عرش إيران هولاكو وسلالته وظلوا يحكمون من سنة (٦٥٤ - ٧٥٤هــ/ ١٢٥٦-١٣٥٣م) وعرفوا باسم الإيلخانيين أو مغول فارس[2].

---

(١) فؤاد عبدالمعطى الصياد: المغول فى التاريخ، ص٣٢٣- ٣٢٤.

(٢) ابن الساعى (على بن انجب بن الساعى) ت ٦٧٤هـ: تاريخ الخلفاء العباسيين، قدم له وأعد فهارسه عبدالرحيم يوسف الجمل، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٤١٣هــ/ ١٩٩٣م، ص١٧.

ثانيًا : عهد إيلخانات فارس وأبرز مظاهرهم (٦٥٦ – ٧٣٥هـ/ ١٢٥٨ – ١٣٣٥م).

قامت هذه الدولة في فارس وهي إيران أسرة حاكمة أسسها هولاكو وعرفت باسم الإيلخانيين وحكمت البلاد من (٦٥٤ – ٧٥٤هـ/ ١٢٥٦ – ١٣٥٦م)(١) ثم حلت الدولة الجلائرية(٢) محلها.

ويرجع إطلاق اسم الإيلخانيين على هذه الأسرة إلى كلمة "إيل" المغولية والتي تأتي بمعنى خاضع أو مطيع وبذلك يكون المعنى المطيع للخاقان أو هو الذي يمثله ويدين له بالولاء ذلك أن هولاكو مؤسس هذه الأسرة كان يحكم فارس من قبل أخيه الخاقان (الخان الأعظم) منكوقاآن الذي كان يقيم في قراقورم، فهولاكو إذن لم يملك ملكًا مستقلاً بل كان نائبًا عن أخيه منكوقاآن ولم يضرب باسمه سكة درهم ولا دينار وإنما كانت تضرب باسم أخيه(٣).

---

(١) كليفورد أ. بوزورث: مرجع سابق، ص٢٠٩- ٢١٠.

(٢) الدولة الجلائرية: من الدول الوارثة للإيلخانيين في فارس، فقد خلف الجلائريون الإيلخانيين فيما كان تحت أيديهم من أرض في العراق وآذربيجان وكردستان وحكموا من (٦٣٦ – ٨٣٥هـ/ ١٣٣٦ – ١٤٣٢م) وهم في الأصل إحدى القبائل المغولية التي تفرعت عن ذرية هولاكو ومؤسس هذه الأسرة هو حسن بزرك أي (حسن الكبير) وأطلق عليه بزرك تمييزًا له عن عدوه ومنافسه الذي خرج عليه ويدعى (حسن كوجوك) أي الصغير، وبذلك تكون النهاية الحقيقية للدولة عام ٧٣٥هـ/ ١٢٥٦م لأن مع هذا التاريخ فقدت الدولة الإيلخانية استقلالها وأصبح خاناتها ينصبون من قبل الأمير الجلائري حسن بزرك لمزيد من التفاصيل راجع:
كليفور أ. بوزورث: مرجع سابق، ص٢٢٧- ٢٢٨؛ يمنى رضوان: الدولة الجلائرية، ص٢٣.

(٣) فؤاد عبدالمعطي الصياد: الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين (أسرة هولاكو)، منشورات مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، جامعة قطر، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص٢٩.

وقد عرف عن هولاكو ((أنه ذو سطوة ومهابة وعقـل وحـزم ودهاء وخبرة بالحروب وشجاعة ظاهرة وكرم مفرط ومحبة لعلوم الأوائل من غير أن يفهمها))[١] فقد استطاع في فترة وجيزة أن يـستولى علـى ممالك عديدة ويكون كيانًا مغوليًا مستقلاً وساعده على ذلك امتلاكه جيشًا قويًا منظمًا خفيف الحركة، هذا بجانـب زوجتـه "دقوزخـاتون" وقيـل (طقزخاتون) التى لعبت دورًا كبيرًا فى تحريك مجريات الأمور بتـدخلها فى السياسة الداخلية للإيلخانيين[٢].

واتخذت الدولة الإيلخانية من مدينة "تبريز" حاضرة لهم ونقلـوا إليها أهل العلم والحرفيين والصناع وكانت تشتهر بالجبال وكثرة الخيرات وتعد من أعظم مدن أذربيجان[٣].

وحاول هولاكو أن يشن بعض الهجمات على بلاد الشام انتقامًا لما حدث له فى عين جالوت ولكن فى تلك الآونة كان هناك تقارب قد حدث بين بركة خان زعيم القبيلة الذهبية وبيبرس (٦٥٩ - ٦٧٦هـ/ ١٢٦٠ - ١٢٧٧م)، فتصدى بركة خان لابن عمه هولاكو وحدثت بينهم معركة فى ديسمبر ٦٦١هـ/ ١٢٦٢م وكان جيش بركة بقيادة (نوغـاى) وتحقـق النصر لبركة وقتل أحد أبناء هولاكو وغرق عدد كبير من فرسان جـيش هولاكو وهم فى طريق انسحابهم إلى آذربيجان، وتحسنت علاقات بيبرس ببركة خان خاصةً أن بركة كان قد أعلن إسلامه فأرسل إليـه الـسلطان

---

(١) الذهبى: العبر فى خبر من غبر، جـ٣، ص٣١١.

(٢) غياث الدين خواندمير: حبيب السير، ص٢٧٧؛ القرمانى: أخبار الـدول وآثـار الأول، ص٢٨٦- ٢٨٧.

(٣) محمد جواد مشكور: نظرى به آذربيجان، ص١٧١؛ سيد محمد تقى مـصطفوى: "يك أثر تاريخى ازدوران ماوتا عهد إسلامى"، منشور ضمن كتاب يادنامه إيرانى منورسكى، تديون مجتبى ميسنوى، ايرح انشار، انتـشارات دانـشكاه، تهـران، ١٣٤٨، ص١٢٨.

بيبرس الخلع والهدايا[١]، وتحسنت العلاقات بين الطرفين بسبب زواج بيبرس من ابنة بركة خان وأمر بالدعاء له على منابر القاهرة والقدس، والرسالة التى بعث بها بركة خان إلى بيبرس يقول فيها: ((فليعلم السلطان أننى حاربت هولاكو الذى من لحمى ودمى لإعلاء كلمة الله العليا تعصبًا لدين الإسلام))[٢].

وحرص هولاكو على الاكتفاء بما لديه وعمل على توحيد أملاكه فى فارس وشجع رجال الأدب والعلم وقرب إليه المؤرخ الفارسي الجوينى لأن أسرته كانت فى خدمة المغول منذ تواجدهم فى بلاد الإسلام[٣] وكان هولاكو يعتنق البوذية ورغم ذلك فكان يميل ميلاً كبيرًا إلى العقيدة المسيحية النسطورية التى تعتنقها زوجته[٤].

نخرج مما سبق بشيء مهم وهو أن المغول بعد محاولتهم طمس الهوية والحضارة الإسلامية والعمل على قتل وتشريد وتخريب وحرق كل ما يقف أمامهم، بدأت تظهر لديهم بعد الاستقرار ببلاد الإسلام رغبة ملحة فى تحقيق أكبر قدر من الاستفادة على حساب المسلمين من خلال نقل العلماء والحرفيين والفنانين إلى حواضرهم وتقريب من بقى منهم إلى الخان وظهور مسحة من السماحة الدينية.

---

(١) النويرى (شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب) ت ٧٣٣هـ: نهاية الأرب فى فنون الأدب، جـ٣، تحقيق محمد عبدالهادى شعيرة، مراجعة محمد مصطفى زيادة، مركز تحقيق التراث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ص٦٣؛ السيد الباز العرينى: المغول، ص٢٧٤؛ محمد غانم: قيام الدولة المغولية، ص١٨- ١٩.

(٢) ابن واصل: مفرج الكروب، جـ٢، ص٤٠٩؛ أحمد مختار العبادى: قيام دولة المماليك الأولى، ص٢٠٦.

(٣) ابن خلدون : التعريف برحلته، ص٣٨٢؛ رحمة الله مهزار: برزكان شيراز، ص٣٨٨.

(٤) برتولدشبولر: العالم الإسلامى، ص٥٨.

وعندما حلت سنة ٢٦٣هـ شهر ربيع الأول/ ١٢٦٤م وهو العام الذى يسميه المغول عام البقرة كعادتهم فى تسمية السنوات بأسماء حيوانات، اشتغل هولاكو عدة أيام باللهو والصيد وبعد استحمامه عاوده مرض كان قد أصيب به من قبل وأخذ يشعر بثقل فى جسمه، فلزم الفراش وفى يوم الثلاثاء، السابع من شهر ربيع الآخر تناول بمشورة الأطباء الخاطئة مسهلاً، فاعترته غشية توفى على أثرها ٦٦٣هـ/ ١٢٦٤م وخلفه ابنه آباقاخان[١].

آباقاخان (ابغاخان) ٦٦٣ – ٦٨٠هـ/ ١٢٦٤ – ١٢٨١م:

تولى آباقاخان العرش الإيلخانى بعد وفاة والده هولاكو وكانت الدولة المغولية فى إيران والتى أرسى قواعدها هولاكو تشمل جميع الأراضى الممتدة بين نهر جيحون إلى المحيط الهندى ومن السند إلى الفرات مع جزء كبير من الأناضول وبعض أقاليم القوقاز، وقد اجتمع ممثلو الأسرة الجنكيزية المتواجدين فى غرب آسيا وشكلوا (قوريلتاى) مصغرًا وانتخبوا آباقا ((إيلخان)) على إيران وتوابعها وأسهمت والدته "دوقوز خاتون" فى إنجاح انتخابه وتم ذلك فى الثالث من رمضان ٦٦٣هـ/ ١٢٦٥م. وبعد خمس سنوات أيد قوبيلاى خان الخان الأعظم انتخابه[٢] واعتبر آباقا بذلك سيد الشرق[٣].

---

(١) رشيد الدين الهمذانى: الإيلخانيون (تاريخ هولاكو)، المجلد الثانى، جـ١، ص٣٤٠؛ ابن خلدون: تاريخ بن خلدون، جـ٥، ص٥٢٧؛ العينى: السيف المهند، ص١٨٢.

(٢) ابن الوردى: تتمة المختصر، جـ٢، ص٢١١؛ عبدالسلام فهمى: الدولة المغولية، ص١٥٣؛ عباس إقبال: تاريخ المغول منذ حملة جنكيزخان حتى قيام الدولة التيمورية، ترجمة عبدالوهاب علوب، مراجعة حسن النابودة، المجمع الثقافى، أبوظبى، الإمارات، ٢٠٠٠م، ص٢١٧.

(٣) ماركوبولو: رحلات ماركوبولو، جـ٣، ص٣٥٢.

واشتهر آباقا بكونه ((عادلاً حسن السيرة محبًا لعمارة البلاد، لا يرى سفك الدماء عفيفًا عن أموال رعيته)) [١] وهدفت سياسة آباقا الداخلية إلى تحسين الأوضاع فخفض الضرائب وتألق على عهده المؤرخ الإيرانى الكبير علاء الدين محمد الجوينى وأخوه شمس الدين محمد صاحب الديوان فكان لهما الفضل فى ازدهار دولة آباقا، ودفعا الأذى المغولى عن الأهالى وساعدا على تحسين أوضاع المسلمين وتولى علاء الدين الجوينى حكم العراق وبذل كل ما فى وسعه لتعمير ما خربه المغول، وفى تلك الآونة ظهر رشيد الدين الهمذانى المؤرخ الكبير وانتظم فى سلك أطباء آباقاخان وصار نجمه يلمع شيئًا فشيئًا ويزداد نفوذه[٢].

ومن أبرز وأهم الأحداث فى حياة هذا الإيلخان توطيد علاقته بالمسيحيين فتزوج ابنة امبراطور القسطنطينية وتقرب منه المسيحيون وامتلأ بلاطه بالقساوسة على الرغم من أنه لم يتخذ المسيحية دينًا له، وحدثت مراسلات وسفارات بينه وبين البابوات والملوك المسيحيين فى أوروبا مثل البابا جويجورى العاشر وشارك ملك صقلية ولويس ملك فرنسا وهدفت المراسلات إلى تنظيم حملة مشتركة ضد المماليك فى الشام ومصر[٣].

---

(١) ابن الفُوطى البغدادى (المؤرخ الكبير كمال الدين أبى الفضل عبدالرزاق) ت ٧٢٣هـ: الحوادث الجامعة والتجارب النافعة فىالمائة السابعة، دار الفكر الحديث، بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص١٩٩.

(٢) فؤاد الصياد: الشرق الإسلامى، ص٣٦- ٣٧؛ عباس إقبال: تاريخ المغول، ص٢١٨.

(٣) بارت D. Babrrett : "الفن الإسلامى ببلاد فارس" ترجمة أحمد عيسى، بحث منشور بكتاب تراث فارس، كتبه واعده أساتذة مستشرقون، وأشرف على نشره أ. ج. أربرى راجعه يحيى الخشاب، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٩م، ص١٠٥؛ محمود محمد زياده: مجتمعات إسلامية، ص١٠٥.

ودخل آباقاخان عدة حروب ضد المماليك فى الشام حتى ينتقم لما لحق بالجيوش المغولية فى عين جالوت فأعد جيشًا كبيرًا والتحم مع جيش السلطان الظاهر بيبرس فى معارك عديدة أسفرت جميعها عن انحدار جيوش المغول وانتصار الظاهر بيبرس انتصارًا رائعًا وكان من أبرز تلك المواقع موقعة أبلستين Abulustayn ٦٧٥هـ/ ١٢٧٦م، (شرق مدينة قيصرية بآسيا الصغرى) وفقد من المغول فى تلك المعركة ما يقارب سبعة الآلاف حتى أن آباقاخان عندما رأى أشلاء القتلى تأثر بذلك تأثرًا شديدًا[١] ثم دخل بيبرس مدينة قيصرية عاصمة سلاجقة الروم حيث نزل بدار السلطنة وجلس على عرش سلاجقة الروم وخطب له على المنابر واستقبله الأهالى استقبالاً رائعًا ثم عاد بيبرس إلى الشام[٢].

وبعد فترة حكم ثمانى عشرة سنة مرض آباقا وكان عمره يناهز الخمسين عامًا[٣] وجاء موته بسبب إصابته بمرض هذيان السكارى؛ وهى حمى تأتى نتيجة السكر الشديد[٤] وقيل إنه عندما علم بهزيمة جيشه بقيادة أخيه منكوتمر فى معركة حمص ٦٨٠هـ/ ١٢٨١م على أيدى المماليك وعودة أخيه منكوتمر جريحًا إلى بغداد حيث وبخه أخوه آباقا بقول: ((لم لامت أنت والجيش ولا انهزمت)) ولم يتحمل آباقا هذه الهزيمة ومات كمدًا وحزنًا عليه[٥] فى أواخر عام ٦٨٠هـ أبريل ١٢٨٢م وخلفه على

---

(١) اليونينى (الشيخ قطب الدين موسى بن محمد) ت ١٣٢٦هـ: ذيل مرآة الزمان، المجلد الثانى، الطبعة الثانية، دار الكتاب الإسلامى، القاهرة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م، ص٣- ٤؛ ابن خلدون: تاريخ بن خلدون، جـ٥، ص٥٢٨؛ فؤاد عبدالمعطى الصياد: رشيد الدين الهمذانى، ص٥٩.

(٢) أحمد مختار العبادى: قيام دولة المماليك، ص٢٣٨.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٣، ص٢٧٧.

(٤) الصرفى: دول الإسلام، ص٢٨٤؛ عبدالسلام فهمى: الدولة المغولية، ص١٦٥.

(٥) المقريزى: السلوك، جـ١، ص٦٩٠؛ عادل إسماعيل هلال: المغول وأوروبا، ص١٨٨.

عرش الإيلخانية فى إيران أخوه تكودار الذى أشهر إسلامه وتسمى بأحمد تكودار[١].

أحمد تكودار ٦٨١ – ٦٨٣هـ/ ١٢٨٢ – ١٢٨٤م:-

كان تكودار فى الصين إبان حكم والده هولاكو ثم أرسله قوبيلاى خان الخان الأعظم إلى فارس أيام حكم آباقاخان ليكون فى عون ومساعدة أخيه[٢] وهو الابن السابع لهولاكو خان وكان له أخ يدعى أرغون عندما علم بوفاة أبيه آباقا كانت له أطماع فى تولى الحكم خلفًا لأبيه، لكن القوريلتاى انتخب تكودار حاكمًا ٢٦ من المحرم ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م على حسب ما تنص الياسا الجنكيزية[٣].

واعتنق تكودار المسيحية فى صغره وعُمِّد تحت اسم نيقولا وكان للمسيحيين نفوذ كبير فى بداية حكمه وعلى أثر اتصاله برعاياه من المسلمين صار يميل إلى الإسلام تدريجيًا حتى توطدت علاقته بعلماء المسلمين فأعلن إسلامه ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م ليكون أول إيلخانى مغولى يعتنق الإسلام وتلقب بلقب "السلطان أحمد تكودار"[٤] وكان لأمه دورٌ بارز فى مشاركته بالأمور السياسية وكانت تدعى "قوتى خاتون" وعرف عنها الحنكة ورجاحة العقل والدراية بالسياسة[٥].

وقد ترتب على إسلام تكودار أن خلا الديوان من المسيحيين واليهود وحولت المعابد البوذية والكنائس إلى مساجد وأجبر كثير من

---

(١) ابن سباط: تاريخ بن سباط، جـ٢، ص٤٧٩.

(2) Howorth: History of the Mongols, III, p.289.

(٣) ماركوبولو: مصدر سابق، جـ٣، ص٣٥٣؛ بيبرس الدوادار: زبدة الفكرة، ص٢٠٢.

(٤) القلقشندى: الإنافة فى معالم الخلافة، جـ٢، ص١٢٧؛ فؤاد الصياد: الشرق الإسلامى، ص١٢٥.

(٥) رشيد الدين الهمذانى: تاريخ أبناء هولاكو، المجلد الثانى، جـ٢، ص٩٧.

المسيحيين على اعتناق الإسلام وخفت حدة التوتر بينه وبين السلطان المنصور قلاوون فى مصر الذى تولى الحكم بعد (ولدى بيبرس محمد بركه خان وبدر الدين سلامش) ونسى الطرفان الأحقاد وتبادلوا الرسائل والهدايا وأقر أحمد تكودار الشريعة الإسلامية بدلاً من الياسا(١).

ونتج عن السياسة التى اتبعها أحمد تكودار أن نقم عليه أمراء المغول الحريصون على التمسك بعقائدهم وتقاليدهم ووجدوا أن أحمد تكودار يهدد كيانهم ويقوض بنيانهم فناصبوه العداء وعلى الأخص أرغون الذى كان يطمع فى أن يلى العرش بعد وفاة أبيه آباقاخان(٢) وبدأ يحث المغول ويؤلبهم على أحمد تكودار وتجهز لمحاربته وخاطب المغول قائلاً: ((تعلمون فوق هذا كيف خرج على شريعتنا، بل لقد نبذها وتخلى عنها وأصبح مسلمًا يعبد محمدًا، وكم سيسوؤنا أن نسمح للمسلمين بالولاية على التتار))(٣) والتقى أرغون مع أحمد تكودار بالقرب من خراسان وبعد معركة حامية الوطيس حقق أحمد نصرًا كبيرًا فى ٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م وأسر أرغون، فحضرت زوجة أرغون وأمه وخواتين كثيرات وسألوا السلطان أحمد العفو فعفا عنه واكتفى بسجنه(٤).

---

(١) فؤاد الصياد: رشيد الدين الهمذانى، ص٦٠؛ D'ohsson: Histoire des Mongoles, p.35

(٢) ابن الفرات (ناصر الدين محمد بن عبدالرحيم): تاريخ ابن الفرات، حققه وطبعه، قسطنطين زريق، المجلد السابع، بيروت، ت، ص٦٠؛ Howorth: Op.Cit., III, p.34.

(٣) ماركو بولو: مصدر سابق، جـ٣، ص٣٥٤.

(٤) بيبرس الدوادار: زبدة الفكرة، ص٢٢١؛ النويرى: نهاية الأرب، جـ٢٧، ص٤٣؛ الدوادارى (أبى بكر بن عبدالله بن أيبك): كنز الدرر وجامع الغرر (الدرة الزكية فى اخبار الدولة التركية)، المجلد الثامن، تحقيق أولرخ هارمان، قسم الدراسات الإسلامية بالمعهد الألمانى، القاهرة، ١٩٧١م، ص٢٦٣.

وأعد حفلاً كبيرًا من قبل أنصار أرغون للهو والشراب ودعو إليه "اليتاق" نائب أحمد تكودار وشرب ولها كثيرًا وبعد أن نام في خيمته هاجمه أتباع أرغون ليلة الثلاثاء الثامن عشر من ربيع الثانى ٦٨٣هـ/ ١٢٨٤م، وهجم المغول على خيام النساء وجردوا زوجة أحمد تكودار من حليها وملابسها وهذا سلوك معيبٌ وشائن ويخالف القوانين المغولية ثم قبضوا على السلطان أحمد ليلة الخميس ٢٦ من جمادى الأولى سنة ٦٨٣هـ/ ١٠ أغسطس ١٢٨٤م[١]، وسلموه إلى أرغون الذى قتله دون تردد وخلفه فى الحكم على إيران وحكم من (٦٨٣ - ٦٩٠هـ/ ١٢٨٤ - ١٢٩١م)[٢].

أرغون خان ٦٨٣ - ٦٩٠هـ/ ١٢٨٤ - ١٢٩١م.

وأرغون هو الابن الأكبر لآباقاخان وأمه تدعى "قميش أبكاجى" عقد له في يوم الجمعة ٢٧ جمادى الأولى ٦٨٣هـ/ ١٢٨٤م جلسة القوريلتاى لانتخابه رسميًا لتولى عرش المغول فى إيران وبعد إعلانه ركع له الجميع وتناولوا اللهو والشراب كعادة المغول فى تنصيب الخان[٣].

وبعد أن انتخب أرغون خان فى ٦٨٣هـ/ ١٢٨٤م خانًا رسميًا لإيران جمع النبلاء الذين كانوا يدينون بالخضوع لأبيه، وأعلنوا له فروض الطاعة والولاء باعتباره مولاهم، وطاعتهم له واجبة فى كل

---

(١) بيبرس الدوادار: زبدة الفكرة، ص١٢١؛ فؤاد الصياد: الشرق الإسلامى، ص١٤٦.

(٢) خواندمير: دستور الوزراء، ص٣٦٨؛ رأفت النبراوى: مرجع سابق، ص١٦٠.

(٣) رشيد الدين الهمذانى: تاريخ أبناء هولاكو، المجلد الثانى، جـ٢، ص١٢٤-١٢٥.

شيء[١] وبدأ أرغون حكمه بإلقاء القبض على صاحب الديوان الوزير شمس الدين الجويني، وزير أحمد تكودار وبعد القبض عليه أخذ أمواله وممتلكاته وقتله ثم ولى على وزارته سعدًا اليهودى الموصلى ولقبه سعد الدولة، وولى أرغون ابنيه غازان وخدابنده على خراسان[٢].

واشتهر أرغون بميله إلى اليهود والمسيحيين، وكان عهده محنةً للمسلمين الذين ذاقوا الأمرين على أيدى البوذيين أنصار أرغون وازدادت حدة الضغط والظلم من يوم لآخر طوال عهد هذا الإيلخان وقيل إنه كان يعتنق البوذية[٣] وذهب رأى آخر إلى كونه عمد على المسيحية الكاثوليكية[٤] وهناك من قال : إن أرغون أحب دين البراهمة من عبادة الأصنام وانتحال السحر والرياضة، لذا وفد عليه بعض السحرة من الهند ومن بقاعٍ عديدة[٥].

وحقيقة الأمر أن أرغون كان بوذيًا واعتقد في السحر والشعوذة وقرب إليه أهل الفلك والكيمياء كعادة المغول[٦] وأبرز ما ميز عهده السلطة المطلقة التى أعطاها لسعد الدولة اليهودي

---

(١) ماركو بولو: مصدر سابق، جـ٣، ص٣٥٩؛ عباس العزاوى: حكومة المغول، ص٣٢٠.

(٢) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة، ص٢٠٧- ٢٠٩؛ الصرفي: دول إسلامية، ص٢٨٥.

(٣) برتولد شبولر: العالم الإسلامي، ص٧٠؛ محمود محمد زيادة: مجتمعات إسلامية، ص١٠٩.

(4) Moule. A. C: Christans in China Before the Year 1550, London, 1930, p.117.

(٥) ابن خلدون: تاريخ بن خلدون، جـ٥، ص٥٢٩.

(٦) رشيد الدين الهمذاني: تاريخ أبناء هولاكو، المجلد الثاني، جـ٢، ص١٥٨.

الذى تحول إلى مستبد وطاغية ومتعصب لكل ما هو يهودى ونالوا مكانة مرموقة مما دعا أحد شعراء العراق أن يقول فيهم شعراً(١).

وكان أرغون كمن سبقه من الإيلخانات ينظر باحترام إلى قــاآن المغول الأعظم قوبيلاى واعتبره خانه الأعظم، ولما عن سياسته وعلاقاته الخارجية فى الشرق والغرب فقد كانت مستقرة ولم تنشب أية حرب كبيرة فى تلك الآونة حتى مع دولة المماليك فى مصر والشام لــم تنــشب أيــة حروب لأن أرغون وجه اهتمامه إلــى جمــع المــال ورعايــة اليهــود والمسيحيين والاهتمام بالكيمياء والفلك وغير ذلك، ومن ناحية أخرى كان المماليك وخاصة السلطان قلاوون مشغولين بالصراع ضد أنصار الملــك الظاهر بيبرس وسنقر الأشقر والصليبيين والأرمن، وكان أرغون يميــل إلى المسيحية فرمم ما تهدم من كنائس على عهد أحمد تكــودار وراســل البابوية فى أوروبا ومنهم إدوارد الأول ملك إنجلترا وفيليب لوبــل ملــك فرنسا لتنفيذ مخطط لحملة مشتركة على المسلمين ولكن هذه الاتــصالات على الرغم من أنها لم تؤت ثمارها المرجوة، إلا أنها عملت على ازدهار المسيحية فى الشرق(٢).

---

(١) يهود هذا الزمان قد بلغــــوا ... مرتبة لاينالها فَلَــــك
المُلك فيهم والمال عندهـــــم ... ومنهم المستشار والمَلِك
يا معشر الناس قد نَصَحْتُ لكم ... تَهَوَّدُوا قد تهــود الفَلَك

راجع فؤاد الصياد: الشرق الإسلامى، ص١٦٩؛ فؤاد الصياد: رشيد الدين الهمذانى، ص٦٢.

وهذه الأبيات قيلت عندما قام الخليفة الفاطمى المستنصر بــالله كــان مــن وزرائه أبو سعد التسترى اليهودى الذى يبدو أنه أكثر من تعيين اليهود من أبناء ملته فى مناصب الدولة مما آثار كره المسلمين له ويظهر ذلك فى قول الــشاعر المعاصر فى ذلك الوقت تلك الأبيات المذكورة. ومن المعروف أن هذا الــوزير التسترى اليهودى مات قتيلاً سنة ٤٤٠هــ/ ١٠٤٨م. راجــع: أحمــد مختــار العبادى: فى التاريخ العباسى والفاطمى، ص٩٩ نقلاً عــن الــسيوطى: حــسن المحاضرة، جــ٢، ص١٥٣.

(٢) عباس إقبال: تاريخ المغول، ص٢٥٣- ٢٥٤؛ Howorth: Op.Cit., III, p.313.

وعندما مرض أرغون وضع له أطباؤه دواءً عبارة عن خليط من الكبريت والزئبق وبعض المواد الأخرى ظنًا منهم أنه سيشفيه ويطيل عمره[١] وأخيرًا لقى أرغون حتفه في يوم السبت السابع من ربيع الأول لعام ٦٩٠هـ/ ١٢٩١م في إيران وقيل أن السم وضع له في الدواء وكان ذلك سبب وفاته[٢] واتهم اليهود بقتله وعلى رأسهم وزيره سعد الدولة فخرج المغول وقتلوا خلقًا كثيرًا من اليهود ونهبوا أموالاً عظيمة كانت لهم، وأقاموا كيخاتوخان على عرش الإيلخانية خلفًا لأرغون[٣].

كيخاتوخان ٦٩٠ – ٦٩٤هـ/ ١٢٩١ – ١٢٩٤م

كان كيخاتوخان هو الابن الثاني لآباقاخان بن هولاكو بن تولوى بن جنكيزخان، أمه تدعى "نوفدان خاتون" من قبيلة التتار نصب خانًا على مغول إيران عام ٦٩٠هـ/ ١٢٩١م رغم سعي بعض أمراء المغول لتولية "بايدو" حفيد هولاكو بدلاً منه لكن "بايدو" رفض ذلك احترامًا لما تنص عليه الياسا من أحقية كيخاتو بالولاية[٤].

---

(١) رشيد الدين الهمذاني: تاريخ أبناء هولاكو، المجلد الثاني، جـ٢، ص١٥٨؛ ماركو بولو: مصدر سابق، جـ٣، ص٣٥٩.

(٢) بيبرس المنصوري: التحفة المملوكية، ص١٢٩؛ النويري: نهاية الأرب، جـ٢٧، ص٤٠٦.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية؛ جـ١٣، ص٣٠٢؛ شرف خان البدليسي: الشرفنامة، ترجمها إلى العربيةِ محمد علي عوني، مراجعة يحيى الخشاب، جـ٢، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦٢م، ص١١.

(٤) ماركو بولو: مصدر سابق، جـ٣، ص٣٦٥؛ ابن سباط: تاريخ بن سباط. ص٤٩٨.

وأبرز ما فى عهد هذا الخان عودة منصب الوزارة إلى المسلمين فتولاها "خواجة صدر الدين أحمد الخالدى الزنجاى" ولقب بصدر جهان أى "صدر العالم" وأعطاه كيخاتو سلطة واسعة ومطلقة حتى أصبح على قدم المساواة مع القائد العام لجيش المغول وكان هو المتصرف فى شئون الإيلخانية أحياناً كثيرة(١).

وتزامن جلوس كيخاتو مع ثورة جماعة من التركمان ويونانى بلاد الروم أوائل عام ٦٩١هـ/ ١٢٩٢م وتميزت ثوراتهم بالعنف والدمار، وأظهرت أمراء المغول على غير عادتهم مفككين لا تربطهم وحدة وطاعة وتماسك، ثم قامت ثورة خراسان وترأسها حاكم خراسان المغولى "أبنارجى بن منكوتمر" فأرسل إليه كيخاتو نائبه "سنكتوريان نويان" فاستطاع إخماد هذه الثورة فى حين توجه كيخاتو بنفسه إلى التركمان واليونان فى بلاد الروم لإخماد ثوراتهم وتم ذلك فى عام ٦٩١هـ/ ١٢٩٢م(٢) ولم تحدث أية تحرشات من جانبه ضد المماليك أو اتصالات بالغرب الأوروبى(٣).

وعكف كيخاتو على اللهو والملذات وانصرف إلى الشهوات وأنفق بسخاء وإفراط حتى ساءت أحوال الإيلخانية المالية فاقترح وزيره "صدر جهان" استعمال عملة ورقية صينية تدعى "الـچاو"(٤) بدلاً من التعامل

---

(١) عباس إقبال: تاريخ المغول، ص٢٥٦؛ فؤاد الصياد: رشيد الدين الهمذانى، ص٦٨.

(٢) البدليسى: الشرفنامة، جـ٢، ص١٨٢؛ عبدالسلام فهمى: الدولة المغولية، ص١٨٢.

(٣) عادل إسماعيل هلال: المغول وأوروبا، ص١٣٢.

(٤) الـچاو: بالجيم المثلثة عبارة عن النقود القرطاسية المعروفة لدينا بأوراق النقد يتعامل بها الناس بدلاً من النقود الذهبية والفضية وهى شائعة فى الصين ويتعاملون بها فيما بينهم فى تلك الآونة.
لمزيد من التفاصيل، راجع. البدليسى: مصدر سابق، جـ٢، ص١٣- ١٤.

بالذهب والفضة فوافق الخان وأصدر قانونًا بذلك عام ٦٩٣هـ/ ١٢٩٣م[١].

لقد ساءت سيرة كيخاتو لانغماسه في الشراب وارتكابه الفواحش والمنكر وإباحة الحرمات فعرف عنه اللواط والشذوذ فتعرض لغلمان ونساء المغول[٢] وراسلوا (بايدو) ابن عمه يخبرونه بمدى استيائهم من أفعال كيخاتو وكان (بايدو) في دقوقا واتفق الطرفان على أن يقتلوا كيخاتو ويحل بايدو محله وبالفعل تجمع الطرفان وهجموا على كيخاتو وقتلوه في ربيع الآخر وقيل في السادس من جمادى الأولى عام ٦٩٤هـ/ ١٢٩٤م وكان عمره وقتها حوالي ثلاثين عامًا[٣].

بايدوخان: جمادى الأولى – ذى القعدة ٦٩٤هـ/ إبريل – أكتوبر ١٢٩٤م:-

بايدوخان بن طرغان بن هولاكو بن تولوى بن جنكيزخان أمه تدعى "قراجين" تولى ولاية مغول فارس عام ٦٩٤هـ/ ١٢٩٤م وبدأ حكمه بقتل الأمراء المتعاونين مع كيخاتو والتخلص من خواص كيخاتو وبعدها أقام مراسم الأفراح جريًا على عادة المغول[٤] ثم أعقب ذلك عزل "صدر جهان" وزير كيخاتو ونظم شئون البلاد الداخلية[٥].

---

(١) بيبرس الدوادار: زبدة الفكرة، ص٢٥٧؛ برتولدشبولر: العالم الإسلامى، ص٧١.

(٢) ابن خلدون: تاريخ بن خلدون، جـ٥، ص٥٢٩؛ النويرى: نهاية الأرب، جـ٢٧، ص٤٠٦- ٤٠٧.

(٣) ابن الفوطى: الحوادث الجامعة، ص٢٢٨؛ بيبرس الدوادار: زبدة الفكرة، ص٢٨٨؛
عباس العزاوى: حكومة المغول، ص٣٦٢- ٣٦٣.

(٤) ماركو بولو: مصدر سابق، جـ٣، ص٣٦٠؛ فؤاد الصياد: الشرق الإسلامى، ص٣٢٩- ٣٣٠.

(٥) خواندمير: دستور الوزراء، ص٣٦٨.

ولم يكد بايدو ينعم بتوليه عرش الإيلخانية حتى قام غازان بن أرغون يطالب بدم عمه كيخاتو يسانده في ذلك أتابكه الأمير نوروز وبعد سلسلة من المناوشات آلت الأمور إلى الحرب بين الطرفين وعندما حضرت جيوش غازان عامله بايدو بلطف وحلاوة لسان واتفقا على الصلح عام ٦٩٤هـ/ ١٢٩٤م وكان ذلك في إحدى قرى مراغه بآذربيجان وأقام الأمير نوروز عند بايدو واغتنم هذه الفرصة وأخذ يستميل الأمراء إلى صف غازان ويؤلبهم على بايدو(١).

وفي سنة ٦٩٤هـ/ ١٢٩٥م اعتنق غازان الإسلام، وتسمى باسم محمود، ويعود الفضل في ذلك إلى جهود الأمير نوروز الذي كان يشجع غازان من وقت لآخر على اعتناق هذا الدين الحنيف وبين له المزايا العديدة التي سوف تعود عليه من جراء اعتناقه له(٢).

وفي أواخر عام ٦٩٤هـ/ ١٢٩٥م علم غازان بأن مسئولي فارس امتنعوا عن أداء عوائد تلك المملكة لمبعوثيه على الرغم من أوامر بايدو في هذاالصدد، فجهز غازان جيشاً وأصر على مهاجمة آذربيجان وساعده "صدر جهان" الذي عزل من الوزارة وتولاها مساعده "جمال الدين دستجرداني"(٣) وعندما علم بايدو بذلك اتخذ طريقه لملاقاة غازان والتقى الجمعان بنواحي همذان وبعد هزيمة بايدو حاول الفرار ولكن غازان أرسل إليه الأمير نوروز الذي قبض عليه بالقرب من نحجوان وأرسله إلى غازان فقتله في ٢٣ ذي القعدة ٦٩٤هـ/ ١٢٩٥م بعد فترة

---

(١) بيبرس الدوادار: زبدة الفكرة، ص٢٨٨؛ النويري: نهاية الأرب، جـ٢٧، ص٤٠٧- ٤٠٨.

(٢) البدليسي: مصدر سابق، جـ٢، ص١٥؛ عباس إقبال: تاريخ المغول، ص٢٦٤.

(٣) ابن خلدون: تاريخ بن خلدون، جـ٥، ص٥٢٩.

ولاية امتدت نحو ثمانية أشهر، عطف فيها علـــى المـــسيحيين وارتـــدى الصليب ولم يكن فاسقًا مثل كيخاتو ولكـــن كـــان ضـــعيفًا تلاعـــب بـــه الأمراء[1].

غازان محمود ٦٩٤ – ٧٠٣هـ/ ١٢٩٥ – ١٣٠٤م:-

غازان خان هو ابن آباقاخان بن هولاكو بن تولوى بن جنكيزخان وهو سابع الإيلخانيين حكام إيران وكان شابًا عاقلاً مهيبًا مليح الشكل تكلم المغولية والتركية والفارسية وقيل عنه من قِبل من اختلفوا معه أنه أتـــى لجباية الأموال[2].

اعتلى غازان خان عرش الإيلخانية فى إيران مـــع نهايـــة عـــام ٦٩٤هـــ/ ١٢٩٥م وكان آنذاك فى الرابعة والعشرين مـــن عمـــره وأول مرسوم أصدره ينص على أن الإسلام هو الدين الرسمى لدولة المغول فى إيران، وأن الآداب والرسوم يجب أن تجرى طبقًا لما تنص عليه الشريعة الإسلامية[3] وأن على الأفراد وكبار المسئولين فـــى الدولـــة أن يتوخـــوا العدالة التامة ويمتنعوا عن إلحاق الأذى والضرر بالرعية، وعلى أثر ذلك

---

(١) بيبرس الدوادار: زبدة الفكرة، ص٢٨٨؛ عباس العزاوى: حكومـــة المغـــول، ص٣٦٦.

(٢) وجاءها غازانُ بالمغُولِ ... و أكل الأموال مثل الغول

وخطبوا له على المنابر ... ولم يجد فى نصيحه مُثابر

ثم جبى أموالها و سارا ... وترك الناس بها سُكارى

راجع: الصفدى: تحفة ذى الألباب، ق٢، ص٢٠١- ٢٠٢؛ ابن تغـــرى بـــردى (جمال الدين أبى المحاسن يوسف) ت ٨٧٤هـــ: الدليل الشافى على المنهل الـــصافى، تحقيق فهيم محمد شلتوت، جـــ٢، الطبعة الثانية، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٨من ص٥١٧.

(٣) ابن الفُوطى: الحوادث الجامعة، ص٢٢٨- ٢٢٩؛ عباس إقبال: تاريخ المغول، ص٢٦٧.

غير المغول زيهم ولبسوا العمائم ومعظم ما كان يرتدى المسلمون، واشتد غازان فى معاملة المسيحيين واليهود والبوذيين(١).

وأعلن غازان بعد تحوله إلى الإسلام استقلاله الكامل عن الإمبراطورية المغولية فى منغوليا والصين، وتلقب بلقب "خاقان" وكان هذا اللقب مقصورًا على الخان الأعظم للمغول بمنغوليا وكذلك كتب اسمه على السكة "السلطان الأعظم غازان" وأضاف هذه الكلمات إلى اسمه "بتأييد الله المتعال"(٢) .

وبدأ غازان فى تنظيم شئون دولته فأصدر أمره بتعيين خواجه صدر الدين أحمد الخالدى الوزارة فى عام ٦٩٤هـ/ ١٢٩٥م لأنه ساعد غازان فى الانتصار على خصومه ولكن بعد فترة قصيرة اتهم خواجه صدر الدين بأنه يتلاعب بأموال الدولة وتم عزله وتعيين جمال الدين الدستجردانى ثم عين المؤرخ الشهير والطبيب رشيد الدين الهمذانى وزيرًا خاصًا لغازان فى الثالث من ذى الحجة سنة ٦٩٧هـ/ ١٢٩٨م(٣) وبدأ غازان يقرب إليه العلماء والمشايخ ويغدق عليهم العطايا فعرف عنه ولعه وحبه لأهل العلم(٤).

---

(١) فؤاد عبدالمعطى الصياد: الشرق الإسلامى، ص٢٥٨؛ Sheila. S. Blair: The Arts of the Mongols, p.27.

(٢) برتولدشبولر: العالم الإسلامى، ص٧٤؛ David Margan: The Mongols, pp.167, 168.

(٣) ابن الفوطى: الحوادث الجامعة، ص٢٢٩- ٢٣٠؛ فؤاد الصياد: الشرق الإسلامى، ص٢٨٠- ٢٨١.

(٤) رشيد الدين الهمذانى (رشيد الدين فضل الله بن عماد الدولة أبى الخير بن موفق الدولة) ت ٧١٨هـ: جامع التواريخ (تاريخ غازان)، دراسة وترجمة فؤاد عبدالمعطى الصياد، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ص١٨٦.

ولقد تعرض غازان لمشكلة حيث احتاج جيشه لنفقات كثيرة وإمدادات عديدة لم يكن فى مقدور غازان توفيرها، فعالج هذه المشكلة عن طريق تخصيص أراضٍ زراعية للجنود ليتسلموا الناتج منها بدلاً من رواتبهم(١).

وعلى ذلك يكون غازان قد استحدث نظامًا جديدًا من خلال عمل وقف للصرف على الجيش وهذا النظام لم يألفه المغول أو يعرفونه من قبل وفى ذلك دلالة على ذكاء غازان وسعة أفقه ومقدرته فى التغلب على الصعاب وتأثره بالنظم الإسلامية فى مجال الوقف.

وبعد أن استقرت الأمور بدأ غازان يخطط للاستيلاء على الشام ومصر وكان السلطان المملوكى آنذاك هو الناصر محمد بن قلاوون ٦٩٣ - ٧٤١هـ/ ١٢٩٣ - ١٣٤٠م.وعلى عهده كثرت الاضطرابات والفتن وانتابت البلاد حالات من الضعف والوهن، وكان ذلك متعلق بالفترتين الأولى والثانية فقط من حكمه(٢) وراسل غازان الناصر محمد بن قلاوون برسالة مليئة بالتهديد والوعيد ويظهر فيها أن لغازان الحق فى حماية الإسلام والمسلمين وأن على السلطان المملوكى التبعية له، ورفض ذلك الناصر محمد وأصبحت الحرب وشيكة بين الطرفين وبالفعل التقى الجيشان عند مرج المروج شرقى حمص ودارت معركة عنيفة ٢٧ ربيع الأول ٦٩٩هـ/ ١٣٠١م أسفرت عن انتصار المغول بسبب تفوقهم فى العدد والعتاد(٣) وعسكر غازان قرب حمص فحضر إليه حاكمها وسلمه

---

(1) David Morgan: Op.Cit., p.90.

(٢) أحمد مختار العبادى: الأيوبى والمملوكى، ص٢٥٢- ٢٥٣.

(٣) ابن خلدون: تاريخ بن خلدون، جـ٥، ص٥٣٠؛ الصرفى: دول الإسلام، ص٢٨٧.

مفاتيحها وقدم إليه أهلها فروض الولاء والطاعة وطلب أهل دمشق الأمان مقابل الولاء والطاعة فأعطاهم إياه ولكن لم يلتزم ذلك ونهب جنوب البلاد وقتلوا وخربوا الكثير[١]. ووصف أحد الشعراء هذه الحالة[٢].

غير أن أمراء المماليك لم يستسلموا لهذه الهزيمة فتكتلوا بالقاهرة وخرجت جموعهم إلى الشام لأخذ الثأر من المغول، وترك غازان دمشق فى حماية من انضم إليه من أمراء المماليك بهدف شطر المماليك حزبين يضرب كل منهما الآخر، ولكن حدث عكس ما توقعه غازان فانضم المماليك في الشام إلى إخوانهم القادمين من مصر وعادت الوحدة من جديد بين مصر والشام تحت سلطنة الناصر محمد[٣].

ولقد عاود غازان هجومه على الشام مرة أخرى عام ٧٠٠هـ/ ١٣٠٠م ولكن عاد بدون قتال بعد هطول الأمطار وكثرة الوحل واشتداد البرودة فهلك عدد كبير من جيشه[٤] وأورد (هوروث) أن غازان رجع بدون قتال لعدم رغبته فى إراقة دماء المسلمين[٥]. وهذا غير صحيح لأن ظروف المناخ هى التى منعته من التقدم، فلقد هاجم من قبل وقتل وشرد وسيعاود الهجوم مرة أخرى عام ٧٠٢هـ/ ١٣٠٢م .

---

(١) عباس إقبال: تاريخ المغول، ص٢٧٩.

(٢) رمتنا صروف الدهر حتمًا بسبعة فما أحد منا من السبع سالم
غلاء وغازان وغزو و غـارة وغدر وإغبان وغم ملازم

ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ٨، ص١٢٦.

(٣) أحمد مختار العبادى: الأيوبى والمملوكى، ص٢٥٣- ٢٥٤؛
Howorth: Op.Cit., III, pp.681, 682.

(٤) النويرى: نهاية الأرب، حـ٢٧، ص٤١٣.

(5) D'ohsson: Histoire des Mongoles, T I, p.120; Howorth: Op.Cit, III, p.456.

وأرسل غازان جيشه نحو البلاد الشامية للمرة الثالثة فى رمضان عام ٧٠٢هـ/ ١٣٠٢م بقيادة قائده قطلوشاه، فخرج السلطان الناصر محمد بجيوشه لملاقاته وتقابل الفريقان عند مرج الصفر (شقحب)[١] جنوبى دمشق فى شهر رمضان وكان النصر النهائى للمصريين، وارتدت فلول المغول إلى الفرات بعد أن فقدت ما يقرب من عشرة آلاف جندى بين قتيل وأسير[٢].

وبعد هذه الهزيمة مرض غازان بالرمد وأشار أطباؤه عليه بالكى فتسبب ذلك فى ضعف وتدهور صحته حتى مات[٣] وقيل إن موته بسبب اشتداد همه وغمه بعد هزيمة جيوشه وكسرتهم على يد المماليك فمات كمدًا وحزنًا وكان موته يوم الأحد الحادى عشر من شوال عام ٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م وكانت وفاته بالقرب من قزوين فنقل إلى تبريز ودفن فيها[٤] وأنشد أحد الشعراء ببعض الأبيات بعد موته[٥].

---

(١) موقعة مرج الصفُّر تسمى أيضاً بموقعة شَقْحَب وقد لعب فيها الشيخ أحمد بن تيمية دورًا كبيرًا فى حض الناس على القتال. حيث كان يأكل فى نهار شهر رمضان ويدعو الناس إلى تناول الطعام حتى يقووا على محاربة عدوهم.
لمزيد من التفاصيل راجع: ابوالفداء: المختصر فى أخبار البشر، جـ٤، ص٤٩، ويلاحظ أن أبا الفداء حضر هذه الموقعة بنفسه ووصفها فى كتابه، ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٤، ص٢٨- ٢٩؛ ابن حجر العسقلانى: الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة، جـ٣، ص١٢٧؛ المقريزى: السلوك، جـ١، ق٣، ص٩٣٢، ٩٣٧؛ أحمد مختار العبادى: الأيوبى والمملوكى، ص٢٥٤.

(٢) أحمد مختار العبادى: الأيوبى والمملوكى، ص٢٥٤.

(٣) رشيد الدين الهمذانى: تاريخ غازان خان، ص١٨٧.

(٤) ابن سباط: تاريخ ابن سباط، جـ٢، ص٥٨٣؛ بيبرس المنصورى: التحفة المملوكية، ص١٧٤.

(٥) قد مات غازان بلا حِرية ... ولم يمت فى المدد الماضية
وكانت الأخبار ما أفصحت ... عنه فكانت هذه القاضية
راجع عباس العزاوى: حكومة المغول، ص٣٩٦.

محمد خدابنده (أولجايتو) ٧٠٣ – ٧١٦هـ/ ١٣٠٣ – ١٣١٦م:-

محمد خدابنده[١] (أولجايتو) هو ابن أرغون خان بن آباقـان بـن هولاكو بن تولوى ابن جنكيز خان تولى عرش الإيلخانية خلفًـا لغـازان محمود عام ٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م وحين تتويجه اقترح عليه الأمراء أن يتخذ لقب أولجايتو ومعناها بالمغولية المبارك[٢].

وبعد ثلاثة أيام من ولاية أولجايتو قضاها الجميـع فـى الأنـس والمتعة والبهجة والسرور، أصدر فرمانًا ينص علـى ضـرورة إقامـة المراسم الدينية والشعائر الإسلامية ورعاية القوانين والنظم التـى سـنها غازان[٣] ثم راسل السلطان الناصر محمد بن قـلاوون سـلطان مـصر والشام المملوكى على ضرورة إخماد الفتن والإقلاع عن الحرب وطلـب الصلح وبهذا تفتح الطرق أمام الرسل والتجار فيروحون ويجيئون وكـان ذلك أواخر عام ٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م[٤].

---

(١) خُدابنده: بخاء مضمومة وذال معجم مفتوح وهذا تفسيره يعنـى "عبدالله" لأن (خدا) بالفارسية اسم الله عز وجل (وبنده) تعنى غلام أو عبد، وقيل إنمـا هـو (خربنده) بفتح الخاء المعجم وضم الراء المهمل وتفسيره هو أن "خر" بالفارسية معناها (الحمار) فهو بذلك يعنى "غلام الحمار" والاسم الأخيـر هـو المـشهور وعرف به لأن التتار كانوا يسمون المولود باسم أول داخل عليهم عنـد ولادتـه فلما ولد هذا السلطان كان أول من دخل عليهم هو الزمال "الحمّار" وهم يسمونه "خربنده" لذا سمى كذلك، راجع ابن بطوطة: رحلة بن بطوطة، جـ١، ص١٤٣؛ البدليسى: مصدر سابق، ص٢١.

(٢) كاترمير: مقدمة كاترمير، ترجمها عن الفرنسية محمـد القـصاص، مراجعـة يحيى الخشاب، منشور بكتاب الهمذانى، جامع التواريخ، المجلد الثانى، جـ١، وزارة الثقافة، القاهرة، ١٩٦٠م، ص١٨- ١٩.

(٣) ابن خلدون: تاريخ بن خلدون، جـ٥، ص٥٣١؛ عبدالـسلام فهمـى: الدولـة المغولية، ص٢١٧.

(٤) النويرى: نهاية الأرب، جـ٢٧، ص٤١٧.

وشرع أولجايتو فى بناء مدينته الجديدة، واتخذ موقعًا بين قزوين وهمذان فى العراق العجمى وأقام عليه تلك المدينة التى أسماها "السلطانية" وكانت الفكرة تراود غازان من قبل ولكنها لم تخرج إلى حيز التنفيذ، وبدأ البناء عام ٧٠٤هـ/ ١٣٠٤م واستمر لمدة عشر سنوات حتى عام ٧١٣هـ/ ١٣١٣م[١] وبعد أن شيد أولجايتو المدينة، أحضر إليها من تبريز والصين وغيرهما من البلاد، جماعة من أرباب الحرف والصناعات المهرة، ورغبهم فى استيطان هذه المدينة ليقوموا بممارسة الصناعات المختلفة والعمل على ترويجها، واتخذها حاضرةً لدولته[٢].

ونال المسيحيون تعاطفًا كبيرًا من قبل أولجايتو. بعد أن تعرضوا لعدة اضطهادات من قبل إيلخانات المغول الذين أسلموا وخربت فى أحيان كثيرة دور عباداتهم لكن أولجايتو أحسن إليهم كثيرًا[٣]. وإن كان هذا الاضطهاد لم يصب المسيحيين وحدهم فقد أقدم غازان على أفعال كثيرة من قتل ونهب وتخريب عند مهاجمة بلاد الشام فهذا عنف جُبل عليه حكام المغول أكثر من كونه اضطهادًا.

وقد تمكن أولجايتو من الاستيلاء على جيلان وهى ولاية صغيرة من أردبيل عام ٧٠٦هـ/ ١٣٠٧م وكانت تحت يد أمراء محليين وغير خاضعة لسيطرة المغول[٤] وبعد أن كان أولجايتو يعتنق الإسلام على مذهب السنة ظل أهل الشيعة والمقربون منه يقنعونه بالتشيع حتى تمذهب

---

(١) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، جـ٥، ص٥٣١.

(٢) عباس إقبال: تاريخ المغول، ص٣١٠- ٣١١؛ فؤاد الصياد: الشرق الإسلامى، ص٣٥٣.

(3) Moule. A. C: Op.Cit., p.120.

(٤) النويرى: نهاية الأرب، جـ٢٧، ص٤١٧؛ عباس إقبال: تاريخ المغول، ص٣١٢.

بمذهب الشيعة عام ٧٠٩م/ ١٣١٠م وحذف اسم الخلفاء الثلاثة من السكة وترك اسم الإمام على بن أبى طالب، وزاد شأن علماء الإمامية الشيعة على عهده ومع ذلك فقد كان سليم الطبع قليل التعصب(١).

وفى أوائل عام ٧١٢هـ/ ١٣١٣م خشى عدد من أمراء السلطان الناصر محمد بن قلاوون المملوكى من سلطانهم وأرادوا مراسلة أولجايتو للاستيلاء على الشام وأشهر هؤلاء الأمراء (قراسنقر) والى دمشق، (آغوس أقرم) صاحب حلب، وبالفعل استجاب لهم أولجايتو وزحف بجيشه من الموصل باتجاه نهر الفرات وحاصر قلعة الرحبة واستعصت عليه ونقصت مؤن أولجايتو وحثه رشيد الدين الهمذانى على عقد صلح وتم ذلك ٢٦ رمضان ٧١٢هـ/ ١٣١٣م وأقلع عن فكرة غزو الشام تمامًا(٢)، ثم ولى ابنه أبا سعيد على خراسان (٧١٣ - ٧١٦هـ/ ١٣١٤ - ١٣١٧م) رغم كونه فى التاسعة من عمره، وقسم أولجايتو شئون وزارة دولته على اثنين من وزرائه وهما (على شاه) وأعطاه عراق العرب وديار بكر وآران وبلاد الروم أما عراق العجم وخوزستان وولايات فارس وكرمان فكانت لرشيد الدين الهمذانى(٣).

وفى يوم الجمعة الخامس عشر من رجب سنة ٧١٦هـ/ ١٣١٦م خرج الإيلخان أولجايتو للصيد والقنص فرجع فى رمضان إلى حاضرته السلطانية حيث أحس بتعب شديد فى مفاصله وبدأت صحته تعتل واشتد عليه المرض حتى مات يوم الأربعاء ٢٧ من رمضان سنة ٧١٦هـ/ ١٣١٦م ودفن فى العقبة التى بناها بمدينة السلطانية وخلفه ابنه أبوسعيد على العرش(٤).

---

(١) الصرفى: دول الإسلام، ص٢٨٨- ٢٨٩.

(٢) النويرى: مصدر سابق، ص٤١٨.

(٣) عباس إقبال: تاريخ المغول، ص٣٢٠- ٣٢١.

(٤) كاترمير: مصدر سابق، ص٤٥؛ اليافعى: مرآة الجنان، جـ٤، ص١٩؛ ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٤، ص٤٠٣.

أبوسعيد بهادرخان ٧١٦ ـ ٧٣٦هـ/ ١٣١٦ – ١٣٣٥م:ـ

هو أبوسعيد بن أولجايتو محمد بن أرغون بن آباقا بن هولاكو بن تولوى بن جنكيزخان أعقب والده على عرش الإيلخانية فى إيران عام ٧١٦هـ/ ١٣١٦م(١).

ونظرًا لصغر سن أبى سعيد كان الأمير سونج يقوم بالوصاية عليه وكان مخلصًا له وكان الأمير جوبان فى منصب أمير الأمراء وظلت الوزارة بين على شاه ورشيد الدين الهمذانى وآل الأمر فى نهايته إلى اتفاق أبرم بين على شاه والأمير جوبان يقضى بأن يتخلصوا من رشيد الدين الهمذانى وبالفعل نجحت حيلتهم وأوهموا الإيلخان أبا سعيد أن رشيدالدين وولده وضعا السم لأبيه أولجايتو وكانا سبب موته فقضى أبوسعيد بإعدامهما وبدأ بعز الدين بن رشيد الدين وكان عمره ستة عشر عام وبعدها أمر بشطر رشيد الدين نصفين وكان ذلك فى السابع عشر من جمادى الأولى عام ٧١٨هـ/ ١٣١٧م(٢).

ولقد تمرد الأمراء المغول والأعداء الخارجون على الدولة الإيلخانية لما رأوا صغر سن أبى سعيد وحداثة أمره فأراد الأمير "يسور" من بلاد جغتاى الاستيلاء على خراسان عام ٧١٧هـ/ ١٣١٧م وتم التصدى له بصعوبة، ثم هاجم أوزبك خان ملك صحراء القبجاق وتصدى له أبوسعيد بمساعدة الأمير جوبان(٣).

---

(١) اليوسفى (موسى بن محمد بن يحيى اليوسفى) ت ٧٥٩هـ: نزهة الناظر فى سيرة الملك الناصر، تحقيق أحمد حطيط، الطبعة الأولى، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص٣٣٤- ٣٣٥.

(٢) ابن كثير: مصدر سابق، جـ١٤، ص٤٠٣؛ كاترمير: مصدر سابق، ص٥٤- ٥٥؛ عبدالسلام فهمى: الدولة المغولية، ص٢٢١.

(٣) البدليسى: الشرفنامة، جـ٢، ص٢٥؛ عباس إقبال: إيران بعد الإسلام، ص٤٩.

ودب الضعف فى الدولة الإيلخانية نتيجة اختلاف الأمراء ونشوب الحروب الداخلية وسوء الإدارة وزيادة نفوذ الأمير جوبان واستغلاله لمنصبه في توطيد نفوذه[1] ورغم ذلك أظهر أبوسعيد شجاعة ومقدرة حربية فائقة في حروبه ضد خصومه وكان يرمى بنفسه فى أتون المعركة فكان بذلك قدوة حسنة لقواده وجنوده ودعاهم ذلك إلى أن يطلقوا عليه لقب "بهادر" أى المبارز الشجاع الجرىء[2].

أما عن سياسة هذا الإيلخان مع مماليك مصر فقد غلب عليها الطابع السلمي .وراسل السلطان الناصر محمد بن قلاوون يطلب عقد معاهدة بين الدولتين كان أهم بنودها:-

١- ألا يكلف سلطان مصر الفدائيين الإسماعيليين بأية مهام فى الممالك الإيلخانية.

٢- كل من يلجأ إلى أرض مصر أو إيران فهو من رعايا صاحب الدولة ولا يجوز رجوعه أو التعرض إليه بأى أذى.

٣- ألا يحرض سلطان مصر أعراب البادية والتركمان على مهاجمة الممالك الإيلخانية.

٤- ترسخ علاقات الود وتبادل التجارة بين الدولتين.

٥- ترفع قوافل الحجاج علمين أحدهما باسم سلطان مصر والآخر باسم إيلخان المغول وصدق السلطان الناصر محمد بن قلاوون على هذه المعاهدة عام ٧٢١هـ/ ١٣٢٠م[3].

---

(١) عبدالسلام فهمي: الدولة المغولية، ص٢٢٤.

(٢) فؤاد الصياد: الشرق الإسلامى، ص٤٤٤.

(٣) ابن خلدون: تاريخ بن خلدون، جـ٥، ص٣٢؛ عباس إقبال: تاريخ المغول، ص٣٤٢؛

محمد جمال الدين سرور: دولة بنى قلاوون فى مصر (الحالة الاقتصادية والسياسية)، دار الفكر العربى، القاهرة، ت، ص٢١١- ٢١٢.

ولم تكد الأمور تهدأ وتستقر حتى أظهر الأمراء الخارجون على أبى سعيد كثيرًا من الصراعات والنزاعات الداخلية ففى آخر سنة ٧٣٥هـ/ ١٣٣٥م تحرك أوزبك خان ملك القبجاق وأراد مهاجمة آران وآذربيجان وخرج السلطان أبوسعيد لملاقاته فى صيف ٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م وكان الجو شديد الحرارة فانتشرت الأوبئة والأمراض بين جيش أبى سعيد، بل أصيب هو نفسه ولزم الفراش أسبوعين، ثم بعدها تماثل للشفاء وعند استحمامه عاوده المرض بشدة(١) ولم يتركه إلا جثة هامدة فى آران يوم الثالث عشر من ربيع الثانى ٧٣٦هـ الموافق ٢٨ نوفمبر عام ١٣٣٥م وهو فى طريقة لمحاربة أوزبك خان وحمل جثمانه إلى السلطانية ودفن تحت القبة التى أقامها بجوار قبر أبيه وقيل إن زوجته "بغداد خاتون" وضعت له السم لأنه أهملها فأشعل عندها نار العشق(٢).

وبوفاة أبى سعيد انتهى عهد الإيلخانيين ودار صراع مرير بين الأمراء حول السلطة خاصةً أن أبا سعيد لم يترك ذرية ذكورًا، ونتج عن هذا الصراع أن انقسمت إيران إلى أسر مغولية وبعضها إلى أسر محلية وتفككت إيلخانية إيران إلى دويلات وممالك وطوائف، أما بالنسبة للعراق فقد تمكن الجلائريون من حكمها بصورة مستقلة وباتت الأمور تسير من سيئ إلى أسوأ، ولم يكن هناك بعد وفاة أبى سعيد من يستطيع أن يمسك بزمام الأمور، ويعيد توحيد المغول تحت سلطانه، وانفرط عقد الدولة الإيلخانية وانقسمت ممتلكاتها بين الأسر الحاكمة التى قامت على

---

(١) البدليسى: مصدر سابق، جـ٢، ص٣٤؛ فؤاد الصياد: الشرق الإسلامى، ص٤٧٢- ٤٧٣.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٤، ص٢١١- ٢١٢؛ ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ٢، ص٢٢٦.

أعقابها[١] ومنها دولة آل چوبان:- وهى مغولية أسسها (حسن خواجه بن الدمرداش بن الـچوبان) واستمرت حتى عام ٧٤٥هـ/ ١٣٤٤م وسيطر على تبريز وسلطانية وهمذان وقم وقاشان والرى وفرغان والكرج وقامت أيضًا الدولة المظفرية وهى فارسية وقامت فى فارس وكرمان وأصفهان وخوزستان واتخذت من شيراز حاضرةً لها واستمرت من ٧١٨ - ٧٩٥هـ/ ١٣١٨ - ١٣٩٣م هذا بالإضافة إلى العديد من الدويلات الأخرى، وانقرضت الدولة الإيلخانية نهائيًا من إيران عام ٧٥٦هـ/ ١٣٥٥م مع وفاة الإيلخان "أنور شروان العادل" أخر سلالة هولاكو، رغم كونها تدين بالتبعية والولاء للدولة الجلائرية والمظفر منذ فترات طويلة[٢].

وكانت هناك عدة أسباب وراء هذا الانهيار والسقوط من أهمها:-

١- حالة الضعف والانحلال التى أصابت أمراء الدولة الإيلخاينة[٣].

٢- صراعات الأمراء مع بعضهم البعض وخروجهم على الخان وعدم الولاء له، مع ضعف الخان وفقدانه السيطرة على زمام الأمور وإحكام قبضته على ممتلكات دولته[٤].

---

(١) ابن إياس: بدائع الزهور، جـ١، ص٤٦٣ Howorth: Op.Cit., III, p.635

(٢) شعبان طرطور: الدولة الجلائرية، دار الهداية، القاهرة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص٥؛

يمنى رضوان: الجلائرية، ص١٤.

(٣) محمد جواد مشكور: نظرى آذربيجان، ص١٧٣؛ ذبيح الله:- أدبيات إيران، ص٢٦.

(٤) The World Book Encyclopedia: ((Mongol Empire)), p.559.

٣- دخول الدولة الإسلام جعلها توقف الحروب والاهتمام بالجيش إذ لا يوجد هدف لمحاربة إخوانهم المسلمين فلم يقوموا بإعداد جيشهم على ما كان عليه فى السابق وأصبحت حروبهم عبارة عن عدة صراعات مع الدولة المملوكية أو فيما بينهم، فمع توقف الحرب ضعفت الدولة وانهارت لأن قوة المغول فى قوامها حربية بالدرجة الأولى[1].

٤- لم يفطن خلفاء هولاكو إلى خطورة نمو النظام الإقطاعى فى إيران الذى ساعد فى سقوط الدولة وقامت من خلاله الدويلات المحلية المستقلة.

٥- تهافت أغلب الإيلخانات والأمراء وكبار رجال الدولة على الأخذ بأكبر نصيب من اللذة والمتعة والعكوف على الشراب والغرق فى اللهو.

٦- عدم استجابة الإيلخانات لنصائح جدهم جنكيزخان ومن بعده هولاكو بضرورة الاتحاد والتآزر، والاتفاق على شخص واحد حتى يعيشوا فى رغد وينعموا بالسلطة والجاه[2].

نخرج من كل ما سبق بعدة أمور نوجزها فيما يلى:-

امتلاك جنكيزخان من المهارات العقلية والحنكة السياسية والقوة الحربية قدرًا كبيرًا أهله لأن يوحد المغول تحت قبضته، ثم بدأ يتوسع على حساب الصين ويفكر فى الهجوم على بلاد الإسلام وقد طوع وذلل كل المعوقات التى واجهته فى طريق التوسع الخارجى، وأحدث

---

(١) القرمانى: أخبار الدول وآثار الأول، ص٢٨٨.

(٢) فؤاد الصياد: الشرق الإسلامى، ص٥٢٦.

جنكيزخان طفرة فى تاريخ المغول بوضعه دستورًا (الياسا) نظم وضبط ووضع قواعد للمجتمع المغولى فى شتى النواحى الاجتماعية والدينية والسياسية والاقتصادية وأصبح بمثابة المرشد لهم فى جميع مناحى الحياة.

ساعد المغول فى تحقيق أهدافهم التوسعية عدة أمور منها:- العمل المنظم والكفاءة والإخلاص والتفانى والطاعة العمياء والإيمان بضرورة تنفيذ كل أوامر الخان الأعظم لظنهم أنه مفوض من السماء فى حكمهم، بل فى حكم البشرية جمعاء.

أسقط المشرق الإسلامى نفسه قبل أن تسقطه الهجرات المغولية بسبب حالة التفكك واللامبالاة التى كان عليها حكامه فكل حاكم يسعى إلى النجاة بنفسه وأهله دون التفكير فى غيره، ولم تراوده فكرة التوحد من أجل المواجهه، فكانت الأمور فى غاية السوء، ولم تكن هناك فى آسيا الإسلامية قوة تستطيع مواجهة جحافل المغول وهجومها العنيف.

لازمت المغولى سمات القسوة والعنف والتمثيل بالقتلى فى حروبه، وكانت ضمن مقومات شخصيته فأصبحت الوحشية جزءًا لا يتجزأ منه، وكان لذلك تأثير كبير فى انهزام القوى التى تواجه جيوش المغول نفسيًا قبل هزيمتها عسكريًا وصار مجرد ذكر قدوم المغول يصيب الجميع بالهلع والخوف.

سنَّ المغول سنة جديدة أخذها عنهم اللاحقون عليهم أمثال الدولة العثمانية وهذه السنة كانت متمثلة فى نقل الحرفيين والصناع والعلماء إلى حواضرهم للاستفادة منهم وبالفعل أحدثوا طفرة كبيرة فى بلادهم وتاريخهم، ومن فر من العلماء والصناع والحرفيين مع هجمات المغول انتقل إلى مصر وغيرها من البقاع مما ساعد على نشر العلم والمهارات الحرفية والتصنيعية إلى عدة بقاع داخل بلاد الإسلام وحدث ما يشبه بتبادل الخبرات.

وبعد أن قامت الدولة الإيلخانية واستقرت بفارس بـدأت تظهـر التأثيرات المتبادلة بين المغول والمسلمين خاصةً أن وزارات المغول فى معظمها يتولاها المسلمون وأبرز مظاهر هذه التأثيرات تحـول الدولـة الإيلخانية إلى الإسلام وتطبيق الشريعة الإسلامية إبـان عهـد غـازان محمود.

نال المذهب الشيعى قدرًا كبيرًا من الازدهار فى عهد الإيلخانيين، وعلى الأخص فى عهد أولجايتو وسابقيه الذين كانوا يعتقدون فى النجوم ووجدوا بغيتهم مع علماء الشيعة أمثال نصيرالدين الطوسى الذى امتلـك مهارة فى العلوم الفلكية وكان لذلك أثره فى تحول إيران إلـى المـذهب الشيعى وكان ذلك سببًا ضمن أسباب جعلت إيران تدين بالمذهب الشيعى حتى يومنا هذا.

ولأن دوام الحال من المحال فقد انتقلت الدولة الإيلخانية من عهد القوة والازدهار إلى مرحلة الضعف والانحلال وتجمعت لـديها أسـباب السقوط من فساد الحكام وضعفهم وتدهور الأحوال وإيكال الأمـر لغيـر أهله، والتمذهب بمذاهب الشيعة، واتباع الطرق الصوفية، وغيرهـا مـن الأسباب التى أدت إلى السقوط، وزالت أسرة هولاكـو بعـدما صـالت وجالت.

أما نظم المغول الاجتماعية فلقد كان للمغول رسوم وتقاليد وآداب تتفق مع حياتهم الفطرية البسيطة. وسرعان ما سرت هذه العـادات فـى المناطق المجاورة للمغول، وسادت جميع القبائل الأخرى التـى انطـوت تحت لوائهم؛ ذلك لأن هذه القبائل كانت تحيا حياةً بدوية واحـدة بـسبب اتحادها فى الأصل والعنصر، وعلى هذا اتخذت هذه الآداب والتقاليد شكلاً واحدًا بين هذه القبائل، بحيث أصبح من النادر أن تختص طائفةً ما برسوم وآداب لا تعرفها الأخرى، ولا تعلم بها.

هذه التقاليد تبدو على وجه الخصوص فى مأكل المغولى وملبسه ومسكنه ودينه وقوانين مجتمعه البسيطة، وتكوين أسرته وتنظيم جماعتـــه وحمايتها من غضب الطبيعة التى يرهبها ويخشاها وإعداد نفسه ليكـــون جنديًا ناجحًا فى الغزو والفتح، وهذا هو موضوع الفصل القادم، والـــذى سيتناول الحديث بالتفصيل عن هذه العادات والتقاليد والنظم الاجتماعية.

الفصـــل الثـــانـى

النظم الاجتماعية لمغول فارس

٦٥٦ – ٧٣٥هـ/ ١٢٥٨ – ١٣٣٥م

الفصـــل الثـــانـــى

النظم الاجتماعية لمغول فارس

٦٥٦ – ٧٣٥هـ/ ١٢٥٨ – ١٣٣٥م

أولاً: غذاء المغول ومسكنهم وملبسهم.

١- غذاء المغول (أبرز مظاهر المطعم والمشرب).

٢- مسكن المغول وأشكاله.

٣- الملابس المغولية.

ثانيًا: المغول وحياتهم الاجتماعية

١- الحياة الأسرية فى المجتمع المغولى.

٢- صفات المغول.

٣- أبرز العادات والتقاليد وضوابط المجتمع المغولى.

٤- الطبقات الاجتماعية وعناصر السكان.

٥- الحرف والأعمال عند المغول.

٦- الدعاية والإعلام عند المغول.

٧- أبرز المراسم والاحتفالات والأعياد.

٨- أبرز المظاهر الترفيهية عند المغول.

لعبت النظم الاجتماعية دورًا مهمًا فى حياة المجتمع المغولى واندرج تحت هذا المسمى عدة أمور قد تكون ذات تأثير على مسلك الفرد منهم أو الجماعات سلبيًا أو إيجابيًا؛ وتحكم تصرفاته فى تعامله مع غيره من أفراد مجتمعه؛ ثم ما يقوم به من أعمال فى إطار الأعراف والعادات والتقاليد، سواء أكانت مستوحاة من أمر تعارف عليه الآباء والأجداد، وأصبح فى حد ذاته، منهجًا معينًا، أضحى الخروج عنه عملاً غير مستحب، أو مستهجنًا.

وقد كان المغول يعيشون بداخل مجتمع بدوى بدائى بعيد عن المدنية والتحضر حيث كان المغولى يعتمد كليةً على حيوانه، الذى يقوم على تربيته، ويحلبه، أو يصيده للحمه وجلدهُ وفرائه للأكل وللباس، لذا جاء الغذاء على رأس قائمة الاحتياجات والضروريات المغولية تلاه المسكن والملبس(١).

أولاً : غذاء المغول ومسكنهم وملبسهم:-

١- غذاء المغول (أبرز مظاهر المطعم والمشرب):-

جُبل المغولى منذ بدايته على العنف والوحشية وكانت حياته فوضوية ينقصها الكثير، وحينما برز جنكيزخان على مسرح الأحداث فى الجهة الشرقية من قارة آسيا ووسطها ثم غربها فيما بعد، كان الإنسان المغولى يعتبر فى قائمة الإنسان البدائى، فى جميع مناحى شئون حياته وخاصةً ما يتعلق بمأكله ومشربه ويعتبر ذلك جزءًا من التقليد والعادة التى درج عليهما، فقد ظل على هذا المنحى حتى بعد أن احتك بعالم زمانه المتحضر وذلك فى أواخر القرن السادس الهجرى/ الثانى عشر

---

(١) سعد الغامدى: المجتمع المغولى، ص٤؛ سعد الغامدى: المغول بيئتهم الطبيعية، ص٤٠.

الميلادى، فعلى الرغم من اتساع رقعة دولتهم والتى شملت كافة أقاليم الأمم الآسيوية وشعوبها، ومدت نفوذها إلى أقطار أوروبا الشرقية والوسطى؛ إلا أن مسألة التحضر والتطور فى نوعية وطريقة مأكله ومشربه، لم يطرأ عليها تغير كبير، فى مجتمع المغول بموطنهم الأصلى (منغوليا والتبت) فما كان ينطبق عليهم فى أيام جنكيزخان، نجده يتمثل فى كثير من مجتمعاتهم البدوية حتى وقتنا الحاضر فهو موجود بين القبائل التى تسكن المناطق شبه الصحراوية ومناطق الغابات والأدغال، أما المغول الذين قطنوا المناطق المتحضرة فقد حدث لديهم نوع من التغيرات طرأت على مطعمهم ومشربهم ودخلت عليهم أنواع جديدة من الطعام لم تكن موجودة من قبل مع الاحتفاظ بما لديه من أطعمه مغولية[١].

واعتمد المغول فى غذائهم الرئيسى على لحوم الحيوانات باختلاف أنواعها من خيول وكلاب وذئاب وثعالب وفئران[٢] وأرانب برية وجمال وحشية ذات السنامين والحمار الوحشى والغزال والنمور والأسماك التى كانت تصطاد من الجداول والأنهار كما كان شيئًا عاديًا أكل لحوم الحيوانات الميتة[٣] ((التتار لا يحرمون شيئًا يأكلون جميع الدواب حتى

(1) M. Haider: "The Mongol Traditions" Journal, Vol 28, N1. 2, Wiesbaden, 1984, p.63;

سعد بن حذيفة الغامدى: "جوانب من حياة المغول المعيشية" بحث منشور بمجلة كلية الآداب، المجلد السابع والثلاثون، القاهرة، ١٩٨٨م، ص١٣١.

(٢) القزوينى: آثار البلاد وأخبار العباد، ص٥٨١؛ فؤاد الصياد: المغول فى التاريخ، ص٣٣٠.

(٣) الدمشقى: نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر، ص١٤٥؛

Michael Tar Táglia: The Reading the Journey of William of Rubruck, London, 1998, pp.97- 98;

محمد فتحى الشاعر: قاهرة المغول، ص٩.

الكلاب والخنازير وغيرهـــا))[1] ((وإذا اضـــطرتهم الظـــروف وســـوء الأحوال إلى أكل اللحم النيئ فعلوا ذلك دون تردد وأكلوه من غير شواء، وهم إذا أكلوا لحمًا لا يفرقون بين الطاهر وغير الطاهر من الحيوان))[2] والأنكى من ذلك أنهم كانوا يأكلون اللحوم البشرية وقد حدث فـــى عـــام ٦٢٨هـــ/ ١٢٣٠م إبان تحرك تولوى خان إلى ولاية الخطا مـــن أجـــل فتحها، أنْ نفذت مؤن الجند ونفقاتهم وجاعوا جوعًا شديدًا مما دعاهم إلى أن يأكلوا اللحوم البشرية والعلف الجاف[3] فكان من عاداتهم أكل لحـــوم أعدائهم وشرب دمائهم ويروى ((أن المغول فى إحـــدى غـــزواتهم فـــى الصين ضحوا بواحد من كل عشرة رجال فى جيوشهم عندما نفذ طعامهم ليكون طعامًا للباقين))[4].

ولقد حدث فى عهـــد آباقاخـــان (٦٦٣ – ٦٨٠هـــــ/ ١٢٦٤ – ١٢٨١م) وهو أحد إيلخانات دولة مغول فارس (الدولة الإيلخانية) أن اتهم المغول مسلمًا يدعى معين الدولة بروانه (حاكم بـــلاد الـــروم) بالخيانـــة لاتصاله بالسلطان الظاهر بيبرس، فتم القبض عليـــه وقطعـــه نـــصفين وصدرت الأوامر بأن يوضع جزء من لحمه ضمن كل وجبة من وجبات الخان فأكل آباقاخان من لحمه وجعل جميع أمرائه يـــأكلون[5]، وهنـــاك

---

(١) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، جــ٧، ص٥٧١.

(٢) ابن يونه بنيامين: رحلة ابن يونه بنيامين، ص١٦٠.

(٣) رشيد الدين الهمذانى: خلفاء جنكيزخان، المجلد الأول، ص٣٣.

(4) Howorth: History of the Mongol. III, p.53; Rockhill, Jackson: The Journey of William of Rubruck to the Eastern Party of the World, London, 1990, p.7.

(٥) مصطفى طه بدر: محنة الإسلام الكبرى، ص٧٧؛
Raphael Israeli and Anthony, Islam in Asia, Vol II, No. 83, U. S. A., 1984, p.25.

رواية أخرى لهذه القصة تقول: إن السيدات المغوليات طلبن أن يسلم لهن الخائن ولما سلم إليهن غلينه حيًا وقطعن جسمه وقدمنه إلى جميع أفراد الجيش ليأكلوه(١).

ولم يعرف المغول الخبز العادى عندما دخل هولاكو وجيشه مدينة هراه (فى أفغانستان) عام ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م وهم فى طريقهم لإخضاع الخلافة العباسية قُدم لهم هذا الخبز فكانوا حائرين فى أمره وتذوق هولاكو هذا الخبز غير المخمر وأعجب بطعمه(٢) فقد اعتاد المغول أكل خبزهم التبتى موضوعًا بداخل اللبن المخمر وكان ذلك يعد ضمن الأطعمة الأساسية لديهم(٣).

ودارت أساطير عديدة تبين حب المغولى وشهوته للأكل، منها أسطورة كابول خان جد جنكيزخان وتقول: إن إمبراطور الصين دعا كابول إلى مائدته فأكل ما يأكله ستة رجال وشرب ما يشربه اثنا عشر رجلاً حتى فقد وعيه فأمسك بذقن الإمبراطور ثم تنبه لفعلته فطلب من الإمبراطور أن يعاقبه على سوء سلوكه ويقطع رقبته فعفا عنه الإمبراطور الصينى لأدبه وكافأه(٤). وهذه الرواية فيها مغالاة لأنه من المعروف عن المغولى أنه كان يستطيع الصبر على الجوع فلا يأكل طعامًا مطهيًا لثلاثة أو أربعة أيام، ولا شك أن هذه القدرة العجيبة قد

---

(1) Sheila S. Blair: The Arts of The Mongols, p.24; D'ohsson: Histoire des Mongols, T I, p.13.

(٢) مايك إدواردز: أبناء جنكيزخان الخانات العظام، ص١١٢.

(٣) ابن خلدون: المقدمة، ص٨٣؛ سون مينغ تشن: "المسلمون فى التبت" مقال منشور ضمن كتاب المسلمون الصينيون من هم وأين هم، الطبعة الأولى، نشر وتوزيع مجلة بناء الصين، بكين، الصين، ١٩٨٣م، ص٨٩.

(٤) سعد زغلول عبدالحميد: الترك فى العصر الإسلامى، ص١٩٥؛ سعد زغلول عبدالحميد: الترك والمجتمعات، ص٧٣- ٧٤.

أفادته مجتمعه فى الحروب لأن الجندى فى المعارك والقتال يكون مهتمًا بالنزال والطعان أكثر من اهتمامه بالطعام وملء البطون(١).

ولقد روج المغول هذه الأساطير للاستفادة منها فى شتى المناحى، وخاصةً العسكرية حتى يبثوا الرعب والهلع فى قلوب أعدائهم عندما يسمعون عن قوتهم وشراهتهم فى الأكل ووحشيتهم وبذلك يتيقنون بأنهم لا قبل لهم بملاقاة أمثال هؤلاء.

وعندما كان يحل فصل الصيف كان المغولى لا يهتم بأى نوع من الأكل أو اللحوم لأن الكوزموس أو القُمز Kuzmas(٢) (حليب الأفراس) كان يوجد بكثرة هائلة وقد قام المغول بوضعه فى قرب وعملوا على جعله لبنًا رائبًا وأتى على رأس قائمة الأطعمة المغولية وكان اللبن يكثر مع امتلاء أثداء الأبقار بجانب الأفراس والماشية ويدر الجميع لبنه فيصبح الكل مسرورًا قانعًا(٣) وقيل: ((إن الجبن المعمول فى أنفحتهم مثل أنفحة الميتة وذبيحة المجوس)) ومع ذلك كانوا يقبلون عليه ويفضلون أكله(٤).

---

(1) William Rubruck: "The Journey of William of Rubruck" Ed Dawson Christopher: The Mongol Mission, New York, 1955, p.98;

فؤاد الصياد: المغول فى التاريخ، ص٣٣٠؛ Raphael Israeli and Anthony, Op.Cit, pp.24- 25

(٢) **الكوزموس**:- أهم المشروبات المغولية على الإطلاق وهو لبن الخيل ويطلق عليه أيضًا (كيمورس) (Kemors) وفى اللاتينية Chuinis and Chemins بينما يسميه الرحالة وغيرهم كميز أو كموز Kimmuz والاسم الدارج بالعامية كوزموس ويتم تحضيره بالتسخين حتى يصبح فى حالة تخمر لمزيد من التفاصيل راجع ماركو بولو: رحلات ماركوبولو، جـ١، ص١٠٧.

(3) The Editors of Tim – Life Books: The Mongol Conquests, p.11; The World Book: "Mongol Empire" Vol 13, p.557;

مصطفى طه بدر: محنة الإسلام الكبرى، ص٧٨

(٤) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ٩، ص٢٥٥.

وأفضل المأكولات وألذها لدى المغولي كان الشواء من لحم الخيل[1] ولم يعرف المغول الفاكهة حتى خرجوا على العالم محاربين غازين، وذات مرة، أهدى رجلٌ إلى جنكيزخان رمانة فكسرها وفرق حبها على الحاضرين وأمر له بعدد حباتها أموالاً وجاءه أحد الفلاحين بثلاث بطيخات فأهداه جنكيزخان قرط زوجته[2]، وبعد ذلك صارت ألذ الفواكه لدى المغول وعلى الأخص حكام الدولة الإيلخانية البطيخ والعنب، فقد كانت تقدم لهم في مجالس اللهو وفي أثناء ممارسة بعض الرياضات كالصيد والمصارعة وسباق الخيل ومبارزة السيف والسباحة[3].

وكانت للمغول طريقة عجيبة في حفظ اللحوم، وهي أنه إذا مات عندهم ثور أو حصان أو أي حيوان قطعوا لحمه إلى شرائح رقيقة وطويلة ثم يعلقونها لتتعرض لضوء الشمس وحرارتها وهبوب الهواء حتى تجفف بهذه الطريقة، دون أن يصبح لها رائحة كريهة وبدون أن يضيفوا عليها أملاحًا، إذ إنها لا تتعدم ولا يصيبها تلف، أما الأمعاء فقد كانوا يضعون بداخلها مادة مأكولة، فيصبح لديهم محشوّ، ويأكلونها طازجة، أما بقية اللحم فإنهم كانوا يحتفظون به إلى فصل الشتاء، حيث كانوا يصنعون من جلود الثيران جرارًا عظيمة الحجم وذلك بتجفيفها بالدخان ثم كانوا يحفظون لحمهم فيها كما كان المغول يطبخون طعامهم على النار، حيث اعتادوا الجلوس حولها على اختلاف طبقاتهم من الرئيس

---

(١) بابرشاه (ظهير الدين محمد مؤسس الدولة التيمورية): تاريخ بابرشاه المعروف بابرنامة وقائع فرغانة، ترجمة وتعليق د. ماجدة مخلوف، الطبعة الأولى، دار الآفاق العربية، القاهرة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م، ص٣١.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٣، ص١١٥- ١١٦؛ سعد الغامدي: جوانب من حياة المغول، ص١٣٧.

(٣) بابرشاه: المصدر السابق، ص٣١؛ Rockhill, Jackson: Op.Cit., p.2.

أولاً أو الإمبراطور إلى الفقير، ودرجت العادة على أن يبدأ بالأكل صاحب أعلى مكانة ثم يليه من هو أدنى منه، ويتكون وقود نارهم، بصفة أساسية من روث الأبقار والخيول وغيرها بعد أن يكون جافًا[١].

وكانت الأسرة المغولية تتناول طعامها على ثلاث دفعات: الأولى الأقوياء، ثم يأتى دور الشيوخ والنساء، وأما الأطفال فكانوا يتنازعون على العظام وفتات اللحم، وتعود المغولى الجَلْدُ وتحمل المشاق والصبر دون تبرم وكانوا يضحكون برغم بطونهم الخاوية، إذ كان فى مقدرتهم السير لمدة عشرة أيام دون أن يذوقوا الطعام ولم يكن الجندى المغولى يأخذ معه سوى قِرَب بها خمير اللبن، وكان جنكيزخان فى مقدوره أن يتحمل الجوع لمدة ثلاثة أو أربعة أيام دون طعام وإذا زاد عليه ألم الجوع يخرج سكينًا ويقطع إحدى أوردة فرسه ويشرب بعض الدم ويكمل مسيرته[٢]، وهذه المقدرة الفائقة على التحمل اختص بها المغولى ((ليس فى الأرض أحد إلا وبدنه ينتقض (يهزل ويضعف) على اقتيات القليل من اللحم وحده غير التركى، كذلك دابته تكتفى بالعنقر (القصب والبردى) والعشب، والشجر لا يظلها من شمس ولا يكفيها بردًا))[٣] وعاش المغول بجوار الوحوش دون خوف أو ريبة حتى أنسوا بها وأنست بهم[٤]؛ لذلك

---

(١) William Rubruck: The Journey, Op.Cit., pp.93, 98;

سعد الغامدى: جوانب من حياة المغول، ص١٣٦؛ سعد الغامدى: المغول بيئتهم الطبيعية، ص٤٥.

(٢) محمد فتحى الشاعر: قاهرة المغول، ص١٠؛ هارولد لامب: جنكيزخان وجحافل المغول، ص١٠- ١١.

(٣) الجاحظ: رسائل، القسم الأول، جـ٣، ص٢٠٦.

(٤) عبدالله إبراهيم: عالم القرون الوسطى فى أعين المسلمين، المجلد الثانى، منشورات المجمع الثقافى، أبوظبى، الإمارات، ٢٠٠٢م، ص٨٧.

لا تقوى أية أمة من الأمم على أن تعيش على ما يعيش عليه المغول لقلته وزهادته فليس لديهم سوى طعامين أساسيين وهمـا القليل مـن اللحـم والحليب المخمر، ومن أجل ذلك كانوا يتصارعون ويتحاربون وخرجـوا إلى العالم مهاجمين غازين[1]، وقيل عنهم: ((إن الرجل منهم يأكل ويبـول وهو يقاتل)) [2].

ويروى وليام روبروك ((أن الرجل المغـولي يمكنـه أن يطعـم خمسين شخصًا وأحيانًا مائة من لحم شاة واحدة، حيث كان يقدها نصفين من الصدر ثم يذبحها من حلقها ويقوم بتقطيعها بعد طبخهـا إلـى قطـع صغيرة ثم توضع في إناء وقبل أن يشرع القائم على هذا العمل بتقسيم اللحوم يبدأ برئيس القوم أولاً، حيث يأخذ الكمية التي يرتضيها ثم يـوزع الباقي على الحاضرين، لقمة أو لقمتين، حسب العـدد، وكميـة اللحـم المتوافرة، أما إذا أعطى الرئيس أحدًا قطعة من اللحم فلـه أن يأكلهـا أو يعطي منها من يشاء أو يأخذها إلى منزله في جراب يحمله معه لوضـع أشيائه من هذا النوع بداخله[3].

ويعتبر الإنسان المغولي أن من الذنب، أن يتلـف أي طعـام أو شراب بأية طريقة كانت، فقبل أن يفرغوا من مجلس الطعام كانوا يقومون بقرض العظام بأسنانهم ويستخرجون منها المخ ثم بعد ذلك تعطى للكلاب ما تبقى من فضلات هذه العظام، وإذا لم يكن لديهم في مجلسهم متسع من

---

(١) ابن عرب شاه: فاكهة الخلفاء، ص٥٣٨؛ القرماني: أخبار الدول وآثـار الأول، ص٢٨٤؛

E. H. Parker: A Thousand Years of the Tartars, p.4.

(٢) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ٦، ص٢٤٦.

(3) William Rubruck: The Journey, Op.Cit., pp.97- 98; Rockhill: Study in the Journey of Roubruck, London, 1995, p.58.

الوقت فتوزع العظام على الحضور لأخذها معهم إلى منـــازلهم ويعطـــى الخادم بعضًا منها ليقرضها فيما بعد[١].

أما عن طعام إيلخانات مغول فارس فكان على صنفين: الطعـــام الخاص والطعام العام فالأول (الخاص) فهو طعام الخان الذى يأكل منـــه وكانت عادته أن يأكل فى مجلسه مع الحاضرين ويحضر لذلك الأمـــراء والخواص ومن شاء الخان تشريفه أو تكريمه من الأعزة وكبار الأمـــراء ويأتى على رأس قائمة هذا الطعام اللحوم بأنواعها والألبان من أجود مـــا يكون بخلاف ما عرف الإيلخانات من أطعمة جديدة بتواجـدهم بـــداخل البلاد الإسلامية ما بين إيران وتبريز، أما الطعام العام وهو ما يأكله عامة المجتمع على اختلاف طبقاتهم واختلاف طعامهم[٢]، ومع أن دولة مغـــول فارس احتكت بالعالم الإسلامى الأكثر تحضرًا وأخضعت أغلـــب بـــلاده لنفوذها إلا أن طريقة تقديم اللحوم وطبخها وتقطيعها وعلى الأخص لحوم الخيل ظلت هى نفس طريقة الآباء والأجداد المتبعة فى منغوليا ((طعامهم من لحوم الخيل والغنم حيث يقدم مسلوقًا وبعد أن ينضج يأتى (الباوورجى "المشرف على الطعام والشراب") وهو مقطع اللحم وعليه ثياب جزيـــرة وقد ربط عليه فوطة واقية، من الحرير أيضًا، ويقطع اللحم قطعًا صغيرة على عادة المغول ولهم فى ذلك صنعة فى قطع اللحم مختلطًا بالعظم، فهم لا يأكلون منه إلا ما اختلط بالعظم)) [٣].

---

(1) William Rubruck: Op.Cit., p.98; Howorth: History of the Mongols, III, p.55;

سعد الغامدى: جوانب من حياة المغول، ص١٣٦- ١٣٨.

(2) Perlnge Oestmon: Welcome to the Realm of the Mongols, Norway, 1998, pp.4-5;

حسين فهيم: أدب الحلات، ص١٥١.

(٣) ابن بطوطة: رحلة بن بطوطة، ص٣٣٠؛ William Rubruck: The Journey, Op.Cit., pp.98-99.

ولقد روى صارم الدين ((أنه عندما نزل الملك الأشرف صاحب حمص فى ضيافة هولاكو أصدر مرسومًا بحضوره بين يديه ورسم لـــه (بشقة ينزل فيها وخروف وقدر وحطب) والله إن الشقة التـــى ضـــربها هولاكو للملك الأشرف لا ترضى الكلاب أن تنزل فيهـــا، والخـــروف لا يرضى الذئب أن يأكله، والحطب لا يرضى المـــشاعلى أن يـــضعه فـــى مشعله، ولم يكن كل ذلك استهزاءً بالملك الأشرف ولكن هكذا كان يعيش المغول))[١].

وكان المغول يتناولون طعامهم بأيديهم، التى عادةً مـــا اتـــسخت بالدهنيات فى أثناء عملية المأكل وبعد الانتهاء كـــانوا لا يغـــسلونها بـــل يمسحونها فى ملابسهم التى كانوا يرتدونها وخاصة اللباس المصنوع من الجلد الذى يغطى سيقانهم أو فى العشب أو ما شابه ذلك[٢]، أمـــا القليـــل منهم وخاصة ذوى المكانة الكبيرة فيؤتى لهم بقطعة قماش فيمسحون بها أيديهم من الدهنيات بعد الانتهاء من أكل اللحم[٣] وبعضهم كـــان عنـــدما يرغب فى غسل يده أو رأسه يقوم بملء فمه بالماء ثم يصب هذا المـــاء على يده حتى تبتل ويقوم بمسح شعره وهكذا تغسل أيديهم ورؤوسهم[٤].

ووضع المغول أوانى الطهى وبعض حاجياتهم فى صناديق مـــن النسيج المتين المغطى بالصوف حتى يعطيه قوة وكانوا إذا عبروا بتلـــك الصناديق الأنهار أو نزل عليهم مطر يدهنونها بشحم الحيوان أو لبن البقر

---

(١) أحمد مختار العبادى: الأيوبى والمملوكى، ص٢٧٤- ٢٧٥.

(2) Timothy. M. May: Livestock of the Mongols, New York, 1997, p.2;

سعد الغامدى: المغول بيئتهم الطبيعية، ص٤٦.

(٣) سعد الغامدى: جوانب من حياة المغول، ص١٣٧.

(4) Rockhill. Jackson: Op.Cit., p.11.

حتى لا تتأثر بالماء[١] أما ما يتعلق بغسل الأوانى التى يستخدمونها لطهى طعامهم فكان المغول يضعون اللحم مع المرق وبعد ذلك لا يغسلون الأوانى وإن أرادوا تنظيفها فإنهم كانوا يشطفونها بالمرق الذى طبخ فيه اللحم ثم يوضع اللحم والمرق فى ذاك الإناء بعد الإنتهاء من طبخه وتنظف باقى أدواتهم بنفس الطريقة[٢].

وقد حددت الياسا مجموعة بنود تشكلت بهم آداب الطعام عند المغولى نوجز بعضها فيما يلى:-

أ- لا ينفرد أحد بأكل شيء وغيره يراه، بل يجب عليه إشراكه معه فى الأكل.

ب- لا يشبع أحد دون رفاقه فعليه أن يقتسم الطعام مع الآخرين بالتساوى.

جـ- لا يجوز لأحد أن يتخطى نارًا أو مائدة أو طبقًا يؤكل فيه[٣].

ء- يحق لكل مسافر أن يشارك أى إنسان يجده فى طريقه يأكل طعامًا له دون أن يتلقى دعوة منه.

هـ- يجب على كل صاحب طعام يعرج عليه مسافر دعوته إلى مشاركته ما يأكل.

و- يتحتم على المسافر المدعو إلى تناول الطعام أن يلبى الدعوة وأن يشارك صاحب الطعام أكله.

---

(١) عبدالسلام فهمى: الدولة المغولية، ص٢٢.

(٢) سعد الغامدى: جوانب من حياة المغول، ص١٣٧- ١٣٨.

(3) Valentin. A. Rianovsky, Mongol Law, Indiana University, Press, 1965, p.84;

على حسن الخربوطلى: اليهود والمغول، ص٤٩.

ز- إذا جلس قوم على طعام واستأثر أحدهم بالطعام وأكل أكثر من غيره يقتل.

ح- يجب على صاحب الطعام أن يأكل منه قبل أن يشرع المطعمون فى الأكل من طعامه.

ط- يحق للمطعَم أن يرفض أكل ما قدم له من طعام، ما لم يأكل منه صاحبه أولاً(١).

وحصل المغول على جميع احتياجاتهم من خلال أسواق كانت تقام داخل بلادهم يتم فيها عرض المنتجات الغذائية الزائدة عن الحاجة مع عرض المصنوعات الخفيفة ويتم البيع والشراء وتبادل السلع والاتجار، عن طريق نظام المُقايضة(٢).

من خلال ما سبق يتبين أن المغولى يمتلك عزيمة وإرادة تجعل منه جبلاً فى قوة تحمله ويصعب القضاء عليه؛ فلديه مقدرة على التعايش مع البيئة بكل ظروفها سواء وجد ما يقتات به من الطعام أم لم يجد فهو لا يحتاج سوى القليل بل أقل من القليل من الطعام ويتحمل الجوع لمدة أربعة أيام ويتغذى على الدم ولحوم البشر فى حالة الضرورة، فهو مثل حيوان برى متوحش يأكل كل شيء ولا يبالى بالنطيحة والمتردية، ولا تعرف النظافة له طريقًا، وأصبح بذلك محاربًا يحقق العديد من الإنجازات.

أما عن أبرز مظاهر الشراب التى تناولها الفرد فى المجتمع المغولى؛ فقد كان حليب الفرس القُمز (الكوزموس) المشروب الرئيسى

---

(١) سعد الغامدى: الياسا، ص١١٤- ١١٥.

(2) Rudipaul Lindner; Nomadism, Horses and Huns, p.5.

لديهم وفى حالة وجوده بكثرة لا يفكر المغولى فى أى مشروب سـواه[1] كان يشرب منه بكميات كبيرة جدًا، ولهذا السبب جعل الرجل المغولى من أهم مهامه العناية بالخيول وحلب أفراسها بنفسه فمعدل ما يملكه المغولي ثمانية عشر فرسًا لشرابه حيث اعتاد المغولى أن يقوم بغرس وتدين فـي الأرض على بعد مناسب، ثم يقوم بإيصالهما بحبل طويل حيث يربط فيه مهر فرسه التى يرغب حلبها ولكى يحصل الرجل على أكبر كمية ممكنة من الحليب، يأتى فى الصباح الباكر بالفرس إلى مُهره المربـوط فتـأنس بالوقوف بجانبه فتعطى حليبها لمن يقوم بحلبها، أما إذا كانـت الفـرس جموحًا، ولا تسمح لأحد بحلبها فإنها تربط ويؤتى بمهرها ويـسمح لـه بالرضع منها قليلاً ثم يحل الحالب محله حتى ينتهى من حلبهـا وهكـذا تحلب فرس بعد أخرى حتى يتجمع لديه كمية كبيرة من الحليب[2].

وبعد الانتهاء من عمليات الحلب يوضع اللبن فى قربـة كبيـرة مخصصة لهذا الشأن ويقومون بخضخضته وتقليبه بشكل مستمر وبواسطة عصا خشبية ذات رأس كبيرة ويظل الأمر على هذا النحو حتى يستخلص الزبد من اللبن ((وهم يفضلون ترك الزبد بدون ملح))[3] ثم يحـصلون على النبيذ عن طريق تخمير هذا اللبن، وهناك أيضًا اللبن الرائب وبعـد استخلاص الزبدة منه كان يترك ليجفف فى الشمس حتى يصبح كالبودرة

---

(١) ماركوبولو: رحلات ماركوبولو، جـ٣، ص١٠٧؛
Botegei:- Mission to the Mongols, London, p.6; Stefan's Florilegium: Mongol Mission Art, London, 2000, p.3.

(2) William Rubruck: The Journey, Op.Cit., p.99; John Masson Smith: Mongol Manpower, p.27;
سعد الغامدى: جوانب من حياة المغول، ص١٣٩.

(٣) ماركوبولو: رحلات مـاركوبولو، جـ٣، ص١٠٧؛ Rockhill, Jackson: Op.Cit., p,8.

الصلبة (يطلق عليها الأقط) ويتم الاحتفاظ به للشتاء وعندما كانوا يرغبون في استعماله يوضع عليه الماء ويقلب حتى يذوب ويشربونه لأنهم كانوا حريصين على ألا يشربوا الماء صافيًا دون أية إضافات في أغلب أوقاتهم[١].

نخرج من ذلك بشيء مهم وهو أن المغول بعقليتهم البسيطة استطاعوا التوصل إلى صناعة لبن البودرة بطريقة بسيطة ومنذ وقت مبكر وعن طريق هذا الاكتشاف تغلبوا على فترات نقص الغذاء بواسطة تخزين هذا اللبن وهى مهارة ساعدتهم على التكيف مع ظروف المعيشة.

وهذا النوع من الشراب سواء اللبن العادى أم المخمر أصبح أهم غذاء بالنسبة للمغول ومشروب السواد الأعظم منهم[٢] أما عن شراب الخاصة وعلية القوم فكان يدعى الـ"قراكزموس" Qara - Kuzmos أى شراب الكزمس الأسود حيث يأخذ حليب الفرس بعد حلبه ثم يمخض حتى يترسب فى قاع إنائه كل مادة تجمعت أعلاه ويبقى كل شيء نقي إلى أعلاه ويصير لونه مثل المسك الأبيض وتعطى الحثالة إلى الخدم وهى عبارة عن مادة بيضاء اللون ذات تأثير لارتخاء الأعصاب والخمول ثم النوم أما السائل الصافى فيقدم إلى الإيلخانات وعلية القوم، ويعد من أفضل مشروباتهم[٣].

وهذا النوع من اللبن سواء ما كان يشربه الخاصة أم العامة ذو مذاق لاذع فى اللسان وطعمه أقرب إلى طعم الخل وعند الانتهاء من

---

(1) William Rubruck: The Journey, Op.Cit., pp.97- 99.

(٢) سعد زغلول: الترك والمجتمعات، ص٧٣؛ ثروت عكاشة: جنكيزخان الإمبراطور الدموى، ص٩.

(3) Rockhil, Jackson: Op.Cit., p.8; Stefan's, Op.Cit., p.3;
سعد الغامدى: المغول بيئتهم الطبيعية، ص٤٩.

شربه كان يترك على اللسان مذاقًا كطعم عصارة اللوز ويحدث عند شاربه نشوة روحية وعقلية[١]، ومن فوائده على حسب ما ذكره المغول أنه كان يدر البول بشدة، ويجعل الرجل أكثر بهجة، ويترك طعمًا حلوًا على اللسان لذلك كان لا غنى عنه لدى المغولى، فهو مشروبه الرئيسى المفضل[٢]، غير أن رواية صارم الدين أكدت أنه لم يكن على هذه الدرجة من الحلاوة والاستحسان فيذكر ((أن ملوك المسلمين، كانوا إذا شربوا الخمرة يكون نُقْلُهم الفستق وشراب الحماض وأقراص الليمون، وقماقم الماورد والريحان والبنفسج والآس المنشور والنرجس، وما يناسب هذه الأشياء العظيمة، وأنتم التتار تشربون الخمر على الفحم وحب القطن والزيت ونشارة الخشب وهذه الأشياء القبيحة))[٣].

واستحدث المغول أنواعًا جديدة من الخمور مع الاحتكاك بالثقافات والحضارات المجاورة لهم فعرفوا بجانب النبيذ المصنوع من اللبن المخمر نوعين آخرين؛ الأول منهما صُنع عن طريق تخمير العنب، والآخر أطلق عليه (الميد Mead) وكان عبارة عن شراب يخمر بواسطة العسل وبعض أنواع الخميرة، ولما أفرط المغول فى شرب هذه الكحوليات وأصبح الواحد فيهم كالمصدوم في رأسه وبدأت تقل حكمتهم ومهارتهم وفقدوا توازنهم أمر جنكيزخان أن تقنن المشروبات المسكرة ولا يجوز الإفراط فيها لكى يظل المغولى محتفظًا باتزانه ولا يغيب عقله[٤].

---

(1) Botegeikate Bercaw: The Mongols, London, 1998, p.7.

(2) Rockhil, Jackson: Op.Cit., pp.8-9;

ليوجيوتشى: "حى المسلمين فى شنينغ"، مقال منشور ضمن كتاب المسلمون الصينيون من هم وأين هم؟ الطبعة الأولى، نشر وتوزيع مجلة بناء الصين، بكين، الصين، ١٩٨٣م، ص١١٧.

(٣) أحمد مختار العبادى: الأيوبي والمملوكى، ص٢٧٣.

(٤) محمد أسدالله صفا: جنكيزخان، الطبعة الأولى، سلسلة أعلام الحرب (٣)، دار النفائس، بيروت، لبنان، ١٩٨٨م، ص١٠٤؛ مايك إدواردز: أبناء جنكيزخان الخانات العظام، ص١٠٧.

وفى حالة تعذر حصول المرء المغولى على حليب الفرس، فكان يستعيض عنه بأنواع أخرى من حليب الضأن والماعز، وحليب الأبقار، وحليب النوق(١).

أما فى فصل الشتاء وعندما كان يقل إنتاج حيواناتهم من الحليب فكانوا يصنعون شرابًا ممتازًا من حبوب الأرز أو الدخن والقمح، وصنعوا أيضًا شراب العسل وطريقة صنع شراب الحبوب كانت عبارة عن غلى حبوب الدخن أو الأرز أو القمح فى ماء لفترات طويلة ثم يشرب، وهو سائل بكميات قليلة، كأسًا أو كأسين عند الصباح ولا يأكلون شيئًا فى أثناء النهار وفى المساء كانوا يأكلون ما توافر لديهم من لحم بعد طهيه ويشربون المرق(٢).

ولقد كان خانات المغول العظام أمثال جنكيزخان وتولوى وهولاكو إيلخان دولة مغول فارس متميزين بالقوة البدنية والعقلية طيلة حياتهم وفى ذلك دلالة على مراعاة الاعتدال فى حياة الشراب واللهو؛ فقد كان جنكيزخان يغضب لإفراط المغول فى الشراب وكثيرًا ما كان ينهرهم بسبب هذه العادة(٣).

أما عن خلفاء هولاكو فى حكم دولة مغول فارس (الإيلخانية) أمثال آباقاخان فقد كانت لديهم مشروبات رسمية تقدم فى أثناء احتفالية جلوس الخان على العرش وفى الغالب كان النبيذ المصنوع من ألبان

---

(1) E. H. Parker: A Thousand Years of the Tartars, p.3;

سعد الغامدى: جوانب من حياة المغول، ص١٤.

(2) Dawson Chris Topher: The Mongol Mission, pp.103- 107; Rockhill: Study in the Journey of Rubruck, p,70.

(3) E. H. Parker: Op.Cit., p.5;

عباس إقبال: تاريخ المغول، ص١٠٩.

الخيول، فيتناول الجميع الكؤوس وكانوا يعمدون إلى اللهو والشراب إيذانًا بإعلان خان جديد يحكمهم(١)، وعرف عن آباقاخان أنه كان مفرطًا في شرب الخمور بشتى أنواعها، وقيل إنها كانت سببًا رئيسيًا في وفاته(٢) وعندما اعتلى أحمد تكودار عرش الإيلخانية اعتنق الإسلام وأعلن نفسه حاميًا لدين الإسلام وتابعًا للرسول – صلى الله عليه وسلم – والتزم ما ينص عليه الدين الحنيف فلم يشرب الخمور وشرب كل ما أحله الإسلام من مشروبات عادية مع احتفاظه بمشروب لبن الخيل على عادة المغول(٣).

ومع اعتلاء أرغون خان عرش الإيلخانية ركع له الحاضرون وتناولوا الكؤوس وعمدوا إلى اللهو والشراب واشتهر أرغون بشرب كل مشروبات المغول من نبيذ وخلافه(٤)، وخلفه كيخاتوخان وكان ضعيف النفس مدلومًا على شرب الخمور بأنواعها فقد كان عربيدًا ينشد المتعة واللذة، ويفرط في الجماع بأنواعه من زنا ولواط ولا يفرق بين الحلال والحرام(٥)، ثم جاء بايدو على عرش الإيلخانية وكان على شاكلة سابقيه من حيث المأكل والمشرب والعادات والتقاليد وبموته لتنتهي حكم

---

(١) رشيد الدين الهمذاني: تاريخ أبناء هولاكو، المجلد الثاني، جـ٢، ص١٢٤-١٢٥؛

J. J. Saunders:- Muslims and Mongols, University of Canterbury, 1977, pp.68- 69.

(٢) عبدالمحمد آيتي: تحرير تاريخ وصاف، انتشارات بنياد فرينك، منابع تاريخ وجغرافياى (٣)، إيران، ١٣٤٦، ص٦٣- ٦٤.

(٣) نفسه، ص٦٦؛

Raphael Israeli, Muslims in China A study in Cultural Confrontation, No 29, Humanities Press, pp.30- 31.

(٤) رشيد الدين الهمذاني: تاريخ أبناء هولاكو، المجلد الثاني، جـ٢، ص١٢٦.

(٥) القزويني: تاريخ گزيدة، ص٦٠٠؛ عبدالمحمد آيتي: مصدر سابق، ص١٦٧- ١٦٨.

الإيلخانيين الوثنيين وتحولت الإيلخانية إلى الإسلام مع تولى غازان خان الذى ظل هو وخلفاؤه محبين للأشربه المغولية فيماعدا الخمور إلا فيما ندر وجاء لبن الخيول فى مقدمة مشروباتهم رغم تعرفهم على مشروبات جديدة بحكم تواجدهم بفارس الإسلامية(١).

٢ـ مسكن المغول وأشكاله:ـ

فرضت الظروف الطبيعية من ناحية الطقس والمناخ على المغول أن يشيدوا مساكنهم بطريقة معينة اختلفت اختلافًا كليًا عن غيرهم من البدو والرُحل فإذا تأملنا كيفية بناء مساكنهم أو خيامهم بتعبير أدق والتى عرفت فى لغة المغول باسم "بورت" نجد أنها كانت نصف دائرية وكانت تشبه الوعاء المقلوب(٢) ولم يفكروا فى استبدال هذه الخيم ببناءات فى ذلك الوقت للطبيعة الجغرافية القاسية التى كانت تحول دون ذلك(٣).

أقام المغول أسقف خيامهم من اللباد السميك(٤) وأخذت الأسقف بشكل نصف دائرى حتى لا تجرفها الرياح الشديدة ولا تنقلب بسهولة عندما تشتد العواصف أما الجدران فكانت عبارة عن مجموعة من أعواد

---

(١) فؤاد الصياد: الشرق الإسلامى، ص٢٤٤- ٢٤٧؛ Rockhill: Op.Cit., p.70.

(٢) محمد فتحى الشاعر: قاهرة المغول، ص١١؛ Akakate Bercw: The Journey of William, p.1

(٣) ابن خلدون: التعريف بابن خلدون ورحلته غربًا وشرقًا، ص٣٥١؛ Michael: Op.Cit., p.92.

(٤) اللباد: هو خالص كل شيء وقيل إنه كل شعر أوصوف متلبد والشعر المتراكب بين كتفى الأسد ويطلق عليه اللبدة، وعند المغول يأخذ اللباد من شعر الخيل وبعض الجلود والصوف ويضغط على بعضه ليتلبدُ، راجع المعجم الوجيز، باب السلام، طبعة وزارة التربية والتعليم، القاهرة، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ص٥٤٨- ٥٤٩؛ الجاحظ البصرى (أبوعثمان عمرو بن بحر الجاحظ البصرى): التبصرة بالتجارة، عنى بنشره وتصحيحه والتعليق عليه، السيد حسن عبدالوهاب التونسى، الطبعة الثانية، مكتبة الخانجى، القاهرة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ص٢٣.

القصب يشد بعضه إلى بعض بشرائح من لحاء الأشجار جُدلت بشكل محكم وأحيانًا يكون اللباد بدلاً من لحاء الأشجار، وتُرك أعلى هذه الخيام مفتوحًا بفتحة صغيرة دائرية الشكل كان الهدف من ورائها دخول الضوء وتغيير الهواء وتجديده وكان يخرج منها دخان مواقدهم[1]، ووصف ابن بطوطة الخيمة التى نزل فيها إبان رحلته قائلاً:

((الخرقة[2] وهى عِصِيّ من الخشب تجمع رؤوسها فتصبح شبه القبة، وتجعل عليها اللبود ويفتح أعلاها لدخول الضوء والريح ويسد إذا احتيج إلى سده، ومنها ينفذ دخان مواقدهم)) [3].

أما فى المناطق القريبة من الغابات فقد شيدت الخيام على شكل حوائط دائرية من صوف ووبر وجلود الأغنام على هياكل من ألواح الخشب ربطت بعضها ببعض بقطع من جلود الحيوانات ونتيجة لذلك فإنها لا تتأثر بالرياح والعواصف الشديدة فى فصل الشتاء كما أنها تبعث الدفء، وأما فى فصل الصيف فكانت تحميهم من شدة حرارة الشمس[4].

وكان المغول يضربون خيامهم فى مناطق الأعشاب التى تكفل لهم الحصول على قوتهم فى يسر وسهولة حتى إذا وجدوا الأرض قد

---

(١) ابن فضلان: رسالة بن فضلان، ص٤٣؛ عبدالسلام فهمى: الدولة المغولية، ص٢٢.

(٢) الخرقة: أصل هذه الكلمة "الخركاة" وهى كلمة فارسية تعنى الكوخ أو الخيمة أو السرادق ويطلق مصطلح الخرقة بين غير الفارسيين؛ راجع: Oestmoen: The Realm of Mongols, p.5.

(٣) ابن بطوطة: رحلة بن بطوطة، ص٣٠٠.

(4) Howorth: Op.Cit., III, p.45;

فؤاد الصياد: المغول فى التاريخ، ص٣٣٢- ٣٣٣؛ محمد فتحى الشاعر: مرجع سابق، ص١١.

أقفرت ولم تعد صالحة للاستغلال طووا خيامهم وحملوها على عربات لها أربع عجلات تجرها الثيران وأحيانًا كانت البيوت كبيرة، اشترك في جرها اثنا عشر ثورًا أو أكثر وأحيانًا كانت صغيرة يكفي لجرها ثور واحد، وقد ينقل المغولي هذه البيوت على ظهور الإبل ثم يستمرون في رحيلهم حتى إذا صادفتهم أرض أخصب ضربوا فيها خيامهم وتكون أبوابها دائمًا ناحية الجنوب على عادة المغول وذلك للتحوط بقدر الإمكان من شر الرياح الشمالية وهذه العادة نفسها مازالت باقية في الولايات الشمالية الصينية(١).

وقد امتلك المغول مركبات ذات عجلتين بجانب العربات التي لها أربع عجلات، وكانت هذه المركبات مغطاة باللباد الأسود مدهونة بطريقة فعالة جدًا بحيث إنها كانت تحمي من يستخدمها من البلل أثناء المطر وكانت هذه العربات والمركبات بجانب حملها للخيام في أثناء التنقل من مكان لآخر تحمل أيضًا النساء والأطفال وجميع ما لدى المغول من مؤن ومعدات(٢).

ولقد شيد المغول خيامهم في بعض الأحيان على العربات ذات العجلات الأربع وأخذت الخيمة نفس طريقة التصميم والشكل الدائرى فكان يصعد إليها بسلم خشبي وتعد هذه المساكن ذات أهمية لأنها لا تحتاج

---

(١) ماركوبولو: مصدر سابق، جـ١، ص١٠٥- ١٠٦؛ سعد زغلول: الترك والإسلام، ص١٨٩؛

The World Book Encyelpedia: "Mongol Empire" Vol 13, p.559; Rockhill: First Europeans Traveld to Khan's Court, p.5.

(٢) ماركوبولو: مصدر سابق، جـ١، ص١٠٥- ١٠٦؛ ابن إياس: بدائع الزهور، جـ١، ص٢٨٨؛

Rudipaul Lindner: Op.Cit., p.3.

إلى هدم وبناء مع كل تنقل[1]، وإن فضل بعض المغول ولاسيما العامة منهم سكنى الخيام التى تنصب على الأرض[2] وأحيانًا كانت هذه الخيام مظلمة حتى النهار بسبب سد الفتحة فى فترات الشتاء والبرد وكانوا يتغلبون على ذلك بإشعال النار نهارًا وليلاً للإنارة والتدفئة[3].

واختلفت المساكن أو الخيام المغولية على حسب الطبقات، فسكن عليةُ القوم المساكن الخشبية التى امتازت بالقوة والمتانة فى البناء مما جعلها أكثر تحملاً للرياح والشتاء وسكنوا أيضًا المساكن المشيدة فوق العربات، أما الطبقة الوسطى فسكنوا الخيام المصنوعة من اللباد وأحيانًا الخيام التى صنعت من الخشب، وكانت خيامهم لا تقل كثيرًا عن خيام الطبقة العليا، على عكس الحال بالنسبة للطبقة الدنيا فخيامهم بسيطة جدًا ومتواضعة يحملها الراعى على ظهره أو على ظهر جمله فى تنقله ولكن الشكل الدائرى كان هو السائد فى جميع تصميمات المساكن المغولية على اختلافها[4].

أما عن الشكل الداخلى لمسكن المغول فقد تميز بعدة أشياء وظلت هذه التقسيمات والترتيبات سائدة فى شتى أنحاء أقاليم منغوليا حتى بعد أن خرج المغول من عزلتهم وانفتحوا على الحضارات والثقافات الأخرى ظل شكل المسكن وتقسيمه من الداخل كما كان عليه من قبل، حيث قسم المغولى مسكنه من الداخل إلى أقسام معينة كل قسم منها خصص لأداء

---

(١) سعد زغلول: الترك والمجتمعات، ص٧٢؛ Rockhill, Jackson: Op.Cit., p.3.

(٢) مؤلف مجهول: حدود العالم من المشرق إلى المغرب، ص٦٠؛ ابن خلدون: المقدمة، ص٨٢؛ابن الوردى: خريدة العجائب، ص١٤٨.

(٣) الحرانى: جامع الفنون، ص١٤٧.

(٤) هيلدا: تاريخ الصين، ص٢٢٣؛ Rockhill: Study in The Journey, p.58.

غرض معين فإذا دخل المرء بيتًا واحدًا ثم ذهب إلى بقية المساكن الأخرى وجد نفس النظام[١] ولم تكن الخيام المغولية تهدف إلى السكنى بداخلها وحسب بل كانت مكانًا آمنًا لحفظ الذهب والفضة وكثير من الأسلاب والماشية والجمال وغير ذلك[٢].

وعندما كان المرء يدخل من باب الخيمة فإن أول ما يجده عن يمينه وشماله مكانًا مخصصًا لحيوانات المغول كالماشية والأغنام وغيرها، يليها مباشرة مكان جعل مجلسًا للخدم والفقراء، ووضعت الأواني والأمتعة المنزلية إلى الجهة اليمنى مجاورة لحافة المنزل ثم جلست أمامها النساء من أهل البيت، وكان يقابله من اليسار مكان مخصص لجلوس الرجال تواجد في الجهة الثانية المعاكسة للنساء، أما النساء الزائرات فقد جعل لهن مكان أمام نساء البيت، وكنوع من إكرام الضيف أو الزائر كان يجلس أحيانًا كثيرة في مقدمة صفوف الجالسين من أهل البيت سواء كان الزائرين نساءً أم رجالاً[٣].

أما عن موقد النار؛ فاحتل مكانًا في وسط البيت المغولي ثم يلي المساحة المخصصة لموقد النار ووقودها، مكان جعل لجلوس الأقارب، ثم خصص بعده مكان إقامة الأطفال، أما عن المكان المخصص للنوم فيأتي في آخر المنزل أو الخيمة وخصص مكان لضيوف الشرف من

---

(١) سعد الغامدي: جوانب من حياة المغول، ص١٦٤.

(٢) بطرس توديبود: تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، نقله من اللاتينية إلى الإنجليزية جون هيوج هيل، لورنيال هيل، نقله إلى العربية وعلق عليه د حسين محمد عطيه، تقديم جوزيف نسيم يوسف، الطبعة الأولى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ص٢٥١.

(3) Howorth: Op.Cit., III, p.50;

سعد الغامدي: جوانب من حياة المغول، ص١٦٤- ١٦٥.

ذوى المكانة السامية، وتلى مكان النوم منطقة خصصت لوضع الحقائب والأمتعة الجلدية والمواد الغذائية وإلى الخلف منها عُلقتِ تماثيل الآلهة[1].

وقد علق المغولى صورة مجسمة تتدلى من أعلى المكان الذى كان يجلس فيه صاحب المنزل وسمى هذا التمثال "أخو صاحب المنزل" كما كان يعلق فوق المكان الذى تجلس فيه صاحبة المنزل تمثالاً آخر على نفس النمط ويسمى "أخو صاحبة المنزل" وعُلق فى الوسط بين هذين التمثالين وإلى الأعلى منهما، تمثال ثالث أقل سمكًا وحجمًا من التمثالين الآخرين واعتبر المغول الوثنيون أن هذا التمثال الصغير بمثابة الحارس لجميع البيت ومحتوياته[2].

على أية حال، فإنه يمكن أن نعتبر النصف الأيسر من مسكن المغولى عندما يكون الاتجاه إلى ناحية الجنوب مكانًا مخصصًا لجلوس النساء سواء أكنَّ من نساء البيت أم من الزائرات، فى حين نجد أن النصف الأيمن من ذلك المسكن قد جعل مكانًا خاصًا للرجال سواء من أهل البيت أم من الزائرين، وقد كان لسيدة البيت مسند أو مخدة، مصنوعة من جلد الماعز ومحشوة من الداخل إما بالقش الناعم أو بصوف الأغنام أو بشعر الماعز الناعمين، ويوجد أعلاها وفى مكان مرتفع قليلاً، تمثال صغير متجهًا ناحية النساء[3].

---

(1) William Rubruck: The Journey, Op.Cit., p.95;

هارولد لامب، جنكيزخان وجحافل المغول، ص١٢

(2) William Rubruck: The Journey, Op.Cit., p.95;

سعد الغامدى: جوانب من حياة المغول، ص١٦٥.

(3) Dawson: The Mongol Mission, pp.93- 98; Rockhill: Op.Cit. p.70.

ووضع عند المدخل إلى قسم النساء تمثال مجسم لضرع بقرة وكان هذا التمثال خاصًا بالنساء اللوائى كن يقمن بحلب الأبقار لأن هذا ضمن أعمالهم، وعند المدخل قرب قسم الرجال تمثال آخر لفرس، وهذا التمثال مخصص للرجال الذين يقومون بحلب الأفراس حيث إن هذه العملية غالبًا كان يقوم بها الرجال(١).

وفى الوقت الذى كان المغول يجتمعون من أجل الشراب، كان الساقى ينحو ناحية الجنوب تشريفًا للنار، ثم ناحية الشرق تشريفًا للهواء، ثم إلى الغرب تشريفًا للماء، ثم إلى الشمال تشريفًا للموتى وبعد الانتهاء من هذا النوع من الطقوس يعتبرون أن الآلهة قد أخذت نصيبها من ذلك الشراب، وهنا كانوا يشرعون فى احتساء الشراب(٢).

وكان أثاث المسكن المغولى فى غاية البساطة فعلقت على الجدران الداخلية الأسلحة والأوانى الجلدية التى استعملت لحفظ الألبان، وقد اعتاد المغول صناعة ما يشبه الصناديق من الصوف المقوى والمتين والمغطى بطبقة من شحم الحيوانات لحفظ متاعهم وحاجياتهم التى كانوا يخشون أن يصيبها التلف بفعل المطر أو عند عبور الأنهار فى التنقل والترحال وكان من السهل عليهم تعبئة كل ملابسهم وأوعيتهم فى صناديق (جعبات) من الجلد أو لفيفات أسطوانية(٣).

---

(1) Rockhill, Jackson: Op.Cit., p.5;

فؤاد الصياد: المغول فى التاريخ، ص١٣٤.

(٢) سعد الغامدى: جوانب من حياة المغول، ص٦٦؛ ثروت عكاشة: إعصار من الشرق، ص٢٠.

(٣) ماركوبولو: مصدر سابق، جـ١، ص١٠٦- ١٠٧؛ محمد فتحى الشاعر: مرجع سابق، ص١١.

وعلى هذا الشكل تكونت مساكن المغول وكان كل مسكن يضم خيمة واحدة أو أكثر على حسب عدد الزوجات، وقيل إن باتو خان تزوج ستًا وعشرين زوجة وكان ترتيب مسكن الزوجات كالتالي:- الزوجة الأولى الأصلية تكون خيمتها على الجانب الغربي المتطرف ومن بعدها يبدأ باقي الزوجات على حسب ترتيبهن ومكانتهن من الزوج بحيث وضعت خيمة الزوجة الأخيرة في المشرق(١).

أما عن الشكل الخارجي لمساكن المغول فقد كان المغولي يغطي خيمته بغطاء خارجي صنعه من اللباد الأبيض ثم وضع فوق هذا الغطاء غطاءً آخر استخدمت فيه مادة الكلس أو الصلصال الأبيض، وبعد ذلك قام بوضع مسحوق أبيض مستخلص من العظام، ليجعل منزله أكثر تأنقًا وأشد بياضًا، وفي بعض الأحيان جعل المغولي لون منزله من الخارج أسود(٢).

أما عن المنطقة العلوية التي كانت تحيط بالفتحة الموجودة بأعلى الخيمة وهي مصدر النور والهواء ومنفذ الدخان فإنهم زينوها بتشكيلات من الألوان المختلفة حيث جعلت منظرها غاية في الجمال، وزين المغولي أيضًا مدخل مسكنه المصنوع من اللباد برسوم على شكل طيور وحيوانات بشتى أنواعها وأشجار خاصة من النباتات المتسلقة ومياه الأنهار والبحيرات وكلها أشكال ورسومات استخدمها المغولي من بيئته(٣).

وقام المغولي بتلوين الصناديق (الجعبات) التي حفظ فيها ملابسه وأدواته وأمتعته، برسوم وصور ذات ألوان زاهية وأشكال مختلفة(٤) وكان

---

(١) هيلدا: تاريخ الصين، ص٢٢٣؛ Michael: Op.Cit., p.95.

(٢) يان: جنكيزخان، ص٦١؛ سعد الغامدي: جوانب من حياة المغول، ص١٥٧.

(3) Rockhill, Jackson: Op.Cit., pp.6-7;

سعد الغامدي: المغول بيئتهم الطبيعية، ص٦٥.

(4) William Rubruck: The Journey, Op.Cit., p.94.

يحمله معه فى تنقلاته، والمساكن المغولية كانت أشبه بالمدينة المتحركـة فقال عنها ابن بطوطة: ((فرأينا مدينة عظيمة تسير بأهلها، المساجد والأسواق، ودخان المطبخ صاعدًا فى الهواء، وهم يطبخون فى رحيلهم والعربات تجرها الخيل بهم فإذا بلغوا المنزل نزلوا البيوت عن العربات وجعلوها على الأرض وهى خفيفة المحمل)) [١].

أما حجم المنزل المغولى فكان يتراوح ما بين الصغير والمتوسط والكبير؛ فالصغير منها يقام على عربة صغيرة يجرها حيوان واحد وهذا الحيوان قد يكون حصانًا أو ثورًا أو جملاً، أما الكبير منها فبلغ عرضه حوالى تسعة أمتار وكذلك طوله ويزيد حجمه على حسب مكانة صاحبه وعدد ساكنيه، أما المسكن المتوسط فتباين بين الكبير والصغير من حيث الحجم، واختلف عدد الحيوانات التى تجر المنازل باختلاف حجمها، فالمنزل الكبير على سبيل المثال استخدم لجره اثنان وعشرون ثورًا، ووقف السائق فى باب المنزل لإدارة عملية السير أثناء تلك الرحلة[٢].

وبعد أن انفتح المغول على العالم الخارجى وتوسعوا على حسابه واختلطوا بالحضارات والثقافات المتنوعة ظلت مساكنهم كما هى فى منغوليا فلم يطرأ عليها أية تعديلات فى طريقة بنائها وتصميمها وبعد أن فتح جنكيزخان أقاليم الصين الشمالية وحصل على خيراتها، كان التعديل الذى طرأ على مسكنه (خيمته) أنه غير الجلد المبطن للمسكن وأصبحت خيمته مصنوعة من اللباد الأبيض ومبطنة بالحرير وإلى جانب المدخل وضعت منضدة من الفضة عليها لبن الخيل والفاكهة واللحوم حتى يأكل ويشرب كل من يأتى لمقابلته[٣].

---

(١) ابن بطوطة: رحلة بن بطوطة، ص٣٣٠- ٣٣١.

(٢) المنشى النسوى: جلال الدين، ص٣٩؛ سعد الغامدى: المغول بيئتهم الطبيعية، ص٦٧- ٦٨؛

Rockhill: Op.Cit., pp.70- 71.

(٣) فؤاد الصياد: المغول فى التاريخ، ص٣٣٤؛ يان: جنكيزخان سفاح المغول، ص٦٠.

وبعد مرحلة متقدمة وفى عهد الإيلخانات بفارس لم تعد الخيمة ذات القبة المصنوعة من الجلد مقرًا للخان فقد اتخذ له سرادقًا مرتفعًا صنع من اللباد الأبيض وبطن بالحرير وامتلأت المساكن بالذهب والفضة والأسلاب(١) وقسمت الخيمة من الداخل على نفس عادة المغول فى تقسيم مساكنهم هذا بجانب القصور والمنازل الفارهة التى استولى عليها الإيلخانات من أصحاب البلاد المهزومة وجعلوها بيوتًا خاصة بهم(٢).

مجمل للقول أن المغولى استطاع أن يشيد مسكنًا يقيه قسوة البيئة وصعوبتها ويتغلب به على نقص الغذاء والمراعى حيث إنه متحرك يذهب به حيثما يجد الرزق وقد توافرت جميع احتياجاته فى هذا المسكن وانفرد المغولى بتصميم خاص لمسكنه ميزه عن جميع البدو من حيث شكل الخيمة وطريقة تشييدها وتصميمها.

ولقد ظهرت للمغول لمسة جمالية وتذوق فنى حيث حول مسكنه إلى تابلوه فنى جميل وأخذ يزين مسكنه من الداخل والخارج واستمد حسه الفنى من طبيعته المحيطة به فأخذ يرسم ويلون حيوانات ونباتات ومياهًا وهو جانب فنى اختفى كثيرًا وراء القسوة والشراسة والهمجية والتخريب وغير ذلك من المظاهر التى ميزت حياتهم.

٢- الملابس المغولية:-

تميزت ملابس المغول ببساطتها وسذاجتها، حيث توافقت مع البيئة التى عاشوا فيها وتناسبت فى شكلها مع ظروف المناخ شديد البرودة شتاءً، وشديد الحرارة صيفًا، وصنعت معظم هذه الملابس من أصواف

---

(١) بطرس توديبود: مصدر سابق، ص٢٥١؛ هارولد لامب: جنكيزخان وجحافل المغول، ص٩٠.

(2) Oestmoen: The Realm of The Mongols, p.7.

وأوبار الإبل أو من جلود الحيوانات وكادت ملابس الفتيات غير المتزوجات أن تتشابه مع ملابس الرجال[١] فكن يلبسن سترة على شكل بلوزة قصيرة، وهذا النوع من اللباس يشبه العباءة إلى حدٍ كبير إذ إنه كان مفتوحًا من الأمام ولكن له فتحة أيضًا من الجهة اليسرى حتى الخصر ثم يثنى من على منطقة الصدر، فيربط من الجهة اليسرى برباط واحد أما الجهة اليمنى فكان يحزم بثلاثة خيوط[٢].

وبعد أن انفتح المغولى على العالم الخارجى أصبحت ملابس الرجال عبارة عن ((العباءة أو المعطف المصنوع من الجلد فكان كل رجل عليه قرطق[٣] وفوقه خفتان[٤] وفوقه لبادة وبرنس لا تبدو منه إلا عيناه وسراويل طاق[٥] وآخر مبطن وران[٦] وخف كيمخت[٧]))[٨].

وصنعت الصدرية التى ارتداها المغولى من جلد الفئران، والأحذية فى الغالب كانت ضخمة لم تسمح لهم بسرعة المشى، لذا فكانوا

---

(1) Howorth: Op.Cit., III, p.37; إسماعيل الخالدى: العالم الإسلامى، ص٣١.

(2) Pamelaky le Grossley: The Manchus Cambridge, U.S.A, 1997, p.6;
سعد الغامدى: جوانب من حياة المغول، ص١٤٦.

(٣) **قرطق**: معرب عن كرته وهو قميص أو معطف قصير يصل إلى منتصف الجسم وهو يسمى اليوم سترة أو جاكت. راجع ابن فضلان.

(٤) **خفتان**: أشبه بالصديرى وأحيانًا يطلق عليه صدريه ويلبس تحت الثياب.

(٥) **الطاق**: نوع من الثياب بسيط بغير جيب يلبسه المولود غالبًا.

(٦) ران: نوع من الأحذية وقيل أنه جورب بدون قدم.

(٧) **كيمخت**: كلمة فارسية تعنى نوعًا من الجلد ولعله جلد الخيل ويصنع منه الأحذية.

(٨) عن كل ما سبق راجع: ابن فضلان، رسالة، ص٤٣- ٤٤.

لا يقاتلون مترجلين وإنما يركبون خيولهم صغيرة الحجم سـريعة العـدو التى لا تعرف الكلل، ويلف الرجل المغولى سيقانه بجلد الماعز[١].

أما عن ملابس أغنياء المغول فكان ((عندهم أفخر ملبوس، جلود الكلاب والنموس والذئاب والتيوس))[٢] فارتدى الأغنياء أيضًا الفراء فى الأوقات الباردة وكان المغولى يمتلك ثوبين؛ الأول جعل جزءه الـشعرى إلى الداخل أى ملاصقًا لجلده، والثوب الثانى جُزءه الشعرى إلى الخارج، حتى يحموا أنفسهم من شدة البرودة وتساقط الثلوج وكانوا يلبسون هـذه الملابس قبل خروجهم من منازلهم إلى العراء، أما فى داخـل المنـازل، وحيث يكون الجو أقل برودة ويميل إلى الدفء فكانوا يلبـسون ملابـس أخف من السابقة، وقام هؤلاء الأغنياء بتزيين ملابـسهم بخطـوط مـن الخيوط الحريرية الرفيعة ذات الملمس الناعم[٣] وقيل إن ((ملابسهم تشبه ملابس المجوس))[٤] وهذا كلام عام افتقد الدقة؛ لأن ملابسهم تشابهت فى بعض قطعها مع كثيرين من بدو وصينيين وغيرهم.

أما عن زى الرعاة وملابسهم فكانت ملابس تقليدية مثل سابقتها، وأبرز ما فيها الحذاء طويل الرقبة، والمعطف المربوط عند الخصر وكان الراعى يراقب قطيعه من الماشية وهو ممتطٍ فرسه[٥].

---

(1) Rockhill: First Europeans Traveled to Khan's Court, 2000, p.20; سعد زغلول: الترك فى العصر الإسلامى، ص١٨٤.

(٢) ابن عرب شاه: فاكهة الخلفاء، ص٥٣٩.

(٣) ماركوبولو: مصدر سابق، جـ١، ص١٠٨؛ هارولد لامـب، مرجـع سـابق، ص٩.

(٤) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ٩، ص٢٥٥.

(٥) مايك إدواردز: "جنكيزخان سيد المغول" مقال منشور فى مجلة الثقافة العالمية، ترجمة سعد بساطة، مراجعة أحمد خضر، عدد ٨٣، المجلس الـوطنى للثقافـة والفنون والآداب، الكويت، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، ص٧٥.

أما ما ارتداه الفقراء فكان من جلود الكلاب والماعز وما شابه ذلك ويتم زخرفته وتزيينه بخيوط مادتها قطنية خشنة، وبشكل عام مثلت المواد الصوفية بشتى مصادرها عنصرًا أساسيًا فى اللباس المغولى[١] واعتاد المغول تغطية وجوههم بطبقة من الشحم للوقاية من الصقيع والرياح الشديدة[٢]، ومن عاداتهم عدم استبدال ملابسهم إلا مرة واحدة كل شهر، وفى فصل الشتاء لم يغيروها قط، وكانت ملابسهم قذرة وذلك لعدة أسباب:- أنهم لم يغسلوها فى الماء لأن ذلك محرم حسب نصوص الياسا، ولشدة برودة الطقس، ولعدم امتلاكهم أكثر من رداء لكى يتبادلوا ارتداءه[٣].

ولقد أصدر جنكيزخان أمرًا ينص على أن الزوجة عليها مسئولية رعاية مؤن زوجها وملابسه وتقوم بتجهيزها له عند طلبها[٤].

أما عن ملابس وزى الجيش المغولى فكان الرجال يرتدون ثيابًا من جلد الغنم وسترات فضفاضة من الجلد المدبوغ وارتدى بعضهم قمصانًا من الحرير الخام لا تخترقه رؤوس السهام ولكن ينغمس مع السهم فى اللحم مما يخفف من خطورة الجرح، ولحماية وجهه استعمل درعًا جلديًا صغيرًا محمولاً فى ذراعه اليسرى، وتحت عباءته الفضفاضة ارتدى زيًا صوفيًا محوكًا بإحكام حمَاه من أذى سهام الأعداء، وتسلح

---

(1) Rockhill, Jackson: OP.Cit., p.10; سعد الغامدى: المغول بيئتهم الطبيعية، ص٥٦.

(2) The Editors of Tim – Life Books: The Mongol Conquests, p.15;

محمد فتحى الشاعر: قاهرة المغول، ص١٠.

(3) Howorth: Op.Cit., Op.Cit., III, p.45;

عبدالسلام فهمى: الدولة المغولية، ص٢١؛ هيلدا: تاريخ الصين، ص٢٢٥.

(٤) مونتجمرى: الحرب عبر التاريخ، ص٥٢٩.

المغولى بالقوس المركب وكان مصنوعًا من الخشب ذا وتر قوى وبوق وثلاث جعبات من الأسهم ورمح وسيف بالإضافة إلى خنجر قرب ذراعه الأيسر، وصار الفارس المغولى بلباس الحرب لا يقوى عليه أحد فى المعارك[1] وأبرز ما ميز هذا الزى بيضة الحديد (الخوذة) التى وضعها المغولى على رأسه[2].

نخرج مما سبق بشيء مهم: وهو أن ملابس المغولى فى معظمها مستمدة من بيئته المحيطة به وما امتلكه من حيوانات، حتى زيه العسكرى أوجد فيه عنصر الحماية والوقاية من الإصابات قدر الإمكان مما يدل على حسه العالى ومهارته التصنيعية من حيث تطويع عناصر بيئته لخدمته والاستفادة من ثروته الحيوانية ومخلفاتها.

ولقد تغيرت ملابس المغول الإيلخانيين بعد استقرارهم فى فارس ودخلت عليها بعض التعديلات وإن ظل بعضهم على حاله السابق فيما يلبس، فقد لبس المغول الثياب الحريرية المطرزة التى حصلوا عليها من الصين وفرغانه، وأحضروا أيضًا المسك وتعطروا به وظلوا يلبسون ويفضلون ملابسهم الجلدية المصنعة من جلود الكلاب والنموس والذئاب وغيرها[3] ولبس علية القوم الثياب المطرزة بالذهب ((... وخير الوشى فى الثوب المذهب المنسوج))[4].

---

(١) البيرونى: تحقيق ما للهند من مقولة، ص٣٤٩؛ مايك إدواردز: جنكيزخان سيد المغول، ص٧٠.

(٢) الأصفهانى (أبوعبدالله محمد بن صفى الدين عماد الدين الكاتب) ت ٥٩٧هـ، الفتح القسى فى الفتح القدسى، تحقيق وشرح وتقديم محمد محمود صبح، سلسلة الذخائر، عدد ٩٠، القاهرة، ٢٠٠٣، ص٩٩.

(٣) القرمانى: أخبار الدول وآثار الأول، ص٢٨٤؛ الإدريسى: نزهة المشتاق، ص٥١٢- ٥١٣؛

براون إدوارد جرانفيل: تاريخ الأدب فى إيران من الفردوسى إلى السعدى، نقله إلى العربية إبراهيم أمين الشواربى، مطبعة السعادة، مصر، ١٩٥٤م، ص٥٦١.

(٤) الجاحظ البصرى: التبصرة بالتجارة، ص١٩.

وارتدى المغول الإيلخانيون طاقمًا كاملاً من الملابس (من الرأس إلى القدم) وكان غطاء الرأس مزيناً، والحزام الذى كان يــربط الخــصر جُلبْ من الأراضى الصينية، وتحسنت صنعة الأحذية لديهم[1] وأشهر مــا لبس المغول القلنسوة، الشاشية، الطيلسان للرأس، والقفطــان، القرطــق، الصدرية[2] هذا بالإضافة إلى ما احتفظوا به من ثيابهم القديمة.

وإذا أردنا الحديث عن ملابس الفتاة المغولية التى لــم تتــزوج نلاحظ عدم وجود فارق كبير بين ما لبسته الفتاة ومــا ارتــداه الرجــل المغولى وإن كان شعرها أكثر طولاً من شعر الرجل، واختلفت ملابــس الفتاة عن الرجل فى الكيفية لا النوعية حيث فضلت القطيفــة المطــرزة وقبعات الرأس التى كان الريش يتدلى منها[3] بخلاف قبعات الرجال التى لا يتدلى منها شيء ولا يعلوها شيء وفى أحيان كثيرة كــان الرجــال لا يرتدون قبعات على رؤوسهم.

أما عن ملابس المرأة المغولية المتزوجة فكانت المرأة تقوم فى اليوم الذى يلى زواجها بحلق شعرها من وسط رأسها إلى المقدمة ثم تضع عليه غطاء رأس يتدلى فيه الريش، لتصبح متميزة فــى مظهرهــا عــن الرجل، واللائى لم يتزوجن من بنات جنسها بعد، ثم لتــسطيع أن تظهــر أمام الرجل كغيرها من النساء المتزوجات، وبهذا تكون المرأة قد انضمت

---

(١) بابرشاه: تاريخ بابرشاه، ص٣٠؛ ثروت عكاشــة: جنكيزخــان الإمبراطــور الدموى، ص١٩.

(٢) سعيد عبدالفتاح عاشور، سعد زغلول، أحمد مختار العبادى: تاريخ الحــضارة الإسلامية العربية، الطبعة الثانية، منشورات ذات السلاسل، الكويت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص٢٢٢.

(٣) ليوجيوتشي: حى المسلمين فى شنينغ، ص١٥٥؛ هارولد لامب، مرجع ســابق، ص٩٠.

من الخلف إلى المنطقة العلوية من الرأس وأخيرًا قامت بربط غطاء رأسها بإحكام بحزام من تحت الذقن[1].

ولقد اهتمت المرأة المغولية بزينتها وإن مالت إلى السمنة أكثر من حرصها على تناسق القوام وذلك بسبب كثرة ما كانت تأكله من المواد الدهنية، واعتبر المغول المرأة جميلة كلما قلت فطاسة أنفها وصغر حجمه، أما عن زينتها فكن يشوهن أنفسهن عندما يصبغن وجوههن بأصباغ جعلت النظر إليهن مؤذيًا للعين[2].

وكانت معظم البنات المغوليات متبرجات يضعن القلائد الرقيقة على صدورهن يتزينّ بالمصنوعات الذهبية والثياب الحْريرية[3] وتزاحمن على أسواق الجواهر والعطور وعلى الأخص العنبر والمسك وكان أثمن شيء عندهن الحلي[4].

وإبان حكم الدولة الإيلخانية اختلفت ملابس أهل الذمة على حسب فترات الحكم فإن كان هناك اضطهاد أُجبروا على لبس علامة مميزة لهم وإن لم يكن هناك اضطهاد كانت لهم حرية ارتداء ما يريدون[5].

---

(1) William Rubruck: The Journey, Op.Cit., p.102; هارولد لامب: مرجع سابق، ص٣١.

(٢) سعد الغامدى: جوانب من حياة المغول، ص١٥٠؛ صلاح محمد نوار، المرجع السابق، ص١٦٥.

(3) Michael: Op.Cit., p.102;

ليوجيوتشى: حى المسلمين فى شنينغ، ص١١٥.

(٤) الشيزرى: نهاية الرتبة فى طلب الحسبة، ص٤٨؛ صلاح محمد نوار: المرجع السابق، ص١٦٦؛ عبدالهادى التازى: إيران بين الأمس واليوم، قراءة جديدة لرحلة ابن بطوطة، الطبعة الأولى، المعهد الجامعى للبحوث، المغرب، ١٩٨٤م، ص٨١.

(5) Moule: Christians in China, p.122.

ومنذ أنَ تولى غـازان محمـود (٦٩٤ - ٧٠٣هـــ/ ١٢٩٥ - ١٣٠٣م) حكم الدولة الإيلخانية، أمر ((بإلزام أهل الذمة الغيار، فكانـت علامة النصارى شد الزنار فى أوساطهم، وعلامة اليهود خرقة صـفراء فى عمائهم فداوموا على ذلك شهورًا ثم أزيل بمجرد تسلط العوام علـيهم وطمع الجهال فيهم))[١].

(١) ابن الفُوطى: الحوادث الجامعة، ص٢٢٩.

ثانيًا: المغول وحياتهم الاجتماعية:-

١- الحياة الأسرية فى المجتمع المغولى:-

كانت حياة المغول الأسرية بسيطة للغاية وفطرية، ومع ذلك كان لهم من القوانين والعرف والتقاليد ما تناسب مع هذه البساطة، فالرجال والنساء هما قوام الأسرة فالرجال عليهم الرعى والصيد وتدبير المأكل والمشرب وهم الذين يخرجون للحرب وتبقى النساء والأطفال يأملون عودتهم محملين بالخيرات، أما حياتهم الزوجية فكانت بدائية لا أثر فيها لأعمال التفكير الناضج(١).

ولقد كان لإتمام الزواج عند المغول عدة مراحل، وإن رأى ابن الأثير غير ذلك حيث قال: ((التتار لا يعرفون نكاحًا بل المرأة يأتيها غير واحد من الرجال فإذا جاء الولد لا يعرف أباه)) (٢) وهذه المعلومة غير دقيقة لأن مؤرخنا اعتمد فيها على ما سمعه وليس على ما شاهده بالعين، فلقد طالعتنا كتب الرحالة والمؤرخين المعاصرين الذين تواجدوا ببلاد المغول بشرح مفصل عن الزواج وعاداته.

أما عن مظاهر الزواج، فلقد تشابه المغول مع غيرهم من الشعوب والأمم، حيث كان المرء منهم يتقدم إلى شخص آخر بغرض أن يخطب لنفسه أو لابنه أو لأخيه فيطلب ابنته أو أخته أو أية قريبة هو ولى أمرها وفى مقابل ذلك يدفع الخاطب صداقًا؛ بحيث لا يصل إلى امرأته حتى يوفى الصداق الذى وافق عليه وليها وربما كان المهر جمالاً أو دوابًا

---

(1) Paul Ratchnevsky: Genghis Khan, p.9;

عبدالسلام فهمى: الدولة المغولية، ص٢٣.

(٢) ابن الأثير: مصدر سابق، جـ٧، ص٥٧١.

أو غير ذلك(١) وهناك تشابه بين المغول والمسلمين فى الزواج من حيث الخطبة والهدايا والمهر وطلب العروس من وليها ولكن هناك بعض الاختلافات مثل العادات المتبعة فى الزواج، وعدم مراعاة قرابة التحريم فى الزواج من قبل المغول أى فى حالة أمهاتهم فقط(٢).

ومن عادات المغول فى الزواج ألا يخطب الرجل لابنه من نفس فخذ قبيلته ولا من قريباته فغالبًا ما يبحث الأب لابنه عن زوجة من القبيلة التى تزوج منها الأب، وإن كانت قلة منهم قد خالفت هذه العادات(٣).

غاية القول إن المغولى ساقته فطرته بمحض الصدفة إلى البعد عن زواج الأقارب حتى يتفادى الأمراض التى قد تنتج عن هذا الزواج، ولكى يوثق صلته بقبائل أخرى عن طريق المصاهرة.

وكان هدف المغول من الزواج العمل على زيادة أعدادهم حتى يقوى شأنهم ويشتد أزرهم؛ لذا كان لديهم تشجيع دائم على الزواج وكان لا حد عندهم لعدد الزوجات(٤)، وكان المغولى لا يقدم للمرأة صداقها حتى تحمل له ابنًا ولا يعتبرها زوجة حتى تلد له طفلاً وإذا ثبت أنها عاقر، فعادةً ما كان يتركها(٥).

---

(١) ابن فضلان: رسالة، ص٤٨؛

Andrea and James. H: The Human Record Sources of Global History, Vol I, Boston, 1998, pp.410- 414.

(٢) ماركوبولو: مصدر سابق، جـ١، ص١٠٧.

(3) David Morgan: Mongols, p.38;

هيلدا: تاريخ الصين، ص٢٢٤؛ عبدالله إبراهيم: عالم القرون الوسطى، ص٨٣.

(٤) محمود محمد زيادة: مجتمعات إسلامية، ص٧٨.

(٥) عبدالسلام فهمى: الدولة المغولية، ص٢٣؛

Rockhill: Study in Rubruk, p.55.

أما ما يتعلق بحفلات الزفاف فإن أبا الفتاة "الخطيبة" هو الذى كان يقوم بترتيب حفلة العرس حيث كـان يقـيم وليمـة يحـضرها أقربـاء الطرفين[1] ثم يخرج العريس فى موكب مثلما فعل جنكيزخان عند زواجه، وكان هذا الموكب يضم مئات من الفرسان وهم فى أبهى وأجمل زينـة، عليهم الثياب الجلدية، وكانت صدورهم مزينة بدروع من الجلد المقـوى الملون ومعهم رماحهم وجعبات سهامهم وقرب المساء يسير الموكب فـى نظام تتقدمه الطبول حتى يصل إلى خيمة والد العروس فينزل العريس من على فرسه ويقوم الخدم برعايته ويتقدم الموكب إلى السرادق المنـصوب ويجلسون صفوفًا إلى جوار شيوخ القبائل ويشربون ويلعبون ويرقـصون وفى المقابل يصتف النساء فى جلستهن ويعزفن على كمان ذى وتر واحد ويغنين والخدم يذبحون الماشية ويعدون الطعام ويظل الأمر كذلك لمـدة يومين وفى اليوم الثالث تتزين العروس وتلبس ثوبًا فضفاضًا تتدلى منـه القطع الفضية كما تتدلى من جدائلها التمائم المصنوعة من الجلد وتوجت بما يشبه التاج المقلوب المصنوع من لحاء الأشجار[2] وما أن يحين وقت الرحيل تهرب العروس من عريسها عند أقاربها أو بين الخيام فيقف الأب قائلاً للعريس: ((الآن ابنتى ملكك خذها من أى مكان تجدها))، فيخـرج العريس متتبعها بين الخيام ويعدو وراءها ويعترضه البعض ويدفع الجميع حتى يمسك بعروسه ويحملها بين يديه ويضعها على جواده ليعود بها إلى خيمته وعشيرته، وهكذا تنتهى مراسم الزفاف وهذه الطريقة تزوج بهـا يسوكاى والد جنكيزخان فى زواجه الأول، ثم تـزوج بهـا جنكيزخـان ومعظم أبنائه وأحفاده من المغول[3].

---

(1) Patricia Buckley Ebrey: Op.Cit., p.193.

(2) Elpopla Ciniomggazina: Tibet on the Roof of the World, Belting, China, 1987, p.12;

سعد الغامدى: المغول بيئتهم الطبيعية،ص٩٤.

(3) Andrea and James: Op.Cit., p.414;

ثروت عكاشة، إعصار من الشرق، ٤٨– ٤٩.

وهذا النوع من الزواج بما يصاحبه من مراسم كان هو المنتشر بين المغول وإن كان هناك عدة أنواع أخرى تم الزواج من خلالها ومنها الزواج بلا مهور وتعويض ذلك بتقديم بعض الهدايا ((التتار لا يقدمون مهرًا لزوجاتهم ولكن الأزواج يقدمون الهدايا وبدونها لا يستطيعون الحصول على زوجات))[١].

وهناك أيضًا الزواج عن طريق الخطف مثلما فعل يسوكاى عندما رأى هوئلون وأعجبته وأراد التزوج منها فاصطحب اثنين من إخوته وتعقبوها حتى تحينوا الوقت المناسب فقاموا بخطفها وتزوج منها يسوكاى؛ وأنجبت له جنكيزخان[٢].

واعتاد المغول نوعًا آخر من الزواج وهو الزواج عن طريق الشراء حيث تباع بعض الفتيات الصالحات للزواج، وعلى حسب أعمارهن وأشكالهن تقدر أثمانهن، وبعد إتمام البيع تصبح الفتاة ملك من اشتراها، ويحق له أن يتخذها زوجةً له[٣] هذا بجانب زواج قرابة الرحم بعد أن يستأذن أباها فى إمكانية زواجه منها، بالإضافة إلى زواج الأرملة عن طريق الميراث حيث يرث الابن جميع زوجات أبيه فيما عدا أمه التى ولدته لاعتقادهم أنها ستعود لأبيه فى العالم الآخر وهذا النوع من الزواج يشبه زواج المقت عند العرب فى الجاهلية، وكان المغولى يجمع بين الأختين[٤] ((ومعظم اتصال النساء بالرجال لم يأتِ إلا عن طريق الزواج))[٥].

---

(١) ماركوبولو: مصدر سابق، جـ١، ص١٠٧.

(2) Pamela Kylegrossley: The Manchus Cambridge, p.199; Jack Weather: Ganghis Khan and The Making of Modern World, p.81.

(3) Andrea and James: Op.Cit., p.410; هيلدا: تاريخ الصين، ص٢٢٤.

(4) Rockhill, Jackson: Op.Cit., p.11;

عبدالسلام فهمى: الدولة المغولية، ص٢٤.

(٥) الدمشقى: نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر، ص١٦٤.

وكانت هناك عادة سيئة عند مغول التبت المتوحشين؛ فكانوا يكرهون الزواج من الشابات مادمن عذراوات ولكن يشترطون على عكس ذلك أن تكون لهن علاقات سابقة مع كثير من أفراد الجنس الآخر وهم يؤكدون أن ذلك يسر آلهتهم وأن المرأة التى لم تحظ بصحبة الرجال امرأة عديمة القيمة(١).

وعرف المغول تعدد الزوجات ولم يجدوا فى ذلك غضاضة، فأبيح للرجل اتخاذ أى عدد يرغب فيه من النساء ولم تكن نفقات الزواج مرتفعة(٢) وبجانب تعدد الزوجات أكثر المغول من الجوارى فقيل إن (أوكتاى خان) الخان الأعظم كان له زوجات كثيرات كما كان له ستون محظية وأشهر زوجاته كانت (بوراقجين، توراكنه) وكان لدى باتوخان ست وعشرون زوجة وكان لكل واحدة منهن مسكن خاص بها(٣).

ولقد ظل تعدد الزوجات القاعدة المتبعة لدى المغول حتى بعد قيام دولتهم الإيلخانية ببلاد فارس الإسلامية وقد اعتبروا النساء ضمن التركة الأبوية يتوارثهن الابن عن أبيه والأخ الأصغر عن الأكبر وكانت الحكمة من ذلك هى المحافظة على ثروة الأسرة من الضياع إذ إنه من المتعارف عليه عندهم أنه كان للمرأة حرية التصرف فى أملاكها وما ترثه من زوجها وإلى جانب ذلك كانت التقاليد تقضى بأن المرأة من الطبقات الشريفة لا يجوز لها الزواج من رجل أقل منها نسبًا(٤).

---

(١) ماركوبولو: مصدر سابق، جـ٢، ص١٩٧.

(٢) نفسه، جـ١، ص١٠٦؛ Paticia Buckely Ebrey: Op.Cit., p.193.

(٣) رشيد الدين الهمذانى: خلفاء جنكيزخان، المجلد الأول، ص١٧؛ جيهان الشناوى: المغول ذلك الإعصار المدمر، ص١٥٦؛ David Morgan: Mongols, p.85.

(4) Jahn Masson Smith: Mongol Manpower, p.285;
سعد زغلول: الترك والمجتمعات الإسلامية، ص٧٥- ٧٦.

ويمتلك الخان زوجة رئيسية يرث ابنها ملك أبيه وزوجاته وتليها فى المرتبة ثلاث زوجات أخريات والباقيات يصبحن زوجات ثانويات[١] ويجلس الخان على أريكته وزوجته الرئيسية بجانبه دائمًا وتكون بمثابة الخزينة بالنسبة لزوجها حتى يحمل إليها أشياءه الثمينة وتقوم هى بحفظها وإذا أرسل إليها الهدايا والتحف تعمل على حفظ هذه الأشياء فى خزائن خاصة تتولى أمرها[٢].

وجاء ترتيب مساكن الزوجات لدى الخان بوضع الزوجة الأساسية فى الطرف الغربى المتطرف وبعدها أتت الأخريات على حسب ترتيبهن حتى ينتهى بالأخيرة فى الشرق الأقصى[٣].

وكان من عادة إيلخانات دولة مغول فارس الإيلخانية أن تجمع لهم الفتيات الحسناوات ويتم تمريرهن على قواد العشرة والمائة حتى يصلوا إلى أمير التومان من أجل اختيار أفضلهن وأجملهن وإرسالهن للخان وعلى الباقيات اللاتى لم يقع عليهن الاختيار أن يسرحن بإحسان، وإذا أعجب الخان بفتاة، وكانت متزوجة طلقها زوجها وزوجت للخان وكانت هذه كلها عادات ورثها الإيلخانيون من موطنهم الأصلى منغوليا[٤].

واللافت للنظر أن الدولة الإيلخانية بعد أن تحولت للإسلام ظل بعض خاناتها على تقاليدهم القديمة الخاصة بمسألة الزواج، أمثال السلطان أبى سعيد بهادر الذى لم يطبق الشريعة الإسلامية فى زواجه وخالفها، فقد

---

(١) ماركوبولو: مصدر سابق، جـ٢، ص٣٦- ٣٧.

(2) Dawson: The Mongol Mission, pp.103- 104.

(3) William of Rubruck: Journey to the Land of the Tartars, p,5; Rockhill: First Europeans Traveled to Khan's, p.2.

(٤) الجوينى: جهانكشاى، ص٢١٢؛ جيهان الشناوى: مرجع سابق، ص١٥٦.

تزوج من بغداد خاتون بعد أن طلقها من زوجها الأمير حسن بزرك الجلائرى، لأنه فتن بجمالها واحتلت لديه مكانة كبيرة، ورغم أن السلطان أبا سعيد مسلم ويعرف أن الإسلام يحرم ذلك إلا أنه فعله، والطامة الكبرى أنه وقع صريع هوى ابنة أخي بغداد خاتون المسماة (دلشاد خاتون) فتزوجها وجمع بين المرأة وابنة أخيها فى وقت واحد رغم مخالفة ذلك لنصوص الشريعة الإسلامية[١].

وأقدم بعض حكام الدولة الإيلخانية أمثال السلطان محمد خدابنده على كسب ود الرعية وتوطيد دعائم الحكم عن طريق الزواج، فتزوج خدابنده عام ٧٠٩هـ/ ١٣٠٩ من بنت الملك المنصور نجم الدين غازى بن المظفر قرارسلان صاحب ماردين[٢].

وحاول بعض الرجال أمثال (مظفر الدين على بن علاء الدين عطا ملك الجوينى) صاحب الديوان التودد إلى الخان والظفر بمكانة لديه عن طريق مصاهرته حتى يرتقى فى المناصب فتقدم إلى أرغون خان وطلب يد ابنته (بيكى) وتزوجها عام ٦٩٠هـ/ ١٢٩١م ونال بسببها أملاكًا عديدة ومكانة مرموقة[٣].

نخرج مما سبق بشىء مهم وهو أن المغول الإيلخانيين عرفوا الزيجات السياسية وكذلك رجالهم الذين كانوا يخدمونهم وسعوا جميعًا إلى الإقدام عليها لتحقيق أكبر قدر من المكاسب بسببها وأصبحت وسيلة لحل بعض المشاكل، والدخول فى بعض التحالفات.

---

(١) ابن بطوطة: رحلة بن بطوطة، ص٢٤٣؛ صلاح محمد نوار: المرأة ودورها فى المجتمع المغولى، ص١٦٠.

(٢) ابن عرب شاه: عجائب المقدور فى أخبار تيمور، ص٣٨؛ ابن سباط: تاريخ بن سباط، جـ٢، ص٦٠٤.

(٣) عباس العزاوى: حكومة المغول، ص٣٥٤.

ولقد كانت هناك معتقدات غريبة لدى المغول تقول: إن الأطفال الذين يتوفون قبل زواجهم يتم تزويجهم، فيذهب والد الطفل المتوفى في الفترة التي يكون ابنه قد اقترب فيها من سن الزواج ويبحث عن بنت متوفاة بنفس المواصفات ويتم الاتفاق على موعد الخطبة وتكتب وثيقة بالصداق والزواج ويتم حرقها ومع تصاعد الأدخنة كانوا يعتقدون أن الدخان ذاهب إلى العريسين في العالم الآخر وهنا يعلنون الولد والبنت زوجين في عالمهم الثاني، وظلت هذه العادة متبعة داخل الدولة الإيلخانية حتى تحولت إلى الإسلام في عهد غازان محمود فتوقف العمل بهذه العادة(١).

وصاحب الفترة الأولى من قيام الدولة الإيلخانية حالات كثيرة من الاغتصاب بشكل وحشي ((عذارى اغتصبن حتى متن من الإعياء ثم صدورهن قطعت كأطعمة طيبة لرؤسائهم)) ولكن هذا الأمر لم يستمر فترة طويلة فمع استقرار الأمور وقيام الدولة توقفت هذه الحالات إلا فيما ندر، حيث أراد الإيلخانيون كسب عطف وود أهل البلاد الإسلامية حتى يتفرغوا لشئونهم الداخلية والخارجية(٢).

وبعد التعرف على الزواج بأنواعه المختلفة وكيفياته ومراسمه نتناول ثمرة هذا الزواج وهي:- **الأبناء وتنشئتهم بداخل هذا المجتمع المغولي.**

ولقد كان من عادة المغول أنهم عندما كانوا يرزقون بمولود جديد يسمونه باسم أول داخل عليهم عند ولادته مثلما حدث مع السلطان محمد

---

(1) William Roubruck: The Journey, Op.Cit., p.203;

سعد الغامدي: المغول بيئتهم الطبيعية، ص١٠٢؛ ١٠٣.

(2) The Editors of Tim – Life Books: Op.Cit., p.24.

خدابنده أحد إيلخانات الدولة الإيلخانية قيل إنه تسمى "خربنـده" لأن أول داخل عليهم بعد ولادته كان الزمال وهو "الحَمَار" وكان ينعتونه خربنده[١] وهناك طريقة أخرى للتسمية وهى اختيار أجمل الأسماء والتى كانت فيها دلالة على الشراسة والقوة والإقدام ثم دخلت الأسماء المغولية طورًا جديدًا عندما أسلم حكام الدولة الإيلخانية فأخذوا أسماء عربية إسلامية وتـسموا بها مثل تكودار أحمد، غازان محمود، أبى سعيد وغيرهم[٢].

وبدأ المغول تعليم أطفالهم الرمى بالقوس وهم فـى الثالثـة مـن عمرهم ثم كانوا يدربونهم على صيد الأرانب والفئران وركوب الخـراف بمسكها من أصوافها وأحيانًا يربطونهم عليها حتى يعتادوا على التـوازن فى ركوبهم وتروح وتغدو بهم الخراف وهم على ظهورها وبذلك يقـوى الأطفال وينعمون بصحة جيدة فهم أقوياء جدًا، ولا يعرفون التخاذل منـذ صغرهم، ولم يكن هناك فارق فى عملية التنشئة بين الأبنـاء الـشرعيين وغير الشرعيين فالجميع كانوا يتربون ويتعلمون بهذه الطريقة[٣].

ويتبين مما سبق أن المغولى كان يتربى تربية عسكرية منذ نعومة أظفاره فتتحول طفولته وجده وهزله إلى رياضات وتمرينات حربية تمكنه فى الكبر من أن يكون محاربًا لا يحول بينه وبـين النـصر حائـل ولا يضاهيه فى مهارته الحربية أحد فهو كالحجارة بل أشد قوة.

وكان على الابن أن يراعى زوجات أبيه بعد موته لـو تـركهن يذهبن إلى بيوت أهلهن يجلب على نفسه العار فهو يرث زوجـات أبيـه ويحق له الزواج منهن جميعًا فيما عدا أمه[٤]، ويـرث الابـن الأصـغر

---

(١) ابن بطوطة: رحلة بن بطوطة، جـ١، ص١٤٣؛ البدليسى: الشرفنامة، جـ٢، ص٢١.

(2) Sain. Tirgal and Sharaldai: Op.Cit., p.21.

(3) Howorth: Op.Cit., III, pp.194- 195;

محمود السيد: التتار والمغول، ص١٩.

(4) Ibid, pp.194- 195; Morgan: The Great Yasa, p.168.

ممتلكات أبيه أما الابن الأكبر فيخلف أباه فى الحكم(١) وللإخوة الصغار السيطرة على أرامل أخيهم فى حالة عدم تركه أولادًا يرثونه من بعده(٢) هذا وقد كان المغولى يربى على احترام الخيول وتقديرها؛ لأنه منذ أن يمتطيها من سن السابعة تقريبًا ويأخذ قوسه وسهامه فهو عليه أن يقضى معظم يومه وهو على ظهر حصانه، وعليه أن يأكل كل شيء تصل يده إليه، فكانوا يأكلون جميع أنواع لحوم الحيوانات الصالحة والتالفة، حتى حشائش الأرض تغذوا عليها وقت الحاجة، وهكذا تربى الأطفال على الخشونة والشجاعة والإقدام(٣).

أما المرأة المغولية ومكانتها بداخل المجتمع المغولى فكانت صاحبة مكانة عالية فى المجتمع الذى تعيش فيه؛ حيث إن أهمية المرأة أتت من طبيعة الأعمال التى قامت بها سواء كان ذلك على مستوى بيتها وأسرتها الصغيرة أم كان ذلك على مستوى العشيرة أو على مستوى القبيلة أو الدولة فى كافة مرافقها فالمرأة المغولية اعتبرت هى العضو الأكثر فاعلية وإنتاجًا من الرجل(٤).

وكانت النساء المغوليات يتمتعن بحرية كبيرة واستقلال واسع ونفوذ وسلطان عظيم فهن عاملات مجدات ومحاربات أيضًا مثل الرجال، وكانت المرأة المغولية تتمتع بالحرية التامة، فكان لها أملاكها الخاصة

(١) أحمد عبدالعزيز بقوش: مرجع سابق، ص٦.

(2) E. H. Parkar: A Thousand Years of The Tartars, p.4.

(3) Rossabi Mortis: Nadaam Festival, The Center for the Study of Eurasian Nomads, U. S. A, 2004, p.34; Martin: The Mongol Army, p.52;

محمود محمد زيادة: مجتمعات إسلامية، ص٧٧.

(4) David Morgan: Mongols, p.40;

رحمت الله مهزار: بزركان شيراز: سلسلة انتشارات انجمن آثار ملى (٦٤)، تهران، آبا نماه ١٣٤٨، ص٣٨٩.

وكان لها حرية التصرف فيما تمتلكه وما ترثه من زوجها، وكان لها حق التقاضى أمام المحاكم، وحتى بعد اعتناق المغول للإسلام ظلت مكانة المرأة فى ارتفاع وشأنها فى ازدياد حتى صرن أعلى شأنًا من الرجال، وقد تسير المرأة مع زوجها فيظن من يراهما أنه أحد خدمها[١].

أما عن واجبات المرأة المغولية وأهم ما كانت تقوم به من أعمال فكان عليها تحميل حاجيات وممتلكات وأمتعة الأسرة على العربات إبان عملية التنقل والترحال من مكان لآخر بحثًا عن سبل معيشة أوفر، وبعد تحميل الأمتعة كانت تقوم بترتيبها بعناية، ثم كانت تقود بعد ذلك الخيول أو الحيوانات التى تجر تلك العربات، ثم تصلح أية عربة تتكسر فى أثناء رحلة الانتقال وكانت المسئولة أيضًا عن تنزيل تلك الأمتعة فى مكان الإقامة الجديد وتساعد زوجها فى إعداد المسكن[٢] وكانت المرأة المغولية تقوم ببعض الأعمال والتى اعتبرت من صميم تخصصها على حسب النظام الاجتماعى وقاعدته التى بنى عليها، ومنها تنظيم الخيمة وتزيينها وغسل الأوانى وطهى الطعام وتربية الأولاد وجمع الوقود وإشعال النيران وكافة الأعمال المنزلية الأخرى[٣] بالإضافة إلى كل ما سبق المرأة المغولية كانت تقوم بحلب الأبقار ثم استخراج الزبد من هذا الحليب[٤].

وكان الرجال يخرجون للحرب أو الصيد وفى حالة غيابهم كانت المرأة تقوم بدورهم فى رعاية القطعان بمساعدة الأطفال، وإذا غاب الأطفال تكفلت المرأة بالأمر كله[٥]، وكان من أعمالها أيضًا دباغة الجلود

---

(١) صلاح محمد نوار: المرأة ودورها فى المجتمع المغولى، ص١١- ١٢؛ سعد زغلول: الترك والمجتمعات الإسلامية، ص٧٥.

(٢) سعد الغامدى: المغول بيئتهم الطبيعية، ص١١١؛ Andrea and James: Op.Cit., p.410.

(3) Jahn: Mongols Manpower, p.284; Michela: Op.Cit., p.102.

(٤) سعد الغامدى: المغول بيئتهم الطبيعية، ص١١٢؛ هيلدا: تاريخ الصين، ص٢٢٥.

(5) Rudipaul Lindner: Nomadism, Horses and Huns, p.4; عصام الفقى: دول مستقلة، ص٢٨٢.

ثم خياطتها بأوتار جلدية وخياطة جميع أنواع الثياب والجوارب وكانت تصنع الأحذية من الجلود، وغاية القول إن المرأة المغولية صنعت كل شيء يستخدم الجلد في تصنيعه فالمرأة المغولية كانت سيدة بيت من الدرجة الأولى(١).

وقد تمتعت المرأة المغولية بقدرة عجيبة إذ إنها لا تكاد تتعب أو تكل أو تمل وفي ميادين الحروب لم تقل مهارة عن الرجل في ركوب الخيل وحسن ودقة استخدام السلاح كالقوس والرمح، وكان لديها مقدرة أن تظل على ظهر الخيل أربعًا وعشرين ساعة وكن يجلسن على صهوات الجياد كما يجلس الرجال (أي بانفراج الساقين) وعندما تمتطي المرأة منهن صهوة جوادها فإنها تقوم بربط غطاء رأسها (القلنسوة) وتلف خيط حريري سماوي اللون حول خصرها، كما تقوم بشد ثدييها بحزام معين، لوقايتهما من أن يتعرضا للأذى من شدة الاهتزاز في أثناء انطلاق جوادها بأقصى سرعة، ولتقي نفسها شدة لفح حرارة الشمس في فصل الصيف والبرد القارس في فصل الشتاء فإنها تربط عصابة بيضاء من تحت العينين وتحزمها وراء العنق، وتتدلى بقية العصابة على صدرها فتكون بذلك قد حمت وجهها وعنقها من التعرض للحرارة أو البرودة في أثناء انطلاق فرسها(٢).

ولقد احترفت النساء المغوليات مهنة جديدة بعد انفتاحهم على العالم الخارجي وهي مهنة مزاولة التجارة فكانت المرأة المغولية تخرج بعربة تجرها الخيول ومعها جواريها وعبيدها وتحمل معها الأغنام

---

(1) William Rubruck: The Journey, Op.Cit., pp.95- 96; John: Op.Cit., pp.284- 285.

(٢) سعد الغامدي: المغول بيئتهم الطبيعية، ص١١٣- ١١٤؛ صلاح محمد نوار: المرأة ودورها في المجتمع المغولي، ص١٣٧.

والألبان وكثيرًا من المنتجات الحيوانية فتبيع وتشترى مع الناس بالمقايضة وأهم ما كانت تشتريه المنتجات الكمالية التى لا تستطيع تصنيعها بداخل مجتمعها مثل العطور(١)، ولم يتوقف دور المرأة عند هذا الحد بل كانت تتوجه إلى دور العبادة لتقدم القرابين واستجلاب البركة دون تفريق أو تمييز بينها وبين الرجل(٢).

ومن العادات الجيدة التى سنتها الياسا القضاء على الألقاب الكثيرة ومظاهر التكلف وليس هناك أية ألقاب إلا لمن يجلس على العرش فيحمل لقب خان، والنساء حملن أيضًا بعض الألقاب غير أسمائهن مثل لقب خاتون(٣).

ويروى فرانك Frank أن النساء المغوليات كن يفقن غيرهن فى المتجمعات الإسلامية والغربية من حيث الحرية والملكية الخاصة والعمل بالجيش(٤).

هذا، ولم يستطع أحد أن ينكر على المرأة المغولية مكانتها ودورها الفعال بداخل مجتمعها وما تجمع لها مزايا قلما تجدها بداخل أى مجتمع آخر آنذاك ولكنها رغم كل ما حققته من مزايا لم تقف على أعتاب الحقوق التى كفلها الإسلام للمرأة، ورأى فرانك هنا يدل على عدم علمه بالإسلام وجهله بتعاليمه فقبل أن تعطى الياسا المرأة الملكية الفردية أعطاها لها الإسلام والتاريخ الإسلامى ملىء بروايات عديدة عن دور

---

(١) ماركوبولو: مصدر سابق، جـ١، ص١٠٥- ١٠٦؛ عصام الفقى: دول مستقلة، ص٢٨٢.

(2) El Popola Ciniomggazine: Op.Cit., p.115.

(٣) الجوينى: جهانكشاى، ص٢٠٧.

(4) Frank Smith: Ganhis Khan, New York, 2005, p.83.

المرأة الاجتماعى والسياسى والاقتصادى والحربى، وأية حرية يتحدث عنها والابن يرث زوجات أبيه دون أن يكون لهن حرية القبول أو الرفض؟!، وهناك زواج عن طريق الاختطاف وتطليق الزوجة رغم أنف الزوج، وتقتل الفتيات الحسناوات ويقدمن قرباناً للخان المتوفى وغيرها، وكل هذه الأشياء نهى عنها الإسلام فلا يوجد وجه مقارنة بين المرأة فى ظل الإسلام وما نالته من حقوق فى كنف السيطرة المغولية.

غاية القول إن نساء المغول تمتعن بحرية كبيرة وحاربن فى صفوف الجيش المغولى مثلما حارب الرجال والأمة المغولية كلها عملت فى الجيش لتوفر له ما يحتاج إليه من طعام ومعدات[١].

أما عن دور النساء المغوليات فى توجيه السياسة الداخلية والخارجية لإيلخانية فارس فلقد احتلت آراء النساء السياسية مكانة عالية لدى حكام المغول بل سيرت المرأة الأمور فى كثير من الأحيان ((فكانت زوجة تولوى خان الخان الأعظم وتدعى (قوقتيتى بيكى) فى غاية العقل والكفاءة وكانت فى مقدمة سيدات العالم، ولها من الثبات والعفة والستر والعصمة كل ما هو أكمل، مما جعل تولوى ورجاله لم يتخلفوا مطلقاً عن إطاعة أوامرها قيد شعره))[٢].

أما زوجة هولاكو مؤسس الدولة الإيلخانية بفارس (٦٥٤ – ٦٦٣هـ/ ١٢٥٦ – ١٢٦٥م) فكانت تدعى (دوقوز خاتون) وكانت مسيحية فوقع هولاكو تحت تأثيرها لما كان لها من شخصية قوية جذابة، فكانت تتدخل فى كل شئون إيلخانية فارس الخارجية والداخلية وبسببها عاش المسيحيون بفارس عصرهم الذهبى وتلقى المسلمون أشد أنواع

(١) أحمد مختار العبادى: الأيوبى والمملوكى، ص١٣٨– ١٣٩.

(٢) رشيد الدين الهمذانى: خلفاء جنكيزخان، المجلد الأول، ص١٧٠.

العذاب، وأقام هولاكو إرضاءً لها الكنائس والمدارس واعتبر نفسه نصيرًا وحاميًا للمسيحية رغم كونه يعتنق البوذية، وإبان خروج هولاكو لمحاربة الإسماعيلية وضع على قيادة الجيش المغولي القائد المسيحي الذى رشحته زوجته ويدعى كتبغا وكانت لها آراؤها فى إسقاط بغداد ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل ساعدت على قيام حملة صليبية إرمينية مغولية مشتركة عام ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م، وفكرت دوقوز خاتون فى تكوين جبهة يشترك فيها البيزنطيون جنبًا إلى جنب مع الأرمن والكرج والصليبيين ولذلك أشارت على زوجها هولاكو أن يوطد علاقته بالإمبراطور البيزنطى لتوسيع حلقة التحالف المسيحى المغولى ضد المسلمين فى الشام ومصر فطلبت منه أن يتزوج إحدى بنات إمبراطور الروم ميخائيل باليولوجس Michael Paleologos (٦٥٨ - ٦٨١هـ/ ١٢٦٠ - ١٢٨٣م) وسرعان ما دارت المفاوضات بسبب هذه الزيجة السياسية[١] ولكن هولاكو توفى قبل إتمام هذا الزواج وكان ذلك فى ربيع الثانى عام ٦٦٣هـ/ فبراير ١٢٦٥م[٢].

وبعد أن اعتلى آباقاخان عرش الإيلخانية بفارس (٦٦٣ - ٦٨٠هـ/ ١٢٦٥ - ١٢٨٢م) واستمرت والدته دوقوز خاتون تحكم معه وأمرته أن يتزوج بالأميرة التى مات والده قبل الدخول بها وكانت تدعى مارية وتم الزواج واحتفظت الأميرة البيزنطية بعقيدتها الأرثوذكسية ولما توفت دقوزخاتون ارتفعت منزلة مارية وأمرت بجلب الرسامين والفنانين المسيحيين من القسطنطينية ليزينوا كنائس تبريز ولكن لم تبلغ من النفوذ والسيطرة ما كانت عليه دوقوزخاتون[٣].

---

(١) ابن العبرى: مختصر الدول، ص٢٨٥؛ صلاح محمد نوار: المرأة ودورها فى المجتمع المغولى، ص١١٣ - ١٢٣.

(٢) فؤاد الصياد: المغول فى التاريخ، ص٢١٤.

(3) Valentni A. Riasanovsky: Mongol Law, p.84;
صلاح محمد نوار: مرجع سابق، ص١٢٦- ١٢٧.

ولم يتوقف دور المرأة المغولية السياسى عند هذا الحد بل ظهر تأثيرها فى اختيار الخان وكان الخان يتم اختياره من بين أربعة من الأبناء يطلق عليهم "جهاركولوك" أى الأركان الأربعة ومعنى كولوك الرجل الذى لا يتعب، الرجل الجلْد[١] فلقد تدخلت والدة أحمد تكودار (٦٨١ - ٦٨٣هـ/ ١٢٨٢ - ١٢٨٤م) وساندت ابنها حتى ارتقى عرش الإيلخانية رغم محاولات أرغون المستميتة للوصول للحكم، وقد عمد تكودار فى صغره بناءً على رغبة والدته التى كانت تدين بالمسيحية على الرغم من أن أباه كان بوذيًا وهذا إن دل على شىء فإنما يدل على النفوذ الشديد للمرأة حتى فى المسائل التى كانت تتعلق بالدين والعقيدة[٢].

وبعد أن حدث خلاف بين أرغون وأحمد تكودار انتهى بهزيمة أرغون ووقوعه أسيرًا عام ٦٨٣هـ/ ١٢٨٤م تشفعت النساء من أمثال أم أرغون (قيمش إيكاجى) لدى أحمد تكودار، واستجاب لشفاعتهن لمكانتهن بداخل المجتمع المغولى، رغم أن الأمور آلت فى نهايتها إلى قتل تكودار وتولية أرغون عام ٦٨٣هـ/ ١٢٨٤م[٣].

وظلت كذلك مكانة المرأة فى ارتفاع وازدياد على حسب درايتها وكفاءتها وقوة الخان الحاكم، والنساء اللائى كن من الذرية الحاكمة كانت لهن أفضلية وحرمة وبسطة، فيجلس الخان وعلى يساره زوجته الرئيسية التى تقدم الرأى والمشورة لو كانت ذات عقل وثبات وحسن تدبير وسداد رأى، أما إن كانت بخلاف ذلك فلا يسمح لها الخان بالتدخل فى شئون الحكم[٤].

---

(١) رشيد الدين الهمذانى: خلفاء جنكيزخان، المجلد الأول، ص٧.

(2) Howorth: Op.Cit., III, p.34;

فؤاد الصياد: الشرق الإسلامى، ص١٢١.

(٣) ابن العبرى: مختصر الدول، ص٢٩٧ - ٢٩٨؛ Howorth: Op,Cit., p.34

(٤) بيبرس الدوادار: زبدة الفكرة، ص٢٠٩؛ The Editors of Tim – Life Books: Op.Cit., p.24.

وكان أبو سعيد بهادرخان (٧١٦ - ٧٣٦هـ/ ١٣١٦ - ١٣٣٥م) آخر إيلخانات فارس متزوجًا من بغداد خاتون وكان مشغوفًا بهواها لأنها من أجَلّ النساء ((فكانت تتحكم فى كثير من الأمور الخاصة بالإيلخانية وكانت تكره أباسعيد لقلة .... والتفاته عنها فقيل إنها كانت سببًا فى قتله)) [١].

وعلى قدر الحرية والمكانة الاجتماعية التى تمتعت بها المرأة المغولية فى المجتمع إلا أنها عوقبت إذا أخطأت فالقانون المغولى عاقب على جريمة زنا المرأة أو زنا الرجل بالموت، وإذا دست المرأة السم لزوجها كانت عقوبتها الموت أيضًا وكان قتلهن فى الغالب يتم بإغراقهن فى الماء وحرمت عليهن القوانين الاشتغال بالسحر، وتساوت المرأة مع الرجل فى كل أنواع العقاب فى حالة خروجها على قوانين الياسا[٢]، هذا وقد انتشرت فى المجتمع المغولى العديد من الأمراض الاجتماعية تمثلت فى شكل تقاليد لها صلة وطيدة بالمرأة المغولية ومنها اختيار أربعين فتاة عذراء من أجمل بنات الأسرات النبيلة ثم يلبسوهن أفخر الثياب ويزينوهن بالجواهر والحلى، ثم يتم قتلهن فى النهاية وقتل جيادهن معتقدين أن فى ذلك إرضاءً لروح جنكيزخان، هذا بجانب قتل كل من يمرون عليهم فى طريقهم لدفن الخان لخدمته فى العالم الآخر ولمنع تسرب نبأ وفاة الخان قبل إعلانه رسميًا[٣].

أما عن الأسواق فقد كانت تقام، ويشارك فيها الرجال والنساء وتخرج النساء بعربات تجرها الخيول عليها بضائعها المراد بيعها ومعها

---

(١) اليوسفى: نزهة الناظر، ص٣٣٥؛ البدليسى: مصدر سابق، ص٢٩.

(٢) الجوينى: جهانكشاى، ص٢٢٦- ٢٢٧؛ محمد مرسى الشيخ: مرجع سابق، ص٢٠١- ٢٠٢.

(٣) صلاح محمد نوار: المرأة ودورها فى المجتمع المغولى، ص١٥٤.

الجوارى والعبيد، وكانت البضائع عبارة عن منتجات الحيوانات الزائدة عن الحاجة، والشراء كان للعطور وبعض المنتجات غير المصنعة عند المغول[1] وكانت عمليات البيع والشراء تتم من خلال المقايضة وأشهر الأسواق المغولية سوق يدعى قازان[2].

البغاء ودور الدعارة:

رغم التحفظات التى ظهرت على الأسرة المغولية وألزمت المغولى بالزواج وتربية أولاده تربية حربية، وحصول المرأة على مكانة مرموقة بداخل مجتمعها ورغم تجريم وتحريم الياسا للزنا ومعاقبة مرتكبيه بالقتل إلا أن المغول بعد توسعاتهم فى الصين أقاموا فى ضواحى مدينة بكين دورًا عديدة لممارسة الرذيلة والبغاء وأشرف قوبيلاى خان (٦٥٨ – ٦٩٣هـ/ ١٢٦٠ – ١٢٩٤م) على إقامتها بنفسه[3].

وبلغ عدد من مارسن الرذيلة والبغاء إبان عهد قوبيلاى خان حوالى خمسة وعشرين ألفًا من الجوارى تم تجميعهن من خلال مجموعة من التجار جلبوهن من أطراف البلاد وكانوا يفضلون بيعهن لأصحاب بيوت الدعارة الذين كانوا يدفعون فيهن أثمانًا باهظة ثم يجبروهن على ممارسة الرذيلة ويحصلون هم على المقابل دون النساء، ولقد جعل الخان على كل مائة ألف من هؤلاء ضباطًا مشرفين يأتمرون بأوامر قائد عام وعندما يصل سفراء مكلفون بأى عمل يتصل بمصالح الخان الأعظم، يقوم الخان بتزويد كل فرد من أفراد السفارة كل ليلة بإحدى هؤلاء

---

(١) ماركوبولو: مصدر سابق، جـ١، ص١٠٥- ١٠٦؛ ابن سعيد المغربى: بسط الأرض، ص١٣٨.

(٢) عبدالهادى التازى: مرجع سابق، ص٨١.

(3) Rockhill, Jackson: Op.Cit., p.15.

العاهرات ويتم تغييرهن كل ليلة كنوع من الحفاوة والكرم، وهذه الخدمة لا تتقاضى العاهرات عليها أجرًا ولا أصحاب بيوت الدعارة نظرًا لأنها تعد شبه إتاوة عليهن تقدم للخان نظير تركهن يعملن ويتربحن[1].

واللافت للنظر أن دور البغاء والدعارة أقيمت أيضًا في عهد الدولة الإيلخانية بفارس، بل الأدهى والأمر أنها كانت تجاور المساجد والبيوت والأسواق مما سبب تذمرًا شديدًا بين الناس عامة والمسلمين بصفة خاصة لغيرتهم الشديدة على دينهم، وظلت هذه الدور تمارس دورها طيلة عهد الإيلخانات الأوائل حتى اعتلى غازان خان عرش الإيلخانية عام ٦٩٤هـ/ ١٢٩٥م فأوقف عمل هذه الدور وإن كان عمل هذه الدور قد توقف أيضًا إبان فترة حكم أحمد تكودار (٦٨١ – ٦٨٣هـ/ ١٢٨٢ – ١٢٨٤م) بعد إعلان إسلامه، ثم عاد للظهور بعد موته[2].

ولقد رأى غازان أن فتح هذه المواخير وإجبار العاهرات على السكنى فيها لممارسة الرذيلة أمر محظور ومذموم ومخالف لأحكام الشريعة: {...... وَلا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ }[3]، صدق الله العظيم، فأراد غازان إغلاق هذه البيوت، ولكنه رأى أن هذه العادة متبعة منذ القدم مما يتعذر معه مكافحة البغاء دفعة واحدة، فاتبع طريق التدرج في علاج هذا الوباء[4].

---

(١) أحمد عبدالعزيز بقوش: مرجع سابق، ص٧٢– ٧٣.

(٢) رشيد الدين الهمذاني: تاريخ غازان خان، ص٤٠٤؛
Peringe Oestman: Welcome to The Realm of The Mongols, p.15.

(٣) سورة النور: آية "٣٣".

(٤) أحمد بقوش: مرجع سابق، ص٧٤.

ولقد أصدر غازان أمره بإطلاق سراح النسوة اللائى لا يردن البقاء فى هذه الدور ويرغبن فى الخروج منها ليعشن حياة شريفة كما قرر تزويجهن بمن يقع عليه اختيارهن من الرجال كذلك منع منعًا باتًا بيع الجوارى اللائى لا يردن أن يئول مصيرهن إلى هذه الدور لاحتراف البغاء[١].

٢- صفات المغول:-

((خلق الله عز وجل خلقه أطوارًا مختلفى الخلقة والطباع، الأبيض، والأسود، والجميل، والقبيح، الطويل، والقصير، القوى، والضعيف، والشجاع، والجبان، بمقتضى حكمته وعموم قدرته فكان للطبيعة دورٌ كبيرٌ فى تحديد ملامح وصفات من يعيش بداخلها))[٢].

فلقد نشأ المغول فى بلاد فقيرة ذات بيئة قاسية فى ظروفها الطبيعية والمناخية انعكست آثارها على صفات هذه الشعوب وتكوينهم الجسمى والبدنى وحتى النفسى، فقد أمدهم الله بصفات بدنية تناسب البيئة التى نشأوا فيها، فهم قوم أشداء أقوياء متوحشون رؤوسهم أقرب ما تكون للناظر إليهم كأنها لاصقة بأكتافهم ولا أعناق لهم[٣].

وأبرز ما ميز تكوين المغول الجسمانى أنهم يمتلكون بشرة صفراء سميكة، وأنوفهم فطساء[٤]، قصار القامة رؤوسهم عريضة،

---

(١) رشيد الدين الهمذانى: تاريخ غازان خان، ص٦٦؛ فؤاد الصياد: الشرق الإسلامى، ص٣٣٥.

(٢) أسامة بن منقذ: الاعتبار، ص١٠٤.

(٣) ابن الوردى: خريدة العجائب، ص١٤٨؛ محمد مرسى الشيخ: مرجع سابق، ص١٧٠؛

مصطفى طه بدر: محنة الإسلام الكبرى، ص٨٤.

(٤) المسعودى: أخبار الزمان، ص٩٥؛ السويدى: سبائك الذهب، ص٣٠.

جباههم مرتفعة، شعورهم خشنة مرسلة[١] ولديهم أيضًا سيقان مقوسة وأجسام ممتلئة، عيونهم صغيرة وضيقة وذقونهم جرداء، وجفونهم ثقيلة، والشفاة عريضة والأسنان قوية وطويلة والفك العلوى منخفض بعض الشيء وأفخاذهم سميكة[٢].

والمغول يندبون خدود أبنائهم حتى لا تنبت لحاهم، وأحيانًا يتجمع شعر اللحية فى خصلة تحت الذقن، والأعضاء العليا ضخمة مما يعطيهم شكلاً مخيفًا والمغولى عادة حليق، تزينه فى الوسط خصلة من الشعر[٣].

ولقد كان للفقر الشديد وقلة الغذاء دورٌ كبيرٌ فى قصر القامة ونحالة الوجه وبروز عظام الخدين، كما أن الجفون المتدلية كانت تقيهم من الرياح الشديدة التى يتعرضون لها فى بلادهم معظمَ أيام السنة، وكذلك الحال فى البشرة السميكة، أما اعوجاج السيقان فسببه قضاء المغول معظم الوقت على صهوة الجواد[٤].

وبعد امتلاك المغول لهذه المكونات الشكلية قيل عنهم: ((أوحش الناس كلامًا وطباعًا وكلامهم أشبه بصياح وزئير))[٥] فلديهم من القوة

---

(١) ابن سعيد المغربى: بسط الأرض، ص١٣٩؛ على السيد: مشاهدات أودوريك، ص٧٤.

(2) Richard Hakluyt: The Principal Navigation, p.91;

شيخ فرخ وخاتون استى: منظومة كردى، سلسلة أدبيات ميانة إيرانى، شمارة (٥)، ضبط وترجمة وتوضيح: قادرفتاحي قاضى، تبريز، ١٣٥١، ص٢٩؛ محمد فتحى الشاعر: قاهرة المغول، ص١٢.

(٣) ابن الشحنة: روضة المناظر، ص٦٤؛ سعد زغلول: الترك فى العصر الإسلامى، ص١٨٤.

(٤) العسقلانى: أنباء الغمر بأبناء العمر، جـ١، ص١٥- ١٦؛ سعد زغلول، المرجع السابق، ص١٨٤.

(٥) ابن فضلان : مصدر سابق، ص٣٧.

البدنية ما يمكنهم من السير فى الأرض والجبال المجهولة والخربة وغير المسلوكة لوعورتها دون خوف أو تردد[١]، وقيل أيضًا: عن أثــر البيئــة عليهم: ((إن تأثير كل بقعة فى النامى من النباتات وفيما ليس بنامٍ كتأثير أرض الترك فى وجوههم وصغر أعينهم حتى أثر ذلــك فـــى جمـــالهم فقصرت قوائمها وغلظت رقابها وأبيض وبرها)) [٢].

وكانت هناك مجموعة من المزايا يتميــز بهـــا المغــولى منهـــا الشجاعة فهو كأسد ينقض على فريسته، فيطاردها ويقتلها ويــذبحها ولا يمل الحروب والقتال فهو يعد فى حالة حرب دائمة[٣] لديه إقدام وجــرأة وكان بعضهم يكره الزنا، واللواط، والسرقة، وشهادة الزور، والخيانة فيما بينهم، والسحر، وعصيان القــواد، والاســتحمام فـــى المـــاء الجـــارى، والنزاعات الدموية داخل قبيلته[٤] فهم ((موصـوفون مـــن قـــديم الزمـــان بالشجاعة والبطولة والفروسية ومعاناة الحروب ومعالجة آلاتها والـــصبر على ركوب الخيل والحِذق بالرمى وغير ذلك من الأمور))[٥].

---

(١) البيرونى: التفهيم لأوائل صناعة التنجيم، ص٤٢.

(٢) المسعودى: (أبوالحسن على بن الحسين بن على) ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٦م: مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق وتعليق الشيخ قاسم الشماعى الرفاعى، المجلــد الأول، الطبعة الأولى، دار القلم، بيروت، لبنان، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٩م، ص١٠٦.

(٣) شيخ الربوه (شمس الدين أبوعبدالله محمد الأنصارى): نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر، الطبعة الأولى، السلسلة الجغرافية "٧"، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان، ١٩٨٨م، ص٣٦١؛ مايك إدواردز: الخانات العظام، ص١١٧.

(4) D'Ohssen: Histoire des Mongols, T 3, p.4;

عبدالحى حبيبى: رفع يك اشتباه قديم دربارة تُرك وتَرك"، منشور ضمن كتــاب يادنامه إيرانى، تدوين مجتبى ميسنونى، إيرج افشار، انتشارات وانشكاه، تهران، ١٣٤٨، ص٧٠.

(٥) الغزى الحلبى: نهر الذهب، ص١١٨.

وبعض المغول أيضًا لا يعرفون الكذب وكانوا يعاقبون كل من يقدم على هذه الفعلة بالقتل، هذا بجانب امتلاكهم لعزيمة جبارة تفوق سواهم في تحمل البرد والحر والجوع، فهم قوم مرهوبو الجانب لا يقوى أحد على التصدى لهم بما لديهم من جرأة وإقدام، والصراحة هى مبدأهم فهم يقولون رأيهم دون مواربة ولا تردد[١] فهم حقًا ((أشد الناس بأسًا وأغلظهم أكبادًا وأصبرهم على البؤس أنفسًا))[٢].

وشُهد للمغولى بأنه من أشد الملتزمين بقوانينه وشرائعه ولا يخرج عليها، ويطبق مبادئها ويسعى دائمًا من أجل تحقيق نوعًا من العدالة الاجتماعية[٣]، والنظام المغولى يلزم بالطاعة التامة، وينكر أن يهرب أحد من صفوف الجند أو يترك زميلاً عاجزًا أو أسيرًا فى يد الأعداء دون أن يقدم على إنقاذه[٤].

وقد عرف عن المغول الخفة وسرعة الحركة والحنكة والدهاء والمكر والمهارات العسكرية الفائقة والتغلب على المعوقات؛ لأنهم كانوا يمتلكون ذهنًا قادرًا على حل المشاكل وتحدى الصعاب[٥].

---

(١) ابن العمرانى: الأنباء فى تاريخ الخلفاء، ص٢١٧؛ عباس إقبال: تاريخ المغول، ص١٠٩؛

Howorth: Op.Cit., I, p.18.

(٢) الدينورى: فضل العرب، ص١٠٠.

(3) Namik. K. Pak: The Impact of ICT Revolution in Turkey, p.14; M. Haider: The Mongol Traditions, p.78.

(٤) أحمد مختار العبادى: الأيوبى والمملوكى، ص١٣٨؛ Ibrahim: Muslims in China, p.35.

(5) Novgord: The Chronicle of Novgord, p.64;

نظام الدين الهروى (نظام الدين أحمد بخشى): المسلمون فى الهند من الفتح العربى إلى الاستعمار البريطانى، الترجمة الكاملة لكتاب طبقات أكبرى، ترجمه عن الفارسية أحمد عبدالقادر الشاذلى، جـ٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٥م، ص٣٠٤.

ومما لا شك فيه أن اختلاط المغول بالصينيين أكسبهم صفات وسلوكيات جديدة فغلبت فضائلهم على رذائلهم وزاد تميزهم الحربى من خلال اكتساب إمكانيات قتالية ضخمة وسرعة حركة وارتداد(١).

أما عن صفات المغول العسكرية والحربية فقد هيأت لهم البيئة القاسية الفروسية فأصبحوا فرسانًا أشداء ومقاتلين بالفطرة وأجادوا فنون القتال، فهم لا يزرعون حقلاً أو يحرثون أرضًا بل هم فى تجوال دائم، والقتال والفروسية هى كل حياتهم(٢). والمغول لا يقاتلون مشاة وإنما يركبون جيادهم الصغيرة السريعة وكأنهم ملتصقون عليها ويضرب المغولى بالقوس والسهم من أى اتجاه دون أن يخطئ هدفه(٣).

ولا شك أن الصرامة كانت طابع حياة هؤلاء المغول؛ فكان الجندى منهم يمتاز بالنظام والطاعة العمياء للرؤساء وإذا خرج عن الأصول المرعية كان عقابه شديدًا(٤)، وكان من عادة المقاتل المغولى أنه إذا سار للقتال يحمل كل ما يحتاجه فى أثناء الحرب، فيحمل آلات لشحذ رماحه، كما كان يحمل الإبر والخيوط لاستعمالها عند الحاجة، ولا يأخذ معه من المؤن إلا قربًا من اللبن وآنية من الفخار ليطهى فيها طعامه وخيمة صغيرة وآلة يحفر بها الأرض وكيسًا من الجلد يحمل فيه ملابسه ويستعمله فى عبور الأنهار(٥).

---

(١) صلاح مصطفى الفوال: سوسيولوجيا الحضارات القديمة، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٨٢م، ص١٨٨؛ جوستاف. أ. فون جروينبام: حضارة الإسلام، ترجمة عبدالعزيز توفيق، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، القاهرة، ١٩٩٧م، ص٢٦٥.

(2) Rabban Sawma: The Monks of Kûblâi Khan, p.188;

محمد مرسى الشيخ: مرجع سابق، ص١٧٠.

(٣) سعد زغلول: الترك والمجتمعات، ص٦٦- ٦٧.

(4) D'Ohsson: Op.Cit., T I, p.172.

(5) Howorth: Op.Cit., III, pp.83- 85; Colin Mackerras: Eastern Asia, p.110.

يتبين مما سلف أن التميز العسكرى والمهارات الحربية كانت أهم عناصر ومكونات الإمبراطورية المغولية فكانوا محاربين لا يشق لهم غبار، سهامهم لا تخطئ هدفها؛ أجادوا الكر والفر، تميزوا فى فنون الحصار، والترويع والشدة والقسوة والقتل، صفات لازمتهم فى كل حروبهم الخارجية ولكل قوم شيء يميزهم وأهم ما ميز المغول القوة الحربية والمهارات العسكرية[١] ((لكل قوم ميزة كأهل الصين فى الصناعات، واليونانيين فى الحكم والأدب، والساسان فى الملك، والأتراك فى الحرب))[٢].

وقد عاب المغول عدة أشياء منها الغلظة والوحشية والقسوة[٣]، وفى حروبهم ((لم يبقوا على أحد بل قتلوا النساء والرجال والأطفال وشقوا بطون الحوامل وقتلوا الأجنة))[٤].

فقد مال معظم المغول فى سياستهم الحربية إلى القتل والتدمير والخراب والشراسة والقوة والعنف وعدم الوفاء بالعهود التى يقطعونها على أنفسهم[٥]، وعاش بعضهم على قطع الطريق والسلب والنهب فلم يكن لديهم قيم روحية أو أخلاقية رفيعة فعرف عنهم سوء أخلاقهم وافتراسهم لكل شيء غير مبالين ولا مقدرين للآخرين[٦].

---

(١) أبو الفدا: المختصر فى أخبار البشر، ص١٦٣؛ ابن الوردى: تتمة المختصر فى أخبار البشر، جـ٢، ص١٩٩- ٢٠٥؛ الكرمانى: بدائع الزمان، ص٦٩.

(٢) الجاحظ: رسائل، ص٢١٤.

(٣) الحريرى (أحمد بن على الحريرى): الإعلام والتبيين فى خروج الفرنج الملاعين على ديار المسلمين، حققه وعلق عليه سهيل زكار، دار الملاح، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص٩٧؛ ابن الساعى: تاريخ الخلفاء العباسيين، ص١٦٢.

(٤) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، جـ٢، ص٥٧٠.

(٥) Novgord: Op.Cit., p.65; جوانفيل: القديس لويس، ص١٧.

(٦) ابن الزبير (القاضى الرشيد بن الزبير): الذخائر والتحف، حققه محمد حميد الله، راجعه صلاح الدين المنجد، الطبعة الثانية، التراث العربى، وزارة الإعلام، الكويت، ١٩٨٤م، ص٢٦٣؛

محمد ماهر حماده: الحروب الصليبية والغزو المغولى للعالم الإسلامى، الطبعة الثالثة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص٦٥.

وعندما دارت رحى الحرب بين المسلمين والمغول أكثر المغول من التنكيل بالمسلمين ووضعوهم أحياناً فى الخنادق لردمها، وقاموا بوضع المؤلفات والكتب فى الأنهار لعمل جسور يمرون عليها، وقتلوا أهل المدن جميعًا ولم يبقوا منهم إلا القليل وأذاقوا الأسرى أشد أنواع العذاب وحرقوا المدن والمساجد والمدارس ولم تأخذهم رحمة مع الأطفال والنساء والشيوخ(١) فهم بذلك يعدون مجرمي حرب افتقدوا أخلاق الفرسان.

يتبين مما سبق أن ما تحلى به المغولى من صفات طيبة وحسنة كانت فى معظمها تصب لخدمة بنى جنسه، وعيوبه كلها كانت مع الآخرين مما يكشف أن المغولى لديه تميز عرقى عنصرى وما يحله لنفسه يحرمه على الآخرين فهو يعاقب بالقتل من يكذب ويخادع ويحل لنفسه الكذب والخداع عندما يقطع على نفسه العهود فهو يسير وفق نظرية شعب الله المختار كيهود زماننا فهم يرون حاكمهم لديه تفويض إلهى وهم جنود الله على أرضه.

أما عن أبرز صفات وعيوب حكام الدولة الإيلخانية بفارس فيرويها صارم الدين في وصفه للخان قائلاً: ((جليل القدر، عظيم الشأن، كثير الحرمة، قصير القامة، كبير الوجه، جهر الصوت، حنون عينيه على وجهه والخواتين جالسات إلى جانبه))(٢). وعرف عن جنكيزخان الخان الأعظم للمغول أنه كان قوى البنية حليق الوجه أبيض البشرة وعيناه كعينى القطط، وكان يتحلى بالجلد والذكاء والعقل وكان ذا هيبة ومحاربًا عنيدًا متعطشاً للدماء، لديه مقدرة عالية على ضبط النفس، شهد له باليقظة

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٣، ص٨٠.

(٢) أحمد مختار العبادى: الأيوبى والمملوكى، ص٢٧٠.

ورجاحة العقل[1]، وكانت لديه قناعة فعندما عثر رجاله على وثيقة تخبر بوجود كنز فى إحدى البقاع رد عليهم قائلاً: ((لسنا فى حاجة إلى كنــوز الآخرين، وما نملكه من المال نؤثر به عباد الله ورعايانا)) [2].

واللافت للنظر أن جنكيزخان كان لديه هدوء وعدم فقدان السيطرة على عواطفه مهما كانت الظروف، وكان فى مقدوره أن يستأصل بهدوء تام آلاف الناس متى رأى ذلك ضروريًا لتوطيد أركــان ملكــه[3]. هــذا بجانب الدهاء والمكر والقدرات العسكرية الفائقة وحــسن تــدبير شــئون رعيته، وكان صارمًا لا يتعامل برحمة مع المنهزمين[4].

وعندما أسس هولاكو الدولة الإيلخانية بفارس بدايــة مــن عــام ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م شهد له الاتصاف بمحاسن الأخلاق ومكارم الــصفات والعادات وكان دائمًا يتفضل بكامل الإنعام والإكرام على المغول، وكــان حب العدل والجود يغلب على طبعه فى تعامله مع المغول وكان أيضًا ذا سطوة ومهابة وعقل وحزم ودهاء[5]، والثابت أن هولاكو كــان ذا تميــز حربى وعسكرى يمتلك قوة جسمانية وحنكة سياسية مطاعًا من قبل رعيته فى شتى الأمور حربًا كانت أم سلامًا، قائدًا من القواد الأكفاء، محبًا للعلم والعلماء، وعابه كثرة سفك الدماء وتفضيل النصارى على غيــرهم مــن

---

(١) الجوينى: جهانكشاى، ص٢٠٤؛ عباس إقبال: تاريخ المغول، ص١٠٧.

(٢) رشيد الدين الهمذانى: خلفاء جنكيزخان، المجلد الأول، ص٧٧.

(٣) ابن بطوطة: رحلة بن بطوطة، ص٣٦٧؛ بارتولد: التركستان، ص٦٤٣.

(٤) ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٣، ص١١٤؛
The Editors of Tim- Life Books: Op.Cit., pp.12- 13.

(٥) رشيد الدين الهمذانى: خلفاء جنكيزخان، المجلد الأول، ص١١٤؛ اليافعي: مرآة الجنان، جـ٤، ص١٢٣؛ Morgan: The Great Yasa, p.166.

المسلمين[١] ثم خلف هولاكو خان على عرش الإيلخانية آباقاخان (٦٦٣ - ٦٨٠هـ/ ١٢٦٤ - ١٢٨١م) ((وكان ملكًا مقدمًا عالي الهمة خبيرًا بالحروب، حسن السيرة محبًا لعمارة البلاد، لا يرى سفك الدماء، عفيفًا عن أموال رعيته)) [٢] كذلك رعى آباقاخان الحركة العلمية كما رعى قائدها نصير الدين الطوسى حتى صار جليل القدر عالى الهمة، وكانت فترة حكم آباقا أطول فترة لحاكم على عرش الدولة الإيلخانية أضفى فيها صفة الاستقرار طوال مدة حكمه[٣] وعابه حياة اللهو والترف والانغماس فى شرب الخمر التى كانت سببًا فى وفاته عام ٦٨٠هـ/ ١٢٨٢م[٤].

ولقد كان أحمد تكودار خلفًا لآباقاخان وكان عادلاً حسن السمعة مطبقًا للشريعة الإسلامية[٥] هذا بجانب مساعدته للفقراء والمحتاجين وتأمين التجار[٦]، وعابه تردده وعدم حسمه للأمور، لذلك كان يفتقد الكثير من صفات الحاكم الحازم، وكان يلهو ويلعب مع زوجاته فى أوقات لا تحتمل إلا الجلد وسبب له غيابه عن الأحداث أن قتل على يد أعدائه

---

(١) غياث الدين خواندمير: حبيب السير، ص٤٧٧؛ محمود شلبى: حياة الملك الظاهر بيبرس، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ص٢٠٩؛ M. Haider: The Mongol, Op.Cit., p.66.

(٢) ابن الفوطى: الحوادث الجامعة، ص١٩٩.

(٣) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ٧، ص٢٩٤؛ ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٣، ص٢٧٧.

(٤) فؤاد الصياد: الشرق الإسلامى، ص١١٤.

(٥) خواندمير: دستور الوزراء، ص٣٤٩- ٣٥٠؛ ابن الفوطى: الحوادث الجامعة، ص٢٠٢.

(٦) رشيد الدين الهمذانى: خلفاء جنكيزخان، المجلد الأول، ص٧٨- ٨٨.

المغول عام ٦٨٣هـ/ ١٢٨٤م[١] ونصبوا أرغون خان مكانه (٦٨٣ - ٦٩٠هـ/ ١٢٨٤ - ١٢٩١م) وكان عادلاً محمود السيرة شهمًا محبًا للرعية – وإن اقتصر ذلك على المغول – واهتم بالعلم والعمارة، ورغم ذلك عرف عنه كثرة سفكه للدماء والجبروت والانغماس في شرب الخمور وحياة الترف واللهو[٢]، وبموته حل كيخاتوخان محله (٦٩٠ - ٦٩٤هـ/ ١٢٩١ - ١٢٩٤م) وكان شخصًا ضعيف النفس عديم الكفاءة، سكيرًا عربيدًا ينشد المتعة واللذة ويفرط في الجماع بأنواعه من زنا ولواط ولم يفرق بين الحلال والحرام، وجاء بايدوخان ٦٩٤هـ/ ١٢٩٤م وكان على شاكلته شابًا طائشًا لا يفكر في عواقب الأمور وفيه خفةً وتسرع[٣].

وعندما تولى غازان عرش الإيلخانية (٦٩٤ - ٧٠٣هـ/ ١٢٩٥ - ١٣٠٣م) أشهر إسلامه وحول الإيلخانية إلى الإسلام وجعله الدين الرسمي للبلاد وكان من أقوى وأعظم ملوك المغول، لديه حنكة ومهارة ومقدرة عسكرية فائقة يحسن إلى الرعية ويطبق العدل فيهم وشملهم بالعطف والحنان، وكان يثق في أهل العلم ويقربهم إليه ويغدق عليهم العطايا[٤]، وكان ذا قوة وشجاعة وقسوة[٥].

---

(١) الدواداري: كنز الدرر، ص٢٦٣- ٢٦٤؛ فؤاد الصياد: الشرق الإسلامي، ص١٤٧.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٣، ص٣٠٢؛ عباس العزاوي: حكومة المغول، ص٣٥٢.

(٣) عبدالسلام فهمي: الدولة المغولية، ص١٨٣؛ عباس العزاوي: المرجع السابق، ص٥٦.

(٤) رشيد الدين الهمذاني: تاريخ غازان خان، ص١٨٦- ١٨٧؛ ابن الفوطي: الحوادث الجامعة، ص٢٣٥.

(٥) محمد جواد مشكور: نظرى به تاريخ آذربايجان وآثار باستاني، ص١٧٢.

ورغم تحول غازان إلى الإسلام إلا أنه ظل على وحشيته وقوته في الفتك والقتل والتدمير حتى وصف بكونه طاغية المغول بسبب وحشيته في الحروب، لديه غلظة ولا يحترم عدوه فكان يقتدى بجده جنكيزخان في حروبه وأفعاله[١]، واعتلى عرش الإيلخانية بعده محمد خدابنده (أولجايتو) وكان ذا فكر مستنير وحكم عادل وشجاعة وحزم وكرم ولكن عابه الميل إلى الشراب واللهو إلى حد كبير حتى إن أسباب اللهو وصلت في عهده إلى أقصى غايتها وانغماسه في الشهوات والملذات كان لهما تأثير سيئ على صحته[٢].

وجاء أبوسعيد بهادرخان آخر حكام الدولة الإيلخانية (٧١٦ – ٧٣٦هـ/ ١٣١٦ – ١٣٣٥م) وكان ملكًا جليلاً مهيبًا كريمًا عاقلاً حسن السيرة شجاعًا رغم صغر سنه جوادًا[٣] وشغف باللهو والطرب والموسيقى وكان يعزفها[٤]، وهكذا كانت صفات حكام الدولة الإيلخانية متباينة بين الصالح والطالح، وأحيانًا يجمع الخان بين المتناقضات من الصفات بجانب امتلاكه لموروث قديم من الصفات أضاف عليها ما اكتسبه من صفات جديدة جراء احتكاكه بثقافات عديدة.

٢ـ أبرز العادات والتقاليد وضوابط المجتمع المغولي:ـ

فرضت البيئة على المغول عادات وتقاليد ولاسيما فيما يختص بالمأكل والمشرب والسعي وراء المراعي، وكانت معظم عادات المغول

---

(1) Rabban Sowma: Op.Cit., p.229;

محمد ماهر حماده: مرجع سابق، ص٨٤.

(٢) كاترمير: مقدمة كاترمير، ص١٥٩؛ ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٤، ص٤٠٣.

(٣) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ٩، ص٢٢٦؛ رحمت الله مهزار: بزركان شيراز، ص٣٩٢.

(٤) بابرشاه: تاريخ بابرشاه، ص١١٢- ١١٣؛ اليوسفي: نزهة الناظر، ص٣٣٥.

وطباعهم تدعو إلى الاشمئزاز؛ كما إن بعض أمورهم كانت تبعث في نفوس المسلمين كثيرًا من النفور والكراهية لمنافاتها لتعاليمهم، فكانوا على استعداد لأن يأكلوا كل ما حرمه الإسلام مثل الفئران والقطط والكلاب بل كان طعامهم يشتمل على كل ما يستطاع مضغه حتى الأعواد الجافة والبراغيث[١].

وإبان عهد أحمد تكودار تمكن أرغون من استمالة الوزير مجد الملك اليزدى والتآمر معه على الإيلخان أحمد تكودار وانكشفت المؤامرة وقبض على الوزير عام ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م وطبقًا لعادات المغول أعدوا جسده للشواء وأكلوه في وليمة رسمية[٢]، أما عن ذبح الحيوانات فكانت للمغول طرقهم الخاصة في ذبح ذبائحهم فكانوا يضربون رأس الشاه حتى تموت، أو يقوموا بقتل الشاة عن طريق الخنق والطريقة الشائعة كانت بشق البطن وانتزاع القلب وعصره بيده حتى يلفظ الحيوان أنفاسه الأخيرة[٣]. وأصدر المغول قانونًا ينص على ألا تذبح الحيوانات إلا بشق البطن ثم شق صدرها وأكتافها، ثم بعد أن توغل المغول بداخل بلدان العالم الإسلامي أصدر الخان الأعظم قوبيلاى خان قرارًا: ((أن كل مسلم يذبح الحيوان بالطريقة الإسلامية فإنه سيذبح هو وزوجته وأطفاله بنفس الطريقة التي ذبح بها الحيوان))[٤]. وظل المغول يحتفظون بهذه التقاليد الموروثة بتعصب شديد ولفترات طويلة[٥].

---

(١) براون: تاريخ الأدب في إيران، ص٥٦١؛ عباس إقبال: تاريخ المغول، ص١٣٣.

(٢) عبدالسلام فهمي: الدولة المغولية، ص١٦٨؛ عبدالمحمد آيتى: تاريخ وصاف، ص٨٠- ٨١.

(٣) سعد زغلول: الترك في العصر الإسلامي، ص١٩٣؛ D'ohsson: Op.Cit., T2, p.300.

(٤) رشيد الدين الهمذاني: خلفاء جنكيزخان، المجلد الأول، ص٧٤؛ رشيد الدين الهمذاني: تاريخ أبناء هولاكو، المجلد الثاني، جـ٢، ص٢٨٩.

(٥) كامل سعفان: معتقدات آسيوية (العراق - فارس - الهند - الصين - اليابان)، الطبعة الأولى، دار الندى، القاهرة، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ص٣١٩.

ولقد كانت للمغول عادات كثيرة فى الشرب ومنها عندما كانوا يجتمعون للشراب ويوجد شخص ليس لديه رغبة فى الشراب فهو غير عطشان ولا جائع ومتعكر المزاج ولديه مشكلة تؤرقه، وهنا يذهب بعض الأصحاب ويجرونه بشدة من أذنيه، ويفتحون فمه ويقتربون بالشراب منه حتى يصبح فى متناوله ثم يبتعدون ويرقصون ويغنون ويكررون هذا الأمر حتى يصبح الرجل صاحب المزاج السيئ فى حالة نفسية مرحة ويقدم على تناول الشراب وهنا يصفق الجميع ويصرخون ويلعبون[١].

وأخذ المغول بعض العادات الصينية وتمسكوا بها ومنها إطلاق الرجال أظافر أيديهم معتقدين فى أنها رمزٌ للنبالة وخاصة اظفر إصبع السبابة للحد الذى ينثنى بسبب طوله المبالغ فيه، أما النساء فكانت أقدامهن صغيرة الحجم وهى علامة من علامات الحسن والجمال حتى إنه ظهرت عادة تقتضى بربط أقدام الإناث برباط وهن لازلن فى المهد بغرض إيقاف نمو القدم[٢]. (وهذه العادة مازالت موجودة فى بعض مدن الصين واليابان).

واعتقد المغول بأن وخز النار بسكين أو بآلة حادة أو باستخدام هذه الأدوات الحادة بالقرب من النار يبطل فاعليتها، فيحرمهم حسب اعتقادهم من ذلك السحر الخفى المودع فيها وتصبح عديمة الفائدة، أما إذا فعل المرء شيئًا من هذه الأعمال بغير قصد ولا بنية شر، فإن عقابه مادى كأن يدفع شيئًا من ماله أو متاعه، ثم يتلو ذلك عقوبات جسدية حيث يطهر بالنار لإخراج الروح الشريرة الكامنة فيه بدون علمه وإرادته وطردها، حسب زعمهم من جسده[٣].

---

(١) سعد الغامدى: جوانب من حياة المغـول، ص١٤٣؛ M. Haider: The Mongol Traditions, p.57.

(٢) على السيد: مشاهدات، ص٧٥.

(3) Valentin A. Riasanovsky: Op.Cit., p.83;
سعد الغامدى: المجتمع المغولى (ضوابطه وقوانينه)، الطبعة الأولى، الرياض، السعودية، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ص١٧.

وكانت القوانين والتقاليد عند المغول تقضى ((بألا يستحم المغولى فى الربيع والصيف نهارًا، وألا يغسل يده فى الغدير، وألا يحمل الماء فى أوانى الذهب والفضة، وألا ينشر الملابس المغسولة فى الصحراء، إذ إن هذا يسبب فى زعمهم زيادة الرعود والصواعق وهم من ذلك فى خوف شديد وزعرٍ دائم[1].

ومن العادات الحسنة لدى المغول أنهم لا يقتلون ما كان عندهم بمنزلة الضيف، هذا بجانب عمل صناديق للمظالم يضع فيها المظلوم مظلمته وينظر فى شأنه الخان ويقضى له إن كان صاحب حق[2]، على ضوء ما سبق يتضح أن المغول أوجدوا نوعًا من العدالة الاجتماعية يضمن للمظلوم الحصول على حقه ويحافظ على تماسك المجتمع ولا يخلق بينهم الحقد الطبقى. ولكن هذه العدالة الاجتماعية غابت أحيانًا ولاسيما فى تعاملهم مع مرضاهم.

أما عن عادة الحلاقة عند المغول فكانوا يحلقون وسط رؤوسهم ويتركون ما حولها يجدلونه ضفائر تنحدر على الجانبين ويستمرون فى الحلاقة من ظهر الرقبة حتى التجويف العنقى، وهم يتركون خصلة شعر تنزل على الحواجب[3].

واعتاد المغول عند خروج خانهم للصيد أن يرتلوا أشعارًا دينية تتضمن رموزًا سحرية حتى يشمل صيدهم اليمن والبركات[4]، وكانت

(١) رشيد الدين الهمذانى: خلفاء جنكيزخان، المجلد الأول، ص٧٣.

(٢) أحمد مختار العبادى: الأيوبى والمملوكى، ص٢٧٠- ٢٧٦.

(٣) سعد زغلول: الترك فى العصر الإسلامى، ص١٨٩؛ Rockhill, Jackson: Op.Cit., p.10.

(4) Leopold. F. Malafeev: Orthodox Idea of the Peace, p.3; حسن مجيب المصرى: الأسطورة بين العرب والفرس والترك (دراسة مقارنة)، الطبعة الأولى، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ص١٣٨.

لدى المغول غلظة فى الطباع وقسوة فى التعامل ورغبة ملحة فى سفك الدماء والقتل والسبى[١]، وعرف عنهم عادة الأخذ بالثأر من القاتل نفسه[٢].

ونظم المغول شئونهم عن طريق عقد مجلس القوريلتاى بشكل دائم وسنوى وكان الخان الأعظم حاكمًا لهم وناب عنه فى الولايات إيلخانات كانوا تابعين له[٣]، وأقر جنكيزخان خانهم الأعظم بأن تكون عقوبة الزنا الإعدام بالتنصيف وذلك بربط الجانى بين أغصان شجرتين ثم تشد الأغصان حتى ينشق الجانى نصفين[٤].

وهناك تنظيم آخر كان يتبعه الخان الأعظم جمع بين الزينة والمنفعة فإنه كان يأمر بغرس الأشجار على جانبى الطرق العامة تنمو وتصبح ضخمة وباسقة، وهى توضح الطرق للسارى وتوفر للمسافرين الكثير من اليسر والراحة[٥]، وكان من عادة الخان أن يشتغل بالصيد فى أشهر الشتاء الثلاثة من كل عام، أما خلال تسعة الأشهر الأخرى فكان يمارس مهامه وينظر فى شئون رعيته[٦].

---

(١) الطوسى: سياست نامه، ص١٣٩؛ عبدالله إبراهيم: عالم القرون الوسطى، ص١٠٩.

(٢) بابرشاه: مصدر سابق، ص٣١.

(٣) السمرقندى: جهار مقالة، ص٩٦؛ الخوارزمى (الكاتب أبى عبدالله محمد بن أحمد بن يوسف): مفاتيح العلوم، تحقيق فان فلوتن، قدم لهذه الطبعة، د. محمد حسن عبدالعزيز، سلسلة الذخائر، عدد ١١٨، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص١٢٠.

(٤) ابن فضلان: رسالة، ص٤٨.

(٥) ماركوبولو: مصدر سابق، جـ٢، ص١٧٧.

(٦) رشيد الدين الهمذانى: خلفاء جنكيزخان، المجلد الأول، ص٨٢.

وجرت العادة أنه عندما كان ينتقل الخان مع موكبه من مدينة إلى أخرى أن تستقبله الأهالى بمزيد من البهجة وذلك بإيقاد النيران أمام أبواب منازلهم ويقذفون فيها أصناف البخور النادرة ويصطحب الخان معه مجموعة من الفتيات والجوارى(١).

وعاقب المغول بشدة وبقوة كل من تصدى لهم، فعلى سبيل المثال كان هولاكو غاضبًا من الملك الصالح حاكم الموصل فأمر أن يدخلوا جسمه في دهن "اللّية" ويربطوا عليه بالحبال بإحكام ويلقوه في شمس الصيف حتى تحولت الدهون إلى ديدان ظلت تأكل فيه حتى موته(٢).

وعرف عن عادات المغول الحربية أنهم كانوا لا يهاجمون البلاد إن كانوا في حالة تعب وإعياء، فيأخذون قسطًا من الراحة قبل الهجوم ((انزلوا من على خيلكم واتركوها ترعى واقضوا من ورد النوم والراحة ما فاتكم في ليلكم)) (٣) وبعد أن يتحقق للمغول النصر كانوا يدقون الطبول ويشربون الخمور وترقص الجوارى وتشدو المغنيات(٤).

أما عن عادات المغول حين يمرض الخان فإنهم كانوا يجمعون السحرة ويزاولون السحر وتُعد تعويذات على الماء ليشربه ويتم الدعاء والتضرع للخان بالشفاء ويستعين أطباؤه ببعض الأدوية والمراهم من أجل السيطرة على هذا المرض(٥).

---

(١) D'ohsson: Op.Cit., T 1, p.417;

على السيد: مرجع سابق، ص٧٢.

(٢) رشيد الدين الهمذانى: الإيلخانيون (تاريخ هولاكو)، المجلد الثانى، جـ١، ص٣٣٠.

(٣) ابن عرب شاه: عجائب المقدور، ص١٣.

(٤) القرمانى: أخبار البلاد وآثار العباد، ص٢٨٥.

(٥) رشيد الدين الهمذانى: خلفاء جنكيزخان، المجلد الأول، ص١٦٩؛ بابرشاه: مصدر سابق، ص٣١.

وعندما يمرض أحد المغول من عامة المجتمع يوضع فى مرقـده وتوضع علامة على مسكنه تشير إلى وجود مريض فى الداخل وإلى عدم دخول أحد عليه ولا يزور المريض أحد أبدًا إلا من يتولى خدمته وتوضع حربة خارج الخيمة كما يلفون حولها قطعة من الصوف الأسود وبذلك لا يجرؤ غريب على دخولها فلا يزال المريض فى خيمته حتـى يبـرأ أو يموت وإن كان عبدًا أو فقيرًا ألقوا به فى الصحراء وارتحلوا عنه(١).

واللافت للنظر أن المجتمع المغولى بلغ أقصى درجـات القـسوة وتحجر القلب فى تعامله مع مرضاه وإن كان لذلك نتيجة إيجابية ظهرت فى انحسار المرض وعدم انتقاله عن طريق العدوى من شخص لآخـر، لكن يظهر على الجانب الآخر اللاإنسانية فى التعامل مع المريض وتجنبه كأنه ملوث أو نجس دون ذنب اقترفه، فى حين أنهـم كـانوا يـستدعون الأطباء والسحرة لخاناتهم لعلاجهم وفى ذلك دلالة على العنصرية.

وجرت العادة عند المغول أن يحمل جميع الخانات العظام وعلية القوم ليدفنوا فى جبل مرتفع مهما كانت المسافة، وفى أثناء سير موكـب الجنازة يقتل كل من يقابل هذا الموكب لخدمة الخان فى العـالم الآخـر وكانوا يكسرون رؤوس التماثيل الموجودة فى المقابر لاعتقـادهم أنهـا تورث الشر للأحياء، وكانت مناطق الدفن غير معروفة وسرية هذا بجانب أن مقابرهم غير ظاهرة(٢).

---

(١) ابن فضلان: رسالة، ص٥١؛ محمد فتحى الشاعر: مرجع سابق، ص١٣.

(٢) ماركوبولو: مصدر سابق، جـ١، ص١٠٣؛ القزوينى: تاريخ كَزيدة، جلد أول، ص٦٠٦؛
بارتولد: الترك، ص٣١.

وكان الفقير يحمل عندما يموت ويدفن فى مكان عشوائى ويكون معه القليل من الاحتياجات فى العالم الآخر، والدفن كان فى أسفل الأرض دون عمل مقابر ظاهرة، وعلى الجميع من أهل الميت أن تظهر علـــيهم علامات الحزن ومن شوهد غير حزين ضرب على رأسه بالخشب وقيل له: أنت قتلته[1].

ولقد صار خانات الدولة الإيلخانية على ما جُبلوا عليه من عادات وتقاليد حتى تحولت الدولة إلى الإسلام فظهرت عادات جديدة وحرمـــت طقوس وعادات لا تتفق مع الشريعة الإسلامية وإن ظلت بعض القـــوانين والرسوم على ما كانت عليه من قبل على سبيل المثال الوحشية والقـــسوة والعنف والتمثيل بالقتلى مثلما فعل غازان محمود عام ٦٩٩هـ/ ١٢٣٠م فى هجومه على دمشق[2].

أما عن ضوابط المجتمع المغولى فقد نظمت الياســا وضـــبطت جميع النواحى الاجتماعية عن طريق عدة بنود قام على أساسها المجتمع وتوطدت أركانه فقد حددت الياسا عدة وظائف لإدارة الإمبراطوريـــة[3]،

---

(١) ابن النديم: الفهرست، اعتنى به وعلق عليه إبراهيم رمضان، الطبعة الأولـــى، دار المعرفـــــة، بيـــــروت، لبنـــــان، ١٤١٥هـــــــــ/ ١٩٩٤م، ص٤٢٧؛
Michael: Op.Cit., p.106.

(٢) رشيد الدين الهمذانى: الإيلخانيون (تاريخ هولاكو)، المجلـــد الثـــانى، جـــــ١، ص١٩٣- ٢٢١؛
كاترمير: مقدمة كاترمير، ص١٥.

(٣) إدارة الإمبراطورية:- فقد كانـــت هنـــاك عـــدة وظـــائف فـــى هيكـــل إدارة الإمبراطورية المغولية أهم هذه الوظائف أربعة أشخاص لحمل السهام والأقواس، وثلاثة للإشراف على الطعام، وفرد لإعداد العربات العـــسكرية، لمزيـــد مـــن التفاصيل راجع: محمود سعيد عمران: المغول والأوربيون، ص٣٨- ٣٩.

وجعلت الخدمة العسكرية إلزامية وحاربت الزنا والتبـول علـى المـاء والرماد، ودعت إلى أن يأكل صاحب الطعام قبل تقديم الطعـام لأحـد، وتؤول أملاك الرجل إذا مات ولم يكن له وارث إلى من كـان يـديرها، وعلى الطفل أن يطيع أبويه والأخ الأصغر يطيع الأكبر وغيرهـا مـن البنود الكثيرة التى نظمت جميع المناحي الاجتماعية(١).

ولقد كان نظام البريد أحد ضوابط المجتمع المغولى إذ كان الخان على اتصال بكافة المناطق التابعة له، ونظام البريد كان نـوعين:- الأول وهو العادى ويقوم على أساس أن يمتطى ساعي البريد فرسه لينتقل إلـى محطة أعدت للبريد فى الطريق وينفخ فى البوق حين الاقتراب وبمجـرد الوصول يقوم بحمل الرسالة ساعٍ آخر ويمتطى فرسه ويظل الانتقال من محطة لأخرى على حسب طول المسافة حتى تصل الرسالة إلى أصحابها من الحكام والولاه، والنوع الثانى وهو البريد العاجل وتستخدم فيه الجمال ولا يستغرق سيرها سوى يوم واحد لتصل إلـى أقـصى طـرف فـى إمبراطورية الخان(٢).

وفى أواخر عهد جنكيزخان صدر قرارٌ بحمل المغول أو من كان من أتباعهم بطاقات التعريف وهى عبارة عن بعض الأحجار المنقـوش عليها الاسم للاستخدام وتكون بمثابة تصريح رسمى للمسافرين بالتنقـل داخل الإمبراطورية ويطلق عليها البايزا Paiza(٣).

---

(1) Valen Tin. A. Rasanovsky: Op.Cit., p.83; Paul, Ganghis Khan, Op.Cit., p.96.

(٢) على السيد: مرجع سابق، ص٦٣.

(3) Sheila, The Arts of Mongols, p.26.

نخرج من ذلك بنتيجة غاية فى الأهمية وهى أن المغول من أوائل الشعوب التى عرفت بطاقات تحقيق الشخصية للتعرف على الهوية، ليس هذا فحسب بل تعد جواز سفر يتيح لحاملهـا التنقل والتجـوال داخل الإمبراطورية بحرية تامة، وأعطت نوعًا من الحماية والتبعيـة لأن مـن يحملها لا يتعرض لأذى حتى وإن كان ليس بمغولى، وفى ذلك دلالة على مهارات التفكير واستحداث نظم جديدة لم تكن معروفة من قبل، وساعدت على تحقيق الضبط والانضباط بداخل المجتمع المغولى.

وقد فرض المغول عديدًا من الضرائب قـدرت بنحـو خمس وأربعين ضريبة ومنها ضريبة الأغنام والإبل وتؤخذ بنسبة واحد بالمائة وتفرض على أهالى البلاد المستولى عليها من قبل المغـول[١]، وعـرف المغول العملات المعدنية وتعاملوا بها ثم قاموا بعمل عملات ورقية فـى حالات سوء الأحوال الاقتصادية[٢] وغاية القول إن الجميع داخـل بـلاد المغول لهم نفس الحقوق وعليهم نفس الواجبات، والدين لا يميز أحدًا عن آخر شريطة أن يكون مغوليًا[٣] وفى ذلك دلالة على عنـصرية المغـول وتعصبهم لبنى جنسهم فهم بمثابة يهود ذاك الزمان، فلقد وضع المغـول جنسهم فوق سائر الأجناس وعملوا على إبادة سائر الأجناس الأخرى[٤].

أما عن التقويم المغولى فكان يتألف من دورة زمنية عبارة عـن اثنى عشر عامًا واعتاد المغول على تسمية الأعوام بأسماء الحيوانـات[٥]

---

(1) Morgan, Mongols, p.100.

(٢) ابن بطوطة: رحلة بن بطوطة، ص٦٢٩.

(3) Elopole Ciniomggazine, Tibet on The Roof of The World, p.117.

(٤) على حسنى الخربوطلى: بين المغول واليهود، ص٤١.

(٥) رشيد الدين الهمذانى: خلفاء جنكيزخان، المجلد الأول، ص٢٩- ٣٠.

وكانت أسماء الأعوام على النحو التالى (الفأر، الثور، النمر، الأرنب، التنين أو السمكة، الأفعى، الحصان، الخروف، القرد، الدجاجة، الكلب، البقرة، الخنزير) ولديهم أسطورة قديمة تقول إنه عندما ظهرت الحيوانات فى موكب سماوى لجعل الأعوام تسمى بأسمائها جاء الجمل بوصفه الأكثر نبلاً بينها فى المرتبة الأولى لكن الفأر زحف فوق رأسه ونجح فى جعل العام الأول يسمى باسمه ولم يرد أى ذكر للجمل على الإطلاق، وفى أسطورة أخرى أن سبب الترتيب يعود إلى أنشطة الصيد الخاصة بالخان ففرت منه الحيوانات هربًا وعبرت أحد الأنهار وأصبح ترتيبها فى الهروب عبر النهر ترتيب الدورة الزمنية للتقويم، وما زال بعض الأقوام فى الصين ومنغوليا يستخدمون التقويم الحيوانى حتى يومنا هذا[1]، وقد أدخل قوبيلاى خان تقويمًا مدة عامه ٣٦٥,٢ يومًا[2].

يتبين مما سبق مقدرة المغولى ومهارته فى عمل تقويم ينظم به حياته ويظهر ذكاءه فى التغلب على اختلاف عدد أيام الشهور بحيث جعل السنة ٣٦٥,٢ يومًا وهى مهارة جديدة تضاف إلى المغول فى كيفية التعامل مع الأمور وتنظيم أمورهم الحياتية.

وكانت اللغة إحدى ضوابط المجتمع المغولى فقد أمر جنكيزخان أن يتعلم الأطفال اللغة والخط الأويغورى وأن تدون الأحكام والقواعد بهذه اللغة وأضاف جنكيزخان بعض القواعد على هذه اللغة لإعطائها الصبغة المغولية ودونت الياسا باللغة الأويغورية[3].

---

(١) J. J. Saunders, Ganghis Khan, p.395;

هيلدا: تاريخ الصين، ص٢٢٨.

(٢) نفسه، ٢٤٢.

(٣) الجوينى: جهانكشاى، ص٢٠٥؛ عباس إقبال: إيران بعد الإسلام، ص٣٨٣؛ بارتولد: التركستان، ص١١٣.

وأراد قوبيلاى خان ابتداع لغة جديدة وحث الجميع علـــى ذلــك فاستطاع حاكم التبت من وضع جدول أبجدى مؤلف مـــن ألـــف حـــرف وكانت الكتابة المقطعية التى وضعها تقوم على الأبجدية التبتية وتتألف من واحد وأربعين رمزًا أساسيًا إضافة إلى خمسين رمزًا أخرى وجمعت هذه الرموز فى حوالى ألف ومائتى مقطع وكتب بهذه اللغة وعرفت الكتابـــة بالمربعة وفى عام ٦٦٨هـــ/ ١٢٦٩م أصدر قوبيلاى خان مرسومًا يقضى بأن تصبح الكتابة المربعة المغولية هى اللغـــة الرســـمية لإمبراطوريتـــه المستخدمة فى المراسيم والسجلات والنقود الورقية[١].

وانتشرت اللغة المغولية بداخل إقليم منغوليا وكانت تحمل صـــفة التميز بالنسبة للمغول حيث عبرت عنهم فى خطاباتهم وســـاعدت علـــى استقلالهم اللغوى[٢].

وقد وجد جنكيزخان أن الفوضى ضاربة أطنابها فى مجتمعه الذى ظهر فيه وتربع على عرشه ووجد فى ذلك تهديدًا لدولته، فأراد أن يستفيد مما كان موجودًا من العادات والتقاليد المغولية ويضيف عليها ما يناســـب بيئته ومجتمعه وإمبراطوريته فدون الياسا التى عملت على ضبط المجتمع من خلال قوانينها وبنودها، وأصبحت الياسا مقدسة لدى المغول والتزموا بها كدستور لحياتهم من يخالفه تكن عقوبته الموت[٣].

أما عن معاقبة المتهمين والمسيئين والسجون المغولية فكان من العادات المغولية إذا خرج عليهم أحد المعارضين يتم القبض عليـــه وإذا

---

(١) البيرونى: تحقيق ما للهند من مقولة، ص١٦٠؛ هيلدا: تاريخ الصين، ص٢٤٢.

(2) Rabban Sowma, Op.Cit., p.109.

(٣) سعد الغامدى: الياسا، ص١٠.

ثبتت إدانته ربط عاريًا لعدة أيام قبل تقديمه للمحاكمــة[١]، ومــن أمثلــة المتهمين: الجواسيس، واللواطيين، وشهود الزور، والسحرة وهم يعدمون في الحال[٢]، أما الأسرى فكانوا يربطون من أرجلهم تحت بطون الخيــل وبعد ذلك يتم فكهم لكي توضع سلاسل حديدية حول الرقبة وقيــود فــي الأيدي والأقدام ويتم معاملتهم بقسوة ويتم إهانتهم وتعذيبهم بطرق عديــدة منها إلقاؤهم على الأرض ووضع الأخــشاب الثقيلــة والأحجــار فــوق ظهورهم[٣].

وكان المتهم يمر بستة أنواع من المحاكم قبــل إصــدار الحكــم النهائي عليه كانت تدعى ((ليشة، لوشة، چيبون، توچنيون، زوشــتائي، سنويشه)) ثم يعرض أمره على الديوان الأعظم، ديوان الخــان واســمه (شينك) وفي محكمة هذا الديوان يقضى له أو عليه وفقًا لفرمان الخــان، وإذا كان المذنب أميرًا فإنه حين يدخل على الخان يوضع على كاهله باب الخيمة مقلوبًا إشعارًا له بالمذلة والمهانة[٤].

ويتبين مما سبق مدى تطبيق المغول وخانهم للعدالة؛ لا فرق بين أمير وأي شخص عادي فالكل سواسية ومن يخطئ يقدم للمحاكمة بل كان يزيد الأمر عدالة أنه في حالة ما يكون المخطئ أميرًا يهان حتى يكــون عبرة لغيره فلا يجرؤ على فعل مثل هذه الجرائم والأخطاء وهــذا حقــق

---

(1) Morgan, The Great Yasa, p.174.

(٢) محمد أسد الله صفا: جنكيزخان، ص١٠٤.

(3) Howorth: Op.Cit., III, p.85; Henry Serruys: Prisons and Prisoners in Traditional Mongolia, pp.279- 280.

(٤) رشيد الدين الهمذاني: خلفاء جنكيزخان، المجلد الأول، ص١٠- ١١؛ عــصام شبارو: تاريخ المشرق الإسلامي، الطبعة الأولى، دار الفكر اللبناني، بيــروت، لبنان، ١٩٩٩م، ص٢٤٨.

نوعًا من العدالة الاجتماعية والمساواة وضمن تطبيق المجتمع المغـولى للقوانين لأنها تحقق لهم ما يبغون.

وقد عرف المغول نظام البصمات وتحقق لديهم وثبت بالتجربة أن بصمات أصابع الناس مختلفة عن بعضها فكان المغول إذا أقاموا حجـة على أحد، وضعوا ورقة الاتهام تحت إصبعه، ورسموا خطًا عن موضع البصمة حتى إذا أنكر، بَصَمَ على ورقة أخرى وقابلوها بالسابقة وفى حالة التطابق يعجز عن الإنكار لأن هذه البصمة توزع على جميع الـدواوين وعلى هذا النحو يتصرف الخان ويصدر فرمانًا بالحكم(١).

نخرج مما سبق بنتيجة مهمة وهى:- أن المغوّل يحسب لهم أنهم من أوائل الشعوب التى عرفت نظام البصمات فى التحقيقات، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل وزعوا ورقة ببصمة توزع على جميـع دواويـن المحاكم المغولية لإثبات التهمة على الجانى وعدم إنكارها، وفى ذلك دلالة على مهارات وذكاء وحنكة المغول فـى نـواحى الـضبط الاجتمـاعى والجنائى وأصبحت لديهم كما هو معروف حديثًا، صحيفة جنائية للمـتهم مدون فيها سوابقه الجنائية إن وجدت وفى ذلك إنجازٌ كبيرٌ يحسب لهم.

ولقد كان المسجون يوضع فى قيود لمدة ستة أشهر قبل إيداعه فى سجنه الخاص به على الأخص لو كان متهمًا بالسرقة، وكانت الـسجون عبارة عن حفر فى الأرض تتسع لفرد واحد فلا توجـد لـديهم سـجون جماعية وأحيانًا وجدت بعض السجون فوق الأرض وكانت عبـارة عـن حجرات ضيقة حالتها سيئة للغاية(٢)، فوضع السجون المغولية كان فيـه إهانة لآدمية المسجون وعدم احترام له.

---

(١) رشيد الدين الهمذانى: خلفاء جنكيزخان، المجلد الأول، ص٢٧٧؛ عصام شبارو: مرجع سابق، ص٢٤٨

(2) Henry Serruys: Op.Cit., pp.283- 285.

٤ـ الطبقات الاجتماعية وعناصر السكان:ـ

لم يكن المغول يعرفون شيئًا عن التفاوت الاجتماعى بين طبقاتهم فقد كانوا جميعًا فى صراع مع الطبيعة بحثًا عن الطعام والشراب وبمرور الأيام حدث تفاوت بين قبيلة وأخرى أدى إلى ازدياد ثراء بعض القبائل ولكن قابلهُ زيادة فقر عند قبائل أخرى، وأخذت النظم الطبقية فى الظهور فكان الخان هو أعلى طبقات المجتمع وأهم أعماله تقسيم الغنائم بين القادة وأفراد القبائل وتنظيم أمور الصيد(١)، ويليه فى هذه الطبقة النبلاء وكانوا يلقبون بالألقاب الكثيرة ومنها بهادر (أى الباسل)، توبان (أى النبيل)، ستسن (أى الحكيم)، وكانت لهم جميع الامتيازات والصلاحيات فسكنوا أفضل المساكن وأكلوا أفضل الأطعمة ولبسوا أجود الثياب ونعموا بكافة المزايا فى جميع الأمور الحياتية، بل كان لهم دورهم فى الحياة السياسية فصاروا من أميز فئات المجتمع المغولى(٢).

أما الطبقة الثانية فكانت طبقة ال نوكور (أى الأحرار) وعلى هؤلاء كان يرتكز النظام العسكرى والحربى والسياسى أيضًا فهم يؤلفون طبقة المحاربين والموالين لهم وانقسم جيش المغول إلى فرق قوام الواحدة عشرة آلاف جندى وسميت الواحدة تومان وانقسم كل تومان إلى عشر جماعات كل منها ألف، وتشعب كل ألف إلى عشرة أقسام كل منها انقسمت إلى مائة، وتفرعت كل مائة إلى عشر مجموعات كل منها عشرة جنود(٣) وكانت لدى الجيش المغولى مهارات حربية أنارت ظلام المعارك

---

(1) Michael: Op.Cit., pp.99- 100.;

أحمد عبد العزيز بقوش: مرجع سابق، ص٢٠١.

(2) Johan Simth: Mongols Manpower, p.27;

إسماعيل الخالدى: العالم الإسلامى، ص٢٩.

(٣) الجوينى : جهانكشاى، ص٢١٠؛ عباس إقبال: إيران بعد الإسلام، ص٣٩١.

وحققت العديد من الانتصارات[1]، وكان نظام التجنيد إلزاميًا لكل الذكور من سن الخامسة عشرة إلى السبعين دون النظر لعدد الذكور بداخل كل أسرة وعرف عن المغول أنهم منذ نعومة أظفارهم محاربون ومنازلون أشداء لكل من يقف في وجوههم[2].

وقد ظلت هذه الطبقة تتمتع بمزايا عديدة طوال فترات حكم المغول وكانت التقسيمات للجيش ونظمه ثابتة وإن زاد عليها بعض الأشياء إبان حكم الدولة الإيلخانية من دخول عناصر ليست مغولية في صفوف الجيش، وقد واجه الحاكم الإيلخاني غازان محمود (٦٩٤ - ٧٠٣هـ/ ١٢٩٥ - ١٣٠٤م) مشكلة في إيجاد نفقات الجيش فعالج ذلك بتخصيص بعض الأراضي الزراعية كوقف للجنود يتسلمون الناتج منها بدلاً من رواتبهم[3].

وكانت هناك عدة قوانين نظمت النواحي العسكرية منها؛ تطبيق نظام المساواة بين الأفراد في الجيش، وعدم التفرقة بينهم دون النظر إلى ثروة أو مركز كل منهم؛ فكان على الفلاحين الذين لم يشاركوا في الجيش تقديم المؤن وتنظيم وحماية وصيانة الطرق والمحطات والبريد وتقديم المساعدة والإعانة والراحة للمسافرين، وفي حالة غياب الرجال فعلى نسائهن القيام بالعمل بدلاً منهم، وعند صدور الأمر العسكري بالالتقاء في مكان ما فعلى الجميع الحضور في الموعد والمكان المحددين دون تأخير، وعند وقوع القائد في خطأ عسكري فعليه الطاعة والخضوع لأوامر الخان، حتى ولو أرسل إليه أحط الناس ليقطع رأسه فلابد من تنفيذ القرار،

(١) الأصفهاني: الفتح القسي، ص٩٩؛ ابن طيفور (أبي الفضل أحمد بن أبي طاهر بن طيفور)، بغداد، دار الجنان، بيروت، لبنان، ١٩٠٨م، ص٣٥.

(٢) ابن الزبير: التحف، ص٥؛ Paul Ratchnevsky: Op.Cit, p.90.

(3) Morgan: Mongols, pp.90- 91; Raphael Israeli, Op.Cit., p.61.

وكان يحرم انتقال أحد من فرقة عسكرية إلى أخرى، كذلك يعاقب بالموت من يقوم بنهب العدو قبل صدور الأمر بذلك من القيادة العليا[١].

وقد قام المغول بتصنيع وتجهيز آلاتهم الحربية وتصنيع أدواتهم فثَمّ ((الذى يذيب الحديد للسيف ويصفيه ويهذبه غير الذى يمده ويبسطه، والذى يمده ويبسطه غير الذى يطبعه ويسوى متنه ويقيم خشبته والذى يطبعه ويسوى متنه غير الذى يسقيه ويرهفه، والذى يسقيه ويرهفه غير الذى يركب قبعته ويستوثق مقبضه والذى يعمل مسامير ونعل السيف غير الذى ينحت خشبة غمده ..... الخ كذلك السرج والسهم وجميع السلاح))[٢] وكانت أشهر أدوات وأسحلة المغول الجياد التى تميزت بها بلاد التبت وكانت هناك الرماح والأسهم والمجانيق والقوس الطويلة والبلطة والخنجر والسيف المحدب المفرطح النصل عند طرفه والسهم والأحبال المعقودة فى أطرافها لسحب آلات الحصار والعربات[٣].

وكانت هذه الطبقة من الأحرار والجيش ورؤسائه، هم السادة الذين يحق لهم امتلاك الخدم والعبيد ونالوا من المزايا الكثير حتى إنهم لم يقلوا مكانة وأهمية عن طبقة الخان والنبلاء[٤].

أما الطبقة الثالثة وهى طبقة العامة والأرقاء وهى لا تملك إلا القليل فى كل شىء، والأرقاء والخدم هم الذين تم أسرهم من قبائل أخرى

---

(1) Martn: The Mongol Army, p.52;

صبرى أبوالخير: قيام دولة المغول، ص٢٠٩- ٢١٠.

(٢) الجاحظ: رسائل، ص٢١٨- ٢١٩.

(٣) اليونينى: ذيل مرآة الزمان، جـ٣، ص٣؛ نظام الدين الهروى: مصدر سابق، جـ٣، ص٣٠٦؛

The Editors of Tim – Life Books: Op.Cit., p.17.

(4) Morgan: Mongols, pp.35- 36; Rockhill- Jackson, Op.Cit., p.8.

وهم تحت تصرف سادتهم وكانوا يقومون بالعمل والخدمة في بيوتهم ومعسكراتهم[١]، وكانت هناك طبقة الكهان وعلى الأخص الشامانيون وكانت لهم مزايا عديدة وأصبحوا هم الوسطاء بين الناس والآلهة وهم مختصون بكل الطقوس الدينية ونالوا قدرًا هائلاً داخل مجتمعهم[٢].

وقد تنوعت عناصر السكان فكان المجتمع المغولي في بدايته قاصرًا على المغول البيض الذين عاشوا شمال الصين، والمغول السود الذين عاشوا إلى الشمال منهم، والمغول المتوحشون وهم سكان الغابات والبراري وقامت حياتهم على الصيد واتحد التتار والمغول فيما بينهم وأصبحوا يمثلون عنصرًا سكانيًا واحدًا ولاسيما أن أصلهم واحد وهو الأصل التركي[٣].

وبعد انفتاح المغول على العالم الخارجي من خلال التوسعات على حساب أراضي الصين حدث تغيير في التركيب السكاني بتواجد المغول بداخل الصين والتزواج بين المغول والصينيين مما أوجد عناصر سكانية جديدة وهم مغول الصين فكونوا بذلك عنصرًا سكانيًا جديدًا دخل على المجتمع المغولي[٤] وعندما أقام هولاكو الدولة الإيلخانية (مغول فارس) بإيران بدايةً من عام ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م كانت منطقة فارس تشهد عديدًا من عناصر السكان وهم العرب والفرس وكانت لهم لغة فارسية خاصة

---

(1) Morgan: The Great Yasa, p.164; M. Hiader: Op.Cit., p.60.

(2) C. R. Bawden: The Modern History of Mongolia, p.28.

(٣) محمود سعيد عمران: المغول والأوربيون، ص٣٨؛
Sykes Brigadier: History of Persia, p.71

(4) J. R. Foster and Charles: A History of Chinese Civilization, p.114.

بهم، والترك والأكراد فكانت خليطًا من أجناس سكانية عديدة[(١)] وكانت من ضمن عناصر السكان فى بلاد فارس إبان حكم مغول فارس حوالى ثلاثة فى المائة من المسيحيين التبشيريين وقلت هذه النسبة بعد اعتناق المغول للإسلام مع عهد غازان محمود (٩٦٤ - ٧٠٣هـ/ ١٢٩٥ - ١٣٠٤م) [(٢)] أيضًا أسهم فى تشكيل النسيج السكانى بفارس أهل الذمة من المسيحيين واليهود والمجوس من مختلفى الأجناس ومارسوا أعمالاً تناسب خبراتهم فكان منهم الأطباء والمهندسون والفلكيون والتجار والصيارفة والصيادلة، وتدرجوا فى سلك الوظائف حتى أعلى المناصب وتأثر بهم المغول فى نواحٍ عديدة بعدما أصبحوا عنصرًا من عناصر السكان بفارس مع قيام دولتهم بها وتحول النظام الطبقى إلى مغول سادة يحتلون المكانة العليا المرموقة يليهم أتباعهم من الوزراء والمستشارين وهم من المسلمين فى أغلب الأحيان وعامة المجتمع وقع عليهم عبء خدمة المغول وتنفيذ أوامرهم ودفع الضرائب لهم، والطبقة الدنيا من الجوارى والرقيق تكفلت بخدمة المغول دون أن يكون لهم أية حقوق[(٣)]. هكذا حدث امتزاج وتزاوج بين المغول وطبقاتهم وعناصر سكانهم وبين أهل فارس مما أحدث نقلة فى حياة المغول وزاد من المؤثرات الإسلامية الشرقية عليهم.

---

(١) حميد رضا جلائى: كردستان، ص٥١؛ حسن عبدالقادر صالح : البلدان الإسلامية فى قارة آسيا، ص٢١٩.

(٢) فليب فارج، يوسف كرباج: المسيحيون واليهود فى التاريخ الإسلامى والعربى والتركى، ترجمة بشير السباعى، الطبعة الأولى، دار سينا للنشر، القاهرة، ١٩٩٤م، ص٢٧؛ عبدالمحمد آيتى: تاريخ وصاف، ص٢٤٥؛ پاول هرن: تاريخ مختصر إيران، ص٧٠.

(3) Morgan: Mongols, p.36;

عصام الفقى: دول مستقلة، ص٢٧٥- ٢٧٦

وكانت المرأة المغولية تحتل منزله عند مغول فارس تتحدد وفقًا لطبقتها فى ذلك المجتمع فهناك نساء الحاكم (الخاتون) ورغم أن كل زوجات الإيلخان الشرعيات كن يحملن هذا اللقب إلا أن الزوجة الأولى كانت بمثابة الخاتون الكبرى بين الزوجات[1]، ثم تليهن المحظيات ويأتى ترتيب هؤلاء الزوجات بعد زوجات الحاكم الشرعيات ويتم اختيارهن عن طريق تجميع الأبكار والمرافقات للجيش عشرًا عشرًا ومائة مائة ويختار أمير التومان منهن عددًا فيرسلهن إلى الخان فينتقى منهن ما يروق له، ثم تأتى الجوارى اللائى يتم الاستيلاء عليهن من أسرى الحرب أو من القبائل الفقيرة[2] وتشكلت الطبقة العليا للنساء من زوجات القواد والأمراء وكن يشاركن أزواجهن فى كافة الأعمال، بل إنهن خرجن للقتال مرتديات ملابس لا يمكن تمييزها عن ملابس الرجال، أما نساء الطبقة المتوسطة فهن من يقمن بحلب الأبقار وطهى الطعام وتربية الأطفال واشتركن أحيانًا فى الحروب وهن زوجات طبقة الأحرار فى أغلب الأحيان، وتأتى الطبقة الأخيرة وهى طبقة الجوارى من سبايا الحروب أو ممن يتم شراؤهن بالمال من تجار الجوارى[3].

٥ـ الحرف والأعمال عند المغول:ـ

أتت حرفة الرعى فى مقدمة الأعمال التى قام بها المغولى حيث تميزت الأراضى المغولية بكثرة السهول ذات الحشائش وكانت عبارة عن مراعٍ بلا أشجار ولم تكن تلك الأراضى صالحةً للزراعة[4] ومعظم

(١) ابن بطوطة: رحلة بن بطوطة، ص١٢١.

(٢) أحمد عبدالعزيز بقوش: مرجع سابق، ص٥٩- ٦٠.

(٣) نفسه، ص٦٦، ٧١؛ Micheal: Op.Cit., p.101.

(٤) ابن يونه بنيامين: رحلة بن يونه بنيامين، ص١٦٠؛ Morgan: Mongols, p.32.

مناطق سكنى المغول عبارة عن صحراء وجبال وهضاب؛ لذا اعتمدت حياتهم على التنقل والترحال وراء العشب والكلأ[1]، وساعد على نجاح حرفة الرعى حياة البداوة التى كان يعيشها المغول بجانب نمو عديد من النباتات الطبيعية بمنغوليا ومنها حشائش الإستبس التى كانت تنمو فى نطاقات متفرقة وتتباين كثافتها تبعًا لكمية المطر وغيرها من النباتات الرعوية الأخرى مما أدى إلى احتراف المغولى الرعى والانتقال فى سرعة هائلة على ظهور الخيل حتى بدت حركاتهم وراء الرزق كأنها زحفٌ حربىٌ سريعٌ[2].

وقد كانت هجرات المغول وراء المراعى موسمية حيث المراعى الصيفية فى السهول والمراعى الشتوية فى الأودية، وتلك الهجرات لم تكن بلا هدف بل بحثًا عن مرعى جيد ومفضل تكثر فيه حشائش السافانا والنباتات العشبية حتى تتم عمليات الرعى بنجاح[3].

وتلت حرفة الرعى من حيث الأهمية حرفة الصيد ((بلاد المغول بها صيد كثير حيث يتجنب الرعى فى أماكن منها ويكثر فى أخرى))[4]، وكان الصيد من الممارسات المغولية المهمة التى أتقنها هذا المجتمع وكانت متعددة الفوائد حيث اعتبر وسيلة للحصول على الغذاء بجانب

---

(١) بطرس توديبود: مصدر سابق، ص٢٩١؛ Howorth: Op.Cit., III, p.20.

(2) Jahn Smith: Op.Cit., p.294; Rudi Lindner: Horses and Huns, p.3; عبد الحميد العبادى: الدولة الإسلامية، ص١٤١.

(3) Morgan: Mongols, p.33;
محمد حسونة: أثر العوامل الجغرافية، ص٤١؛ أحمد عبدالكريم سليمان: المغول والمماليك فى عهد دولة بنى قلاوون (٦٧٨ – ٧٨٤هـ/ ١٢٧٩ – ١٣٨٢م)، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م، ص١٣.

(٤) أبى دلف: الرسالة الثانية، ص٢٩.

اعتباره تدريبًا جيدًا على الحرب والقتال بالإضافة لكونه وسيلة للترفيه، لذلك اهتم المغول بشئون الصيد وأخذوها مأخذ الجد وأصبح واجبًا على أرباب السلاح وأصحاب الكفاح أن يتعلموا كيف يحصلون على الصيد وكيفية وأسلوب صيده[١].

وكان الصيادون ينصبون الحلقات لاصطياد الحيوانات وكانوا لا يسمحون بهروب أى حيوان من الحلقة ومن يقتل حيوانًا قبل الموعد المحدد يعاقب وتبدأ المذبحة لكل الصيد مع إلقاء الخان لأول سهم[٢] وكانوا يخرجون من هذه العملية بعدة دروس منها: تعلم فنون القتال والحرب بعد تجريبها على الحيوانات، واختيار الوقت المحدد لكى تهاجم العدو مع التحلى بالصبر والشجاعة وإحداث مذبحة لإرهابه، واكتساب المهارة والانضباط والاستمتاع بالمطاردة[٣].

وعندما كان يعزم الخان على الخروج للصيد كان يخرج عادةً فى بداية فصل الشتاء ومعه الجند المرابطون على حراسته وكانوا يحملون ما يلزم من معدات الصيد ويسيرون فى شكل قلب وميمنة وميسرة، واعتاد الخان أن يأتى إلى الغابة مع حرسه ويتم إطلاق الكلاب والطيور المدربة على الصيد فى الغابة، وسرعان ما كانت تنجح فى مهمتها بأن تحيط الكلاب بالفريسة حتى ولو كانت من الجاموس الوحشى أو الأسود، وهنا يتقدم الخان ومعاونوه ويقذف كل منهم بخمسة رماح تجاه الحيوانات المراد صيدها[٤].

---

(١) الجوينى: جهانكشاى، ص٢٠٧؛
D'ohsson: Op.Cit., T 1, p.404; Morgan: The Great Yasa, p.176.

(٢) الجوينى: المصدر السابق، ص٢٠٨؛ مايك ادواردز: جنكيزخان، ص٧٠.

(3) Morgan: Mongols, p.85.

(٤) ماركوبولو: مصدر سابق، جـ٢، ص١٦٠؛ على السيد: مرجع سابق، ص٦٦.

وكان لزامًا على الجند أن يحرصوا على ممارسة الصيد فى وقت فراغهم وعدم وجود أعمال يقومون بها وعلى القادة أن يحثوا الجند على ممارسته ولم يكن الهدف من ذلك هو ممارسة الصيد لذاته، بل ليتمرنوا على القتال ورمى السهام وتحمل الصعاب والمشاق[١].

وقد كانت مواعيد الصيد عند المغول فى فصل الشتاء حيث التوقف للنشاط الحربى وما بين السقوط الكثيف للثلج وظهور أول العشب، وأهم حيوانات الصيد كانت الظبى والإبل والحمار الوحشى وسباع الوحوش[٢].

ولم يظهر شغف المغول واهتمامهم بعمليات صيد الأسماك رغم تعلق بعضهم بهذه العملية وعلى رأسهم جنكيزخان نفسه، ومارس إيلخانات دولة مغول فارس حرفة الصيد وكانوا شغوفين بها مثل أجدادهم، وعلى الأخص الإيلخانات الأوائل[٣].

وقد أتقن المغولي مهنة أخرى وهى صنع الأقواس وعمل السهام والركاب واللجام والسرج وأدوات الحرب، كالسيف والحربة وغيرهما فعمله الأساسى كان الحرب وتصنيع أدواته هذا بجانب مشاركته للمرأة فى بناء الخيام ورعاية الجياد وحلب الأفراس وتحميل الجمال وتنزيل الأثقال عندما يرحل من مكان ويستقر فى آخر[٤].

---

(١) الجوينى: المصدر السابق، ص٢٠٧؛ هارولد لامب: جنكيزخان، ص١٠.

(٢) محمد أسدالله صفا: جنكيزخان، ص١٠٧؛ J. J. Saunders: Muslims, Op.Cit., pp.68- 69

(3) Morgan: The Great Yasa, p.176;
على السيد: مرجع سابق، ص٦٤.

(4) Michel: Op.Cit., p.102;
سعد الغامدى: المغول بيئتهم الطبيعية، ص١٠٤- ١٠٥.

وعرف المغول مهنة جديدة بعد احتكاكهم بالصين والعالم الإسلامى وقيام الدولة الإيلخانية بفارس عام ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م وهى مهنة الزراعة ومارسها بعض المغول ولكنها لم تكن مهنة مفضلة لديهم[١] فاكتفوا بعمل القليل منهم فى هذه المهنة وأقاموا نظامًا ضريبيًا مغوليًا فرض على الأرض المحتلة وحقق لهم رواجًا اقتصاديًا وساعدهم على التعرف على نظم الزراعة وطرقها[٢].

وعمل المغول بالتجارة وازدهرت حياتهم الاقتصادية خاصة بعد قيام كياناتهم ودولتهم فى آسيا الإسلامية مثل الدولة الإيلخانية فسيطروا على طرق التجارة وأهمها على الإطلاق طريق الحرير وانتظمت الرحلات التجارية فيه وأصبح أمن هذا الطريق موكلاً إلى المغول، وأهم المدن التى كانت تقع على هذا الطريق ويسيطر عليها المغول كانت (الرى، بخارى، سمرقند، طشقند، بلخ، نيسابور) وقد انتعشت هذه المدن بانتظام الحركة التجارية فى طريق الحرير وكانت هذه المدن ضمن ممتلكات الدولة الإيلخاية بفارس[٣].

وتحسنت أوضاع المغول الاجتماعية بعد العمل بهذه المهنة (التجارة) وامتلكوا المواشى والبقر والجمال والخيل وأصبحوا يتغذون على اللحوم والألبان ولم يطرق الجوع لهم بابًا[٤].

---

(1) J. J. Saunders: Ganghis Khan, p.392;

محمود محمد شاكر: الأقليات المسلمة فى قارة آسيا، ص٦٢١.

(2) Morgan: The Great Yasa, p.167;

كلود كاهن: الحروب الصليبية، ص٢٥٨.

(٣) عصام الفقى: دول مستقلة، ص٢٧؛ على أبوعساف: "طريق الحرير والطرق التجارية الأقدم"، بحث منشور بمجلة دراسات تاريخية، المجلد العاشر، الأجزاء ١٢- ١٣، عدد ٤٤، إشبيلية للدراسات والنشر، دمشق، سوريا، ١٩٩١م، ص٧٩.

(٤) الغزى الحلبى: نهر الذهب، ص١٠٢؛

Rephael Israeli and Anthony: Op.Cit., pp.30- 31.

أما عن أهم الحيوانات التى امتلكها واعتمد عليها المغول فكانت الماشية التى خرجوا بها فى طلب المراعى هذا بجانب الحيوانات التى كانت تسكن الصحارى مثل الجمل المتوحش ذى السنامين والحصان والمتوحش والحمار الوحشى والغزال وأنواع من الفئران ذات الفراء الثمين والذئاب والنمور(١).

وقد امتلك الخان كثيرًا من الفهود التى كان يحتفظ بها بقصد مطاردة الغزلان فى الصيد بالإضافة إلى الأسود التى يربيها منذ صغرها ويستخدمها فى صيد الخنازير البرية والثيران والحمير الوحشية والدببة والأيائل والوعول وغيرها من البهائم(٢).

ومن الحيوانات التى قام المغول بتربيتها أيضًا الخيل والأغنام والبغال والحمير والإبل والثيران التى كانوا يستخدمونها فى جر عرباتهم عند تنقلهم من مكان لآخر(٣) هذا بجانب امتلاكهم نوعًا من الطيور الجارحة يطلق عليه البزاة(٤).

ومن أكثر الحيوانات التى حرص المغول على اقتنائها، واحتلت مكانة خاصة لديهم الخيول، والتى تميزت بأنها كانت ذات رقبة قوية وسيقان سميكة وقامة قصيرة، وكانت تعدو بسرعة كالرياح حتى صارت رمزًا للمجتمع المغولى(٥).

---

(١) الدمشقى: الإشارة إلى محاسن التجارة، ص٣٨؛ مصطفى طه بدر: محنة الإسلام الكبرى، ص٧٩.

(٢) ماركوبولو: مصدر سابق، جـ٢، ص١٦١.

(٣) مؤلف مجهول: حدود العالم من الشرق إلى الغرب، ص٦٢؛
Botegei: Mission to The Mongols, p.5.

(٤) الجاحظ البصرى التبصرة بالتجارة، ص٣٤.

(5) Timothy. M. May: Lives Took of The Mongols, p.22.

ولم يجد المغولى صعوبة فى تغذية حيواناته فقد كانـــت ترعـــى وتبحث بأظلافها بين الثلج فى طلب الحشائش، وخيولهم ليست فى حاجـــة إلى العلف فهى تنقب الأرض بحوافرها بحثًا عن جذور النباتـــات التـــى تقتات بها[١].

وكانت لهذه الحيوانات أهمية كبيرة حيث كانت الأغنام تمد المغول بالجلود لصناعة الملابس والصوف لصناعة الخيام المتميزة بجانب توفير الغذاء من لحم ولبن وجبن، كما استخدم روث الحيوانـــات كوقـــود، أمـــا الخيول فكانت الوسيلة الأساسية فى نقل المغولى والبضائع ووسيلة أيضًا للتدريب العسكرى فضلاً عن أنها كانت تمدهم بألبانها التى تتخمر ويصنع منها مشروبهم الرئيسى، واستخدمت الجمال فى نقل الأحمال والأثقال وفى حالة الحاجة تُؤكل لحومها، وكانت الثيران تجر وتشد عرباتهم[٢] ولم يفت المغول الاستفادة الكاملة من عضلات وقرون وحوافر وعظام الحيوانات، فمن الصوف صنعوا أغطية خيامهم التى تشبه خلية النحل لتحميهم إذا ما هبت الرياح الثلجية، ومن أوتار عضلات الحيوانات كانوا يجدلون الحبال والقيود كما كانوا يستخدمون قرون الحيوانات فى صنع أقواس قوية[٣].

واللافت للنظر أن المغولى كان فى حالة تطور مستمر وارتقـــى من حرفة إلى أخرى على حسب المقتضيات والاحتكاكات الخارجية التى أدت إلى تطور هرم الاحتياجات الاجتماعية، فصار المغولى يتقن أكثـــر

---

(١) سعد زغلول: الترك فى العصر الإسلامى، ص١٧٣.

(٢) الدمشقى: الإشارة إلى محاسن التجارة، ص٢٥؛ Morgan: Mongols, p.32.

(٣) محمد فتحى الشاعر: مرجع سابق، ص١٠؛ محمد عبدالعظيم يوسف أبوالنصر: "مراكز التجارة فى آسيا الوسطى"، بحث نشر فى ندوة طرق التجـــارة العالميـــة عبر العالم العربىَ على مر عصور التاريخ، حصاد٨، اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ص٣٣٦.

من مهنة، وفى امتلاكه للحيوانات امتلك ما يحقق لـــه الاكتفـــاء الـــذاتى وضرب أروع الأمثلة فى الاستفادة بكل شىء من الحيوانات بدايـــةً مـــن اللحوم حتى القرون والعظام فلا يوجد عنده تالف أو عادم فهـــو مجتمـــع يجيد التعايش مع أصعب الظروف البيئية.

٦ـ الدعاية والإعلام عند المغول:ـ

استخدام المغول الأسطورة فى عمل الدعاية والإعلام عنهم، بشكل كان يهدف إلى إدخال الرعب والفزع لدى أعدائهم عند سماع مجرد ذكر أسمائهم، ومن ذلك مبالغتهم فى إظهار قوتهم من خـــلال ســـرد بعـــض صفاتهم الخارقة فذكروا أن: ((قوتلوغ خان ابن كابول جد جنكيزخان كان شديد التحمل لدرجة أنه يستطيع أن ينام عاريًا فى البرد القارس والـــشتاء الشديد ولديه صوت لا يضاهيه صوت الرعد وله مقدرة على تحطـــيم أى شىء بكل سهولة ويسر ويأكل فى وجبته شاة ويشرب الكثير من شـــراب لبن الخيل))[١].

وقيل إن الرجل منهم كان يأكل فى اليوم ما يأكله ستة رجال وما يشربه اثنا عشر رجلاً فهم بارعون لا يضاهيهم أحـــد ولا يقـــوى علـــى الصمود أمامهم[٢]، وظل المغول يحيطون أنفسهم بسياج مـــن الحكايـــات والأساطير بجانب أشكالهم المرعبة وأسمائهم الثقيلة[٣] ونجحوا فى توظيف كل هذه الأشياء فى هزيمة عدوهم نفسيًا وإيهامه إعلاميًا بأنه يقابل أناسًـــا لا قبل له بهم فهم أشبه بالحيوانات المتوحشة منهم بالبشر العاديين.

---

(1) Howorth: Op.Cit., p.44.

(٢) الفردوسى: مصدر سابق، جـــ٢، ص٢٢٣؛ سعد زغلول: الترك والمجتمعـــات، ص٧٣- ٧٤.

(٣) كلود كاهن: الحروب الصليبية، ص٢٥٥.

وبجانب الإعلام عن طريق الأسطورة ظهر نوع أخر للإعلام استخدمه المغول وهو عمل مذابح جماعية فى البلاد التى كانوا يستولون عليها والتعامل بقسوة وعنف مع كل شيء بداخل هذه البلاد بجانب التخريب والحرق والسبى والاغتصاب والتدمير بشكل مبالغ فيه وبعد الانتهاء من أعمالهم التخريبية كانوا يرسلون رجالاً من طرفهم متخفين مع من فر من مذابحهم إلى البلاد المجاورة لهم حتى يقوموا بوصف ما تم بداخل هذه البلاد مع المبالغة فى قوة وأوصاف المغول، وإيهامهم أن الحل هو ترك المدن خيرًا من أن يلاقوا أصنافًا متعددة من العذاب(١).

وكان من عادات حكام المغول محبة أهل السحر والشعوذة والكيمياء والفلك حيث إنهم اعتقدوا أن هذه الأشياء تعطيهم ثقة مطلقة، وكان أرغون أحد حكام الدولة الإيلخانية (٦٨٣ - ٦٩٠هـ/ ١٢٨٤ - ١٢٩١م) يعتقد فى ذلك الحسر والشعوذة والنجوم وجعل القائمين على تلك الأمور يتمتعون بمنزلة كبيرة وأذاع بين الأوساط أنهم - فى تحركاتهم وأعمالهم - مؤيدون من قبل أهل الفلك والسحر، وأن الطالع فى صالحهم وسيمنحون نصرًا مؤزرًا(٢).

أما عن توظيف المغول للإعلام فى معرفة أحوال وأخبار الأمم المجاورة فكان لديهم جهاز استخبارات متمثل فى الجواسيس الذين أرسلوهم كتجار من جنسيات مختلفة وديانات مختلفة أيضًا، يتلخص دورهم فى وصف دقيق للبلاد التى كانوا يقومون بزيارتها مع عمل تقرير

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٣، ص٨٤؛ عصام شبارو: مرجع سابق، ص٢٧١؛

Michell Robert: The Inner Asian and Uralic Nations, p.13.

(٢) رشيد الدين الهمذانى: تاريخ أبناء هولاكو، المجلد الثانى، جـ٢، ص١٥٨؛ فؤاد الصياد: رشيد الدين الهمذانى، ص٦٤.

عن أحـوالهم الاقتـصادية والاجتماعيـة والـسياسية ومـواطن القـوة والضعف(1).

ولم يقتصر الأمر فى نظم الجواسيس على حد التجار فقـط، بـل اشترى المغول بالمال بعض أهل تلك البلاد وأحيانًا بعـض المـسئولين لينقلوا لهم أخبار تلك البلاد والوقت المناسب للهجوم عليها بجانب سعيهم الدؤوب على تثبيط الهمم وإدخال الرعب إلى أهل بلادهم فى حالة هجوم المغول؛ فدورهم كمن فى نقل أخبارهم ونشر أشياء بين أهل بلادهم تبين عدم مقدرتهم على مواجهة المغول(2). وقد قـام رسـل المغـول بحمـل الرسائل إلى الحكام فى شتى البقاع تحمل بين طياتها التهديد والوعيد وكان ذلك نوعًا آخر من الإعلام عن المغول وقدوم جحافلهم(3).

يفهم من كل ما سبق أن الإعلام المغولى كـان إعلامًـا موجهًـا حجب ما أراد المغول حجبه وأذاع ما كانت لديهم حاجة فى إذاعته وأدى دوره المنوط به على أكمل وجه فحقق المغول من خلاله بغيتهم، وصـار من بعدهم المستبدون على نفس نهجهم فـى توظيـف الإعـلام لخدمـة أغراضهم وتحقيق أهدافهم الخاصة، وليتها كانت أهدافًا عامـة كأهـداف إعلام المغول.

٧- أبرز المراسم والاحتفالات والأعياد:-

كان هناك مناسبات عديدة لدى المغول ويأتى علـى رأس هـذه المراسم اجتماع مجلس القوريلتاى لاختيار خـان جديـد، فعنـدما يقـع

---

(1) The Editors of Tim- Life Books: Op.Cit., p.14;
عبدالمجيد أبو الفتوح بدوى: التاريخ السياسى والفكرى للمذهب السنى، ص٢٧١.

(2) Sheila S. Blair: The Arts of The Mongols, p.26.

(3) E. H. Paker: A Thousand Year of The Tartars, p.15.

اختيارهم على أحدهم ليكون خانًا أعظم يرفع الأمراء القلانس من على رؤوسهم ويلقون بأحزمتهم من على أكتافهم ويأخذ أخو الخان الجديد بيده اليمنى وأخوه الآخر بيده اليسرى ويمسك أحد أعمامه بحزامه ويجلسونه على عرش الخانية، ثم يرفع أكبر الموجودين مكانة كأسًا ويركع الجميع داخل البلاط وخارجه ويباركون للخان ثم يشرب الجميع ويغنون ويرقصون وتقدم الأطعمة لمدة ثلاثة أيام لعامة الناس وخاصتهم ويكون الجميع فى حالة لهو وطرب وسعادة(١).

وكان هناك احتفال خاص من قبل الخانات العظام بتقديم القرابين على روح جنكيزخان وأغرب ما فعلوه فى هذا السبيل هو أنهم اختاروا أربعين فتاة عذراء كلهن بارعات فى الجمال ومن نسل الأمراء والنبلاء ثم يلبسونهن أفخر الثياب ويزينونهن بأقيم أنواع الجياد ثم يقتلونهن ويقدمونهن قربانًا لروح الأباطرة العظام وعلى الأخص جنكيزخان(٢).

أما عن أبرز الاحتفالات والأعياد المتعلقة بالخان فكان الاحتفال بيوم مولده والاحتفال بيوم تتويجه، وتتم هذه الاحتفالات من خلال جلوس الخان على عرشه ويجلس بجانبه الأمراء كلٌ على حسب مكانته، ويرتدى كل منهم حزامًا تم صنعه من الذهب ورداء جديدًا وحقيبة مصنوعة من العاج ويجلس الجميع فى صمت وبجوارهم الحكماء والفلاسفة الذين نيط بهم مهمة المراقبة لإشارات معينة، وبعدها يقول أحدهم: علينا أن ننحنى أمام سيدنا الإمبراطور ثم يقول انهضوا، ويقول فليضع أحدكم إصبعه فى

---

(١) رشيد الدين الهمذانى: خلفاء جنكيزخان، المجلد الأول، ص٦؛ ابن عرب شاه: فاكهة الخلفاء، ص٥٥٥؛

M. Hiader: Mongols, Op.Cit., p.59.

(٢) براون: تاريخ الأدب فى إيران، ص٥٦٧؛

D'Ohsson: Op.Cit., T 1, p.384.

أذنه ثم تكرر مواقف كثيرة مشابهة ومن يتقاعس يتعرض للعقاب الشديد، وهذه التقاليد تؤكد ما عُرف عن المغول بطاعتهم العمياء لخانهم(١).

ولقد كانت هناك احتفالات يقيمها الخان لتكريم الأشخاص الذين يؤدون خدمات جليلة للخان أو للإمبراطورية أو يقومون بمساعدات قيمة فى أوقات المحنة والشدة، واعترافًا بهذه المنة كانوا يعنون بمثل هؤلاء الأشخاص، ويعطفون عليهم وهذا العطف والتقدير يسمى بالمغولية "سيورغاميشى" ويهبونهم فى احتفالية الأراضى والأملاك ليستغلوها، ولينتفعوا بما تدره عليهم؛ ثم تؤول تلك الأملاك إلى ورثتهم من بعدهم(٢).

واحتفل المغول ببداية عامهم الذى يبدأ مع أول فبراير ولهذه المناسبة جرت عادة الخان وكذا كل رعاياه بمختلف بلادهم أن يرتدوا البياض الذى هو حسب معتقداتهم علامة الحظ السعيد، كما أنهم كانوا يرتدون هذا اللون عند بداية السنة على أمل أن يحدث لهم كل ما هو سعيد(٣).

ومن أبرز احتفالات المغول الاحتفال بأول السنة التبتية ويوم ميلاد الأطفال وصاحب هذه الاحتفالات الشراب والغناء والرقص، وإقامة الولائم الرسمية ويأكل الجميع على أنغام الموسيقى والطرب(٤).

وعندما قامت الدولة الإيلخانية بفارس شارك حكامها المسيحيين فى أعيادهم الكبيرة، كعيد الفصح (القيامة) وعيد الميلاد، كما فعلوا نفس

---

(١) على أحمد السيد: مرجع سابق، ص٦٧- ٦٨؛
J. J. Saunders: Ganghis Khan, p.395.

(٢) ماركوبولو: مصدر سابق، جـ٢، ص١٣٥؛ فؤاد الصياد: المغول فى التاريخ، ص٣٥٧.

(٣) ماركوبولو: المصدر السابق، جـ٢، ص١٥٦.

(4) El Popola: Op.Cit., p.120; Henry Serruys: Op.Cit., p.279.

الشيء في أعياد المسلمين واليهود والوثنيين وكانوا يقولـون:- ((هنـاك أنبياء أربعة عظام، توقرهم وتعبدهم مختلف طبقـات الجـنس البـشرى فالمسيحيون يعبدون المسيح ربًا لهم والمسلمون محمدًا واليهـود موسـى والوثنيون سوجو ممبارركان، وإننا لنقدم التكـريم والاحتـرام للأربعـة جميعًا، وإن كنا نعد عقيدة المسيحيين أصدقهن))[1]. وهذا على حد قـول ماركوبولو في روايته.

وظلت احتفالات المغول بتنصيب الخان على الصورة التي كانت عليها داخل الدولة الإيلخانية المغولية، فعند تنـصيب أباقاخـان (٦٦٣ - ٦٨٠هـ/ ١٢٦٤ - ١٢٨١م) ابن هولاكو الذى تم اختياره لعقله وعلمـه وكفاءته ودرايته، أقاموا كل مظاهر ومراسم التنصيب والاحتفال التي كان يتبعها المغول مع خانهم الأعظم[2].

وعندما تولى أحمد تكودار عـرش الدولـة الإيلخانيـة (٦٨١ - ٦٨٣هـ/ ١٢٨٢ - ١٢٨٤م) طبق الشريعة الإسلامية وقصر الاحتفالات على الأعياد الإسلامية فقط دون غيرها وإن ظل بعض المغول الذين لـم يعتنقوا الإسلام على عاداتهم في احتفالاتهم وأعيادهم[3].

وبعد تحول الدولة الإيلخانية إلى الإسلام مع عهد غازان محمـود (٦٩٤ - ٧٠٣هـ/ ١٢٩٥ - ١٣٠٤م) احتفلوا بكل الأعياد الإسلامية مع احتفاظهم ببعض مراسمهم وأعيادهم القديمة كيوم تولية الخان وعيد ميلاده وظهرت بعض الاحتفالات الثانوية مثلما احتفل السلطان محمـد خدابنـده (أولجايتو) (٧٠٣ - ٧١٦هـ/ ١٣٠٣ - ١٣١٦م) احتفالاً عظيمًا بسبب شفاء ابنه أبي سعيد الذى انتابته أمراض عديدة مثل الجـدرى والحمـى

---

(١) ماركوبولو: المصدر السابق، جـ٢، ص١٣٤.

(٢) ابن العبرى: مختصر الدول، ص٢٨٥.

(٣) نفسه، ص٢٨٩؛ Henry Serruys: Op.Cit., p.279.

وغيرها، ويئس أبوه ورجاله من الشفاء وبعد أن تم شفاؤه من علته احتفل أبوه لعدة أيام واعتبر ذلك عيدًا من الأعياد، وأقام حكام الدولة الإيلخانية في احتفالاتهم المواكب والتشريفات وضربت الطبول ونفخت الأبواق وصاحبت الموسيقى احتفالاتهم ومواكبهم التشريفية(١).

أما عن مراسم وطقوس الدفن في المجتمع المغولي؛ فكان المتوفى من عامة الناس تعد جثته وتُهيأ لمواراتها في باطن الأرض، وهناك تدفن في أي مكان يراه المشيعون مناسبًا لمواراة الجسد حيث يحفرون حفرة كبيرة وهذه الحفرة تكبر وتصغر حسب مكانة الشخص المتوفى لتسع الجثمان وما يدفن معه من المتطلبات التي يعتقدون بأن ذلك الشخص سيحتاجها في عالمه الآخر ولا يحيط مراسم دفنه نوع من السرية كعادة المغول إلا فيما ندر(٢).

أما إذا كان الشخص المتوفى من الناس الأغنياء والميسورين فيأخذ نفس المراسم إلا أنه يدفن في أغلى وأجمل ثياب كان يمتلكها ويحاط دفنه وموضعه بالسرية التامة ويدفن معه الكثير من الخيول والخدم وجميع أدواته واحتياجاته، وأخذت مراسم وطقوس دفن رؤساء وكبار القوم نفس الطقوس وأضيف عليها أن يكون مدفنه أشبه بالسكن المتكامل ومعه أشهى الأطعمة والأشربة والذهب والفضة، وكان مكان الدفن يطهر جيدًا قبل الدفن، وتم اصطحاب كل من يمر بموكب الجنازة وقتله ووضعه مع الخان لخدمته في العالم الآخر حتى لا تقل حياته الثانية عن الأولى في شيء(٣).

---

(١) البدليسي: مصدر سابق، جـ٢، ص٢٢؛ عبدالهادي التازي: إيران، ص٧٩.

(2) Rockhill: Study in the Journey of Rubruck, pp.80- 81; M. Hiader: Op.Cit., p.59.

(3) Rockhill: Op.Cit., p.81;

سعد الغامدي: المغول بينتهم الطبيعية، ص١٥٥- ١٥٦.

وبعد وفاة الشخص المغولى وإتمام مراسم دفنه، كانت تقام طقوس نحر الخيل وعمل الأضاحى عن طريق بقر بطن الخيل واستخراج اللحم دون العظام وحرق الأمعاء والعظام وتحنيط الجلد حتى يصبح متكامل الجسد وكأنه حى، ثم يبرون رأسًا خشبية غليظة فيدخلونها من مؤخرته حتى تظهر من فيه ويعلقونه على شجرة كبيرة عالية، ولا يتم التعامل مع أقرباء المتوفى حتى يتم تنقيتهم وتطهيرهم بالنار تحت إشراف الكهنة عن طريق إيقاد نارين ثم يغرسون رمحين فى الأرض ويربط رأسا الرمحين بالقرب من النارين ثم يأتون بأقارب المتوفى الرجال والنساء والأطفال فيمرون من بين هاتين النارين ومن تحت الوشاح المربوط به الرمحان ثم يؤتى بجميع ما تملكه أسرة المتوفى من خيل وثيران وأبقار وأغنام وماعز وجمال وأمتعة من لباس وأوانى وعربات ومساكن ويمرون بهم من بين النارين بذلك يتم تطهير الجميع مما علق بهم حسب زعمهم من أرواح شريرة نتيجة وفاة ذلك المرء فى تلك الأسرة[١].

٨ـ أبرز المظاهر الترفيهية عند المغول:ـ

يعد مهرجان Nạdaam (اللعبة أو المنافسة) أكبر المهرجانات الرياضية الترفيهية عند المغول وكان يقام عادةً فى شهر يوليو ويستغرق ثلاثة أيام وأحيانًا يزيد وتبرز فيه المنافسات فى سباق الخيل والرماية وفيها يلبس المتسابقون بذلاً أشبه بالزى العسكرى ويستعملون الأقواس المصنوعة من الخشب، والأسهم المصنوعة من فروع الصفصاف وريش العقاب ويصوبون على أهداف ويقف الرجال على بعد خمسة وسبعين مترًا من الهدف والنساء على بعد ستين مترًا من الهدف، وتشارك النساء فى كل ألعاب المهرجان فيما عدا المصارعة[٢].

---

(1) William Rubruck: The Journey, Op.Cit., p.105; Rossabi. Nadaam, Op.Cit., p.4.

(2) Rossabi: Nadaam, Op.Cit., p.4;

مايك إدواردز: جنكيزخان، ص٧٠.

وقد أحب خانات المغول رياضة المصارعة؛ وكانت تقام لها الحلقات، وتسابقت الجموع على مشاهدتها، وفى التصارع كان لابد من فائز فى نهاية الأمر، والذى كان ينال رضا الخان يغدق عليه العطايا وأحيانًا يأخذ بنتًا من بنات المغول مثلما فعل جنكيزخان مع رجل مصارع من خراسان(١).

ومارس المغول فى مهرجانهم الرياضى عديدًا من الرياضات الأخرى منها مبارزة السيف والسباحة وكلها رياضات وثيقة الصلة بطبيعة حياتهم القتالية فى هذه البيئة الجغرافية الصعبة فتحولت رياضتهم إلى كفاح وجهاد فسباق الخيل عند هؤلاء القوم الرحل كان معناه الجرى عشرة أميال فوق البرارى ذهابًا وإيابًا ومباريات المصارعة عندهم قد تنتهى بدق عظامهم(٢).

وتصدر الصيد قائمة الرياضات التى كان المغول مولعين بها حتى عندما كان لديهم اكتفاء فى الطعام كان هناك تشجيع للصيد ليس لتعلم القتال فحسب ولكن من أجل اكتساب المهارة والقدرة على التحمل وسرعة البديهة واتخاذ القرار(٣).

وكانت الموسيقى أحد مظاهر الترفيه عند المغول فكانوا يخرجون فى الصيف من بيوتهم ليشاهدوا ويسمعوا عازف القيثارة والعود، ولم تكن لديهم معرفة بالكثير من الآلات الموسيقية ولكن العزف كان يطربهم ويسليهم، وصاحبت الموسيقى كل مهرجاناتهم وأعيادهم واحتفالاتهم، وبعد

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٣، ص١١٦؛ إبراهيم العدوى: العرب والتتار، ص٢٦.

(٢) بابرشاة: مصدر سابق، ص٣١؛ هارولد لامب: جنكيزخان، ص١٠.

(3) Martin: The Mongol Army, p.49; هيلدا: تاريخ الصيد، ص٢٢٨.

الانتهاء من العزف كان يتم التصفيق للعازف وكان بعض الرجال والنساء يقوموا بأداء بعض الرقصات أثناء العزف[١] وحضر مجالس اللهو والموسيقى الجميع من كهول وشيوخ وشباب وأطفال ونساء فالحزن لا يعرف طريقه في هذه البلاد ووسط هذا المجتمع[٢] وكان للغناء نصيب لدى المغول فأولوه بعضًا من اهتمامهم وتأثر الطرب المغولي بطرب الصين عند الاحتكاك بهم وامتازت المغوليات بإجادتهن لفن الغناء وكان الخانات وعلية القوم يقبلون على شرائهن للاستمتاع بأصواتهن العذبة ولكي يكونوا في مجالس لهوهم[٣].

وعندما كانت تقام الاحتفالات الترفيهية كانت المغنيات يقدمن أغاني غاية في العذوبة وأتى مروضو الحيوانات بالأسود المدربة لتنحني أمام الخان في حين قام السحرة بتقديم ألوان مختلفة من فنونهم ومن ذلك أنهم أمروا كؤوسًا ذهبية مليئة بالخمر بالانتقال إلى أفواه معاوني الخان فتطايرت في الجو إلى شاربيها، وادعى السحرة قدرتهم على تسخير الأرواح الشريرة مع بدء كل عام لذا أصبحوا عنصرًا أساسيًا في الاحتفالات التي تقام من قبل الخان[٤].

وهكذا عبر الفن في كثير من الأحيان عن حالة المجتمع وما كان يمر به من أحداث سياسية فتحول فن المغول إلى نوع من إدخال السعادة عليهم وكانت حياتهم الرياضية جزءًا تدريبيًا على نواحي القتال والنزال لما تتطلبه حياتهم لهذا الأمر، حيث كانوا في حالة حرب دائمة[٥].

---

(1) Dawson: The Mongol Mission, pp.93- 98; Rockhill: Study in, Op.Cit., p.70.

(٢) عبدالله إبراهيم: عالم القرون الوسطى، ص١٠٩.

(٣) المقريزي: الذهب المسبوك، ص١٤٣؛ Howorth: Op.Cit., I, p.42

(٤) على السيد: مرجع سابق، ص٦٩- ٧٠؛ عصام الفقي: دول مستقلة، ص١٨٦؛ Rockhill, Jackson: Op.Cit., p.6.

(5) David Taibot: Islamic Art, p.122.

وحافظ حكام الدولة الإيلخانية على ما اعتادوا القيام به من نــواحٍ ترفيهية توارثوها عن أجدادهم ولكن بعض الخانات أفرطوا فى اللهو مع الخواتين والجوارى فى الدور والقصور وأصبح بلاط الخان يعج بالعبيــد والمغنيات والراقصات[1].

وبعد فترة من استقرار المغول بفارس حملــت مجــالس لهــوهم ولوحاتهم الفنية عديدًا من خصائص الفن الشرقى الإسلامى وكانت هناك الموسيقى العربية والجاريات المسلمات، فضلاً عن انغماسهم فى الملذات حتى بعد تحول المغول إلى الإسلام ظل أغلبهم على ما كان عليــه مــن مظاهر اللهو والترف والترفيه[2].

واللافت للنظر أن هرم الاحتياجات الاجتماعية للمغول ظــل فــى تطور مستمر، فبعد ما كان شغل المغولى الشاغل هو البحث عما يقتات به حتى ولو كان قليلاً، صار هدفه الأول هو سد رمقه والتخلص من جوعه ثم انتقلت احتياجاته إلى القليل من الملابس يستر بها عورته ويدهن جسده بالشحم ليقى نفسه البرد القارس، ورضى بالسكن فى خيامه المصنوعة من اللباد ثم حدثت طفرة فى حياتهم وزادت احتياجاتهم الاجتماعيــة فتحــسن طعامهم مع تواجدهم بالصين ومن بعدها بلاد المشرق الإسلامى وعرفوا الملابس الحريرية والمساكن المشيدة.

---

(١) رشيد الدين الهمذانى: خلفاء جنكيزخان، المجلد الأول ص٢٨؛ هارولد لامــب، جنكيزخان، ص٨٠.

(٢) رتشارد اتجهاوسن: "الفن الإسلامى والآثار الإسلامية"، فصل منــشور ضــمن كتاب الشرق الأدنى فى مجتمعه وثقافته، إعداد . كوبلرينج، ترجمة عبدالرحمن محمد أيوب، مراجعة أبوالعلا عفيفى، الطبعة الثانية، الهيئة المــصرية العامــة، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص٣٤؛ Rockhill, Jackson: Op.Cit., p.12.

ومع انفتاح المغول على العالم الخــارجي انتقلــت احتياجــاتهم الاجتماعية من مرحلة البداوة والرضا بالقليــل إلـــى مرحلـــة التحـــضر ومحاولة الوصول إلى كل ما هو أفضل فعرفوا مجالات جديدة وعملــوا بالزراعة والتجارة بعدما اقتصر اقتصادهم على الرعى وتزوجوا من نساء أخريات غير المغوليات واحتكوا بثقافات جديدة.

وقد كان هرم الاحتياجات الاجتماعية فى تطور مستمر فأدى ذلك إلى وقوف المغول على أعتاب الحضارة وهذب من سلوكياتهم وقلم أظافر همجيتهم وبدأت تظهر لديهم رغبة فى التعلم ومعرفة كل ما هــو جديــد وأصبح بلاطهم يضم عديدًا من العلماء والأدباء والمثقفين فكان ذلك بمثابة نقلة كبيرة فى طريق تحضر هذا المجتمع واكتساب حضارة ذات مؤثرات صينية إسلامية فبعدما كانت حضارة المغول حربية وقاصرة على التقــدم فى كل ما هو عسكرى من أسلحة جديدة وتكتيكات حربية وخطط، وكان أمل كل مغولى أن يكون محاربًا لا يشق له غبار وفارسًا مغوارًا تطــور أمر احتياجاته ليصبح فى حاجة ماسة إلى الــتعلم والمــشاركة الأدبيــة والزواج من غير بنى جنسه وإن كان لذلك مردود سيئ لــديهم، حيــث أفقدهم الكثير من مهارتهم وقدرتهم الحربية وكان سببًا فى انغماسهم فـــى الملذات مما عجل بسقوطهم وانهيار دولتهم (الدولـــة الإيلخانيـــة) عــام ٧٣٥هـ/ ١٣٣٥م.

وأصبح المغولى لا يعرف عن حياة البداوة إلا الذكرى.وبعــض العادات والتقاليد ومظاهر الترفيه وانغمس فى حياة التحضر والمدنية بكل مزاياها وعيوبها وأضحت لديه مطامع فى كل ما يشتهيه بعدما كان ينأى بنفسه عن الشهوات ويطيع خانه طاعة عمياء، بدأوا يطمعون فى الملــك ويخرجون على بعضهم ثائرين ومحاربين ومقاتلين مما أفقدهم الكثير من قدرتهم وقوتهم.

وبعد تناول نظم المغول الاجتماعية وأبرز ما يميزهـا، أصـبح لزامًا علينا أن نتعرف على نظم المغول الدينية؛ لأن الديانة تلعـب دورًا من أبرز الأدوار، وأهم الأمور الحياتية فى أى مجتمع من المجتمعـات، وفى تاريخ الدول، وفى علاقات المجتمعات الداخلية منهـا والخارجيـة فالإنسان فى شتى العصور شديد التأثر بالنواحى الدينية وفى الغالب تكون هى المحرك له.

وقد مر الفكر الدينى عند المغول بعدة مراحل انتقل فيها المغولى من تأثره بالظواهر الكونية وعبادتها كالشمس والقمر والنجـوم والنـور والظلام والهواء وظل يرتقى فى عبادته وينتقل من مرحلة إلـى أخـرى حتى عَبَدَ الواحد القهار واعتنق الإسلام وهذه النظم سيتم تتبعهـا وإلقـاء الضوء عليها فى الفصل القادم - إن شاء الله - لمعرفة أبرز وأهـم مـا مميز النظم الدينية لمغول فارس (مغول الدولة الإيلخانية).

الفصل الثالث

النظم الدينية لمغول فارس

(٦٥٦ – ٧٣٥هـ/ ١٢٥٨ – ١٣٣٥م)

الفصل الثالث

النظم الدينية لمغول فارس

(٦٥٦ – ٧٣٥هـ/ ١٢٥٨ – ١٣٣٥م)

أولاً: المعتقدات الدينية القديمة للمغول.

ثانيًا: التنافس بين الأديان نحو اكتساب مغول فارس

ثالثًا: مغول فارس والبعثات الدينية ومحاولة تنصيرهم.

رابعًا: المعتقدات الدينية لأبرز خانات المغول العظام وإيلخانات فارس الأوائل.

خامسًا: مغول فارس وعوامل انتشار الإسلام بينهم.

سادسًا: تحول دولة مغول فارس إلى الإسلام وأهم النتائج التي ترتبت على ذلك.

هناك حقيقة ثابتة تؤكد أن حاجة الإنسان إلى الدين حاجة ماسة وتكون هى المحرك الأول له فى أغلب فترات حياته، وتجيب على تساؤلات عديدة تدور بخلده عما يحيط به من ظواهر طبيعية يعجز عقله أن يجد لها تفسيرًا؛ لذا يصبح هذا المجتمع البدائى أرضًا خصبة للإيمان بالأمور الخرافية والاعتقاد فى السحر، ويصبح الإنسان البدائى شديد التأثر بما حوله من الظواهر الكونية التى خلقها الله فأحسن خلقها ومنها الشمس والقمر والنجوم والنور والظلام والنار والهواء والماء وما إلى ذلك من هذه الأمور، فقد يتجه الإنسان إلى عبادة بعض هذه الظواهر خوفًا منها أو رغبة فيما يظن عندها من الأسرار الغيبية، وينتج عن ذلك تعدد معتقداته، ثم يعقب ذلك بداية التطور فى الفكر الدينى وهذا يأتى بالاحتكاك الخارجى والاطلاع على ثقافات ومعتقدات المجتمعات الأخرى وهكذا كان حال المجتمع المغولى الذى بدأ يتدرج فى معتقداته الدينية ويرتقى من مرحلة إلى أخرى حتى تحول معظمهم من المعتقدات البدائية إلى الديانات السماوية وعلى الأخص دولة مغول فارس.

أولاً: المعتقدات الدينية القديمة للمغول:-

اعتنق المغول معتقدات دينية عديدة ورغم ذلك كان لديهم إيمان راسخ بمذهب وحدة الوجود والمذهب يقول بأن الله والطبيعة شيء واحد وبأن الكون المادى والإنسان ليسا إلا مظهرين للذات الإلهية[١].

واللافت للنظر أن المغول كانوا يؤمنون بإله واحد وهو المتحكم فى كل شيء وإليه يرجع الفضل فى خلق الأشياء جميعها، هذا بجانب كونه مصدر كل خيز وكل شر فى هذا الكون وهو يتخذ من السماء

---

(1) Sechin Tagchid: Why The Mongolian Khans Adopted Tibetan, p.109.

مستقرًا له(١). ((وكانوا يعتقدون أن هذا الإله مستقر فى السماء، ويطلقون عليه اسم "تنكَرى" فكانوا يحرقون له البخور فى المباخر ويرفعون إليــه الصلوات ابتغاء الاستمتاع بصحة العقل والبدن))(٢).

ويروى الرحالة الأوروبى وليام روبروك: أن منكوقــاآن الخــان الأعظم خاطبه قائلاً: ((نحن – المغول – نؤمن بأنه لا يوجد سوى إلــه واحد، الذى به نحيا، وبه نموت، وإليه نتوجه بقلوب مستقيمة وهو يتربع فوق تلك السماء الزرقاء ويحمل اسم تنكرى)) (٣).

وعلى الرغم من اعتقاد المغول فى هذا الرب إلا أنهم لا يعبرون عن عبادتهم لذلك الرب الخالد والمعطى فى السماء، مــن صــلوات، أو الدعاء فى مكان مخصوص، أو القيام بعمل يتطلب جهــدًا أو مــشقة، أو إعداد ترتيب خاص، والاستعداد لإقامة احتفال معين لهــذا الغــرض، أو بطقوس من أى نوع، ومع أنهم يؤمنون بتنكَرى وهو ذلك الرب الذى فى السماء، فإن هذا لم يمنعهم من اتخاذ معتقدات كثيرة ومتنوعة(٤).

نخرج مما سبق بشىء فى غاية الأهمية وهو: أن بعض المغــول توصلوا إلى الوحدانية منذ عهد مبكر وفى بداية أمرهم، لكــن عقيــدتهم شابها النقصان وأصبح إيمانهم وقرًا فى القلب ولم يصدقه العمل والشىء المحير أن علمهم بوجود إله لهذا الكون لم يمنعهم من اتخاذ عبادات وثنية ومعتقدات وخرافات وشعوذات لا يقبلها العقل وهذا إن دل علــى شــىء،

---

(1) Rockhill: Study in the Journey of Rubruck, London, p.58;
سعد الغامدى: المغول بيئتهم الطبيعية، ص١٢٤؛ سعد الغامدى: الياسا، ص١١١.

(٢) ماركوبولو: رحلات، جـ٢، ص١٩٥.

(3) William Roubruck: The Journey of William Roubruck, p.195.

(٤) سعد الغامدى: المغول بيئتهم الطبيعية، ص١٢٤؛ سير توماس. أرنولد: الدعوة إلى الإسلام، ص٢٥١.

فإنما يدل على عدم النضوج الديني والفكرى لديهم، فقد اتخذوا من معتقداتهم وسيطًا يصلهم بربهم ويقربهم منه، وأصبحت حياتهم الدينية مليئة بالمتناقضات.

أما عن أبرز المعتقدات الدينية التى اعتنقها المغول فكانت الشامانية Shamanism على رأس تلك المعتقدات فدان بها غالبية المغول وخاناتهم(١) وهى عقيدة وثنية، وكانت تتمثل أيضًا فى عبادة كل ما يخشونه ويرهبونه، فلهم آلهة فى النهر والجبل والشمس والقمر والبرق الخاطف والرعد القاصف، وكانوا يتقربون إليها بغرض دفع شرها وأذاها وإبعاد غضبها وجلب رضاها، راجين منها الصحة فى أجسامهم وعقولهم ملتمسين إليها حماية أبنائهم وحيواناتهم، وفضلاً عن ذلك كان أتباع ذلك المعتقد يعبدون أرواح أجدادهم، لاعتقادهم أن لهذه الأرواح سلطانًا كبيرًا على حياتهم، كما كانوا يؤمنون بالقوى السحرية(٢).

وكانت من ضمن معتقدات معتنقى الشامانية أن قمم الجبال مساكن الآلهة والأرواح فكانت هناك بالتالى قداسة لهذه الأماكن المرتفعة وظهرت طائفة آلهة الجبل واحتلت مكانة عظيمة عند المغول(٣) هذا بجانب اعتقادهم أن مصير الإنسان يتحسن فى العالم الآخر بالنسبة لعدد ما يزهقه

---

(1) Novgorod: The Chronicle of Novgorod, Vol XXV, London, p.64; Barthold: Four Studies of the History of Central Asia, p.128.

(2) D'ohsson: Histoire des Mongoles, T 2, p.102; Kazakavich: History of Russia, p.35;

محمد فتحى الشاعر: قاهرة المغول، ص١٢؛

Hung William: The Transmission of Book Known as The Secret History of the Mongols, Vol 14, No 3, Harvard, 1951, pp.434-435.

(3) M. Ripinsky: Shamanism, New York, 1999, p.59; M. Hiader: The Mongol Traditions, p.67; ابن النديم، الفهرست، ص٤١٩.

من الأرواح وهكذا كانوا يضعون على قبر الميت أحجارًا بعدد من قـام بقتلهم من الرجال فى أثناء حياته واعتبروا ذلك تشريفًا له، وأحيانًا كـانوا يضعون صورًا من الخشب على عدد القتلى أو تماثيل كانت تدعى "بالبال" Balbal على أساس أنهم سيكونون خدمًا له فى جنته وعالمه الآخر، وهذا المعتقد افتقد الأسس الأخلاقية وليس معنى إيمان المغول باليوم الآخر أنهم يؤمنون بالحساب وبأنهم سيسألون عما يفعلون لذلك فإن القاتل عنـدهم لا يخاف عقابًا يوم القيامة، بل يعتقد أن منزلته تـزداد بزيـادة عـدد مـن قتلهم[1].

واعتقد معتنقو الشامانية من المغول أن السماء زرقاء وأبدية، وأن روح الله سيطرت على قوتى الخير والشر، ورأوا أنفسهم أرواحًـا قويـة عاشت فى النار والماء الجارى والرياح ويعزى إلى ذلـك قداسـة هـذه الأشياء واحترامها من قبل المغول[2]، ويزعم الشامانيون أيضًا أن السماء تتألف من سبع عشرة طبقة من الجنات، أما الأرض ففيها سـبع طبقـات وأن بموت الإنسان تصعد روحه الخيرة على هيئة طائر جميل، أما الروح الشريرة فتسبح فى الأرض ولديهم اعتقاد فى وجود جنيـات فـى المـاء وعليهم أن يقدموا إليها القرابين[3].

فلا غرو أن يظهر لهذا المعتقد مجموعة من الكهنة أطلق علـيهم الشامان، لأن السماء والأرض تمتلئان بالأرواح الـشريرة والخيـرة ولا يمكن السيطرة عليها إلا بواسطة الشامان[4] على حسب ظنهم؛ لذا كـان

---

(١) سعد زغلول عبدالحميد: الترك فى العـصر الإسـلامى، ص١٩٤؛ بارتولـد: الترك، ص٢٨-٢٩.

(2) M. Ripinsky: Op.Cit., pp.57- 58; The Editors of Tim- Life Books: The Mongol Conquests, p.12.

(٣) حسين مجيب المصرى: الأسطورة بين العرب والترك والفرس، ص١٣٧.

(٤) البيرونى: تحقيق ما للهند من مقولة، ص٣٠؛ سعد زغلول: الترك فى العـصر الإسلامى، ص١٩٤.

لكهنة الشامانية خبرة بالسحر والتنجيم والتنبؤ بالمستقبل هذا بجانب كونهم أطباء مهرة يشفون بالتعزيم والسحر وبعض التركيبات، وبمرور الوقت سيطر الشامان على عقول الناس واحتلوا مكانة مرموقة داخل المجتمع ولدى الحكام[(١)]، ورأى البعض أن جنكيزخان كان على دين الشامانية مثل أسلافه الأقدمين، لكنه في الوقت نفسه لم يكن يتعصب لدين بعينه[(٢)].

أما البوذية فتنسب إلى (جوتامابوذا) الذى ولد فى عام ٥٦٠ق.م، وتوفى فى عام ٤٨٠ق.م، ولم تكن كلمة بوذا اسمًا على شخص وإنما هو لقب شرقى معناه: الحكيم أو المستنير أو ذو البصيرة النفاذة وقد عرف المغول هذا المعتقد مع توسعاتهم الخارجية وعلى الأخص فى بلاد الصين، واللافت للنظر أن المغول لم يجتمعوا على دين ومعتقد واحد بل كانت طوائفهم تعتنق ديانات ومعتقدات مختلفة[(٣)].

وكان للبوذية نصيب وحظ فى الانتشار بين فئات عديدة من المغول وخاصة من أقام منهم بالصين وكانت هناك ثلاثة معابد للبوذية، وهذه المعابد كانت تدار من خلال النظام الكهنوتى ورجال الدين الذين كانت لهم سلطة روحية على متبعيهم[(٤)].

---

(١) محمد مرسى الشيخ: أوروبا والتتار، ص١٧٤؛ جورجى زيدان: طبقات الأمم، ص١٤٥؛ Hung William: Op.Cit., p.440.

(٢) فؤاد الصياد: المغول فى التاريخ، ص٣٣٥.

(٣) شيرين بيانى: دين ودولت "در ايران عهد مغول"، جلد دوم حكومت ايلخانى، مركز نشردا نشگاى، تهران، ١٣١٧، ص٤٣٣؛ الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامى، الطبعة الثانية، الرياض، السعودية، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص١٠٧- ١٠٨.

(٤) كاترمير: مقدمة كاترمير، المجلد الثانى، جـ١، ص١٣٣؛ Rockhill- Jackson: The Journey of William, p.15.

وكانت لدى البوذيين شهرة الاتحاد مع الأرواح، والكاهن البوذى يتنبأ بالمستقبل للأطفال حديثى الولادة وفى حالات المرض، وظن المغول البوذيون أيضًا أن الكاهن البوذى يهدى الأرواح الشريرة ويستخدم قوته ليمنع الجفاف والعواصف وليساعد فى تحقيق نجاح عسكرى[١].

وانتشرت البوذية وذاعت فى مناطق عديدة فى منغوليا والتبت واحتل كهنتها مكانة مرموقة وسط مجتمعهم وأقنع الكهنة متبعيهم بأن لديهم المقدرة على الكلام مع الرب والاتفاق معه على خدمة البشرية[٢]، وزادت مكانة الكهنة بين خانات المغول بسبب إجادة هؤلاء الكهنة للسحر والشعوذة والكيمياء والفلك والنجوم، وعرف عن خانات المغول شغفهم وولعهم بهذه العلوم[٣].

وقد كان لطريق الحرير أهمية دينية بجانب أهميته التجارية حيث اتخذه بعض الزوار طريقًا لزيارة المعابد البوذية والاستماع إلى كهنتهم فى مناطق عديدة[٤] ونتج عن ذلك التقاء بعض الأفكار ودخول أفكار جديدة مسيحية الأصل مما أوجد طقوسًا كثيرة يشوبها بعض التعقيد بين البوذيين المغول؛ خاصةً المتواجدين منهم بالصين[٥].

---

(١) القزوينى: تاريخ كَزيده، جلد أول، ص٥٠؛
Paul Ratchnevsky: Genghis, p.98.

(٢) ج. هـ. ايليف: "فارس والعالم القديم" ترجمة محمد صقر خفاجة، بحث منشور ضمن كتاب تراث فارس كتبه لأساتذة من المستشرقين، أشرف على نشره أ.ج أربرى ، راجعه يحيى الخشاب، دار إحياء الكتب، القاهرة، ١٩٥٩م، ص٥٥؛
Paul Ratchnevsky: Op.Cit., p.98.

(٣) رشيد الدين الهمذانى: تاريخ أبناء هولاكو، المجلد الثانى، جـ٢، ص١٥٨.

(٤) على أبوعساف: طريق الحرير، ص٧٩.

(٥) كامل سعفان: معتَقدات آسيوية، ص٣١٦؛ صلاح مصطفى الفوال: الحضارات القديمة، ص١٨٢.

أما عن أبرز معتقدات وتعاليم البوذية، فيتجلى في إيمانهم بأن بوذا ابن الرب واعتقادهم في تناسخ الأرواح، وكانت عندهم عادة الدفن في التوابيت وأحيانًا في وضع الجلوس وكانت تدفن مع المتوفى الأسلحة والخيول والطعام وعديدٌ من الأشياء الأخرى، ولديهم مجموعة من التعاليم من أبرزها تحريم قتل الإنسان، فقد قال بوذا: على حسب ظنهم في وصاياه، لا تقضِ على حياة حي، لا تسرق ولا تغتصب، لا تكذب، لا تتناول مسكرًا، لا تزن، لا تأكل طعامًا نضج في غير أوانه، لا ترقص ولا تحضر مرقصًا ولا حفل غناء، لا تأخذ ذهبًا ولا فضة، وهم يرون الرذائل أصولها ثلاثة: الاستسلام للملذات والشهوات، وسوء النية في طلب الأشياء، والغباء وعدم إدراك الأمور على وجهها الصحيح(١).

ومن أبرز من اعتنق هذا الدين من خانات المغول العظام قوبيلاى خان الذى أخلص في عقيدته وعمل على نشرها بين المغول(٢).

وقد عرفت الوثنية وعبادة الأصنام طريقها إلى المغول وعرف عن بعض الخانات العظام أنهم من عبدة الأصنام وكانوا يذهبون إلى معابد الأصنام لمدة سبعة أيام يدعون ويتعبدون في انعزال عن الناس(٣) وكان المغولى يضع أمام مسكنه تمثالاً يرمز لإله الأرض ويدعى "ناآكَى" ويخصه بالعبادة بعد الإله العظيم وهناك صنم آخر يدعى "ناتيكَى" وهو إله المحاصيل والوفرة(٤).

---

(١) David Morgan: The Mongols, pp.118- 122;
الموسوعة فى الأديان والمذاهب، ص١٠٩.

(٢) خليل مطران: مرآة الأيام، ص٥٦؛ Rockhill- Jackson: Op.Cit., p.16.

(٣) رشيد الدين الهمذانى: خلفاء جنكيزخان، المجلد الأول، ص٣٢٤؛ الكلبى: الأصنام، ص٢٢؛ السويدى: سبائك الذهب، ص٣٠.

(٤) ابن الشحنة: روض المناظر، ص٦٤؛ Novgorod: Op.Cit., p.136.

أما الأصنام الموجودة داخل الخيمة فكانت ثلاثة مصنوعة من اللباد تشبه العرائس الصغيرة، فكان أحد هذه الأصنام يعلق فوق رأس كبير الأسرة ويسمونه أخا سيد البيت، وكان الصنم الثانى يعلق فوق رأس سيدة البيت ويسمونه أخا السيدة، وأما الثالث وهو صنم صغير ويعلق بين الصنمين بغية الحفاظ على جميع سكان الخيمة، وصنع المغول أصنامًا أخرى من اللباد فى صورة الإنسان ووضعوها فى زوايا الباب كما كانوا يضعون تماثيل من اللباد فى شكل الضرع وكانوا يعتقدون أن هذه الأصنام تقوم بحماية الماشية والألبان، أيضًا بجانب وضعهم أصنامًا فى فراش الطفل أملاً فى شفائه وحمايته، أما القواد فكانوا يضعون جلد ذكر من الماعز وسط خيمتهم بصورة دائمة، رمزًا للرجولة والفحولة[١]، وظهر الاهتمام من قبل إيلخانات دولة مغول فارس بالأصنام؛ فقد بنى هولاكو خان عدة معابد لها فى مناطق عديدة[٢].

وقد ظهرت مجموعة من المغول يعبدون الكواكب والشمس ((فإنهم يسجدون للشمس عند طلوعها ولا يحرمون شيئًا .....))[٣]. وكانوا يؤدون الصلاة للشمس تسع مرات وهم يدقون صدورهم بقبضة أيديهم ويسكبون الشراب على الأرض وهم يتلون أدعية خاصة[٤].

---

(١) أحمد عبدالعزيز بقوش: المجتمع المغولى، ص١٩٧- ١٩٨؛
Dawson: The Mongol Mission, pp.93- 98.

(٢) رشيد الدين الهمذانى: الإيلخانيون تاريخ هولاكو، المجلد الثانى، جـ١، ص٣٣٧؛ ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص٦٢٨.

(٣) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، جـ٧، ص٥٧١.

(٤) البغدادى: الفرق بين الفرق، ص٣٠٤؛ ابن العميد: أخبار الأيوبيين، ص٧؛ شيخ فرخ خاتون استى: منظومة، ص٢٧.

وكانت أعيادهم عند نزول الكواكب الخمسة المتحيرة على حسب اعتقادهم وهى زحل والمشترى والمريخ والزهرة وعطارد فى بيوت شرفها ويوم النزول يحدد بواسطة كاهنهم المتخصص فى الفلك والتنجيم وهم يعظمون ذلك اليوم ويلبسون فيه أفخر ثيابهم وهو عندهم من أعظم الأعياد، وكانوا يبنون الهياكل وتجعل لها أعياد بحسب الكواكب التى بنيت على اسمها الهياكل[١] .

أما عن المجوسية وعبادة النار فقد اتبعها القليل من المغول الذين أعطوا للنار قدسية ومهابة واحتل كهنة هذا المعتقد مكانة عالية لدى متبعيهم وكانوا لا يقدمون على أى فعلة إلا بعد مباركتها من قبل الكهنة والحصول على الموافقة، وفى المقابل يحصل الكهنة على العطايا والهدايا[٢]. هذا بالإضافة إلى العديد من المعتقدات الأخرى التى ظهرت بين المغول ومنها المانوية، الزارادشتية، والكونفوشيوسية.

واللافت للنظر أن المغول برغم اختلاف معتقداتهم فقد اتفقوا على تقديس بعض الأشياء وإعطائها أهمية خاصة ومن ذلك تقديسهم للنار لكونها مصدر الضوء والحرارة والتى كانت تستخدم من قبل الكهنة فى التطهير من الأرواح الشريرة[٣].

---

(١) القلقشندى (الشيخ أبى العباس أحمد): صبح الأعشى وصناعة الإنشا، جـ٢، الطبعة الثانية، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٢٤٦هـ/ ١٩٢٨م، ص٤٣٩.

(٢) القرمانى: أخبار الدول وآثار الأول، ص٢٨٧؛ ابن عرب شاه: فاكهة الخلفاء، ص٥٤٩؛

محمد جواد مشكور: دينكرد، مشتمل برشرح بخشهاى دينكرد، تاريخ أوستاد أدبيات دينى بهلوى، طهران، ١٣٢٥، ص٥٣.

(3) Rockhill: Op.Cit., p.70; سعد الغامدى: المغول بيئتهم الطبيعية، ص١٣١.

ومن العناصر التى قدسها المغول الحديد لقوته وأهميته فى صنع مستلزماتهم الحربية فقدسوه وتسموا به وأبرز من حمل اسمه معنى الحديد القوى الصلب الخالص كان تيموجين (جنكيزخان) فكانت لديهم رغبة فى أن يُنسبوا إلى الحديد[١]. ونال الماء كذلك حظه من التقديس من قبل المغول لاعتقادهم أن الأرواح تسكن الأنهار والمياه العذبة لذا وجب عليهم حفظ الماء من التلوث وحرموا غسيل الثياب والاستحمام فيه كما أنهم منعوا المسلمين من الوضوء في الجداول والمياه الجارية عندما دخلوا بلادهم وجعلوا لمن يخالف ذلك عقوبات قاسية[٢].

وقد قدس المغول الذئب واعتقدوا أنهم أحفاد الذئب فهو جدهم الأسطورى واتخذ الترك الغربيون الذئب شعارًا لهم فكانوا يضعون فى قمة سارية رايتهم رأس ذئب من ذهب واعتقد المغول أيضًا أنهم أحفاد "ألان جوا" Alangoa التى حملت بطريقة إعجازية عن طريق شعاع من النور وعلى ذلك اعتقدوا سمو أصلهم النورانى[٣].

وهناك العديد من المقدسات الأخرى ومنها قمم الجبال والخشب والأرض والمعدن والشجرة وكل ما خاف منه المغولى أو اعتقد أن بداخله أسرارًا وشرورًا وكرامات، فعلى سبيل المثال كان تقديس الأشجار لا يأتى إلا لبعض الأشجار التى ارتبطت بذكرى معينة لديهم، والغريب أن تقديس الشجرة اتبعه بعض إيلخانات مغول فارس المسلمين ومنهم غازان محمود (٦٩٤ – ٧٠٣هـ/ ١٢٩٥ – ١٣٠٣م)، فلقد خرج عليه أكبر قادته الأمير نوروز وأعلن تمرده فى عام ٦٩٦هـ/ ١٢٩٧م فخرج غازان عند حدود

---

(1) Howorth: History of the Mongols, I, p.2.

(٢) سعد زغلول: الترك والمجتمعات، ص٨٠.

(٣) نفسه، ص٨١.

كرمانشاه وجلس تحت شجرة ودعا الله طالبًا النصر ثم نذر قائلاً: ((إننى إذا انتصرت على العدو، فسوف أجعل هذه الشجرة مزارًا وأزينها بالأقمشة الملونة الجميلة)) فنصره الله فما كان منه إلا أن وفى بنذره وأخذت هذه الشجرة قدسية خاصة(١).

ومن الممنوعات والمحرمات لدى المغول تسمية المولود باسم شخص متوفى حتى الجيل الثالث بعد موته، وغسل الثياب أو الجسد فى الماء خلال فصلَىْ الربيع والصيف، وصيد صغار الطيور(٢).

ونخرج مما سبق بشىء مهم وهو أنه رغم تعدد المعتقدات والمعبودات لدى المغول لم نلحظ عليهم أى تعصبات دينية داخلية فأتباع كل عقيدة يفعلون ما يروق لهم دون خوف أو تردد وهذا يدل على أن المغول كان لديهم قبول للآخر فى تلك الفترة المبكرة من تاريخهم، ولم يدخلهم فكرهم الدينى فى أى صراع أو فتنة طائفية.

أما عن أبرز الطقوس والاحتفالات الدينية ومراسم الدفن فقد مارس أهل كل عقيدة طقوسهم على حسب تعاليم ووصايا دينهم واتفق الجميع على أن الروح تأخذ طريق شعاع الشمس فى الصعود إلى السماء وتسير فى خط مستقيم أما الغريق فإنهم يضعون جيفته على سرير بجوار الشاطئ ويعلقون حبلاً فى رقبة المتوفى ويرمون طرف الحبل فى الماء لتصعد به روحه(٣).

وكان المغول يقومون بطقوس دينية خاصة فى أثناء صعود الروح إلى السماء من صلاة وتعاويذ واتباع أوامر الكاهن فيما يطلبه منهم

---

(١) رشيد الدين الهمذانى: تاريخ غازان، ص١٧٨؛
Howorth: Op.Cit., III, p.463.

(٢) أحمد عبدالعزيز بقوش: مرجع سابق، ص٢٠٨.

(٣) البيرونى: تحقيق ما للهند، ص٤٧٩.

تجنبًا لخطر الأرواح الشريرة وفى ظنهم أن الأرواح تصعد إلى السماء بعد ثلاثة أيام من الموت ولا تتم زيارة الميت إلا فى اليوم السابع من الوفاة أو الرابع عشر أو الواحد والعشرين أو التاسع والأربعين وتتم الزيارة فى سرية حتى لا ينكشف موضع الدفن الذى يعتبره المغول سرًا لا يجب أن يباح به[١].

واعتقد المغول أنه عندما تصل الحيوانات مثل العقبان والكلاب البرية إلى الجثة وتأكلها بشكلٍ سريع فإن هذا يعنى أن الروح كانت بريئة وصافية وطاهرة وقد وصلت إلى السماء وهى متجددة وأن صاحبها صافٍ ونظيف[٢].

وقد كانت لدى المغول قدسية للحاكم كانت تزداد بموته فأقام المغول صنمًا من القماش الملون لجنكيزخان بعد موته، ووضعوا هذا الصنم أمام خيامهم، وكانوا يقدمون إليه الصدقات والنذور وكان السحرة ورجال الدين يسهرون على حراسته ومراقبته وكانوا يعاقبون من يتطاول على هذا الصنم أو يسرق الأموال التى تقدم إليه بالموت[٣].

وكان هناك احتفال دينى يقيمه المغول كل عام وهدفوا من خلاله تقديم القرابين إلى آلهة الجبل وكان هذا الاحتفال يأخذ شكل ممارسات رياضية عديدة فضلاً عن ذبح الشياه والخيول والإبل التى كانوا يتقربون بها إلى الآلهة[٤].

---

(1) Sain Jirgal and Sharaldai: Op.Cit., p.23; Rockhill: Op.Cit., p.30.

(2) Haslund, H: Mongolian London, 1949, p.173 Net.

(٣) أحمد عبدالعزيز بقوش: مرجع سابق، ص١٩٩؛
M. Haider: The Mongol, p.66.

(4) Rossabi Mortis: Nadaam Festival, The Center Four the Study of Eurasian Nomads, 2004, p.5.

وقد أقام المغول حفلاً للمتوفى، وإبان هذا الحفل يُجمعْ كل ما كان المتوفى يفضله فى الدنيا ليدفن معه بجانب كل احتياجاته وعلى حسب مكانته تزداد احتياجاته وبالطبع يدفن معه حصانه وأسلحته وجواريه[١].

وقبل التطرق إلى مراسم الدفن نتعرف على شكل المقابر عند المغول فقد كانوا يدفنون موتاهم فى أماكن غير معروفة ولم يظهر شاهد لمقابرهم وهكذا فعل إيلخانات دولة مغول فارس الأوائل إلا أن غازان محمود خالف ذلك فهو أول من دُفن فى مقبرة ظاهرة[٢].

وكانت المقابر فى المجتمع المغولى ثلاثة أنواع، أولها عبارة عن مقابر عامة الناس حيث يدفن مع المتوفى بعض احتياجاته فى العالم الآخر، ثم تأتى مقابر علية القوم وكبار المجتمع وهى عادة ما كانت أكبر فى السعة والحجم ويدفن فيها الكثير من الخدم والجوارى مع المتوفى لخدمته فى العالم الآخر بجانب دفن كل احتياجاته، ثم يأتى النوع الأخير وهو مقابر الخانات وهى أكبر حجمًا من سابقتَيْها ويدفن فيها مع الخان ما تشتهى الأنفس بالإضافة إلى قتل ودفن كل من يقابل موكب الجنازة فى أثناء سيرها[٣].

وسرية موضع الدفن لم تكن مفروضة على كل المغول بل كان المكان معروفًا لدى أهل المتوفى وأصدقائه والأسرة الحاكمة وإن مسألة سريتها تنطبق على عامة المجتمع فقط ويفرض سياج من السرية التامة على الأجانب والغرباء[٤].

---

(1) Jin Jones: The Mongol Terror 1212 to 1405 and the Ilkhans of Persia London, p.13; Rockhill, Jackson: Op.Cit., p.2.

(٢) القزوينى: تاريخ كَزيده، جلد أول، ص٦٠٦.

(٣) سعد الغامدى: المغول بيئتهم الطبيعية، ص١٤٩- ١٥٠.

(4) Carpini: History of the Mongols, Ed, Dawson, p.13.

أما عن مراسم الدفن فكان المغول يقيمون برَشّ المتوفى بالماء بواسطة كأس وقبل أن يتم تهيئته للدفن، ويقوم بعملية رش الماء أفضل الموجودين وأعلاهم مكانة[١] وبعد الانتهاء من ذلك يكفنونه بأحسن الملابس واضعين معه الكنوز الذهبية والأحجار الكريمة[٢] .

ويعقب ذلكَ خروج النائحاتِ ينُحْن ويندبن ويعم الحزن جميع أهل المتوفى، ويعفى أهله من دفع الضرائب فى العام الذى توفى فيه ميتهم ويبدأ الجميع فى الخروج من أجل تشييع جثمان المتوفى ويتم ذلك فى الصباح الباكر وعلى حسب الأيام التى يحددها الكاهن وفى الغالب تكون (الاثنين ، الأربعاء، الجمعة) وإذا كانت الوفاة فى يوم يخالف هذه الأيام ينتظرون أقرب يوم للمتوفى وعلى حسب رأى الكاهن[٣].

وبعد ذلك يتم وضع جثة المتوفى على عربة وتسحب بالحصان وعائلته تصاحب الموكب الجنائزى ويتم القبض على كل ما يمر عليه الموكب الجنائزى ويقتل حتى يصاحب المتوفى فى العالم الآخر ويكون فى خدمته وهذا الأمر يتم فى حالة كون المتوفى من علية القوم[٤].

وعند الوصول لمكان الدفن يكون اللَحاد قد قام بحفر حفرة كبيرة كهيئة البيت وتتسع وتضيق هذه الحفرة بحسب حالة أهل المتوفى ويقوم اللحاد بإتمام عمليات الدفن وفى حالة كون المتوفى رجلاً يدفن على الجانب الأيمن، أما النساء فيدفنَّ على الجانب الأيسر وأيديهن تحت رؤوسهن وتحاط الرأس بالأحجار كما تستعمل الأحجار كوسادة للميت، وفى نهاية الأمر يتقاضى اللحاد راتبه من أهل المتوفى[٥].

---

(1) Rockhill, Jackson: Op.Cit., p.5.

(٢) محمود محمد زيادة: مجتمعات إسلامية، ص٧٨.

(3) Lessing F. D: Mongolian – English Dictionary, Bloomington, 1973, p.477; Rockhill, Jackson: Op.Cit., p.12.

(4) Howorth: Op.Cit., III, p.142; Haslund: Mongolian, p.167.

(٥) ابن فضلان: رسالة، ص٥١؛ سعد زغلول عبدالحميد: الترك والمجتمعات، ص٧٨. Haslund: Op.Cit., p.167.

أما المجوس من المغول فاعتادوا على حرق موتاهم بعد مـوتهم وتجميع الرماد ودفنه، هذا وقد صاحب عمليـات الـدفن ترتيـل بعـض الأشعار الدينية ذات الصلة الوثيقة بمعتقداتهم الدينية، وكثيرًا ما تنشد على قبور الموتى لتسعد بها أرواحهم فكان الشعراء ينظمون شعرهم فى الدين، واتبع معظم المغول عادة ترتيل الأشعار الدينية على اختلاف معتقداتهم(١).

وقد كانت زيارة الكاهن للمتوفى من الطقوس والمراسـم الدينيـة التي لا يمكن الاستغناء عنها؛ لأنه يحدد على حسب معتقداتهم وظنهم أن الروح صعدت إلى السماء أم لم تصعد خلال ثلاثة الأيـام الأولـى، وإذا وجد أن الروح لم تصعد لعجزها عن إيجاد جسم جديد فيـذهب و يقـيم صلواته وعباداته حتى تعرف الروح طريقها للسماء(٢).

هذا بجانب العديد من العادات والمراسم الدينية التى سبق الحديث عنها فى فصل النظم الاجتماعية وكان منها: ((اختيار أربعين فتاة حسناء من بنات الأمراء اللاتى كن يلازمن الخان إبان حياته، ويلبسوهن فـاخر الثياب ويزينوهن بالجواهر الكريمة ثم يركبن على جياد أصـيلة ويقـتلن حتى يرسلن إلى العالم الآخر لملازمة روح الخان))(٣).

وقد كانت كل معلومات مغول فارس عن العالم الآخر لا تتجاوز معلومات الآباء والأجداد؛ حيث اعتقدوا أن المرء المتوفى سيعيش حيـاة ثابتة في عالم ثانٍ وأن مواشيه وحيواناته ستزداد وتتضاعف، وأن حيـاة الآخرة لن تختلف عن حياة الدنيا فى شيء ومكانته فى الآخرة كمكانته فى الدنيا وأنه سيأكل ويشرب ويقوم بجميع الأعمال التى كان يقوم بها فـى الحياة الدنيا، وستصبح له أسرته، هذا كان ظنهم عن عالمهم الآخر(٤).

---

(١) حسين المصرى: الأسطورة، ص١٣٨.

(2) Haslund: Op.Cit., p.173.

(٣) رشيد الدين الهمذانى: خلفاء جنكيزخان، المجلد الأول، ص٣٠.

(4) Carpini: Op.Cit., p.12.

ثانيًا: التنافس بين الأديان نحو اكتساب مغول فارس:-

بعدما ظهر المغول كقوة حربية عظيمة لا تضاهيها قوة في ميادين الحرب والقتال وفي أثناء خروجهم لغزو الشعوب المجاورة لهم، نجدهم سرعان ما تأثروا بمدنيات هذه الشعوب وخرجوا عن بداوتهم الأولى حيث وجدوا أنفسهم جنبًا إلى جنب مع أصحاب المعتقدات المختلفة والديانات السماوية[١]، وعلى الجانب الآخر سعى أصحاب تلك الديانات بشكل دؤوب في محاولات عديدة لاستقطاب المغول، خصوصًا أن المغول كانوا قد أقاموا دولتهم بفارس (الدولة الإيلخانية) بداية من عام ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م، وأصبحوا يعيشون وسط أصحاب ودعاة هذه الديانات[٢].

وكانت البوذية أبرز الديانات التي تنافست على جذب المغول ومحاولة اكتسابهم، وهي الديانة التي لم يعتنقها إلا قلة منهم تلتها المسيحية ثم الإسلام، وكانت هناك عدة عوامل أدت إلى التنافس بين الديانات الثلاثة ومنها:

مسألة التسامح الديني لمغول فارس ونظرتهم إلى رجال الدين على أنهم خدام الله وعبيده، وتحريم الكذب، والزنا، والسرقة وغير ذلك[٣].

وقد جاء في "الياسا" التي آمن بها وطبقها المغول بصفة عامة ومغول فارس وإيلخاناتهم الأوائل بصفة خاصة عدة بنود تحض على قبول الآخر والتسامح الديني ومنها على سبيل المثال:

---

(١) عادل إسماعيل هلال: المغول وأوروبا، ص١٦٧.

(٢) سير توماس، أرنولد: الدعوة إلى الإسلام، ص٢٥٠.

(3) Carpini: Op.Cit., p.14; سعد الغامدي: المغول بيئتهم الطبيعية، ص١٣٠.

١- يجب أن ينظر إلى كافة الأديان نظرة احترام وتقديس، ويكون هناك قدر من المساواة فلا يفضل دين على آخر أو تحابى ملة على غيرها.

٢- يعامل رجال كل ملة وخدامها بكل احترام وتقدير، ويعفون من جميع الخدمات التى يقدمها الأفراد العاديون إلى الدولة، لأنهم شفعاؤنا عند الله (حسب زعمهم).

٣- يجب أن ينظر إلى أماكن عبادة كل دين نظرة إجلال وتقديس.

٤- يعفى من الضرائب ومن الخدمات العامة التى تقدم للدولة، جميع المنقطعين لعبادة الإله الأبدى، الخالد، الباقى، لأنهم نذروا حياتهم للزهد، والتنسك، والتعبد لله وهذا الأمر يتضمن من المسلمين: أئمة المساجد، وخدامها، والقائمين عليها، والمؤذنين والقراء والمعلمين للقرآن والحافظين له والمنقطعين للعبادة، وتشمل من فى حكمهم من أتباع الأديان الأخرى، وكذلك كل من يقوم على إعداد القبور، وتهيئة الموتى وإعداد الجنائز والترتيب لها لمواراتها فى مثواها الأخير كتغسيل الميت وتحنيطه، وتكفينه، والإشراف على مواراته، ومن فى حكمهم من أصحاب الديانات الأخرى[١].

ولكن الملاحظ أن المغول كانوا يقولون ما لا يفعلون فى كثير من الأحيان فقد لاقى العالم الإسلامى ومعه المشايخ والمساجد أشد أنواع العذاب والتنكيل فى هجمات جحافل المغول على بلاد المشرق الإسلامى

---

(1) Morgan: The Great Yasa, p.167;

سعد الغامدى: الياسا، ص١١٢؛ سعد الغامدى: المجتمع المغولى، ص٦٧- ٦٨.

وتم تدنيس المساجد والمصاحف وقدمت المصاحف إلى الخيول، وقام العلماء والمشايخ وكبار الفقهاء على خدمة رجال المغول وخدمة خيولهم، وخير شاهد على ذلك ما حدث في مدينة أترار ٦١٦هـ/ ١٢١٩م، وبخارى ٦١٦هـ ١٢١٩م، وسمرقند ٦١٧هـ/ ١٢٢٠م وإن ظهرت بعض ومضات من قبول الآخر والتسامح الدينى مع استقرار المغول داخل المجتمع الإسلامى وقيام دولتهم الإيلخانية ببلاد فارس.

ومن أبرز مظاهر التسامح الدينى عند مغول فارس أنهم تركوا لشعوب البلاد التى غزوها وأخضعوها تحت نفوذهم، الحرية فى انتهاج الدين الذى يرتضونه، فلم يشهد لهم ولم يثبت عليهم أنهم أجبروا مجتمعًا أو أمة من الأمم على اعتناق الديانة المغولية الأكثر ذيوعًا بينهم وهى الشامانية، ورغم سياسة التعذيب والتنكيل التى اتبعوها إلا أنهم لم يدعوا لدينهم(١).

ويرى الباحث أن التسامح الدينى وقبول الآخر مردوده إلى التربية الدينية التى تربى عليها المغول حيث انتشرت بينهم مجموعة كبيرة من المعتقدات التى تشابهت فى بعض طقوسها واختلفت فى تعاليمها فكان لزامًا على المغولى أن يتعايش مع الآخرين وأن يكون هناك نوع من العولمة الدينية – إن جاز لنا التعبير – تستمد قوتها من قبول الآخر.

ولوحظ على إيلخانات دولة مغول فارس عقدهم لاجتماعات دينية فى مجالس مخصصة لذلك يحضرها رجال من جميع الديانات السماوية وغير السماوية وتدار بينهم المناظرات فكان كل عالم فى دينه لديه الكثير من الحجج والبراهين على صحة معتقده فيبذل قصارى جهده من أجل

---

(1) Carpini: Op.Cit., pp.13- 14.

تحقيق النصر على خصومه، ولم يثبت أن يتعصب الإيلخان لدين معين ضد آخر بل كان يصدر أوامره قبل أن تبدأ المناظرة الدينية بألا يسيئ أحد إلى أحد وعلى الجميع أن يحترم بعضهم بعضا ولا يسمح بالوشاية(١) ((فقد جاء أعرابى ذات يوم إلي الخان وكان من المنكرين للإسلام وجثا على ركبتيه وقال ((لقد رأيت جدك جنكيزخان فى المنام، فقال لى: ((أبلغ ابنى أن يكثر القتل فى المسلمين، لأنهم أناس فى غاية السوء)) ففكر الخان برهة ثم قال: ((هل تكلم معك بلغته أم بواسطة مترجم ؟! ...)) قال: بلغته، فسأله الخان: أتعرف المغولية ؟! أجاب: لا، فقال الخان : أنت تكذب دون ريب إذ إننى على يقين من أن جنكيزخان لم يكن يعرف لغة أخرى سوى المغولية وأشار الخان بقتله))(٢) وهذا لا يعنى أن مغول فارس كانوا متسامحين على طول الخط، فعرف عنهم محاباة فئة دون أخرى والضغط على طائفة لصالح أخرى فى أحايين كثيرة وحسب مقتضيات الأمور(٣).

واللافت للنظر أن إيلخانات دولة مغول فارس اعتادوا حضور الاحتفالات الدينية الخاصة بالمسلمين والمسيحيين والبوذيين ضماناً لالتفاف الجميع حولهم وتأييدهم لهم(٤) وفى بعض الأحيان أقام إيلخانات المغول احتفالات حضرها ضيوفهم من المسلمين وقدموا لهم الماشية المذبوحة وفقًا للشريعة الإسلامية رغم تحفظ المغول على هذا الأمر

---

(1) William Rubruck: The Journey, Op.Cit., pp.189- 195;
Horold Lamb: Genkhis Khan, p.105; الدلجى: الفلاكة، ص١٥٥.

(٢) رشيد الدين الهمذانى: خلفاء جنكيزخان، المجلد الأول، ص٧٦.

(٣) القلقشندى: صبح الأعشى، جـ١، ص٢٩٤؛
Dawson: Mission to Asia, Toronto, 1998, p.26.

(٤) عادل إسماعيل هلال: المغول وأوروبا، ص١٦٧.

ولكنهم حاولوا أن يظهروا نوعًا من العطف والتسامح واحترام الآخرين، وإن أضمر بعض الإيلخانات الكراهية للمسلمين بسبب زوجاتهم المسيحيات أو وزرائهم لكن هذا لا ينفى تسامح الآخرين(١).

واتسمت سياسة إيلخانات مغول فارس بالتسامح الدينى أمام مختلف الأديان والطوائف شريطة أن يعلنوا خضوعهم التام لهولاكو ومن يعقبه من إيلخانات ولا يخرجون عليه، وبذلك يضمنون عدم التعرض لهم ولا لمقدساتهم بأى أذى(٢)، وكانوا يضربون بيد من حديد على كل من تسول له نفسه أن يستخف بالإسلام أو بغيره من الأديان من خلال قولٍ أو فعلٍ أو عمل أو حتى تسلية تحمل إساءة لأى دين(٣).

ونتج عن تلك السياسة التسامحية التى كان ينتهجها إيلخانات دولة مغول فارس ورجالهم أن اختلطوا بطوائف المسلمين والمسيحيين واليهود مما كان له أكبر الأثر فى انتشار وذيوع تعاليم ومبادئ هذه الأديان بين مغول فارس فأسهم ذلك بشكل كبير فى اعتناق الإيلخانات لهذه الديانات ومعهم بعضٌ من رجالهم ووجهاء مجتمعهم(٤).

وكان من ضمن العوامل التى أشعلت المنافسة بين المبشرين والدعاة من أتباع الديانات الثلاث (المسيحية – البوذية – الإسلام) تأثير **الزوجات المسيحيات على إيلخانات مغول فارس** فهولاكو (٦٥٤ – ٦٦٤هـ/ ١٢٥٦ – ١٢٦٥م) إيلخان دولة مغول فارس كانت أمه

---

(1) D'ohsson: Op.Cit., T 2, p.300.

(2) M. Haider: Op.Cit., p.79.

(٣) رشيد الدين الهمذانى: خلفاء جنكيزخان، المجلد الأول، ص٧٥.

(٤) سعد الغامدى: المغول بيئتهم الطبيعية، ص١٣٣؛ على السيد: مشاهدات، ص٢١.

مسيحية، وكذلك زوجته دوقوزخاتون (طقزخـــاتون) Dokus Khatun مسيحية نسطورية وكان المسيحيون ينظرون إلى هولاكـــو رغـــم عـــدم اعتناقه المسيحية وإلى زوجته كما لو كانا قسطنطين الجديد وهيلينا، وقـــد دفعته زوجته بما كان لها من نفوذ إلى أن يظهـــر عطفًـــا شـــديدًا علـــى المسيحيين وعلى النساطرة منهم بوجه خاص، ومن ثـــم اعتنـــق بعـــض المغول وخاصةً الذين احتلوا بلاد إرمينيا وجورجيا الدين المسيحى(١).

وقد كان لمحاباته المسيحية تأثيره السياسى الكبير عليه؛ إذ أمـــده مسيحيو الأرمن والكرج بالمساعدات اللازمة لاستيلائه على بغداد، هـــذا بجانب كون قائده وأقرب رجاله إليه كتبغا مسيحيًا فكان لذلك أثـــره فـــى سقوط بغداد عام ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م(٢).

وعندما خلف آباقاخان أباه هولاكو على عرش دولة مغول فارس الإيلخانية (٦٦٤ - ٦٨٠هـ/ ١٢٦٥ - ١٢٨١م) صار على نهج أبيه فقد كانت أمه مسيحية وكانت زوجته أيضًا مسيحية فهـــى ابنـــة إمبراطـــور القسطنطينية ورغم أنه لم يعتنق المسيحية إلا أن بلاطه امتلأ بالقـــساوسة ورجال الدين المسيحى وحضر أعيادهم واحتفالاتهم واستقبل سفراءهم مما ساعد على انتشار المسيحية بين قلة من رجاله(٣).

---

(١) رجب محمد عبدالحليم: انتشار الإسلام بين المغـــول، دار النهـــضة العربيـــة، القاهرة، ١٩٨٦م، ص٣٣- ٣٤.

(٢) رشيد الدين الهمذانى: الإيلخانيون تاريخ هولاكـــو، المجلـــد الثـــانى، جــــ١، ص٢٢٠.

(٣) رشيد الدين الهمذانى: تاريخ أبناء هولاكو، المجلد الثـــانى، جــــ٢، ص١٢٤؛ شيرين بيانى: مرجع سابق، ص٣٧٣؛
M. Haider: Op.Cit., pp.64- 65.

وقد سار أرغون إيلخان دولة مغول فارس (٦٨٣ - ٦٩٠هـ/ ١٢٨٤ - ١٢٩١م) وتولى بعد مقتل عمه أحمد تكودار عام ٦٨٣هـ/ ١٢٨٤م على سياسة أبيه آباقاخان من العطف على المسيحيين الذين استردوا مكانتهم من جديد بعد القضاء على أحمد تكودار الخان المسلم، ولاقى المسلمون فى عهد أرغون كثيرًا من أنواع الاضطهاد؛ حيث صرفوا عن مناصبهم التى كانوا يشغلونها فى القضاء والمالية، كما حرم عليهم الظهور فى بلاط الخان، وتعود هذه السياسة فى الغالب إلى أن هذا الخان قد تربى تربية مسيحية، فقد كانت أمه مسيحية، كما كانت زوجته مسيحية نسطورية فهى بنت أخى دوقوز خاتون زوجة هولاكو النسطورية، ولذلك ربى ابن هذا الإيلخان كوالده أرغون تربية مسيحية وعمد باسم نيقولا عام ٦٨٨هـ/ ١٢٨٩م تيمنًا باسم البابا نيقولا الرابع، وكان من المألوف فى تلك الآونة أن يربى بعض أبناء الإيلخانات تربية مسيحية، وأن يربى بعضهم الآخر تربية إسلامية[١].

وكان لجهود بعض الرعايا من المسلمين والوزراء والموظفين والكهان من المسيحيين والبوذيين تأثيره فى التنافس بين الأديان بغية اكتساب المغول ومن هذا المنطلق نرى أن من أثر اتصال الإيلخان تكودار (٦٨١ - ٦٨٣هـ/ ١٢٨٢ - ١٢٨٤م) برعاياه من المسلمين وعلمائهم ومشايخهم أن أدى إلى توطيد علاقته بهم وآل به الأمر فى نهايته إلى أن انشرح صدره وقلبه للإسلام فأعلن اعتناقه لهذا الدين عام ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م[٢]. وفور إعلان تكودار لإسلامه لقب نفسه بلقب السلطان "أحمد تكودار" فكان بذلك أول إيلخانى بدولة مغول فارس يعتنق الدين الإسلامى، قد سارع بإرسال كتاب بهذا الشأن إلى العلماء فى بغداد،

---

(١) رجب محمد عبدالحليم: مرجع سابق، ص٣٥- ٣٦.

(٢) عبدالمحمد آيتى: تاريخ وصاف، ص١١٠؛ براون: تاريخ الأدب فى إيران، ص٥٦٢.

وأعلن نفسه حاميًا لدين الإسلام وتابعًا للرسول صلى الله عليه وسلم، كما أمر ببناء المساجد وإقامة الشرع الحنيف على ما كان عليه زمن الخلفاء، فأثرت هذه الخطوة الموفقة تأثيرًا حسنًا فى نفوس الرعايا من المسلمين وساعدت على انتشار الإسلام بين بعض المغول(١).

وعادت الدولة المغولية بفارس إلى ما كانت عليه من نظم دينية بعيدة عن الإسلام بعد مقتل أحمد تكودار عام ٦٨٣هـ/ ١٢٨٤م وتولى أرغون زمام الأمور من بعده(٢).

وقد انتهز الوزراء والكهان المسيحيون والبوذيون فرصة تواجدهم فى بلاط المغول ومارسوا دورًا مهمًا فى التأثير على إيلخانات دولة مغول فارس فى ناحيتين: الناحية الأولى هى دعوتهم للتحول إلى الديانة البوذية أو الديانة المسيحية، والناحية الثانية هى تشجيعهم على ضرب الإسلام وغزو بلاده وممالكه ما أمكن(٣).

وقد علا شأن البوذية فى فارس إبان عهد هولاكو (٦٥٤ - ٦٦٤هـ/ ١٢٥٦ - ١٢٦٥م) وابنه آباقاخان (٦٤٤ - ٦٨٠هـ/ ١٢٦٥ - ١٢٨١م) بسبب قرب كهنة هذه الديانة منهما وعملهم بالسحر والفلك وهى علوم كان المغول مغرمين بها ونتج عن ذلك كثرة المعابد البوذية فى بلاد إيران ثم جاء أرغون وسار على سياسة أبيه وجده واستقدم رهبان هذه الديانة من الهند وتم اضطهاد المسلمين مقابل كسب ود البوذيين وكان من ضمن أسباب اضطهاد المسلمين من قبل أرغون تحزبهم والتفافهم حول منافسة أحمد تكودار فى الصراعات التى دارت بينهم من أجل الاستيلاء على العرش(٤).

---

(١) فؤاد الصياد: الشرق الإسلامى، ص١٢٥؛ سير توماس. أرنولد: مرجع سابق، ص٢٥٠.

(٢) عبدالمحمد آيتى: مصدر سابق، ص١١٠.

(3) Morgan: Mongols, p.41; رجب محمد عبدالحليم: مرجع سابق، ص٣٩

(٤) مصطفى طه بدر: مغول إيران بين المسيحية والإسلام، دار الفكر العربى، القاهرة، ت. ص١٤؛ D'ohsson: Op.Cit., T 2, pp.69- 208.

وعلى ضوء كل ما سبق نلحظ شيئًا مهمًا وهو أن الديانات الثلاث لم تنجح فى اكتساب المغول بشكلٍ كبير فرغم الجهود التى بذلها أتباع كل دين إلا أن الانتشار كان قليلاً والمتبعين أعدادهم محدودة، وفشلوا فى تحقيق تحول كبير فى ديانة مغول فارس وعلى أثر ذلك ضاعفت المسيحية من جهودها وكذلك الإسلام فى محاولة أخرى لكسب المغول إلى صفهم وتحولهم إلى ديانتهما.

وفشلت البوذية فى تحقيق تحول أعداد كبيرة من المغول إلى ديانتهم رغم اعتناق بعض إيلخانات دولة مغول فارس للبوذية أمثال هولاكو وابنه آباقاخان وكانت أسباب الفشل هى أن الإيلخانات البوذيين وقفوا موقف الحياد ولم يحاولوا فرض دين على حساب آخر(١).

حاول البوذيون جاهدين أن تكون دعوتهم الأساسية فى قراقورم ظنًا منهم أن تحول الخانات (الخاقانات) العظام إلى البوذية سيجعلهم يلزمون باقى المغول فى جميع البلدان على اعتناق هذه الديانة وهذا أوقعهم فى خطأ حيث كان الخانات العظام من أشد المتمسكين بمبادئ الياسا التى تنص على حرية الاعتقاد الدينى وعدم الميل والانحياز لدين على حساب الآخر مع الالتزام بالحياد الدينى(٢)، وأصبحت النجاحات الدينية التى حققها دعاة الديانة البوذية مقصورة على مغول الصين والخطا الذين تحول معظمهم إلى البوذية أما مغول فارس فكانت أعداد من اعتنق منهم البوذية محدودةً للغاية(٣).

ورغم انتشار البوذية المحدود فى دولة مغول فارس إبان عهد

---

(١) براون: تاريخ الأدب فى إيران، ص٥٦٢.
(٢) عادل إسماعيل هلال: المغول وأوروبا، ص١٧٢- ١٧٣؛
Haslund: Op.Cit., p.173.
(٣) رجب محمد عبدالحليم: مرجع سابق، ص٥٨.

هولاكو وابنه آباقاخان، فقد انتهى هذا المد البوذى فى إيران باعتلاء غازان بن أرغون العرش عام ٦٩٤هـ/ ١٢٩٥م حيث اعتنق الإسلام وعمل على نشره بين قومه من المغول[١].

وكان من أسباب فشل انتشار البوذية بشكل كبير بين مغول فارس قيام المناظرات الدينية فى حضرة إيلخانات المغول، هذه المناظرات كانت الغلبة فى معظمها لعلماء الإسلام وأحياناً للنصارى مما أدى إلى تحول بعض الحاضرين إلى الإسلام وانصرافهم عن البوذية[٢].

وفى المقابل نشط دعاة التبشير الموفدين من قبل البابوية وملوك أوروبا فى التبشير بالمسيحية الكاثوليكية بين المغول من ناحية، والعمل على محاولة التحالف مع مغول فارس ضد الأيوبيين ومن بعدهم سلاطين المماليك من ناحية أخرى؛ فقد أذاق الأيوبيون والمماليك الصليبيين فى بلاد الشام هزائم مريرة وانتزعوا منهم بعض الإمارات الصليبية كما تصدوا للمغول وأوقفوا زحفهم وأذاقوهم هزيمة ساحقة ومريرة فى معركة عين جالوت ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م تحت قيادة السلطان المملوكى قطز وكان قائد جيش هولاكو فى هذه المعركة كتبغا[٣] فالتقت المصالح وتجمعت الأهداف ورغب الغرب الأوروبى أن يحصد المكاسب السياسية والدينية فبدأ يرسل البعثات الدينية إلى المغول لاستقطابهم للحظيرة المسيحية.

---

(١) ابن الفُوطى: الحوادث الجامعة، ص٨٣؛ فؤاد الصياد: رشيد الدين الهمذانى مؤرخ المغول، ص٧٤.

(٢) رجب محمد عبدالحليم: مرجع سابق، ص٥٣.

(٣) رشيد الدين الهمذانى: الإيلخانيون تاريخ هولاكو، المجلد الثانى، جـ١، ص٣١٠- ٣١٦؛

محمد جمال الدين سرور: دولة الظاهر بيبرس فى مصر، دار الفكر العربى، القاهرة، ت، ص٩٣.

ثالثاً: مغول فارس والبعثات الدينية ومحاولات تنصيرهم:ـ

أنفذ البابا جريجـورى التاسـع (٦٢٥ - ٦٣٥هـ/ ١٢٢٧ - ١٢٤١م) أول بعثة تبشيرية من الرهبان الفرنسيسكان إلـى بغـداد عـام ٦٣١هـ/ ١٢٣٣م، وفى نفس العام أصدر عدة قرارات بـشأن التبـشير بالعقيدة المسيحية فى العراق وآسيا الصغرى والشام ومـصر وجورجيـا المسيحية والمغرب[١].

وكانت الفكرة السائدة فى أوروبا المسيحية منـذ أواسـط القـرن الثانى عشر الميلادى أنه مادامت مصر باقية على ما هى عليه من القـوة والبأس فإن مشاريع الصليبيين فاشلة لا محالـة، لـذا أبحـر الأسـطول الفرنسي من ميناء مرسيليا خريف عام ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م إلـى جزيـرة قبرص التى كانت تحت حكم آل لوزجنان Lusigoan وهـم مـسيحيون لاتينيون. وهناك أقام لويس التاسع مدة الشتاء أجـرى خلالهـا بـضعة اتصالات مع المغول بغية تحويلهم إلى المسيحية والاستفادة من جهـودهم فى تطويق العالم الإسلامى فى الشرق الأدنى، ولكن الخان المغـولى لـم ينفذ هذه الخطة حتى إن الملك لويس التاسع ندم فيما بعـد علـى حـسن معاملته لرسله[٢].

وإبان وجود هولاكو ببلاد الشام عام ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م أرسـل بطريرك بيت المقدس فى عكا الراهب الإنجليـزى الـدومينيكانى ديفيـد الأشبى David of Ashby لمعرفة نية هولاكو تجاه الصليبيين ودعوته

---

(١) عادل إسماعيل هلال: مرجع سابق، ص١٧٥؛
Morgan: The Mongol, pp.180- 195.

(٢) ابن واصل: مفرج الكروب، جـ٣، ص٢٥١؛ أحمد مختار العبادى: قيام دولـة المماليك الأولى، ص١٠١- ١٠٢.

لاعتناق المسيحية، وبعد أن استمع هولاكو لهذا الراهب وحديثه عن الدين المسيحيى ومكانة الكرسى الرسولى الذى يعتليه البابا فى روما، رأى أن يبقى على هذا الراهب فى بلاطه وألا يعود إلى عكا التى قدم منها، فأتيح لهذا الراهب أن يمارس مهامه التبشيرية فى خانية المغول فى فارس لسنوات طويلة، ربما إلى مستهل الربع الأخير من القرن الثالث عشر الميلادى ٦٧٣هـ/ ١٢٧٤م(١).

وكان هناك زعم مفاده أن هولاكو عمد على يد ديفيد الأشبى David of Ashby وفى هذا مبالغة مقصودة من جانب هذا الراهب لجذب تأييد الغرب الأوروبى، وسواء كانت هذه الادعاءات من جانب هذا الراهب أو بأوامر من أبغا نفسه، فإن هذا الأمر كان سياسة ثابتة لخلفاء هولاكو لإيهام الغربيين باعتناقهم المسيحية أو أنهم على وشك ذلك نظرًا لإلحاح قادة الغرب الكاثوليكى بضرورة تعميد حكام دولة مغول فارس بصفة خاصة والمغول بصفة عامة كشرط للتعاون العسكرى معهم(٢).

أما آباقاخان بن هولاكو فقد ماثل أباه فى عطفه على المسيحيين وإغداق العطايا عليهم ومحاباتهم وإعطائهم حرية بناء الكنائس وسَماحَهُ لرهبان الفرنسيسكان والدومينيكان بالتبشير بالدين المسيحى الكاثوليكى فى إيلخانية فارس وتحت رعايته ويعد ذلك من أبرز نجاحات هذه البعثات(٣) ثم تزوج آباقاخان من ابنة الإمبراطور البيزنطى ميخائيل باليولوجس،

---

(1) Novgorod: Op.Cit., p.91; D'ohssan: Op.Cit., T 3, p.412;
محمد مرسى الشيخ: أوروبا والتتار، ص٢٩٣- ٢٩٤.

(٢) عادل إسماعيل هلال: مرجع سابق، ص١٧٥- ١٧٦؛
Catrion: Op.Cit., p.5.

(3) Rabban Sawma: The Monks of Kûblâi Khân, p.190; Moule: China, p.126.

وكان صديقًا لبطريرق النساطرة وحاميًا له، فقد أرسل مبعوثًا إلى البابا كليمنت الرابع عام ٦٦٧هـ/ ١٢٦٨م بغرض تكوين حلف عسكرى من الغرب الأوروبى وصهره الإمبراطور البيزنطى ميخائيل الثامن ضد المسلمين فى الشرق، وأراد مبعوث آباقاخان إلى البابا أن يشعل إثارة وحماس البابا والغرب الأوروبى بهدف سرعة التعاون مع آباقاخان ضد المسلمين، فأخبر البابا أن آباقاخان قد اعتنق المسيحية ويرغب فى الحصول على التأييد من قبل الغرب والبابوية ضد المسلمين فى الشرق(١).

ولا مراء أن المسيحيين قد تمتعوا تحت حكم الإيلخانيين بفارس بامتيازات لم يعهدوها من قبل وأصبحت الحاشية الإيلخانية تضم عددًا كبيرًا منهم، وظهرت مدارس مسيحية التحق بها أطفال هؤلاء المسيحيين وبالفعل تعرف الكثيرون على المسيحية الكاثوليكية من قرب واعتنقها بعضهم وقرعت أجراس الكنائس فى بقاع مختلفة من أراضى دولة مغول فارس، وظهرت حماسة طاغية من قبل البابوية فى إرسال السفارات حتى يقال إن أربعة من البابوات تبادلوا مع آباقاخان الرسل والرسائل وكانوا يشيرون فى رسائلهم إلى اعتناق آباقا للمسيحية(٢).

وعلى ضوء ما سبق نرى أن الاتصالات بين الغرب الأوروبى والمغول كثيرة والمراسلات عديدة ولكن حتى تلك الآونة لم تحقق ثمارها المرجوة إلا فى نشر المسيحية بين أعداد قليلة داخل المجتمع المغولى فى إيران، والتحالفات السياسية لم تؤدِ الدور المنوط بها القيام به.

---

(١) المقريزى: السلوك، جـ٢، بيروت، ص٥٦- ٥٧؛ محمود سعيد عمران: المغول والأوروبيون، ص١١٩؛ قاسم عبده قاسم: سلاطين المماليك، ص١٠٨؛ Rudi Paul Lindner: Nomadism, Horses, p.9.

(٢) محمد مرسى الشيخ: المغول وأوروبا، ص١٩٥؛ فؤاد الصياد: الشرق الإسلامى، ص٥٩- ٦٠؛ Howorth: OP.Cit., III, p.278.

ولم يقتصر الأمر على الغرب الأوروبى بل كانت هناك محاولات مستمرة من قبل سلاجقة الروم للدخول فى تحالف مع آباقاخان يضمن لهم نوعًا من القوة السياسية ويحقق لهم أهدافًا خارجية مثل عدم التعدى عليهم من جيرانهم، ولكن لم يكتب لهذه التحالفات أى نجاح لوجود حالة من فقدان الثقة بين الطرفين(١).

وعندما اعتلى البابا أنوسنت الرابع كرسى البابوية عام ٦٤١هـ/ ١٢٤٣م خلفًا لجريجورى التاسع فكر فى إرسال بعثات وسفارات إلى قلب منغوليا وعاصمتهم فى قراقورم بهدف العمل على سرعة نشر المسيحية بين المغول وكان على رأس هذه السفارة يوحنا الكاربينى الفرنسيسكانى وخرجت البقية من ليون جنوب فرنسا عام ٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م واستغرق وصولها إلى قراقورم عامًا كاملاً ثم أعقبها العديد من السفارات إلى منغوليا فى أعوام لاحقة(٢).

وخلف أرغون، أحمد تكودار على عرش دولة مغول فارس بعد قتل تكودار عام ٦٨٣هـ/ ١٢٨٤م وكان يكره الإسلام ويناصب المماليك العداء وحاول مثل أسلافه غزو بلاد الشام والاستيلاء على بيت المقدس ومن أجل ذلك أدرك أنه لابد من الاستعانة بالقوى الأوروبية المسيحية للقيام بعمل مشترك ضد المماليك بوصفهم حماة الإسلام والمسلمين فى تلك الآونة(٣).

---

(١) ابن شداد (عزالدين محمد بن على بن إبراهيم) ت ٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م: تاريخ الملك الظاهر، باعتناء أحمد حطيط، جمعية المستشرقين الألمانية، فرانزشتاين بقيسبادن، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص٧٨- ٧٩؛ اليافعى: مرآة الجنان، جـ٤، ص٦٦.

(2) Morgan: The Mongol, p.24; Botegei: Mission Mongols, pp.3-4.

(٣) المقريزى: السلوك، جـ٢، بيروت، ص١٨٧؛

Howorth: Op.Cit., III, p.353

محمد حمزة إسماعيل الحداد: السلطان المنصور قلاوون، الطبعة الأولى، مكتبة مدبولى، القاهرة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ص٩٠.

وكان هدف أرغون من هذا التحالف الثأر من المماليك الذين ألحقوا بالمغول هزائم عديدة، فأرسل أرغون، رابان صوما للغرب الأوروبى عام ٦٨٦هـ/ ١٢٨٧م من أجل إعداد حملة صليبية مغولية مشتركة على بلاد الإسلام فى الشام وكان مشروعه يهدف إلى قيام الغرب الأوروبى بعملية إنزال صليبى فى عكا ودمياط فى الوقت الذى يهاجم هو فيه بلاد الشام وفى تلك الحالة يتم تقسيم سوريا بين الجانبين فتكون حلب ودمشق للمغول فى حين يحصل الصليبيون على بيت المقدس وقد ذهب أرغون فى إغرائه للقوى المسيحية فى الغرب الأوروبى إلى حد الترويج بأنه سوف يعمد فى القدس بمجرد الاستيلاء عليها(١).

وقد جاء رد الغرب الأوروبى مخيبًا لآمال أرغون حيث رفضت القوى الأوروبية أن تشترك فى حملة صليبية مع المغول، فضلاً على أن البابا نيقولا الرابع Nicola IV (٦٨٧ - ٦٩٢هـ/ ١٢٢٨ - ١٢٩٢م) أشار فى ردوده المتكررة على أرغون إلى ضرورة اعتناقه المسيحية وتعميده أولاً قبل إرسال الحملة المقترحة للاستيلاء على بيت المقدس(٢).

وأعقب فشل محاولة أرغون التحالف مع الغرب الأوروبى إرسال البابا نيقولا الرابع (٦٨٧ - ٦٩٢هـ/ ١٢٨٨ - ١٢٩٢م) بعثة قام بها جون أوف مونت كورفينو John of Mont Corfino عام ٦٨٩هـ/ ١٢٩٠م وأمضى عدة شهور فى تبريز عاصمة دولة مغول فارس يبشر بالمسيحية بين المغول فى فارس متخذًا من أحد الأديرة مركزًا له وسط

---

(١) أحمد عبدالكريم سليمان: المغول والمماليك، ص٢٤؛ عادل إسماعيل هلال: مرجع سابق، ص١٧٩- ١٨٠.

(2) Rabban Sawma: OP.Cit., p.181; Howorth: Op.Cit., III, p.353; Rev. H. J. Schroeder: Disciplinary Decrees of the General Councils, London, p.325.

مجموعة من الرهبان الفرنسيسكان والدومينيكان ثم غـادر تبريـز عـام ٦٩٠هـ/ ١٢٩١م متجهًا نحو الصين لمقابلة الخان (الخاقـان) الأعظـم قوبيلاى وتسليمه ما معه من رسائل تخصه[1] لأن البابوية كانـت لـديها رغبة ملحة فى نشر المسيحية بين المغول وكانت ترى أن العـدو الأول بالنسبة لها مع اتقاء شر المغول بدخولهم فى المسيحية، هو الإسلام[2].

وعلى ضوء ما سبق نرى أن الطرفين الأوروبى المسيحى ودولة مغول فارس كانا يتلاعبان بورقة الدين فى معظم الأحيان جاعلين منهـا ستارًا يخفون وراءه حقيقة أهدافهم فالجميع يرغب فى تحقيـق مكاسـب سياسية على حساب الآخر؛ فالغرب الأوروبى أراد دخول المغـول فـى المسيحية اتقاءً لشرهم وللاستفادة منهم فى مواجهة أعدائهم فـى الـشرق الإسلامى والمغول كانوا يرون بعد هزائمهم المتكررة من قبل سـلاطين دولة المماليك فى مصر والشام أن عليهم أن يكون لديهم حليـف غربـى قوى يلجأون إليه وقت الحاجة، وفى ظنى أن الصبغة السياسية طغت على الهدف الدينى لتلك السفارات ورغم أن نجاحات هذه السفارات والبعثات[3] كانت محدودة إلا أنها ظلت مستمرة بين الطرفين لفترات طويلة ولم تمل أو تكل.

---

(1) Rabban Sawma: Op.Cit., pp.181- 182; Rockhill, Jackson: Op.Cit., p.13.

(٢) بطرس توديبود: الرحلة، ص٣٣٤.

(٣) البعثات التبشيرية: أرسلت مجموعة من السفارات والبعثـات التبـشيرية مـن الرهبان الفرنسيسكان والدومينيكان إلى المغول فى منغوليا وفى مناطق انتشارهم بالشرق وكذلك إلى المـسلمين والإغريـق والبلغـار والجرجـانيين والأرمـن والنساطرة لتحويلهم إلى المسيحية على المذهب الكاثوليكى وذلك خلال الفترة من (٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م إلى ٦٥٢هـ/ ١٢٥٤م ولمزيد من التفاصـيل عـن هـذه البعثات راجع:

Rabban Sowma: Op.Cit., pp.181- 190; William Roubruck: Op.Cit., pp.160- 165; Howorth: Op.Cit., III, pp.327- 249;

محمود سعيد عمران: مرجع سابق، ص٢٩٩ إلى ص٣٧٣؛ محمد مرسـى الـشيخ: مرجع سابق، ص٢٨٧- ٣٢٨؛ عادل إسماعيل هلال: مرجع سابق، ص١٦٨- ٢٠٢.

أما عن مدى نجاح سفارات أوروبا وبعثاتها التبشيرية إلى مغول فارس فبداية لم يكن هدف أوروبا من بعثاتها وسفاراتها جذب مغول فارس إلى المسيحية الكاثوليكية وليدة الحماسة الدينية والورع الديني فحسب بل كانت لأسباب كثيرة ودوافع متعددة، فقد رأت البابوية أن المغول هددوا المسيحية فى أوروبا كما هددوا الإسلام فى الشرق واجتاحوا أراضيها فى روسيا وبولندة ووصلوا حتى هنغاريا وقتلوا وسبوا وأنزلوا الرعب والفزع فى قلوب المسيحيين(١) فأدرك الأوربيون أن هذا الخطر يهدد قلب أوروبا ذاتها فكان على حكام أوروبا وبابواتها التفكير فى كيفية وقف هذا الخطر وإنقاذ أنفسهم من شرور المغول وبالفعل نجحت البعثات إلى حدٍ ما فى هذا الجانب(٢).

جاءت بعض المراسلات بين المغول بفارس والغرب الأوروبي متضمنة طلب التحالف والعمل المشترك ضد المماليك فى مصر والشام ولكن هذه المحاولات لم يكتب لها النجاح وباءت بالفشل ووئدت فى المهد(٣) ومردود ذلك إلى أن مغول فارس كانوا وثنيين يعتنقون الشامانية والبوذية وديانات آسيا ولا يعرفون عن المسيحية إلا القليل(٤).

ومن خلال هذه البعثات استطاعت البابوية أن تحقق مجدًا شخصيًا أعطاها قدرًا من التباهى والتفاخر بأنها حققت إنجازات عظيمة بوصولها

---

(١) مصطفى طه بدر: مغول إيران بين المسيحية والإسلام، ص٥؛ هارولد لامب: جنكيزخان، ص١١١.

(2) Morgan: The Mongol, p.179; Howorth: Op.Cit., III, p.362.

(٣) أحمد مختار العبادى: الأيوبى والمملوكى، ص٢٢٣؛
Howorth: Op.Cit., III, p.275.

(٤) محمد مرسى الشيخ: مرجع سابق، ص٣٣٣؛
Henry Serruys: Prisons and Prisoners in Traditional Mongolia, p.285; Holt, P. M: The Age of the Crusades, p.194.

إلى قلب الصين وأطراف آسيا واستعادت بريقها أمام رجال الدين في أوروبا ونشر الدعاة التبشيريين في بقاعٍ شتى(١).

ولم تحقق البعثات التبشيرية الأوروبية ما كلفت به على الوجه الأمثل؛ لأن الإمكانات البشرية والمادية لهذه البعثات لم تساعدها على تحقيق جميع أهدافها لأن اجتذاب المغول بصفة عامة ومغول فارس بصفة خاصة إلى المسيحية الكاثوليكية كان في حاجة ماسة لجهود أكبر من ذلك بكثير وأعداد أكثر من الرهبان والمبشرين يفوق عدد من أرسلوا فعلاً مئات المرات، بل آلاف المرات، فدولة المغول بأقسامها المتعددة كانت بحاجة إلى أعداد كثيرة من الرهبان المبشرين، إذ أرادت أوروبا فعلاً تحويل رعاياها إلى المسيحية وتحقيق الغرض الذى أرسلت من أجله السفارات والبعثات، فكثيرًا ما أرسلت البابوية بعثة أو سفارة من رسول واحد(٢).

واستغلت البعثات التبشيرية نظرة مغول فارس التسامحية مع الأديان وكونهم أولوا المسيحية اهتمامهم وعنايتهم(٣) وقاموا بمحاولة تنشئة أعداد من الأطفال وتعميدهم وتدريبهم على التبشير في مغول فارس، وتمتعوا بقدر هائل من الحرية الدينية في ممارسة عملهم(٤)، ورأى الأوروبيون ومعهم البابوية أن الاتحاد مع المغول وتنصيرهم سيساعد على قتل أعداد كثيرة من المسلمين ((وفي قتلهم أعمالٌ مدهشة تسعد

---

(1) Carpini: Op.Cit., p.217; Morgan: The Mongol, p.180.

(٢) محمد مرسي الشيخ: مرجع سابق، ص٣٣٧.

(٣) رشيد الدين الهمذاني: تاريخ أبناء هولاكو، المجلد الثاني، جـ٢، ص١٨٨.

(٤) فؤاد الصياد: الشرق الإسلامي، ص٦٢- ٦٣؛
J. R. Foster and Charles: A History of Chinese, p.108.

الرب وتجلب ترانيم جديدة للمجتمع))[1]، وبالفعل دارت محاولات عديدة من أجل وجود تحالف قوى بين المغول وأوروبا يساعد على تقليص وإضعاف قوة المسلمين المتمثلة فى المماليك آنذاك ولكن ذهبت محاولاتهم أدراج الرياح ولم تحقق ما هدفت إليه[2].

وقد فشلت المسيحية فى الانتشار بين مغول فارس بواسطة الرهبان والبعثات التبشيرية رغم كثرة المراسلات والسفارات ومردود الفشل يرجع إلى كون المغول لا يتعصبون لمذهب[3] فكان من عادتهم أن كل من انتحل منهم مذهبًا لم ينكره الآخر عليه، لذلك كان مغول فارس أحرارًا فى اعتناق ما يرونه أو يميلون إليه من الأديان، سواءً كانوا من الخواتين أو الحكام أو حتى من عامة المغول[4].

وهذه السياسة الحيادية من قِبل مغول فارس أعطت فرصة كاملة للمنافسة الحرة بين الإسلام دين الأغلبية فى تلك المناطق وبين المسيحية وغيرها من الدعوات الأخرى التى رغبت فى كسب المغول إلى جانبهم، وبذلك لم يكن الطريق ممهدًا لنشر المسيحية بين المغول حتى ينال المبشرون الخلاص ويحققوا مجدًا سماويًا كما كانوا يظنون[5].

---

(١) بطرس توديبود: الرحلة، ص٣٣٤.

(٢) سعيد عبدالفتاح عاشور: الأيوبيون والمماليك فى مصر والشام، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٦م، ص٢١٦؛ جمال الدين سرور: دولة الظاهر بيبرس، ص٩٣.

(٣) رشيد الدين الهمذانى: تاريخ أبناء هولاكو، المجلد الثانى، جـ٢، ص١٨٧- ١٨٨.

(٤) رجب محمد عبدالحليم: مرجع سابق، ص٥٢.

(5) D'ohsson: Op.Cit., T2, p.69.

وجاءت المناظرات التى عقدت تحت إشراف إيلخانات فارس بنتائج سلبية للمبشرين المسيحيين حيث كانت الغلبة فى معظم الأحيان لعلماء المسلمين وأدت بالتالى إلى تحول بعض المغول إلى الإسلام بجانب تحول بعض من تنصروا إلى الإسلام فأدى ذلك إلى فشل هذه الدعوات التبشيرية فى معظم الأوقات(١).

ولم ينجح المبشرون فى تنصير أحد من خانات المغول خارج قراقورم، فيما عدا صرتق Sartak ابن باطوخان، وبعض القواد والوزراء والزوجات، وهذا النجاح النسبى أسهم فى كسب تعاطف المغول بفارس، وحثهم على حسن معاملة المسيحيين وترك لهم حرية بناء الكنائس الجديدة، وفى المقابل ساءت معاملة رعاياهم من المسلمين وحظى المسيحيون بحسن المعاملة والعطف والحرية؛ لكون زوجة هولاكو (دوقوزخاتون) مسيحية وكذلك زوجة آباقاخان بن هولاكو(٢).

ومن ضمن العوامل التى أسهمت فى فشل هذه البعثات فى تنصير مغول فارس نظرتهم إلى مسيحيى الشرق النساطرة على أنهم هراطقة، ولذلك تنافسوا فيما بينهم فى أن يجذب كل منهم أتباع الآخر نحو مذهبه أكثر من أن يجذبوا معًا المغول الوثنيين إلى المسيحية(٣).

وكان على البابوية أن تضاعف من جهودها فى عمليات التنصير لكنها خدعت عندما رأت سياسة العطف حيال رعاياها من المسيحيين

---

(1) John Smith: Mongol Manpower, p.278;

سير توماس. أرنولد: مرجع سابق، ص٢٥١.

(2) Novgorod: Op.Cit., p.139;

مصطفى طه بدر: مغول إيران، ص١١.

(٣) رجب محمد عبدالحليم: مرجع سابق، ص٥٤؛

Rockhill, Jackson: Op.Cit., p.13.

وسوء معاملة المسلمين من قبل المغول بفارس فظنوا أن المغول اقتربوا من اعتناق المسيحية حتى أن البابوات كانوا معتقدين أن إيلخانات فارس يدينون بالمسيحية(١).

وقد ساعد على فشل البعثات التبشيرية في دورها المنوط بها وجودهم وسط مجتمع يدين بالإسلام لأن معظم سكان فارس والتركستان كانوا مسلمين ولم يكن المغول سوى أقلية بالنسبة لرعاياهم الذين دانوا لهم، فلم يرد حكام المغول بفارس أن يعتنقوا ديانة بعيدة عن رعاياهم(٢).

بالإضافة إلى كل ما سبق فقد اشتهر المبشرون بالبساطة والسذاجة، واعتقدوا أن كل الناس ذوى النية الطيبة السليمة يؤمنون بقولهم، وأن على المغول بفارس أن يقدموا على اعتناق المسيحية حتى يظهروا الصداقة والمحبة لهم(٣).

أما المحصلة النهائية لإنجازات هذه البعثات، فلا شك أنها لم تكن تتواءم مع الجهد المبذول من قبل رهبان هذه البعثات، وعناء التنقل والترحال بين أطراف الإمبراطورية المغولية، والاجتهاد من أجل مقابلة الخانات والقواد والدخول فى مبارزات ومناظرات، فلقد لاقت هذه البعثات فشلاً كبيرًا فى تحقيق أهدافها الدينية والسياسية فلم تتحول دولة مغول فارس إلى اعتناق الديانة المسيحية ولم يحدث التحالف السياسى الذى يقضى على قوة المماليك وما حدث من تحول القلائل إلى المسيحية وحسن معاملة المسيحيين والعطف عليهم مردوده فى المقام الأول إلى طبيعة الإيلخان نفسه بجانب دور النساء المغوليات المسيحيات.

---

(١) مصطفى طه بدر: مغول إيران، ص٩.

(2) Howorth: Op.Cit., III, pp.285- 286.

(٣) السيد الباز العرينى: المغول، ص٣٣٠؛ Dawson: Mission to Asia, p.21.

أما عن أبرز النتائج التى أسفرت عنها هذه البعثات الدينية فكانت:-

١- تنصير أعداد قليلة من مغول فارس.

٢- سد ثغرة مهمة فى معارف أوروبا وثقافاتها عن سكان آسيا وعن عاداتهم وتقاليدهم وعقائدهم واقتصادهم وطرق معيشتهم وتم ذلك من خلال معايشتهم لأولئك السكان.

٣- كان للمبشرين دورٌ كبيرٌ فى تشجيع مغول فارس على التعلم وطلب الثقافة.

٤- كانت إجادة بعض هؤلاء السفراء والرهبان للغة المغول عاملاً مهمًا فى الاقتراب من القادة والحكام وفهم اتجاهاتهم السياسية والدينية من ناحية والاقتراب فى نفس الوقت من الشعوب المغولية وفهم أسلوب حياتهم وميولهم الدينية وحياتهم الاجتماعية من ناحية أخرى[١].

---

(١) فؤاد الصياد: الشرق الإسلامى، ص١٩٧- ١٩٨؛ محمد مرسى الشيخ: مرجع سابق، ص٣٤٨- ٣٤٩؛

Morgan: The Mongol, p.195.

رابعًا: المعتقدات الدينية لخانات المغول العظام (الخاقانات) وإيلخانات فارس الأوائل:-

لقد كان اعتناق خانات المغول العظام لأى معتقد أو ديـن معـين غير مؤثر على باقى المغول لأن هؤلاء القوم كما أوضحنا آنفًا، يمتلكون نوعًا من قبول الآخر، وميزهم التسامح الدينى وغدا لكل شـخص ((رب يتخذه من لوحة مثبتة فى جزء مرتفع من حائط غرفته، كتب عليها اسـم يدل على الإله السماوى الرفيع وإلى هذه اللوحة يقدمون عباداتهم اليومية مع حرق البخور))(١).

ومن أبرز مظاهر العبادات عندهم أنهـم يرفعـون أيـديهم ثـم يضربون بوجوههم الأرض ثلاث مرات، وهم بذلك يلتمسون من معبودهم بركتين: سلامة العقل وصحة البدن دون أن يزيدوا علـى التماسـهم ذاك شيئًا، وحرم جنكيزخان خانهم الأعظم كل أنواع الميسر وغيره من طرق الغش(٢).

ولأن الدين يعد أول صفحة فى التاريخ تستهل بها الحضارة حيث لابد أن تكون هناك عقيدة دينية وثواب وعقاب حتى يساعد ذلـك علـى تحريك مجريات الحياة(٣)، لذلك أوجد جنكيزخان بنودًا تـنظم النـواحى الدينية لمجتمعه داخل الياسا، بل تعدى الأمر ذلك عندما أقنـع الخانـات العظام مجتمعهم المغولى أنهم مفوضون من قبل الإله وأن عليهم الخروج للاستيلاء على العالم بناءً على طلب آلهتهم فاجتاحوا كل الأراضى التـى عبروها وصاحب الاجتياح، القتل، والتشريد، والتدمير(٤).

---

(١) ماركوبولو: مصدر سابق، جـ٢، ص١٩٥.

(٢) نفسه، ص١٩٥- ١٩٦.

(٣) أبكار السقاف: الدين فى الهند والصين وإيران، سلسلة نحو آفاق أوسع، عدد ٤، العصور الجديدة، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص١٧٩.

(٤) مؤلف مجهول: تتمة كتاب وليم الصورى، ص١٢٤- ١٢٥.

نخرج مما سبق بنتيجة مهمة وهى أن خانات المغول العظام عندما وجدوا افتقاد المغول عقيدة دينية واحدة يجتمعون عليها وتكون لهم بمثابة المحرك والمؤثر، فما كان منهم إلا أن استعاضوا عن ذلك بتقديس أنفسهم وإضفاء الصبغة الإلهية على ذاتهم حتى يجتمع المغول على شخص الخان لصبغته الدينية والسياسية ولاسيما أنهم متعددو الاعتقادات، فحل الخان بصبغته الدينية محل الدين فى تحريك مجريات الأمور.

أما عن أبرز خانات المغول العظام ومعتقداتهم الدينية فقد دارت حول جنكيزخان أقاويل كثيرة منها ((أنه وثنى ومشرك بالله))[١] وهناك من قال إنه كان كاهنًا وجده كان مثله يتعبدان إلى الله ويزهدان فى الدنيا[٢]، وكان جنكيزخان يدين بالوحدانية وبالقوة المطلقة التى تسخر السحاب والرعد والهواء، وادعى مجتمعه المغولى أنه من سلالة الآلهة ومن أقاويل جنكيزخان: ((إن فى السماء قوة الشمس وإن على الأرض قوة وهى قوة الخان))، وقد سماه المسلمون عندما أكثر فيهم القتل نقمة الله، وكان جنكيزخان سعيدًا بذلك وأيدهم فى دعواهم وقال لهم: إنه سوط الله ونقمته، سلطها عليهم ليعذبهم بيده، لكثرة طغيانهم وفسادهم فى الأرض[٣].

ويذكر الجوينى: أن جنكيزخان لم يكن معتنقًا لأى دين أو تابعًا لأى مذهب وكان بعيدًا عن التعصب ولم يرجح مذهبًا على آخر وكان يعظم ويكرم زهاد وعلماء كل طائفة دون تفريق[٤]، وقد رآه البعض على

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ص١١٥؛ على حسن الخربوطلى: المغول واليهود، ص٤٥.

(٢) ابن خلدون: التعريف برحلته، ص٣٦٠.

(٣) ثروت عكاشة: جنكيزخان الإمبراطور الدموى، ص١١٧.

(٤) الجوينى: جهانكشاى، ص٢٠٦؛ طه ندا: الحضارة الإسلامية، ص١٥٦.

دين آبائه وأجداده وأنه معتنق للشامانية وقيل البوذية هى ديانته التى آمن بها ونفذ تعاليمها(١) وعهد إلى كثير من البوذيين بأعمال ديوانه، وأحسن إليهم وعطف عليهم وأغدق عليهم العطايا(٢).

ومن خلال عرض الآراء السابقة نجد أن رأى الجوينى القائل: بإن جنكيزخان لم يكن معتنقًا لأى دين أو ملة ولا يتبع أى مذهب، هو الرأى الصائب ودلالة ذلك عدة أمور:-

١- أن جنكيزخان بلغ من الشهرة وذيوع الصيت بين المغول درجة عالية جدًا بعد تكوين الإمبراطورية والخروج على العالم، فلو كان يميل لأى دين لفرضه على مجتمعه وضمَّنه ضمن بنود الياسا، وكان المغول وقتها لن يجدوا غضاضة فى قبول هذا الدين لأنهم يرون جنكيزخان نائب الإله على الأرض.

٢- كان جنكيزخان كغيره من المغول يعتقد فى الوحدانية وفى وجود الله بالسماء واكتفى بذلك ولم يفعل كما فعل مجتمعه بعبادة معبودات فى الأرض تقربًا لإله السماء ويظهر ذلك فى مراسلاته وكلامه مع حكام المسلمين إبان حروبه فى الشرق الإسلامى والثابت أن جنكيزخان كان شامانيًا رغم ميله للوحدانية.

٣- يضاف إلى ذلك أن رأى الجوينى له قوته وأهميته لكونه المؤرخ الأقرب للحدث والمعاصر للمغول فيما بعد جنكيزخان.

---

(١) Catrion: Op.Cit., p.5; Bojegei: Op.Cit., p.17;
أحمد عبدالعزيز بقوش: مرجع سابق، ص٢١٩.

(٢) أرمنيوس: تاريخ بخارى، ص١٨٢.

وعندما اختير أوكتاى (٦٢٦ - ٦٣٩هـ/ ١٢٢٩ - ١٢٤١م) خانًا أعظم للمغول كان يعتنق العقيدة الشامانية وشهد له أنه لم يتعصب لدين رغم كونه شامانيًا مخلصًا وقرب إليه كاهن الشامانية ومارس كل طقوسها وكانت من أهم أعمال كاهن الشامانية طرد الأرواح النجسة الشريرة، وإبطال السحر والشعوذة، كما كان يشرف على العربة التى كانت تحمل الصنم الكبير لمعسكر السلطان، وجوهر العبادة فى الشامانية يكمن فى عبادة مظاهر الطبيعة وعبادة الأصنام(١).

وأسهم أوكتاى فى انتشار الشامانية فى الشمال من بلاد المغول وكان كغيره من المغول يعتقد فى الخرافات والسحر والتعاويذ والتنبؤات(٢) وشهد له أنه كان يحسن إلى المسلمين فى المعاملة ولم يسئ إليهم وفى بعض الأحيان كان يتخذ منهم أصدقاءً ولم يكتف بذلك، بل أمر المغول أن يزوجوا بناتهم من شباب المسلمين إن رغبوا فى ذلك، كما كانت صلاة الجمعة تقام فى عهده فى كافة بلاد المشرق وقد تميز أوكتاى بالجود والكرم والمروءة حتى أجمع معظم المؤرخين المسلمين على وصفه (بحاتم آخر الزمان لشدة كرمه) (٣).

ولما اعتلى كيوك خان عرش الإمبراطورية المغولية (٦٤٤ - ٦٤٧هـ/ ١٢٤٦ - ١٢٤٩م) وصار خانًا أعظم للمغول ناصب المسلمين العداء، وأظهر ميلاً شديدًا تجاه النصارى ومردود ذلك إلى أمه تواركيناخاتون التى كانت تدين بالمسيحية وعهدت إلى الأمير (قداق)

---

(١) أحمد عبدالعزيز بقوش: مرجع سابق، ص٢١٩- ٢٢٠؛
Catrion: Op.Cit., p.7.

(٢) ماركوبولو: مصدر سابق، جـ١، ص١٠٩.

(٣) فؤاد الصياد: المغول فى التاريخ، ص١٩٢- ١٩٣؛
Rockhill, Jackson: Op.Cit., p.15.

المسيحى بالإشراف على تربية ابنها كيوك منذ الصغر، وقرب إليه (جينقاى) الذى كان يعمل مستشارًا ووزيرًا لأبيه، وكان من قبيلة كرايت ويدين أيضًا بالمسيحية، ولم يكتف كيوك بهذا، بل قلده منصب الوزارة، فكان لهذين الرجلين تأثير كبير على الخان المغولى إذ صار يعطف عطفًا شديدًا على رعاياه من المسيحيين من أمثال الأرمن والكرج والروس[١].

وفوض كَيوك خان كل من "جينقاى وقداق" فى جميع الشئون فكانا من أشد الكارهين للإسلام والمسلمين فزاد اضطهادهما لهم وأصبح بلاط كيوك خان مرتعًا للقساوسة والرهبان ورجال الدين المسيحى[٢] ويقال إن المسلمين عانوا أقصى ضروب العنف والشدة والقسوة إبان عهد هذا الخان الذى ترك وزيريه المسيحيين يفعلان ما يحلو لهما مع المسلمين[٣].

ونجحت البعثات التبشيرية إبان عهده فى استقطاب بعض المغول وتنصيرهم ولم تنقطع مراسلاته مع البابوية فى الغرب الأوروبى وظلت الأمور بين الطرفين على أحسن حال ولم ينقطع دعاة التبشير عن نشر دعوتهم حتى نجحوا فى التأثير على وزيرين من وزراء كيوك خان اسمهما "كدك" و"جنكَاج" فاعتنقا الديانة المسيحية واستطاعا بما لهما من مكانة لدى مولاهما التأثير عليه بحيث أخذ يعطف على المسيحية ومعتنقيها[٤] واتحدوا مع البوذيين لتشويه صورة الإسلام وعلمائه العظماء أمثال الإمام نورالدين الخوارزمى؛ فذات يوم طلبت مجموعة من

---

(١) الصرفى: دول الإسلام، ص٢٧٨؛ فؤاد الصياد: المغول فى التاريخ، ص١٩٨-١٩٩.

(٢) رشيد الدين الهمذانى: تاريخ خلفاء جنكيزخان، المجلد الأول، ص١٨٨.

(٣) سير توماس، أرنولد: الدعوة إلى الإسلام، ص٢٥٦.

(٤) براون: تاريخ الأدب فى إيران، ص٥٧٤؛ Rudi Lindner: Op.Cit., p.10.

القساوسة والقواد أن يأمر كَيوك خان بتشكيل جلسة للمناظرة الدينية تضم ذلك العالم الجليل، ليقوموا بإفحامه أمام "كَيوك خان" ويكون ذلك سببًا فى قتله فلما فشلوا فيما خططوا له، طلبوا من الإمام نورالدين الخوارزمى أن يؤدى الصلاة ليشاهد كَيوك صلاة المسلمين، فتقدم الإمام وطلب من أتباعه الصلاة بخشوع كامل وعندما سجدوا أمسك الحاضرون برؤوسهم وأخذوا يسحقونها فى الأرض، ولكن المصلين لم يقطعوا الصلاة، بل أتموها، وشاء قدر الله أن يصاب كَيوك بصداع شديد، لقى بعده حتفه وذلك فى عام ٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م(١).

أما عن أبرز النتائج التى أسفرت عنها سياسة كَيوك خان فكانت على النحو التالى:-

١- ارتفاع شأن المسيحيين وانتشار الدعاة التبشيريين بين المغول.

٢- حسن معاملة البوذيين وأصحاب المعتقدات المختلفة فيما عدا الإسلام.

٣- اضطهاد المسلمين لتحكم الوزراء المسيحيين فى زمام الأمور.

٤- دخول مئات المغول فى المسيحية.

٥- وجد الأطباء المسيحيون الطريق ممهدًا للإشراف على الشئون الطبية فى البلاد المغولية.

٦- شاعت بعض التقاليد المسيحية فى الأوساط المغولية(٢).

---

(١) أحمد عبدالعزيز بقوش: مرجع سابق، ص٢٢٨- ٢٢٩.

(٢) برتولد شبولر: العالم الإسلامى فى العصر المغولى، ص٤١- ٤٢؛ Catrion: Op.Cit., pp.10-11؛ فؤاد عبدالمعطى الصياد: المغول فى التاريخ، ص١-٢.

وأعقب كَيوك خان الذى ظل على الديانة الشامانية معتقد الآباء والأجداد رغم محاباة النصرانية، على عرش الإمبراطورية المغولية منكَوقاآن (٦٤٨ – ٦٥٥هـ/ ١٢٥٠ – ١٢٥٧م) وعرف عنه السماحة وشدة التمسك بالعدالة[١] وأجبر الخان الجميع على احترامه لسمو خلقه واتخاذه مظهرًا وتصرفًا متواضعًا؛ هذا بجانب كونه ساكنًا وهادئًا[٢].

ولقد تأثر منكَوقاآن فى نشأته بأمه المسيحية النسطورية، على الرغم من أنه أبدى نفس العطف والمحبة على البوذية، وعُرف عنه تسامحه مع سائر الأديان[٣] وفى عهد منكَوقاآن قوى الاتصال بين المسيحيين فى أوروبا والمغول فى آسيا وقد أظهر المسيحيون فى الغرب أنهم على استعداد أن ينسوا ويتغاضوا عن المذابح والقتل والتدمير والتشريد ضد أبناء دينهم فى روسيا وبولندا من قبل المغول شريطة أن يتحدوا مع المغول ويكونوا قوة واحدة محطمة للعرب والإسلام فى الشرق[٤]، ولكن منكوقاآن لم يلق بالاً إلى هذا الأمر واشتغل بالتسامح الدينى والإصلاحات وأعفى عدة طوائف من الضرائب وهم السادات والمشايخ والأئمة من المسلمين والقساوسة والرهبان والأحبار من المسيحيين والكهنة واللامات المشهورين من البوذيين[٥].

ويبدو أن سياسة التسامح التى سلكها منكو، وطلبه من رجال الدين بمختلف دياناتهم ومذاهبهم الدعاء له ومباركة طعامه، كانت أسبابًا مباشرة

---

(١) رشيد الدين الهمذانى: تاريخ خلفاء جنكيزخان، المجلد الأول، ص٩.

(٢) ماركوبولو: مصدر سابق، جـ٢، ص١٩٦؛ Morgan: The Mongol, p.117.

(٣) محمد مرسى الشيخ: مرجع سابق، ص٢٤٥.

(٤) عبدالمحمد آيتى: تاريخ وصاف، ص٢-٣؛ براون: تاريخ الأدب فى إيران، ص٥٧٥.

(٥) رشيد الدين الهمذانى: تاريخ خلفاء جنكيزخان، المجلد الأول، ص٩-١٠.

فى أن يظن أصحاب كل ديانة أنه صار معتنقًا لديانتهم، ولم يتم التحقيق من معتقده الدينى ولاسيما أنه كان يظهر التعاطف والتسامح مع سائر الأديان(١).

فقد عرف عنه أنه كان يحضر مع زوجاته المسيحيات مراسم الدعاء والاحتفالات عند المسيحيين، فعده المسيحيون على دينهم، ونقل البوذيون عنه أنه قال: دين بوذا هو راحة اليد، أما بقية الأديان فهى بمثابة الأصابع ومن هنا اعتبره البوذيون بوذيًا، وقال الوثنيون إن خيمته تجاور خيمتهم لذا فهو وثنى، أما المسلمون فكانوا يعتقدون أن بركة خان الذى كان يحظى بمنزلة رفيعة عند "منكو" قد نجح فى إقناعه باعتناق الإسلام، فنطق بالشهادتين، ودلالة ذلك عندهم أنه كان يشارك المسلمين فى احتفالاتهم وبعض صلواتهم(٢).

خلاصة القول على ضوء ما سبق، أن المعتقد الدينى لمنكوقاآن كان الشامانية أو البوذية ديانة آبائه وأجداده، ودليل ذلك:-

١- أنه لو كان معتنقا لدين سماوى مثل المسيحية والإسلام لم يكن يذهب ليشارك فى أداء العبادات فى الديانتين لأن عقيدته تحرم ذلك، لأن هناك فرقًا بين السماحة الدينية وأداء العبادات والصلوات.

٢- لو كان معتنق دين سماوى خير اعتناق لظهر فى تصرفاته محاولات نصرته على حساب الآخر ولاجتهد فى الدعوة والتبشير لهذا الدين.

---

(1) Morgan: The Mongol, p.117; Rockhill, Jacksson: Op.Cit., p.15

(٢) أحمد عبدالعزيز بقوش: مرجع سابق، ص٢٢٩- ٢٣٠.

٣- وبما أن الياسا المغولية والمعتقدات الدينية عندهم تسمح بقبول الآخر ومشاركته والتسامح الدينى معه، فإن ما فعله منكوهو تنفيذ لنصوص الياسا التى يؤمن بها وبمعتقدات أجداده من المغول.

٤- أن ما فعله منكوقاآن من مشاركة الآخرين فى عباداتهم واحتفالاتهم عُدَّ نوعًا من كسب ود وتعاطف كل الفئات الدينية الموجودة آنذاك.

وقد خلف قوبيلاى خان (٦٥٨ - ٦٩٣هـ/ ١٢٦٠ - ١٢٩٤م) منكوقاآن على عرش الإمبراطورية المغولية، فنقل عاصمة المغول من قراقورم إلى بكين فى الصين وكان معتنقًا للبوذية إلا أنه سلك سياسة التسامح مع كل الديانات فأمر بترجمة متون البوذية والإنجيل والقرآن إلى اللغة المغولية(١).

أما عن المعتقدات الدينية لإيلخانات فارس الأوائل فكان هولاكو مؤسس دولة مغول فارس يحظى بتأييد ومباركة أخيه الخان الأعظم منكوقاآن بداية من عام ٦٥٠هـ/ ١٢٥٢م، فقد كان منكوقاآن يعرف جيدًا أن هولاكوخان يستطيع بجيشه الذى أُمِّر عليه أن يكون ملكًا دائمًا ومسيطرًا ومتمكنًا فى ممالك إيران(٢).

وقد عُرف عن هولاكو أنه كان يعتنق البوذية وبنى لها العديد من المعابد(٣) هذا بجانب ميله للبناء والتعمير بصفة عامة لاسيما أنه بنى

---

(١) عبد المحمد آيتى: مصدر سابق، ص٦-٧؛ أحمد عبدالعزيز بقوش: مرجع سابق، ص٢٣٣- ٢٣٤.

(٢) رشيد الدين الهمذانى: الإيلخانيون تاريخ هولاكو، المجلد الثانى، جـ١، ص٢٣٧- ٢٣٨؛

شيرين بيانى: مرجع سابق، ص٣٧٢.

(٣) رشيد الدين الهمذانى: المصدر السابق، المجلد الثانى، جـ١، ص٣٣٧؛ عباس إقبال: تاريخ عمومى إيران، ص٨٤.

قصرًا فى الأتاغ ومرصدًا فى مراغة وبجانب اهتمامه بالأبنية فقد كان تواقًا إلى الحكمة، يُرغب الحكماء فى بحث علوم الأوائل وعين لهم المراتب والمراسيم وكان يزين بلاطه بالعلماء والحكماء كما كان يميل إلى تعلم الكيمياء وكان رجال هذا العلم يحظون دائمًا برعايته(١).

وقد دارت عدة أقاويل حول المعتقد الدينى لهولاكو فقيل إنه كان ملكًا جبارًا فاجرًا كافرًا، لا يتقيد بدين من الأديان ولا يتبع مذهبًا دينيًا معينًا وعُرف عنه حب الفلاسفة وكانوا يتمتعون بمكانة ووجاهة لديه(٢).

وذهب ابن الساعى إلى القول بأن هولاكو قد أسلم قبل وفاته بشهرين عام ٦٦٣هـ/ ١٢٦٥م وروايته تقول : ((أما الطاغى هولاكو فإنه أسلم قبل وفاته بشهرين وسبب إسلامه أنه لما أفسد المغول والتتار البلاد والعباد وآذى هولاكو الملة البيضاء الإسلامية وأهلها، تجرد له من الطائفة الأحمدية الوليان الكبيران محمد الدربندى والشيخ يعقوب بن محزون فكانا سببًا فى إسلامه))(٣).

ويذهب ابن أبى عذيبة فى نظم الجمان : أن سبب إسلامه كان رغبته فى الزواج من بنت ملك الكرج المسلمة، فنطق بالشهادتين حتى يتمكن من الزواج بها ((عزم هولاكو على الزواج من بنت ملك الكرج فأبت حتى يسلم فقال عرفونى ما أقول فعرضوا عليه الشهادتين فأقر بهما وشهد عليه بذلك خواجه نصير الدين الطوسى وفخر الدين المنجم وتم الزواج وعقد العقد باسم "تامارخاتون" بنت الملك داود على ثلاثين ألف دينار)) (٤).

---

(١) رشيد الدين الهمذانى: المصدر السابق، المجلد الثانى، جـ١، ص٣٣٧؛ ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٣، ص٢٣١.

(٢) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ٧، ص١٩٣؛ ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٣، ص٢٣١.

(٣) ابن الساعى: تاريخ الخلفاء العباسيين، ص١٦٢.

(٤) عباس العزاوى: حكومة المغول، جـ٢، ص٢٥٠.

وهناك من رأى أن هولاكو تنصر واعتنق العقيدة المسيحية وأن نصارى دمشق سعدوا وفرحوا فى أثناء مجيئه إلى البلاد ورفعوا الصليب فى البلد وألزموا الناس بالقيام له من الحوانيت ونقضوا عهدهم مع المسلمين وصاحوا: ظهر الدين الصحيح دين المسيح[١].

وعلى الرغم من كل ما قيل حول المعتقد الدينى لهولاكو فالثابت والمؤكد أنه كان بوذيًا ودلالة ذلك:-

- أنه أقام للبوذية العديد من المعابد وقرب كهنتها إليه[٢].

- عرف عنه أنه كان منفذًا لتعاليم البوذية، ومحاولاً مد جذور هذا المذهب فى آسيا ولكنه أخفق فى ذلك وأصبح هذا المذهب مألوفًا للمغول فى الصين ومنغوليا.

- التسامح الدينى والعطف على النصرانية دعا البعض إلى اعتبار أن هولاكو قد ترك البوذية واعتنق المسيحية لكن الأمر المؤكد أن هولاكو مات بوذيًا فى ربيع الآخر عام ٦٦٣هـ/ ١٢٦٥م وأنه فى آخر حياته بنى معابد للأصنام البوذية فى مدينة خوى ورغم محاولات تنصيره من قبل بابوية الغرب الأوروبى إلا أن كل هذه المحاولات ذهبت أدراج الرياح ولم تنجح فى ذلك[٣].

---

(١) محمد كرد على: خطط الشام، جـ٢، ص١٠٧.

(٢) رشيد الدين الهمذانى: الإيلخانيون تاريخ هولاكو، المجلد الثانى، جـ١، ص٣٣٧؛

Rockhill, Jacksson: Op.Cit., p.17.

(٣) عادل إسماعيل هلال: مرجع سابق، ص١٠٩؛ برتولد شبولر: العالم الإسلامى، ص٥٨؛

عصام شبارو: الشرق الإسلامى، ص٢٧٥.

أما عن بعض الروايات التى ذهبت إلى اعتناق هولاكو للإسلام فقد جانب هذه الروايات الصواب؛ لأن السماحة الدينية لهولاكو لم تشمل الإسلام، فكيف يكون مسلمًا وهو يعطف على كل المعتقدات فيما عدا الإسلام، هذا بجانب القتل والتدمير والتشريد وتدنيس المساجد والمصاحف من قبل المغول وهذه الأمور لم تعكر صفو هولاكو، ولم يشغل لها بالاً، فأى إسلام هذا يعتنق !!.

ولم تذكر كتب مؤرخى المغول أو تتطرق إلى إسلام هولاكو أو رغبته فى ذلك، بل ازداد موقف هولاكو حرجًا عندما اعتنق مغول روسيا "القفجاق" الإسلام ثم مغول التركستان وقامت الدولة المملوكية فى مصر والشام فأصبح هولاكو مطوقًا بالقوى الإسلامية وأصبح مهددًا لكونه يتبع سياسة موالاة المسيحيين ومناهضة الإسلام والمسلمين(١).

أما رواية إسلامه من أجل الزواج لو سلمنا بصحتها، فهذا لا يُعد مؤشرًا على إسلام هولاكو وصحته لأن هدفه كان الزواج وليس الدخول فى الإسلام وهذا ما أوضحته الرواية فإنه لم يسأل عن تعاليم الإسلام وكيفيته بل سأل عندما تم رفضه من قبل بنت ملك الكرج الملك داود حتى يسلم، ماذا يفعل حتى يتزوجها فنصحوه بالنطق بالشهادتين ففعل وتزوجها ((فقال عرفونى ما أقول فعرضوا عليه الشهادتين فأقر بهما))(٢).

ولم يعتنق هولاكو العقيدة النسطورية المسيحية ولكن زوجته دوقوزخاتون (طقزخاتون) كانت مسيحية نسطورية فكانت تؤازر النصارى وتقيم شعائرهم فى تلك البلاد وتنصرهم على غيرهم من

---

(١) المقريزى: السلوك لمعرفة دول الملوك، جـ١، نشر محمد مصطفى زيادة، القاهرة، ١٩٣٩م، ص٤٧٩- ٤٨٠؛ Rockhill, Jackson: Op.Cit., p.9.

(٢) عباس العزاوى: حكومة المغول، ص٢٥٠.

أصحاب الملل الأخرى[١]. وكانت ذات تأثير شديد على زوجها وهى من أصل مغولى عريق فهى تعود إلى قبيلة كرايت التى تنصرت واتبع معظمها المسيحية فعملت على مؤازرة المسيحيين وفى عهدها قوى حال تلك الطائفة وكان هولاكو يرعاهم ويعطف عليهم وبلغ به الأمر أنه كان يقيم الكنائس فى جميع الممالك وتدق فيها الأجراس وتقام الشعائر والطقوس[٢].

مجمل القول إن الأحوال الدينية إبان عهد هولاكو كانت تغدو فى طريق مناصرة المسيحية بسبب زوجة هولاكو ويضاف إلى ذلك أن كتبغا قائد هولاكو قد اعتنق هو الآخر تلك الديانة[٣] فزاد ذلك من امتيازات المسيحيين ووقفت دوقوزخاتون وكتبغا كحائط صد فى وجه كل من يحاول التعدى على المسيحية وتم استقبال المسيحيين من كافة البقاع وعلى اختلاف لغاتهم وتم غمرهم بالعطف ونالوا الهدايا وكل مظاهر التقدير وأقيمت المدارس التى تردد عليها أطفال المسيحيين وأقيمت الصلوات والقداسات وقرعت أجراس الكنائس فى مختلف أنحاء فارس ونعم رجال الكنيسة بالهدوء والأمن[٤].

ونالت البوذية مزيدًا من الامتيازات وأقيم عددٌ كبيرٌ من المعابد وكان هولاكو يشرف عليها بنفسه واستقر فى بلاطه عدد كبير من الكهنة

---

(١) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ٧، ص١٩٣؛ عباس إقبال: تاريخ عمومى إيران، ص٧٤.

(٢) رشيد الدين الهمذانى: الإيلخانيون تاريخ هولاكو، المجلد الثانى، جـ١، ص٢٢٠؛ محمود شلبى: حياة الملك الظاهر بيبرس، ص٢٠٩؛ سير توماس، أرنولد: مرجع سابق، ص٢٥٣.

(٣) اليونينى: ذيل مرآة الزمان، المجلد الثانى، ص٣٥؛ Hung William: Op.Cit., p.480.

(٤) خواندمير غياث الدين: حبيب السير، ص٤٨٧؛ عباس إقبال: تاريخ عمومى إيران، ص٧٤؛ محمد مرسى الشيخ: مرجع سابق، ص٢٤٧.

البوذيين الذين كانوا يدعون من قبل المغول بـ(بخشيس) وشمل تسامحه الديني باقي المعتقدات[١].

أما الإسلام فلم يكن أتباعه سعداء الحظ مثل غيرهم من أصحاب المعتقدات المختلفة فقد استغل هولاكو النزاع بين السنة والشيعة والتنافس والانقسام بين المسلمين وزحف نحو الغرب ومعه أتباعه يعيثون فسادًا وتخريبًا يساعدهم في ذلك انقسام المسلمين، وأيد هولاكو حزب الشيعة واتخذ الاحتياطات التي يكفل بها سلامة قبر الإمام علي بالنجف من التدمير[٢] وحاول هولاكو أن يوسع حدود دولته فوصل إلى أطراف الروم[٣].

واللافت للنظر أنه رغم انقسامات المسلمين فيما بينهم إلا أن الإسلام بدأ يعرف طريقه إلى قلوب وعقول المغول في فارس إبان عهد هولاكو ولكنه كان ينتشر ببطء وزاد من حرج هولاكو وصعوبة موقفه اتحاد ابن عمه بركة خان المغولي المسلم خان القبيلة الذهبية مع السلطان الظاهر بيبرس سلطان المماليك في مصر والشام، فلم يجد هولاكو أمامه بدًا إلا الدخول في تحالف مع قوات المسيحية في المشرق كملك إرمينية والصليبيين، ولم ينتج عن تحالفات هولاكو الثمار المرجوة منها[٤].

---

(١) برتولد شبولر: العالم الإسلامي، ص٥٨؛ عصام شبارو: مرجع سابق، ص٢٧٥.

(٢) أحمد مختار العبادي: الأيوبي والمملوكي، ص١٤١.

(٣) ابن واصل: مفرج الكروب، جـ٥، دار الكتب، ص٣١٠.

(٤) المقريزي: السلوك،جـ٢، بيروت، ص١٢؛ أحمد مختار العبادي: الأيوبي والمملوكي، ص٢٢٣- ٢٢٤؛ مايك إدواردز: الخانات العظام، ص١١٥؛ سير توماس أرنولد: مرجع سابق، ص٢٦٠.

على ضوء ما سبق يتضح أن المسلمين فى تلك الآونة كان بأسهم بينهم شديدًا فمع ما قاسوه من سوء معاملة هولاكو والمسيحيين بعد ارتفاع شأنهم لم يهدهم تفكيرهم إلى الاتحاد لمواجهة أعدائهم واشتغلوا بالانقسامات الداخلية، والجانب المضيء في الأمر أن الإسلام بدأ يتغلغل بين مغول فارس رغم اشتغال المسلمين ودعاتهم عن الدعوة[١] لدينهم بين مغول فارس حتى يأمنوا شرهم وأذاهم.

وخلف هولاكو على عرش دولة المغول فى فارس ابنه آباقاخان (٦٦٣ - ٦٨٠هـ/ ١٢٦٤ - ١٢٨١م) وكان يعتنق العقيدة البوذية مثل أبيه؛ فساعد على انتشارها بين مغول فارس ونشط الرهبان البوذيون فى التبشير[٢] فهو لم يرد إلا أن يكون على دين آبائه وأجداده المغول[٣].

وذهب ابن خلدون إلى أن آباقاخان قد أسلم ((ثم هدى الله آباقاخان (ابغا) بن هولاكو إلى الإسلام فأسلم))[٤] ولم يرد ذكر إسلام آباقا بأي مصدر معاصر للمغول فهذه الرواية جانبها الصواب وأفعال آباقاخان تشهد على ذلك.

---

(١) الدعوة إلى الإسلام: حث الإسلام المسلمين على الجهاد والعمل على نشر تعاليمه ومبادئه السمحة وجاء جهاد الكفار والمنافقين على أربع مراتب: بالقلب، واللسان، والمال، والنفس، كما حث الإسلام على احترام المعاهدات والمواثيق وحذر المسلم من أن يقتل معاهدًا، فمن يقتل معاهدًا فلن يشم رائحة الجنة، كل هذه الأمور غابت عن المسلمين وحكامهم فى تلك الآونة وانشغلوا بأنفسهم عن ذلك راجع:

ابن كثير: الفتن والملاحم، جـ٢، ص٢٦٥؛ ابن قيم الجوزية: زاد المعاد، جـ٢، ص٥٨.

(٢) عبدالسلام فهمي: الدولة المغولية، ص١٥٤؛ أحمد عبدالكريم: المغول والمماليك حتى نهاية عهد بيبرس، ص١٥.

(٣) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ٧، ص٢٩٤.

(٤) ابن خلدون: التعريف برحلته، ص٣٦٢.

وكانت علاقة آباقاخان بالمسيحيين حسنة للغاية لاسيما وأنه سار على سياسة والدته دوقوز خاتون التى كانت تمنح الامتيازات للمسيحيين ومع أنه كان بوذيًا إلا أن المسيحيين أصبحوا فى عهده أصحاب قدرة وسطوة كبيرة كذلك تزوج آباقا بمريم ابنة إمبراطور القسطنطينية وعرفت باسم "ديسبيناخاتون" وكان والدها ميخائيل باليولوجس يرغب فى تزويجها لهولاكو فلما مات زوجها لابنه آباقا، ونتج عن هذه الزيجة أن ازداد نفوذ المسيحيين بصفة عامة والأرمن منهم بصفة خاصة وسعى أولئك وهؤلاء إلى الإيقاع بالمسلمين والعمل على القضاء عليهم، وتعامل آباقا مع المسيحيين مكنه من الدخول فى علاقات دبلوماسية مع الغرب المسيحى وتوثقت العلاقات مع المقر البابوى فى عهد البابا كليمنت الرابع وجريجورى العاشر ونيقولا الثالث ولويس التاسع ملك فرنسا(١).

وقد ماثل آباقاخان والده هولاكو فى الوحشية والعنف والقسوة فظل يضمر العداء للمسلمين ويحاول أن يثأر لهزيمة المغول فى عين جالوت(٢) وكان عداؤه منصبًا على أهل السنة والجماعة من المسلمين ولاسيما العباسيون والمماليك منهم وفى المقابل تسامح مع الشيعة وكان لهذا التسامح آثار واضحة ظهرت فى ارتفاع مكانة ومركز الشيعة الاجتماعي وازدياد نشاطهم فى نشرالمذهب الشيعى والسماح لهم بالاشتراك فى حكم الدولة(٣).

---

(١) جمال الدين سرور: دولة بنى قلاوون، ص١٦٠؛ رحمت الله مهزار: بزركَان شيراز، ص٣٩٠؛ محمود سعيد عمران: مرجع سابق، ص١١٨- ١١٩.

(٢) اليونينى: ذيل مرآة الزمان، المجلد الثالث، ص١٨٥؛ محمد مرسى الشيخ: مرجع سابق، ص٢٤٩.

(٣) محمد جواد مشكور: نظرى آذربايجان، ص١٧٢؛ عبدالسلام فهمى: الدولة المغولية، ص١٥٤.

خلاصة القول أن الشيعة نالت مكانة عالية ومرتفعة تحت حكم الدولة الإيلخانية بفارس ولم يلحق بها الاضطهاد الذى أصاب أهل السنة والجماعة، ولعلم علمائها بالنجوم والفلك، ومحبة مغول فارس لتلك العلوم ازداد تقريب الشيعة إلى حكام مغول فارس وكان ذلك سببًا ضمن عدة أسباب ساعدت على تحول إيران إلى دولة شيعية حتى وقتنا الحاضر.

أما عن أهل المعتقدات الأخرى من مجوس ووثنيين وشامانيين فقد شملهم آباقا بالعطف والرعاية والتسامح وسمح لكهنتهم بممارسة دعوتهم بكل سهولة ويسر[(١)].

وقد مات آباقاخان عن عمر يناهز الخمسين عامًا، وملكه كان ثماني عشرة سنة تقريبًا وقيل إن سبب موته إفراطه فى شرب الخمر وحزنه على هزيمة أخيه منكوتمر فى سوريا على يد المماليك وكانت وفاته عام ٦٨٠هـ/ ١٢٨٢م[(٢)].

وحدث تطور دينى غاية فى الأهمية عقب اعتلاء تكودار عرش دولة مغول فارس عام ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م حيث أعلن تكودار إسلامه ولقب نفسه بلقب السلطان أحمد تكودار فكان بذلك أول إيلخان بدولة مغول فارس يعتنق الإسلام[(٣)].

---

(١) الإدريسى: نزهة المشتاق، ص٥١١؛ رحمت الله مهزار: مرجع سابق، ص٣٩٠.

(٢) فؤاد الصياد: الشرق الإسلامى، ص١١٤؛ شيرين بيانى: مرجع سابق، ص٣٧٣.

(٣) القلقشندى: صبح الأعشى، جـ٧، ص٢٣٧؛ بيبرس المنصورى: مختار الأخبار، ص٧٤؛ ابن الوردى: تتمة المختصر فى أخبار البشر، جـ٢، ص٢٢٣.

أما عن أسباب اعتناق أحمد تكودار للإسلام فترجع إلى:- اتصال هذا السلطان برعاياه من المسلمين فصار يميل إلى الإسلام تدريجيًا فلما توطدت علاقته بعلماء المسلمين وعظمائهم أعلن إسلامه، وكان أيضًا من ضمن عوامل اعتناق أحمد تكودار للإسلام قربه من بعض المشايخ وصلته بعلاء الدين وشمس الدين الجويني حاكمي بغداد وتبريز فكان للجميع أثرهم في تحول أحمد تكودار إلى الإسلام(١) ويرجع شبولر اعتناق تكودار الدين الإسلامي إلى عوامل سياسية، ويرى أنه حتى هذا الوقت لم يوفق المغول في التفوق على المماليك بمصر والشام ولهذا السبب حرص الإيلخان الجديد أن يختار الصلح بدلاً من الحرب فاعتنق الإسلام(٢).

ورأى شبولر قد جانبه الصواب لعدة أمور منها:-

- أن أحمد تكودار لو أراد أن يوقف الحرب بينه وبين المماليك لدخل معهم في صلح ومهادنة دون تغيير معتقده الديني.

- كان أمام أحمد تكودار خيار آخر يتمثل في إعلانه التبعية لدولة المماليك وكان هذا سيبقيه على معتقده.

- ولو كان الأمر سياسيًا لظل معتنقًا المسيحية ولراسل الغرب الأوروبي والبابوية اللذين حلما كثيرًا بتحول إيلخانات فارس إلى المسيحية، ومحاولة التحالف معهما ضد الإسلام والمسلمين.

---

(1) Howorth: Op.Cit., III, p.289;

فؤاد الصياد: رشيد الدين الهمذاني، ص٦٠؛ صبحي عبدالمنعم: المغول والمماليك، السياسة والصراع، الطبعة الأولى، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص٢٦.

(١) فؤاد الصياد: الشرق الإسلامي، ص١٢٦.

- يضاف إلى كل ما سبق رأى أحد المؤرخين المعاصرين من أن تكودار عندما أسلم حسن إسلامه ((الدولة الإيلخانية الأحمدية التى نشرت ألوية الشريعة المحمدية وبسطت يد العدل فى الأرضين وكفت عن البلاد والعباد أكف الظالمين))[١].

ومن مظاهر حسن إسلام أحمد تكودار أنه صار على نهج الإسلام وعقيدته والتزم بكل تعاليمه ومبادئه وأرسل إلى فقهاء بغداد من أجل الاستفادة من علمهم وأعلن عن رغبته فى حماية الإسلام والعمل على إعلاء شأنه كما أظهر رغبته فى أن يظل فى سلام ومودة مع جيرانه المسلمين وأصدر أوامره بتطبيق شريعة الإسلام وإعلاء كلمة الحق والدين[٢] ورفع راية عزة الإسلام والمسلمين عالية خفاقة إلى عنان السماء وقوض بنيان أحفاد جنكيزخان وأسرهم، وصار جاهدًا فى نشر الإسلام بين المغول[٣].

أما عن أبرز ما قام به أحمد تكودار من أعمال بعد اعتناقه للإسلام، فقد طبق الشريعة الإسلامية وحاول إقرار العدل كما ذكرنا سلفًا. وبادر إلى إرسال الرسائل إلى السلطان المملوكى المنصور سيف الدين قلاوون (٦٧٨ - ٦٨٩هـ/ ١٢٧٩ - ١٢٩٠م) يخبره فيها بإسلامه وبذلك خفت حدة التوتر بينه وبين السلطان قلاوون وتبودلت الرسائل

---

(١) ابن الفوطى: الحوادث الجامعة، ص٢٠٠.

(٢) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ٧، ص٢٦٢؛ جمال الدين سرور: دولة بنى قلاوون، ص١٦٣؛ ب.م هولت: عصر الحروب الصليبية (تاريخ الشرق الأدنى من القرن الحادى عشر حتى عام ١٥١٧م) ترجمة وتعليق عادل هلال، جامعة الإسكندرية، دمنهور، ٢٠٠٤م، ص٢٢٠.

(٣) المقريزى: السلوك، جـ٢، بيروت، ص١٥٧- ١٥٨؛ خواندمير: دستور الوزراء، ص٣٥٣.

الودية بين الطرفين وكذلك الهدايا، وزالت الأحقاد والضغائن بين الطرفين(١).

وقد ترتب على إسلام أحمد تكودار أن خلا الديوان من المسيحيين واليهود وحولت المعابد البوذية والكنائس إلى مساجد وحاول أن يجبر كثيرًا من المسيحيين على اعتناق الإسلام(٢) والتزم أهل الذمة بلبس العلامات المميزة وأقر عليهم الجزية(٣). وعلى الجانب الآخر كان لإسلام تكودار رنة فرح بين المسلمين وبخاصة الإيرانيون منهم واعتبره علماء بغداد المسلمون أنه حامي الإسلام والمسلمين ونعتوه بناشر دين الله المبين، أما بقية المجتمع الإسلامي الواقع تحت نير المغول فقد تجدد الأمل عندهم لاسيما الإيرانيون منهم بعدما غلبوا على أمرهم وملأت الحسرة قلوبهم نتيجة ما اقترفه المغول من فظائع ومصائب فتعاطفوا معه وتطورت علاقة تكودار بعلماء الدين الإسلامي وعظماء المسلمين واتخذهم أصفياء له وأعوانًا(٤) وبنى تكودار الجوامع والمساجد والأوقاف ورتب القضاة واهتم بكافة شئون المسلمين(٥).

---

(١) ابن سباط: تاريخ بن سباط، ص٤٧٩؛ بيبرس الدوادار: زبدة الفكرة، ص٢٠٣-٢٠٥؛

محمد جواد مشكور: نظرى آذربيجان، ص١٧٢.

(٢) بيبرس الدوادار: زبدة الفكرة، ص٢٢١؛ سير توماس. أرنولد: مرجع سابق، ص٢٦٣.

(٣) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ٧، ص٢٦٢.

(٤) عبدالسلام فهمى: الدولة المغولية، ص١٦٧؛ محمد ماهر حمادة: حروب صليبية، ص٨٠.

(٥) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ٧، ص٢٦٢؛ ابن الفرات تاريخ بن الفرات، ص٢٤٨- ٢٤٩.

واشتغل السلطان أحمد تكودار بنشر الإسلام وإعادة الطمأنينة للمسلمين وإصلاح ما خربه المغول، فكان إسلامه عاملاً مهمًا فى استقرار الأمور وأحيط بكل تقدير وإكبار، ثم إن إسلامه كان عاملاً مهمًا فى تهذيب طباعه وتقويم خلقه فلم يعد ذلك المغولى الذى كان كل همه سفك الدماء وتخريب البلاد وصب البلاء على معظم الناس[١].

كذلك حاول السلطان أحمد جاهدًا أن يحول كافة المغول إلى الإسلام وعقائده ولكن وجد منهم إصرارًا على التمسك بدياناتهم البوذية، ورفضوا رفضًا باتًا الارتداد عن هذا الدين، فلم يجرؤ على حملهم على اعتناق الإسلام، وإنما لجأ إلى ذلك عن طريق بذل العطايا والمنح والألقاب التشريف، حتى إن عددًا كبيرًا من المغول دخل فى عهده عقيدة الإسلام[٢]، وكان تكودار يعتنق الإسلام على مذهب أهل الجماعة المذهب السنى[٣].

على أن انتشار الإسلام بين مغول فارس – ولو بصفة مبدئية – لم يكن معناه زوال ما بين الدولتين المغولية والمملوكية من عداء ومشكلات سياسية كما أن وجود سلطان مسلم على العرش المغولى لم يقض على العداء ولكن خفف من حدته، لأن السياسة العدائية نحو مصر كانت أساسًا وتقليدًا انتهج للمحافظة على مصالح وأطماع دولة مغول فارس[٤].

---

(١) ابن الفوطى: الحوادث الجامعة، ص٢٠٠؛ المقريزى: السلوك، جـ٢، بيروت، ص١٥٨؛

عبدالسلام فهمى، مرجع سابق، ص١٦٨.

(٢) فؤاد الصياد: الشرق الإسلامى، ص١٢٥- ١٢٦؛

Howorth: Op.Cit., III, p.289; Jin Jones: The Mongol Terror, p.5.

(٣) عبدالنعيم حسنين: إيران فى ظل الإسلام فى العصور السنية والشيعية، الطبعة الثانية، دار الوفاء للنشر، المنصورة، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م، ص٥٩.

(٤) أحمد مختار العبادى: الأيوبى والمملوكى، ص٢٣٧.

وقد آلت الأمور فى نهايتها إلى الرغبة الملحة من قبل قواد المغول للتخلص من أحمد تكودار بسبب سياسته الدينية واعتبروه خارجًا عن تقاليد الياسا فتآمر عليه أرغون وكبار قادته ونجحوا فى الإيقاع به وقتله فى ليلة الخميس ٢٦ من جمادى الأولى سنة ٦٨٣هـ/ ١ أغسطس سنة ١٢٨٤م بعد سلسلة من الصراعات[١].

وبعد مقتل أحمد تكودار قضى على شوكة المسلمين الإيرانيين الذين قوى نفوذهم فى المدة القصيرة التى تولاها السلطان أحمد تكودار واستطاعوا خلالها أن يشلوا حركة المسيحيين والمغول ولكن هذا التغيير الذى طرأ على الموقف كان بمثابة نكسة أحلت قوانين جنكيزخان وتقاليد (الياسا) مرة أخرى محل الشريعة الإسلامية[٢].

وأعقب أحمد تكودار على عرش دولة مغول فارس أرغون خان (٦٨٣ – ٦٩٠هـ/ ١٢٨٤ – ١٢٩١م) وهو الابن الأكبر لآباقاخان، وانتخبه مجلس القوريلتاى خانًا للمغول بفارس يوم الجمعة ٢٧ جمادى الأولى لعام ٦٨٣هـ/ ١٢٨٤م[٣].

وبعد استتباب الأمور بداخل دولة مغول فارس أسند أرغون إدارة شئون دولته إلى أعوانه وأتباعه الذين وقفوا بجانبه ضد عمه السلطان أحمد تكودار من بينهم الأمير بوقا الذى أطلق أرغون يده فى تصريف شئون الدولة، وأنعم عليه بلقب أمير الأمراء، تعظيمًا لشأنه واعترافًا بفضله؛ فجعله فى منزلة أقرب ما تكون إلى الشريك منها إلى التابع،

---

(١) فؤاد الصياد: الشرق الإسلامى، ص١٤٦؛ Jin Jones: Op.Cit., p.7.

(٢) عبدالمحمد آيتى: مصدر سابق، ص٧٤؛ فؤاد الصياد: رشيد الدين الهمذانى، ص٦١.

(٣) رشيد الدين الهمذانى: تاريخ أبناء هولاكو، المجلد الثانى، جـ٢، ص١٢٤.

وساعده فى مهامه خواجه فخر الدين محمد المستوفى القزوينى، كذلك نصب أرغون ابنه غازان واليًا على خراسان وعين الأمير نوروز الذى كان حاكمًا على إيران قبل مجىء هولاكو نائبًا له[1].

أما عن المعتقد الدينى لأرغون فقد كان بوذيًا وظل مقيمًا على بوذيته فى قوة واندفاع وسمح للبوذيين بإقامة معابد كثيرة للأصنام فى إيران[2] ثم أحب أرغون دين البخشية وهم الطائفة المشهورة بعبادة الأصنام والسحر وعظم طريقتهم وخصوصًا الطائفة المنتسبة منهم إلى براهمة الهند وكان يقيم تعاليمها وينفذ أغلب أوامرها وكان يجلس فى السنة أربعين يومًا فى خلوة، ويتجنب أكل اللحوم على حسب ما دعت العقيدة البراهيمية[3].

ثمة ملاحظة وهى أن أرغون كان متأثرًا بعبادة الأصنام ومحبًا للسحر والشعوذة والرياضة فعندما حدث تحول دينى فى حياته انتقل من عبادة أصنام البوذية إلى أصنام البراهمة فلم يكن لديه تطور دينى فى معتقداته ولم يقُده تفكيره إلى اعتناق أية ديانة سماوية فظل طيلة حياته يقدس البوذية والبراهمة ويحافظ على تعاليمها ويسمح لأفرادها ببناء المعابد لأصنامهم.

---

(١) ابن سباط: تاريخ بن سباط، ص٤٨١- ٤٨٢؛ عبدالسلام فهمى: مرجع سابق، ص١٧٢.

(٢) رشيد الدين الهمذانى: تاريخ غازان، ص١٢٢؛ محمد حمزة الحداد: المنصور قلاوون، ص٩٠.

(٣) ابن خلدون: تاريخ بن خلدون، جـ ، ص٥٢٩؛ بيبرس الداودار: زبدة الفكرة، ص٢٥٧؛

عباس العزاوى: حكومة المغول، ص٣٥٢؛ شيرين بيانى: مرجع سابق، ص٤٢٠.

ورغم كون أرغون بوذيًا إلا أنه اتبع سياسة تفيض حماسة وقوة لخدمة المسيحية والمسيحيين وقد كانت زوجته مسيحية نسطورية وهى أوردك خاتون كما كان أرغون صديقًا لبطريرك النساطرة، وبفضل زوجته وصديقه زادت مكانة المسيحيين وعلا شأنهم وأحسن أرغون فى معاملتهم وأرسل سفارات إلى المقر البابوى فى أوروبا ليعبر لهم عن رغبته فى صداقتهم والدخول معهم فى تحالف، وأشهر هذه السفارات سفارة ربان صوما إلى البابا نيقولا الرابع عام ٦٨٦هـ/ ١٢٨٧م[١].

وقد أحسن أرغون إلى المسيحيين وشملهم بكرمه وسخائه فمنحهم أعطيات سخية ووزع عليهم الهدايا وبدأت تنتشر حركة التبشير بين مغول فارس بحرية تامة[٢] وحصل المسيحيون على كافة المناصب المهمة فى الإدارة ولاسيما فى النواحى المالية، وأعيد إعمار الكنائس التى دمرها أحمد تكودار، وأعلن أرغون للبابوية عن رغبته فى إقامة كنيسة متنقلة على هيئة خيمة وتلحق ببلاطه ويتولى أمرها ربان صوما، وفعل ذلك رغبة منه فى كسب ثقة البابوية ومحاولة إقناعهم بأنه سيعتنق المسيحية، وكان يهدف من وراء ذلك الدخول معهم فى تحالف ضد المماليك فى مصر والشام[٣]، ولكن لم يكتب لهذا التحالف النجاح ولم يقع أى قتال فى عهد أرغون مع المماليك ربما كان ذلك راجعًا إلى اشتغال جنوده فى ميادين أخرى وانصراف غرب أوروبا إلى المخاصمات والعداوات[٤].

---

(١) عبد السلام فهمى: مرجع سابق، ص١٧٨؛ محمد حمزة الحداد: مرجع سابق، ص٩٠.

(٢) جوانفيل: القديس لويس، ص١٩- ٢٠؛ محمد مرسى الشيخ: مرجع سابق، ص٣٢٤.

(٣) سير توماس. أرنولد: مرجع سابق، ص٢٦٣؛ محمد مرسى الشيخ، مرجع سابق، ص٢٥١.

(٤) عبد السلام فهمى: مرجع سابق، ص١٨١.

وكانت مكانة اليهود إبان عهد أرغون لا تقل عن مكانة المسيحيين خاصة بعد اختيار أرغون لسعد الدولة اليهودى وزيرًا له والذى كانت له سلطة مطلقة وهذا الأمر جعله شخصًا مستبدًا طاغية، فكان مثل غيره من اليهود رجلاً متعصبًا لأقاربه وأبناء جلدته فولاهم المناصب المهمة وعهد إليهم بعظائم الأمور حتى صاروا يسيطرون على كل صغيرة وكبيرة وارتفعوا إلى مرتبة الأمراء والسلاطين بعد أن كانوا أذلاء، وتفوهوا بعبارات الاستهزاء والإهانة والسخرية من المسلمين[١].

أما عن أحوال المسلمين إبان عهد أرغون فقد كانت سيئة للغاية، فقد اشتهر بسياسته المعادية للمسلمين واضطهادهم ومحاولة التحالف مع الغرب الأوروبى من أجل القضاء عليهم[٢] وإمعانًا فى إظهار أرغون عداءه للمسلمين قام بإبعادهم من المناصب المهمة فى الدولة والبلاط مثل القضاء والمالية ولم يقتصر الأمر على ذلك بل قام وزيره سعد الدولة اليهودى بالكيد للإسلام والتآمر عليه والحط من شأن المسلمين[٣].

وصارت أحوال المسلمين غاية فى السوء إبان عهد أرغون الذى أقدم على قتل الأبرياء منهم لأى سبب من الأسباب وأمر بألا يعمل أحد من المسلمين فى الديوان مطلقًا وكان يمنع أفراد تلك الطائفة من التردد على المعسكر السلطانى كما اتفق مع وزيره سعد الدولة على تحويل

---

(١) خواندمير: دستور الوزراء، ص٣٦٣؛ فؤاد الصياد: رشيد الدين الهمذانى، ص٦٢.

(2) Rabban Sowma, Op.Cit., p.172.

(٣) جمال الدين سرور: دولة بنى قلاوون، ص١٧٢؛ عادل إسماعيل هلال: مرجع سابق، ص١١٩؛
محمد جواد مشكور: نظرى آذربايجان، ص١٧٢؛ شيرين بيانى: مرجع سابق، ص٤٢١.

الكعبة إلى معبد للأصنام وتحويل المسلمين إلى عبادة الأوثان وبهذا المفهوم بعث برسائل ومكاتبات إلى اليهود صناع الأوثان من الأعراب يخبرهم برغبته بالتوجه بالأصنام إلى مكة وفشل هذا المخطط بسبب مرض أرغون العضال، فلم يشف منه رغم محاولات الأطباء[١].

وكان أرغون محبًا للسحر فقرب السحرة إليه وأوحى إليه أحد سحرة الهند أن لديه معجونًا إذا داوم أرغون على تناوله طالت حياته، فسبب له هذا المعجون صرعًا وكان سببًا فى وفاته وتوفى أرغون خان فى اليوم السادس من ربيع الأول عام ٦٩٠هـ/ العاشر من مارس عام ١٢٩١م[٢].

وقد تولى كيخاتوخان مقاليد الحكم فى دولة مغول فارس خلفًا لأرغون واستمر حكمه من عام ٦٩٠هـ/ ١٢٩١م إلى ٦٩٤هـ/ ١٢٩٤م وبعد إتمام مراسم الاحتفالات والابتهاجات والأنس والمرح كعادة المغول عند تولية الخان الحكم قام بممارسة مهامه وأعماله[٣].

وكان كيخاتوخان يميل إلى البوذية ويعتبرها هى المعتقد الدينى الحق فقد صار على نهج أرغون من حيث المعتقدات الدينية[٤] والتعاطف مع المسيحيين وشاركهم فى مناسباتهم وأعيادهم وأجاز لهم أن يبنوا كنائس

---

(١) خواند مير: دستور الوزراء، ص٣٦٣- ٣٦٤.

(٢) ابن خلدون: تاريخ بن خلدون، جـ٥، ص٥٢٩؛ بيبرس الدوادار: زبدة الفكرة، ص٢٥٧؛
عبدالسلام فهمى: مرجع سابق، ص١٨١.

(٣) رشيد الدين الهمذاني: تاريخ أبناء هولاكو، المجلد الثاني، جـ٢، ص١٦٩- ١٧٠.

(4) Moule: China, p.119; Howorth: Op.Cit., III, p.352.

جديدة، ونال المسيحيون كثيرًا من المكاسب وسمح للبعثات الدينية بالتواجد والقيام بعمليات التبشير بين مغول فارس[١].

وقد كان كيخاتو على النقيض من سلفه أرغون حيث اتبع سبيل المهادنة مع بقية الأديان والمعتقدات، فقد أسند منصب الوزارة فى عهده إلى أحد المسلمين وهو "أحمد الخالدى الزنجاى" ولقب بلقب "صدر جهان" ومنحه سلطات واسعة، وأعفى كيخاتو علماء المسلمين وذرية الرسول عليه الصلاة والسلام من دفع الضرائب، وعندما استخدم العملة الورقية "الجاو" كتب عليها لا إله إلا الله محمد رسول الله، ولم تتوقف سياسته فى التسامح عند المسلمين والمسيحيين فحسب بل امتدت لتشمل بقية الأديان الأخرى، فقام باستدعاء أئمة المسلمين وعلمائهم، وأساقفة النصارى، وأحبار اليهود، ورهبان البوذية إلى فراشه أثناء مرضه للدعاء له[٢].

ورغم تسامح كيخاتو إلا أنه عرف عنه أنه شخص ضعيف النفس، عديم الكفاءة، سكيرٌ عربيد، ينشد المتعة واللذة، وأفحش بالفسق فى أبناء المغول فكان هذا السلوك الشائن من أهم الأسباب التى جعلت أمراء المغول يكرهونه[٣] وراسلوا بايدو من أجل القضاء عليه والتخلص من شروره وآل الأمر فى نهايته إلى مقتل كيخاتو يوم الخميس ٦ من جمادى الأولى عام ٦٩٤هـ/ ٢٣ أبريل ١٢٩٥م وكان عمره وقتئذ نحو ثلاثين عامًا وخلفه بايدوخان فى حكم دولة مغول فارس[٤].

---

(1) Moule: Op.Cit., p.119.

(٢) أحمد عبدالعزيز بقوش: مرجع سابق، ص٢٥٥- ٢٥٧.

(٣) فؤاد الصياد : الشرق الإسلامى ص٢٢٥؛
Moule: Op.Cit., pp.119- 120.

(٤) ابن الفوطى: الحوادث الجامعة، ص٤٨١.

وكان بايدوخان (جمادى الأولى – ذو القعدة ٦٩٤هـ/ أبريل – أكتوبر ١٢٩٤م) يعتنق الوثنية مثل آبائه وأجداده[١] وقرر بايدو إعادة الوظائف والحقوق إلى أصحابها، وأعفى الأوقاف الإسلامية من الضرائب، وعهد بأمور الجيش وإمرة الأمراء إلى الأمير طغاجار، كما اختار جمال دستجرداني للوزارة خلفًا لصدر جهان وزير كيخاتو، فاختار لقب الوزير بدلاً من لقب "صاحب الديوان" وسلك الأمير طغاجار مسلك آباقاخان إذ جعل إدارة كل ولاية من ولايات الدولة في يد أمير من الأمراء[٢].

كما عرف عن بايدو أنه كان محبًا للنصرانية وشديد التعاطف معها ومع رعاياه من المسيحيين فسمح لهم ببناء الكنائس واعتبره البعض مسيحيًا لأنه كان يعلق الصليب حول رقبته[٣] واجتهد في وضع العقبات في سبيل انتشار الإسلام بين المغول فحرم على كل شخص أن يدعو لذلك الدين أو أن ينشر عقائده بينهم وفي المقابل سمح لدعاة التبشير أن ينشروا المسيحية بين المغول بفارس[٤].

ولم يكد بايدوخان يتولى العرش الإيلخاني بفارس ويستتب له الأمر حتى نازعه فيه الأمير غازان بن أرغون – وكان واليًا على خراسان من قبل والده حتى ذلك الوقت – والذي استنكر ما حدث لعمه كيخاتو، وأيده في ذلك الأمير نوروز أحد أمراء المغول الذين أسلموا وخلص إسلامهم، وقاد جند غازان في حربه ضد بايدو ورأى الأمير

---

(1) Rockhill, Jackson: Op.Cit., p.20 ;

سير توماس . أرنولد: مرجع سابق، ص٢٦٣.

(٢) عبد السلام فهمي: مرجع سابق، ص١٨٧.

(3) Rockhill: Study in the Journay of Roubruck, p.72; M. Ripinsky: Shamanism, p.58.

(٤) سير توماس. أرنولد: مرجع سابق، ص٢٦٣؛ فايد حماد عاشور: الجهاد الإسلامي، ص٣٠٩.

نوروز الإيلخان الجالس على العرش صاحب شخصية ضعيفة، وصار تحريك شئون الدولة بيد الأمراء وأسند أمور البلاد إلى طغاجار، يضاف إلى ذلك أن غازان برر خروجه على بايدو لكونه قتل كيخاتو[١].

وزاد الخلاف بين بايدو وغازان بعد اعتناق غازان للدين الإسلامي عام ٦٩٤هـ/ ١٢٩٥م وتسمى باسم محمود، وذلك بفضل جهود الأمير نوروز الذى كان يشجع غازان من وقت لآخر على اعتناق هذا الدين الحنيف[٢] وعندما حاول بايدو منع الوعاظ ودعاة الإسلام من ممارسة الدعوة أوقعه ذلك فى نزاع مع أمراء المغول المسلمين وأدى ذلك إلى التفافهم حول غازان بعد اعتناقه للإسلام وآلت الأمور فى نهايتها إلى القضاء على بايدو فى ذى القعدة عام ٦٩٤هـ/ أكتوبر ١٢٩٤م[٣].

ثمة ملاحظة غاية فى الأهمية وهى أن بمقتل بايدو انتهت فترة الحكم الإيلخانى الوثنى وأعلن غازان الدين الإسلامى دينًا رسميًا لدولة مغول فارس الإيلخانية واللافت للنظر أن أحمد تكودار فقد عرشه بسبب اعتناقه للإسلام وبعد مرور اثنتى عشرة سنة خلع بايدو وتم القضاء عليه بسبب معاداته للإسلام والمسلمين ومنعه من نشر الإسلام بين مغول فارس، وتلك هى الأيام دول تتداول بين الناس.

ولكن السؤال الذى يفرض نفسه وهو ما هى الأسباب والعوامل التى ساعدت على انتشار الإسلام بين مغول فارس ؟! رغم محاولات المسيحية والبوذية المستميتة فى تحول مغول فارس إلى معتقداتهم وهذا سيتبين مما يلى:

---

(١) عبد السلام فهمي: مرجع سابق: ص١٨٧.

(٢) فؤاد الصياد: الشرق الإسلامى، ص٢٣٨؛

Hung William: Op.Cit., p.490.

(٣) عبد المحمد آتيي: مصدر سابق، ص١٩٨- ١٩٩؛

Rockhill, Jackson: Op.Cit., p.17; M. Ripisky: Op.Cit., p.57.

خامسًا: مغول فارس وعوامل انتشار الإسلام بينهم:-

لقد تسلل الإسلام إلى مغول فارس فى بطء وأخذ سنوات طويلة حتى تحول مغول فارس إلى الإسلام ويعزى البطء فى انتشار الإسلام إلى الصراع الطويل والمنافسة الشديدة التى طال زمنها مع البوذية والمسيحية لاكتساب المغول، هذا بجانب إصرار إيلخانات فارس أن يظلوا على وثنيتهم، ولم يكن هناك دعوة منظمة وموجهة من قبل علماء المسلمين لتحويل مغول فارس إلى الإسلام ولكن هناك عدة عوامل كان لها الفضل فى تحويل المغول بفارس إلى الإسلام ومن أبرزها:-

أن أهل فارس كانوا مسلمين منذ الفتح الإسلامى الأول على عهد الخلفاء الراشدين وانتشر الإسلام فى خراسان وإرمينية وآذربيجان وبلاد الترك والخزر، ودعا الإسلام إلى حسن الجوار وعدم الظلم وأمر بالإحسان والمساواة(١). وتواجد مغول فارس داخل هذا المجتمع المسلم كان له أثره فى تحولهم إلى الإسلام وكان من الضرورى أن يعتنق إيلخاناتهم الإسلام ليسهل لهم قيادة رعاياهم المسلمين وصاحب سوء معاملة المسلمين من إيلخانات فارس الأوائل الوثنيين نتيجة عكسية حيث تحول العديد من المغول بفارس إلى الإسلام لاسيما إبان عهد بايدو الذى كان شديد الكراهية للإسلام إلا أن هناك حقيقة لا يجب إغفالها وهى أن كثيرًا من مغول فارس اعتنقوا الإسلام على عهده(٢).

وقد ساعد انتصار المسلمين فى معركة عين جالوت ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م أن رجعت وحدة مصر والشام وقوى حكم المماليك وزاد ذلك من قوة العنصر الإسلامى مما كان له مردوده فى نشر الإسلام بين مغول

---

(١) ابن الأعثم: الفتوح، ص٢٥٨؛ القلعى: الرياسة، ص٢٢٥.

(2) D'ohsson:Op.Cit., T4, p.141; مصطفى طه بدر: مغول إيران، ص١٢.

فارس بشكل كبير، وتحول بعض قواد المغول فى فارس والصين إلى الإسلام فقاموا بنشر الإسلام بين الكثيرين من جنودهم الذين كانوا يعملون تحت رئاستهم(١).

وعرف المغول الإسلام ومبادئه وتعاليمه منذ وقت مبكر وإن تأخر اعتناقهم له فقد انتشر الإسلام منذ مراحل مبكرة بين الكثير من أهل الصين من خلال التجار المسلمين بل تعدى الأمر لأكثر من ذلك حيث توافد المسلمون من آسيا الوسطى والجنوبية إلى التبت لممارسة التجارة والتبادلات الثقافية وبدأ بعضهم يستوطن فى التبت فساعد ذلك على انتشار الإسلام بين المغول، هذا بجانب الدور الكبير الذى لعبّه طريق الحرير فقد كان معبرًا لتبادل الثقافة والتجارة وانتقال الديانات(٢).

وبعد أن أتى المغول من إقليم جدب موحش واستقروا وسط فارس وقفوا ذاهلين أمام حضارة الإسلام فهم بما كانوا عليه من همجية ووحشية وقسوة وسفك الدماء وتغلب القوى على الضعيف وخضوع الأصغر للأكبر وطاعته له دون مناقشة، ولا يرون غسل ثيابهم حتى تبلى، ولا يميزون بين طاهر ونجس ويقتلون الأسير، وفى المقابل وجدوا الحضارة الإسلامية تدعو إلى الاستقرار، وجذبتهم مدن الإسلام بما فيها من قصور ودور وحمامات ومدارس ومساجد وحدائق لم يعرفوها من قبل، ورأوا

---

(١) حسن عبدالوهاب حسين: جماعة الفرسان التيوتون، ص٢٨٨؛ محمود أحمد قمر: دراسات فى تاريخ الإسلام فى الشرق الأقصى، مركز الدراسات والبحوث الآسيوية، جامعة الزقازيق، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، ص٣٢.

(2) Paul Demieville: La Rout de la Soie, Paris, 1963, pp.36- 37; سون ينغ تشن: المسلمون فى التبت، ص٨٧؛ تشانغ تشى تشنغ: المسلمون فى شانغهاى، ص١١١.

حياة اجتماعية وأساليب معيشية راقية لم يسمعوا بها في حياة البادية بجانب المثل والقيم الإسلامية التى فاقت ما كان لديهم من مثل وقيم لا تعبر إلا عن الوحشية والقسوة[١].

وقد كان من ضمن العوامل التى ساعدت على نشر الإسلام بين المغول "الياسا" التى التزم بها جميع المغول وأصبحت مرجعيتهم فى شتى مناحى الحياة وحملت قوانينهم، فوجد المغول أن هناك بنودًا كثيرة فى الياسا جاءت موافقة للشريعة الإسلامية ولتعاليم النبى (سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام) [٢] فكان لذلك أثره فى معرفة الإسلام واعتناقه من قبل المغول بفارس لأنهم وجدوا البنود التى خالفت الياسا فى الإسلام تحمل قيمًا ومبادئ سامية[٣] هذا بجانب السماحة الدينية التى دعت إليها الياسا فكانت عاملاً مهمًا فى الدعوة إلى الإسلام بحرية دون مخافة عقاب، واللافت للنظر أن هولاكو الذى حطم الخلافة العباسية فى بغداد والذى يعتبر أكبر عدو للإسلام كان يشمل برعايته اثنين من كبار الكتاب المسلمين فى زمانه وهما نصير الدين الطوسى، وعطا ملك الجوينى، وسمح لهما قربهما من هولاكو بتوفير قدرٍ كبير من حماية المسلمين ونشر الإسلام بين مغول فارس[٤].

---

(١) رشيد الدين الهمذاني: تاريخ أبناء هولاكو، المجلد الثانى، جـ٢، ص٦- ٧؛ برتولد شبولر: العالم الإسلامى، ص٤٣؛ رجب محمد عبدالحليم: مرجع سابق، ص٦٣.

(٢) الدلجى: الفلاكة، ص١٥٥.

(3) Morgan: The Great Yasa, p.171; Abdul Hamid. Abusulay Man: Towords an Islamic, p.29.

(٤) ابن الفُوطى: الحوادث الجامعة، ص٣٥٣؛ براون: مرجع سابق، ص٥٦٤.

أما عن أثر الزوجات المسلمات فى تحويل مغـول فـارس إلـى الإسلام فقد كان كبيرًا نظرًا لاتخاذهن زوجات من قِبَل المغول؛ ذلـك أن كثيرًا من إيلخانات وأمراء وقواد المغول تزوجوا بتركيـات وفارسـيات مسلمات، واتخذوا من الأسيرات المسلمات سرارى ومحظيات، وكان لذلك بالطبع أثره الكبير فى بلاط المغول وفى الأسرات المغولية بفارس بصفة عامة، فقد أصبح البلاط المغولى يموج بالعديد من النساء المسلمات اللائى كان لهن تأثير كبير على رجال هذا البلاط، فتحول كثير من الأمراء إلى الإسلام قبل أن يصبح هذا الدين هو الدين الرسمى للمغول، كما أن البيت المغولى ضم العديد من المسلمات اللاتى كن يشرفن على تربيـة الأولاد ويقمن بشئون الخدمة فى البيت، وكان لهذا أثره أيضًا فى انتقال أسـاليب الحضارة الإسلامية فى المعيشة والعادات والتقاليد إلى هذه الأسر المغولية البدائية وكان هذا ممهدًا لتحولها إلى الإسلام(١).

وبعدما تغلب جنكيزخان على خوارزم شاه عام ٦١٧هـ/ ١٢٢٠م أسر أمه وبناته وتزوج ابنه جوجى واحدة منهن، وتزوج بعـض أمـراء المغول بقيتهن، وينبغى ألا ننسى أن جوجى هو جد بركة خـان سـلطان القبيلة الذهبية فى بلاد القفجاق، والذى كان أول من أسلم من ملوك المغول كافة حوالى عام ٦٥٣هـ/ ١٢٥٥م وغضب لغزو هولاكو لبغداد وتوعده بالقتال جزاء ما أصاب خليفة المسلمين وبغداد من دمار وقتل وتخريب(٢).

---

(١) رجب محمد عبدالحليم: مرجع سابق، ص٦٦؛

Helfgott Leonard:- A Cltural History of Islamic Textiles, Vol. 104, No. 5, U. S. A., 1999, p.301.

(٢) رشيد الدين الهمذانى: الإيلخانيون تاريخ هولاكـو، المجلـد الثـانى، جـ١، ص٣٣٢- ٣٣٣- ٣٣٩؛

رجب محمد عبدالحليم: مرجع سابق، ص٦٦- ٦٧.

وعندما أسقط هولاكو بغداد أصدر أمرًا بإحصاء نساء الخليفة فعدوا سبعمائة زوجة وسرية وألف خادمة، فلما اطلع الخليفة على تعداد نسائه، تضرع وقال: ((مُنَّ على بأهل حرمى اللائى لم تطلع عليهن الشمس والقمر، فقال له هولاكو اختر مائة من هذه النساء السبعمائة واترك الباقى، وأصبح الباقى فى حوزة هولاكو فأهدى من أهدى واحتفظ ببعضهن لنفسه))[1] ثم جاء آباقاخان علي عرش فارس واتخذ إحدى المسلمات زوجة له، وبعد تحول تكودار إلى الإسلام صارت زوجاته كلهن مسلمات ثم جاء أرغون واتخذ من قولتاق أبكاجي المسلمة محظية له[2].

ثمة ملاحظة وهى أن بعض إيلخانات فارس تزوجوا من مسلمات رغم أنهم كانوا وثنيين معتنقين للشامانية والبوذية، والأدهى والأمر أن ذلك مخالف لتعاليم الدين الإسلامى ولا تقبله الشريعة الإسلامية.

وظهر تأثير الزوجات المسلمات على إيلخانات فارس بعدما نجحت بعضهن فى جعل زوجها يعتنق الإسلام، ومنهن على سبيل المثال زوجة أولجايتو (محمد خدابنده) (٧٠٣ - ٧١٦هـ/ ١٣٠٤ - ١٣١٦م) الذى شب على المسيحية وعمد باسم نيقولا ومردود ذلك إلى تأثير أمه المسيحية، على أنه لم يلبث أن أسلم بعد موت أمه وهو لا يزال شابًا فى مقتبل العمر، وذلك بتأثير زوجته المسلمة[3].

---

(١) رشيد الدين الهمذانى: المصدر السابق، المجلد الثانى، جـ١، ص٢٩٢.

(٢) رشيد الدين الهمذانى: تاريخ أبناء هولاكو، المجلد الثانى، ص١٢٤- ١٢٥- ١٧٠.

(٣) سير توماس. أرنولد: مرجع سابق، ص٢٦٤- ٢٦٥.

ولا شك أن مكانة زوجات المغول المسلمات ساعدت في تحويل أزواجهن إلى الإسلام فكن يتمتعن بقدرٍ كبير من علو المنزلة ورفعة الشأن عند أزواجهن، ناهيك بنساء العامة من المغول واللائي كن بالطبع أكثر عددًا ولم يذكرهن التاريخ والمؤرخون ولكنهن لعبن نفس الدور في نشر الإسلام[١]، وفي ظني أن نساء العامة من المغول تمتعن بقوة تأثير أكبر من غيرهن من نساء الإيلخانات حيث إنهن لم يتم إجبارهن على الزواج من عامة المغول، فاستطعن أن يدعين المغول إلى الدخول في الإسلام قبل إتمام عملية الزواج منهم.

ومن أبرز العوامل التي ساعدت على انتشار الإسلام بين مغول فارس السماحة الدينية التي تمتع بها معظم إيلخانات فارس وعقدهم للمناظرات الدينية بين علماء الإسلام ورجال الدين المسيحي والكهنة البوذيين فأسفرت هذه المناظرات عن اعتناق عديد من المغول للإسلام بعدما اقتنعوا به وبسمو أفكاره وتعاليمه وفي فترات الاضطهاد نال المسلمون في أثناء المناظرات صنوفًا مختلفة من العذاب مثلما حدث على عهد كيوك خان (٦٤٤ – ٦٤٦هـ/ ١٢٤٦ – ١٢٤٨م) فبعد أن أخذ المسلمون في شرح دينهم وتعاليمه قاموا للصلاة نكل بهم المسيحيون بأن ضربوا رؤوسهم في الأرض ومع ذلك لم يوقف المسلمون صلاتهم حتى انتهوا[٢] فكان إيلخانات المغول في تلك الآونة من أشد أعداء الله والإسلام والمسلمين[٣].

---

(١) رجب محمد عبدالحليم: مرجع سابق، ص٧٠.

(٢) رحمت الله مهزار: مرجع سابق، ص١٢؛ محمود محمد زيادة: مجتمعات إسلامية، ص١٢٤- ١٢٥.

(٣) القلقشندي: صبح الأعشى، جـ٧، ص٣٥١.

وبذلك نخلص إلى مظاهر العنف والشدة والتعسف فـي معاملـة المسلمين كان لها وهى الأخرى مردودٌ إيجابى فى نشر الإسلام بين مغول فارس حيث وجد المغول فى المسلمين صدق الإيمان واحتمـال العـذاب والعنف من أجل نصرته؛ فقد عذبوا فى أثناء صلاتهم بعد تحقيقهم لنصر كبير فى المناظرة ولم يمنعهم التعذيب من أداء الصلاة، وهنا أدرك مغول فارس قيمة الإسلام.

وقد كان هم الإسلام الأول الدعوة إلى التوحيد وتطهير البلاد من مظاهر الشرك بالله ومحو كل أثر لعبادة الأصنام والأوثـان وقـد نجـح الإسلام فى أداء مهمته[1].

ومما لا شك فيه أن الوزراء والموظفين المسلمين كان لهم تأثيرهم فى نشر الإسلام لاسيما أن معظم وزراء المغول وكُتّابهم وموظفيهم كانوا من المسلمين، نظرًا لبداوة المغول وافتقارهم لمعرفة وسائل الإدارة المالية لهذه البلدان المفتوحة خصوصًا أن كثيرًا من زعماء المسلمين ومثقفـيهم وفقهائهم أبدوا الرغبة فى التعاون مع المغول علـى اعتبـار أن الحكـم المغولى لبلادهم أصبح أمرًا واقعًا ولأن تعاونهم مع هـؤلاء الغـزاة قـد يخفف من سوء معاملتهم للمسلمين ويكبح جماحهم، ويجنح بهم فى النهاية إلى سياسة المسالمة والتعايش السلمى مع هذه الأغلبية المسلمة فيستفيد الطرفان حُكامًا ومحكومين، وقد تحقق هذا الهدف فعلاً وانتعشت أحـوال المسلمين فى النهاية وصمدت أمام تغلغل الدين المسيحى بـين بعـض زعماء المغول وأمرائهم وأصبح لهؤلاء المسلمين نفوذ كبير فـى دولـة مغول فارس، وقد أدى هذا الأمر إلى تحول الكثير من المغول بفارس إلى الإسلام[2].

---

(١) الكلبى: الأصنام، ص٢٢.

(٢) رجب محمد عبدالحليم: مرجع سابق، ص٧٠- ٧١.

ومن أبرز الوزراء والمستشارين الذين استعان بهم مغول فارس نصير الدين محمد الطوسى الذى عينه هولاكو وزيرًا ومستشارًا له وكان من العلماء البارزين وهو الذى بنى مرصدًا فى مرانه ونقل إليه عددًا كبيرًا من كتب ووثائق الأوقاف التى لم يُصِبْها التلف ببغداد، وامتدت سلطة هذا الوزير حتى صار تحت حكمه جميع الأوقاف التى كانت تحت حكم المغول فى إيلخانية فارس[1].

وقام هولاكو بتعيين معين الدين بروانه وزيرًا له فى بلاد سلاجقة الروم فى آسيا الصغرى كما عهد هولاكو بحكم بغداد إلى الأمير على بهادر، وعين معه مؤيد الدين ابن العلقمى وزيرًا له ولما توفى هذا الوزير تولى ابنه عزالدين أبو الفضل الوزارة ببغداد، أما منصب صاحب الديوان فقد عين فيه علاء الدين عطا ملك الجوينى، كما عين أخاه شمس الدين محمدًا الجوينى فى منصب صاحب الديوان للبلاد كلها وأطلق يده فى حل الأمور وعقدها[2].

واللافت للنظر أن الدولة المغولية بفارس اصطبغت بالصبغة الإسلامية قبل تحولها إلى الإسلام ومردود ذلك إلى الاستعانة بالمسلمين فى الوظائف الإدارية والدواوين وجباية الضرائب وارتقوا حتى نالوا مناصب الوزارة وعمل بعضهم مستشارًا للخان، فظهر أثرهم فى النواحى الدينية والاجتماعية والاقتصادية[3].

---

(١) المقريزى: السلوك، جـ١، ق٢، القاهرة، ص٤٢٠- ٤٢١.
(٢) رشيد الدين الهمذانى: الإيلخانيون تاريخ هولاكو، المجلد الثانى، جـ١، ص٣٣٨؛
ابن الفوطى: الحوادث الجامعة، ص٣٣٣.
(٣) ذبيح الله: أدبيات إيران، ص٢٥.

وقد عمل خواجه صدر الدين أحمد بن عبدالرازق الخالدى الزنجانى وزيرًا لكيخاتوخان (٦٩٠ - ٦٩٤هـ/ ١٢٩١ - ١٢٩٥م) وكذلك على شاه وزير السلطان أبى سعيد (٧١٦ - ٧٣٦هـ/ ١٣١٦ - ١٣٣٥م) وكان لإسناد هذه الوظائف العليا وغيرها من الوظائف الدنيا إلى المسلمين أثر كبير فى نقل الثقافة الإسلامية إلى الموظفين الآخرين من مغول فارس وأدى بدوره إلى انتشار الإسلام بينهم وبين الخواتين والأمراء، نتيجة الاحتكاك والمعايشة المستمرة والاتصال الدائم بين الموظفين المسلمين و زملائهم وساداتهم من المغول، يضاف إلى ذلك بناء الوزراء والمستشارين للمساجد والمدارس والمراصد والمستشفيات وغيرها من المرافق العامة التى بثت الروح فى جسد الثقافة الإسلامية من جديد، واستمر هؤلاء الوزراء فى هذا الإحياء الثقافى حتى نهضت الثقافة الإسلامية وتسللت إلى عقول المغول وقلوبهم[١].

على ضوء ما سبق يتضح أن الوزراء أحدثوا خلخلة بداخل المجتمع المغولى بفارس واستطاعوا أن يغرسوا فكرهم وعقيدتهم بين أوصالهم مما كان له أكبر الأثر في تحولهم إلى الإسلام ومردود ذلك إلى الكفاءة والتفانى فى العمل والإخلاص؛ لأنه لولا هذه الأمور ما أولاهم إيلخانات فارس ثقتهم وما كان الوزراء والمستشارون ضمن عوامل نشر الإسلام بين المغول.

وكان من ضمن عوامل انتشار الإسلام بين مغول فارس اختلاطهم بكلٍ من الفرس والترك الذين كان لهما أكبر الأثر فى تحول المغول بفارس إلى الإسلام لأن باختلاط المغول بهما تخلصوا من وحشيتهم القديمة وراحوا يسيرون فى طريق الحضارة بخطى تدريجية[٢].

---

(١) رجب محمد عبدالحليم: مرجع سابق، ص٧٤- ٧٥؛ شيرين بيانى: مرجع سابق، ص٤٣٠.

(٢) رشيد الدين الهمذانى: الإيلخانيون تاريخ هولاكو، المجلد الثانى، جـ١، ص٨٤.

وتركت الثقافة الفارسية الإسلامية انطباعها على مغـول فـارس وقوادهم لأن اللغة المغولية لم تكن قـط أداة للثقافـة والعلـوم والآداب، وهُزِمت بسهولة فى تنافسها مع الفارسية والأويغورية التركية، وساعد هذا على دخول المغول فى الإسلام، نتيجة لاستخدامهم هذه اللغة الإسلامية فى بلاطهم وفى تثقيف أنفسهم، ونتيجة لمعايشة أهلها المسلمين فـى إيـران واختلاطهم بهم واندماجهم سويًا عن طريق المصاهرة حتى ذاب مغـول فارس فى المحيط الفارسى العظيم[١].

وقد كان للترك المسلمين تأثير عظيم على المغول الذين وجـدوا أنفسهم يعيشون بين قبائل تركية مسلمة منذ أمدٍ بعيد ويشتركون معهم فى الأصول العرقية ومعظم العادات والتقاليد والميول وتمتع الترك المسلمون بنفوذ لا يكاد يضاهيه أحد مما كان له أثره فى نشر الإسلام بين المغـول بفارس[٢] وبدأ توافد العشرات والمئات من المغول على الإسـلام وفـى المقابل أحسن علماء المسلمين استقبالهم وأكرموا وفادتهم وأعطوهم الخلع والهدايا[٣].

ونتج عن اتخاذ الإسلام من الإيمان ركيزة أساسية وحماية كيانـه بسياج من القيم الروحية والمثل الكريمة[٤] أن أثرت هذه المبادئ والتعاليم فى المغول بعدما انتقلت إليهم عن طريق المعايشة والمخالطة فبدأ تأثيرها يزداد يومًا بعد يوم حتى وعوها وأعلنوا اعتناق الإسلام[٥]؛ وكذلك لعـب

---

(١) رجب محمد عبدالحليم: مرجع سابق، ص٨٠.

(٢) توماس. أرنولد: مرجع سابق، ص٢٧٠- ٢٧١.

(٣) ابن سباط: تاريخ بن سباط، ص٥٠٦.

(٤) سعيد عبدالفتاح عاشور، سعد زغلول، أحمـد مختـار العبـادى: الحـضارة الإسلامية، ص١٦.

(٥) كى لسترانج: بغداد فى عهد الخلافة العباسية، ص٢٩٤.

بركة خان (٦٥٤ - ٦٦٥هـ/ ١٢٥٦ - ١٢٦٦م) حاكم القبيلة الذهبية دورًا كبيرًا فى نشر الإسلام بين المغول بعد اختياره للإسلام دينًا له، وسبب إسلامه أن الشيخ سيف الدين الباخرزى كان مقيمًا فى بُخارى فبعث إلى بركة خان يدعوه إلى الإسلام، فأسلم بركة خان وزاره فى بخارى وجدد إسلامه، وعاهد الشيخ على إظهار الإسلام وحمل سائر قومه على الإسلام، فاستجابوا له وأسلموا جميعًا، واتخذ المساجد والمدارس فى جميع بلاده وقرب العلماء والفقهاء ووصلهم، وكان يحملهم إليه من أقطار العالم الإسلامى ويبالغ بالإحسان إليهم، وكان لذلك مردوده لدى مغول فارس عندما رأوا أولاد أعمامهم وقد دخلوا فى الإسلام فتأثروا بهم واعتنق كثير منهم الإسلام(١).

ومن أعظم حسنات بركة خان أنه ناصب هولاكو العداء ودخل معه حربًا طاحنة بقصد شغله عن المسلمين وكسر شكوته، ودخل فى تحالف مع الظاهر بيبرس بخصوص هذا الشأن وفى المقابل بدأ يدعو المغول من بنى جلدته إلى اعتناق الإسلام(٢).

أما عن الطرق الصوفية ودورها فى نشر الإسلام بين المغول، فقد كان لهم دورٌ بارزٌ فى هذا المضمار؛ حيث خاطب العلماء والفقهاء الطبقة العليا والمثقفين وبدأ الصوفيون يتجهون نحو عامة المجتمع المغولى بفارس وإن كان لهم تأثير على علية القوم أيضًا(٣).

---

(١) الغزى الحلبى: نهر الذهب، ص١١٥.

(٢) ذبيح الله: أدبيات إيران، ص٢٥؛ M. Haider: Op.Cit., p.67.

(٣) هدى درويش: دور التصوف فى انتشار الإسلام فى آسيا الوسطى والقوقاز، الطبعة الأولى، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص٩٩.

وشكل التصوف تيارًا رئيسيًا من تيارات الفكر الإسلامى وأثر فى المجتمعات الإسلامية وغيرها من المجتمعات الأخرى تأثيرات تنوعت بين السلبية والإيجابية(١)، ونمت كثير من الطرق الصوفية وانتشرت فى كافة أنحاء العالم الإسلامى وخاصة منذ أن أصيب هذا العالم بالغزو الصليبي أواخر القرن الخامس الهجرى/ الحادى عشر الميلادى، وأصيب أيضًا باستبداد حكامه وظلمهم للرعية ثم أصيب أخيرًا بكارثة الكوارث وهى سقوط الخلافة العباسية فى بغداد على أيدى المغول عام ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨ وما صاحب ذلك من قتل مئات الألوف من المسلمين، ومن تخريب العديد من المدن والأقاليم، وفى أثناء هذه الظروف السيئة التى أحاطت بالعالم الإسلامى من الداخل والخارج لجأ الكثير من المسلمين إلى التصوف يلوذون به كأسلوب من أساليب المقاومة السلبية، ثم تحول هذا الدور السلبى إلى دور إيجابى مشهود حينما حمل كثير من الصوفيين السلاح لمقاومة المغول بقدر ما يستطيعون، وبعد أن أخضع المغول بلاد الإسلام فى المشرق لنفوذهم وحكمهم بذل الصوفيون جهودًا جبارة لتحويل هؤلاء الغزاة المدمرين الوثنيين إلى الإسلام(٢).

وكانت هناك عدة عوامل أدت إلى انتشار الصوفية وتأثر المغول بها ومن أبرز هذه العوامل احترام المغول للصوفيين وعدم التعرض لهم بأى أذى فقد أمنوهم على أموالهم وأرواحهم مما جعل بعض الناس يهربون من أذى المغول عن طريق لبس خرقة التصوف مثلما فعل الشاعر كمال الدين إسماعيل الذى تشبه بالصوفيين وأقام فى زاوية خارج مدينة أصفهان عندما أغار المغول عليها عام ٦٣٥هـ/ ١٢٣٧م، وعندما

---

(١) عبدالقادر طليمات: مظفر الدين كوكبورى، ص٦٩.

(٢) رجب عبدالحليم: مرجع سابق، ص٨٤- ٨٥.

اكتشف المغول أمره أخذوا أمواله وعذبوه حتى الموت، أيضًا لجأ البعض إلى إيداع أمواله وكل ما يخاف عليه عند الصوفيين حتى تبتعد عنها أيدى المغول[1].

وقد ظهر التأثر بالصوفية أيضًا بسبب أخلاقيات الصوفيين وتعاملهم اللين السمح مع سكان بلادهم، هذا بجانب احترام وتوقير الحكام والأمراء لهؤلاء المتصوفة، وحاجة البعض إلى الشعور بالأمان والطمأنينة والسكينة هربًا من الصراعات والحروب والفتن التى كانت منتشرة آنذاك، هذا بجانب ظهور بعض الطرق التى اتخذت العقيدة الباطنية أساسًا لها وكانت تميل إلى الهرطقة إلا أنها كانت أقرب إلى أذهان أصحاب العقائد القديمة[2] لذا أضحى لهؤلاء الأولياء والمتصوفين أثرٌ كبيرٌ على مغول فارس وخاناتهم منذ حكمهم لتلك البلاد[3].

وانتشرت الزوايا والخانقاوات[4] فى مناطق عديدة بإيران التى تقوم بنشر الدعوة الصوفية وانقطع للعبادة فيها الصالحون والصوفيون وظهرت قبور نسبت لأولياء الله الصالحين أو لأحد الصحابة الذين قدموا

---

(١) براون: تاريخ الأدب فى إيران، ص٦٨٧- ٦٨٨.

(٢) هدى درويش: مرجع سابق، ص٩٧- ٩٨.

(٣) رشيد الدين الهمذانى: تاريخ أبناء هولاكو، المجلد الثانى، جـ٢، ص٣٥.

(٤) **الخانقاوات**: تجمع أيضًا الخوانق ومفردها خانقاه، وهى بيت ينقطع فيه الصوفية للعبادة والذكر، أما **الزوايا** ومفردها زاوية، وهى اسم أطلق قديمًا على كل مسجد صغير فيه أحد الزجال المعروفين بالتقوى والزهد ويقوم بوعظ وإرشاد من يتردد على زاويته من الناس وقد تطور معنى الزاوية فى أواخر العصور الوسطى فأصبح يقصد به الخانقاه أو منزل الصوفية.

راجع: سعيد عبدالفتاح عاشور: العصر المماليكى فى مصر والشام، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٥م، ص٤٢١- ٤٢٢.

إلى هذه البلاد مع الفتوحات الإسلامية[١] ومن أشهر الطرق الصوفية[٢] التى كان لها دورٌ كبيرٌ فى هذا المضمار طريقة الخوجان التى أسسها يوسف همذانى ت (٥٣٥هـ/ ١١٤٠م) والتى انتشرت فى خراسان، والطريقة الكبراوية التى أسسها نجم الدين الكبرا (ت ٦١٨هـ/ ١٢٢١م) والتى كان لها نفوذ كبير فى منطقة بخارى والطريقة القادرية التى أسسها عبدالقادر الجيلانى (ت ٥٦٢هـ/ ١١٦٦م) فى بغداد، والطريقة الرفاعية التى أسسها أحمد الرفاعى (ت ٥٧٩هـ/ ١١٨٣م) فى البصرة، والطريقة السهروادية التى أسسها فى بغداد عبدالقادر السهروردى ٥٦٣هـ/ ١١٦٧م) والتى انتشرت فى شرق إيران وأفغانستان وبلاد السند وغيرها من الطرق الأخرى[٣].

ويروى المؤرخ السكندرى محمد بن قاسم النويرى قصة وإن كانت تبدو خيالية إلا أنها تعطينا فكرة عن مدى نشاط الطرق الصوفية ولاسيما الأحمدية الرفاعية فى انتشار الإسلام بين مغول فارس والعراق فيقول:

((بينما كان السلطان المغولى منكوتمر (ابن هولاكو) ببغداد فى دار المستنصر وهى راكبة على الدجلة وكانت بغداد دار ملكه بعد الخلفاء فبينما هو جالس فى يوم شاتٍ وبين يديه نار مؤججة يستوى عليها الأوز،

(١) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص٢٥٨- ٢٥٩.

(٢) **الطرق الصوفية**: كانت الطرق الصوفية كثيرة وتنوعت فى أسمائها نسبة إلى أصحابها وظهرت لها بعض الأفكار والتعاليم لمزيد من التفاصيل عنها راجع: بطروشوفسكى: الإسلام فى إيران، ترجمة السباعى محمد السباعى، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٢م، ص٣٣٦ إلى ٣٤١؛ هدى درويش: دور التصوف، من ص٩٠ إلى ١١٠؛ موسوعة الأديان: باب الطرق الصوفية.

(٣) رجب محمد عبدالحليم: مرجع سابق، ص٨٦.

وإذا بالشيخ محمد بن الشيخ أحمد الرفاعى دخل عليه بطائفة من الفقــراء الأحمدية الرفاعية فلما رأهم السلطان منكوتمر قال لهم: ما برهانكم أيهــا الفقراء وما سركم ؟ فقال الشيخ محمد: إن كان برهاننا حقا تــؤمن بــالله ورسوله؟ قال نعم، وكان للسلطان ولد صغير كالقمر حسنًا وجمالاً جالسًا بين يديه وكان مشغوفًا بمحبته لحسن طلعته، فاختطفه الشيخ محمد بسرعة واقتحم به تلك النار فطار عقل السلطان، وقام قائمًــا، وضــرب بتاجــه الأرض، وصرخ جزعًا على ولده، وقال لخواصه: أدركوه، فلم يــستطيع أحد منهم أن يدخل النار، فدار الشيخ محمد بالولد فيهــا دورانًــا كثيــرًا، وخرج بالصغير منها سالمًا وثيابهما سالمة فتلقى السلطان ولده منه بلهف وقال: ما رأيت يا ولدى وأنت فى النار ؟ قال: لم أر شرًا، فحينئذ أســلم السلطان ومن حضره من خواصه ومماليكه وجنده))[١].

ومن المعروف تاريخيًا أن منكوتمر بن هولاكو كان أخًا لإيلخان فارس المغولى آباقاخان وأنه هو الذى تولى قيادة الجيوش التى حاربــت قلاوون فى موقعة حمص عام ٦٨٠هــ/ ١٢٨١م وهُزِمت فيها هزيمــة فادحة وعاد منكوتمر حزينًا جريحًا إلى أخيه آباقاخان الذى لامه على ذلك ثم مات بعدها كمدًا عام ٦٨١هــ/ ١٢٨٢م وخلفه أخوه تكودار أحمد الذى اعتنق الإسلام، فلا نعرف هل هذه الرواية تنطبق على منكوتمر حين كان قائدًا لأخيه آباقا أم تنطبق على أخيه تكودار أحمد الذى ولى بعده وكــان مسلمًا !؟ على أية حال هذا النص يبين انتشار الإسلام بين مغول فــارس

---

(١) النويرى السكندرى (محمد بن قاسم النويرى) ت ٧٧٥هـــ/ ١٣٧٢م: الإلمــام بالإعلام فيما جرت به الأحكام والأمور المقضية فى وقعة الإسكندرية، تحقيــق عزيز سوريال عطيه، جـ٥، الطبعة الأولى، حيدر آباد، الهنـد، ١٣٩٣هـــ/ ١٩٧٣م، ص٢٣٤- ٢٣٥.

رغم الجهود التى كانت تبذلها البابوية فى روما، وكذلك ملك فرنسا لويس التاسع الذى اتفق مع مغول فارس عام ٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م ضد مماليك مصر على أمل تحويلهم إلى المسيحية والاستفادة من جهودهم فى تطويق العالم الإسلامى فى الشرق الأدنى، وعلى الرغم من فشل هذه الخطة إلا أن عددًا من مغول فارس قد اعتنق المسيحية مثل دوقوزخاتون زوجة هولاكو وكذلك كتبغا نوين قائد المغول فى عين جالوت، وعلى الرغم من كل ذلك فقد انتشر الإسلام بين مغول فارس[١].

واجتهد مشايخ الطريقة الكبراوية والطريقة السهروردية فى نشر الإسلام بين مغول فارس وكرسوا حياتهم للوعظ والإرشاد وتلقين مبادئ الإسلام لهؤلاء الغزاة المتوحشين[٢].

وقد دخل تكودار أحمد الإسلام بتأثير من مشايخ الطريقة الأحمدية الرفاعية الصوفية، وكذلك السلطان خدابنده بن أرغون بن آباقاخان فقد أثر عليه فقيه صوفى وجعله يعلن إسلامه ومما يدل على عظم نفوذ الصوفيين إبان عهد دولة مغول فارس أن الأمير جوبان الذى انفرد بالسلطة فى عهد السلطان أبى سعيد (٧١٦ - ٧٣٦هـ/ ١٣١٦ - ١٣٣٥م) صار من أعظم وأخلص المريدين للشيخ صفى الدين إسحق الأردبيلى، مما جعل أكثر أعيان وزعماء المغول ينخرطون فى سلك هذا الشيخ ويتعلقون به تعلقًا تامًا، فذاع صيته وشاع أمره وأصبح له فى أنحاء البلاد ولاسيما بلاد إيران مريدون وأتباع كثيرون، ومما يدل على كثرتهم أن الأمير جوبان سأل هذا الشيخ يومًا عن أيهما أكثر، جنود السلطان أم

---

(١) أحمد مختار العبادى: تكوين عالم الإسلام، مذكرات فى الثقافة الإسلامية، جامعة الكويت، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص٤٠٤- ٤٠٥.

(٢) ذبيح الله: أدبيات إيران، ص٢٤.

أتباعه ومريدوه؟ فأجابه الشيخ بأن عدد مريديه فى إيران وحدها يبلغ ضعف عدد جنود السلطان[1].

وأظهر حكام دولة مغول فارس قدرًا موفورًا من الأدب والإجلال والاحترام للصوفيين والذين كانوا سببًا فى دخولهم الإسلام فصاروا يقدمون الفقهاء والصوفيين فى صدر مجالسهم وأصبح حفظة القرآن وقراؤه لا يفارقون مجالسهم وكثرت عطاياهم وهداياهم إلى مشايخ الصوفية وآمنوا ببركتهم وقدراتهم الخاصة[2].

وعلى ضوء كل ما سبق يتبين أن كل هذه العوامل مجتمعة قد ساعدت على انتشار الإسلام بين مغول فارس، وتغلب الإسلام على عقبتين مهمتين:- أولاهما التبشير البوذى والمسيحى الذى ظهر بقوة مع بداية هجوم جحافل المغول على بلاد الشرق الإسلامى، وثانيتهما همجية المغول وبداوتهم وشراستهم ووثنيتهم، واكتسب الإسلام بذلك شعبًا جديدًا إضافة إلى الشعوب الإسلامية التى دخلت من قبل.

وثمة ملاحظة مهمة فى هذا المضمار أنه رغم تعدد عوامل انتشار الإسلام بين مغول فارس إلا أنه لم تكن هناك خطة منظمة ودعوة موجهة لنشر الإسلام بين مغول فارس مثلما كان يفعل المسيحيون والبوذيون، ولكن شاء قدر الله أن ينتصر الحق على الباطل وتكون للإسلام اليد الطولى على مغول فارس، وأن يتحولوا إلى الإسلام.

---

(١) رجب عبدالحليم: مرجع سابق، ص٩٦؛ شيرين بياني: مرجع سابق، ص٤١٧ – ٤١٩.

(٢) ابن بطوطة: رحلة بن بطوطة، ص٢٠٠- ٢٠١.

سادسًا: تحول دولة مغول فارس إلى الإسلام وأهم النتائج التي ترتبت على ذلك:-

تُعد هذه المرحلة هي مرحلة اكتمال انتشار الإسلام بين مغول فارس وبدأت هذه المرحلة المهمة والنهائية منذ عهد غازان بن أرغون (٦٩٤هـ - ٧٠٣هـ/ ١٢٩٠ - ١٣٠٤م) وقد كان غازان بوذيًا في أول حياته وكان يهتم كثيرًا بالاتصال برجال الديانة البوذية وكهنتها، كما عرف شيئًا عن المسيحية بفضل إقامته في طفولته مع (دسبينا خاتون) زوجة جده آباقاخان[١].

أما تحول غازان إلى الإسلام فيعود الفضل فيه إلى الأمير نوروز، الذي ربى غازان وعرف عنه أنه عاش في أحضان الإسلام والثقافة الإسلامية، وعاش في خراسان ودرس على يد علمائها وفقهائها الدين الحنيف، وكان يعد من أوائل من حفظوا كتاب الله من المغول، وأرشد غازان للدين الإسلامي رغم العداء الشديد بين المسلمين والمغول، ثم تحول غازان إلى الإسلام بعد انتصاره على بايدو فأسلم في الرابع من شهر شعبان عام ٦٩٤هـ/ ١٩ يوليو عام ١٢٩٤م وكان إسلام غازان حدثًا كبيرًا، كما كان يوم نطقه بالشهادتين يومًا مشهودًا، وبدأ ذلك بدخوله الحمام والاغتسال تطهيرًا لنفسه وبدنه من رجس الشرك وفعل الشيطان ثم لبس رداءً إسلاميًا جديدًا وتلقب بلقب السلطان غازان محمود[٢].

---

(١) رشيد الدين الهمذاني: تاريخ غازان، ص١٢٢؛ الدواداري: كنز الدرر، ص٣٦١؛

عبدالسلام فهمي: مرجع سابق، ص١٩١؛ مصطفى طه بدر: مغول إيران، ص١٤.

(٢) القلشندي: صبح الأعشى، جـ٧، ص٢٤٢؛ النويري: نهاية الأرب، جـ٢٧، ص٤٠٩؛

عبدالسلام فهمي: مرجع سابق، ص١٩١.

وبدأ غازان محمود عهده بإعلانه الإسلام الدين الرسمى لدولة مغول فارس، فغدا بذلك الإسلام الدين الرسمى لدولة مغول فارس منذ جلوس غازان وحتى انهيار الدولة، ولم يكتف غازان بذلك بل أعلن الاستقلال التام عن قراقورم وأصبح حاكم دولة مغول فارس يسمى خانًا بعدما كان يسمى إيلخانًا أى نائبًا عن الخان الأعظم بقراقروم[١].

وأعقب إعلان غازان الإسلام دينًا رسميًا لمغول فارس، دخول المغول فى الإسلام فحافظوا على الشعائر والتقاليد الإسلامية والتزموا بما ينص عليه القرآن والسنة والتزموا الصوم بشهر رمضان وأقلعوا عن شرب المشروبات المسكرة[٢].

وقد اعتنق غازان الإسلام على المذهب السنى ثم تحول إلى المذهب الشيعى ولكنه أحسن إلى أهل السنة وقدم لهم يد العون والعطف[٣]، ورغم أن حب آل البيت كان عالقًا فى قلب غازان إلا أنه لم يفرق بين سنى وشيعى وكان يقول: ((لست منكرًا أى شخص وأنى لمعترف بعظمة الصحابة))[٤].

وأرسل غازان إلى كل الأرجاء والبقاع فى مملكته يعلن إسلامه ويبطل الديانة البوذية وأمر بتخريب معابدها وتحطيم الأصنام، واضطهد

---

(١) عباس إقبال: إيران بعد الإسلام، ص٤٦٨؛ عبدالسلام فهمى: فرهاد، ص٣٠.

(٢) زهراء ليو: ((زيارة إلى قرية تار الإسلامية))، مقال منشور ضمن كتاب المسلمون الصينيون من هم وأين هم؟، الطبعة الأولى، سلسلة كتب سور الصين العظيم، نشر وتوزيع مجلة بناء الصين، بكين، الصين، ١٩٨٣م، ص١٢١.

(3) D'ohsson: Op.Cit., T4, p.280;

أحمد مختار العبادى: الأيوبى والمملوكى، ص٢٥٢.

(٤) رشيد الدين الهمذانى: تاريخ غازان، ص١٢٢- ١٢٣.

المسيحية ودمر بعض الأديرة وعامل المسيحيين معاملة سيئة، ولم ينالوا المزايا الكثيرة التى حصلوا عليها عند سابقيه مما جعل البابوية فى سخط عليه وكره له[1].

وكذلك ألزم غازان أهل الذمة من النصارى بشد الزنار فى أوساطهم وأمر اليهود بوضع خرقة صفراء فى عمائمهم وبعد عدة شهور أبطل ذلك عندما رأى العوام والجهال يطمعون فيهم ويتسلطون عليهم ويستولون على أموالهم[2].

أما عن أبرز النتائج التى أسفرت عن اعتناق غازان للإسلام فقد كان أبرزها ترك مغول فارس القوانين القديمة المستمدة من الياسا والالتزام بما جاء فى القرآن والسنة النبوية[3] ونتج عن ذلك أيضًا ارتفاع شأن ومكانة الشيعيين فتوجه غازان إلى الحملة عام ٦٩٨هـ/ ١٢٩٨م وقصد زيارة المشاهد الشريفة وأمر للعلويين والمقيمين بجوارها بمال وهدايا وعطايا لا حصر لها ثم أمر بحفر نهر يصل إليها وسماه نهر الغازانى وأوكل هذا الأمر إلى شمس الدين صواب الخادم أحد مستشاريه[4].

وظل غازان محمود على وحشيته وقسوته وشدة انتقامه من قتل وتشريد وكذلك موقفه العدائى من سلاطين المماليك فى مصر والشام، كما

---

(١) Moule: Op.Cit., p.123; محمود سعيد عمران: مرجع سابق، ص٤٢٠.

(٢) ابن الفُوطى: الحوادث الجامعة، ص٢٢٩؛ مؤلف مجهول: تاريخ سلاطين المماليك من ٦٩٠هـ إلى ٧٤١هـ قام على نشره وترجمته المستشرق ك. ف زيترشنين، ليدن، ١٩١٩م، ص٣٦.

(٣) Rabban Sowma: Op.Cit., p.229; M. Hiader: Op.Cit., p.72.

(٤) ابن الفُوطى: الحوادث الجامعة، ص٢٣٥؛ Howorth: Op.Cit., III, p.453.

أنه أظهر تقاربًا مع البابوية وملوك أوروبا وأعلن الحرب على المماليك في بلاد الشام وارتكب من الآثام والمنكرات وهو السلطان المسلم، ما ذكر الناس، بهولاكو وجنكيزخان اللذين كانا على الوثنية، وكان غازان يرسل إلى الحصون والجهات المجاورة له بالكتب والفرمانات التي تحمل التهديد والوعيد وتُرَهِبَهُم من هجومه عليهم إن لم ينصاعوا إلى أوامره[١] ومن ذلك على سبيل المثال حربه عام ٦٩٩هـ/ ١٢٩٩م عندما سار إلى حلب وحاصرها وخربها وقتل وأسر كثيرًا من أهلها[٢].

وإبان عهده ارتفع شأن الجوامع ولم يقتصر دورها على إقامة الشعائر الدينية فحسب بل تعدى إلى نشر العلم واحتواء المصاحف والكتب وتعدد مجالس العلم وحل المشكلات الاجتماعية وشيدت مجموعة من المساجد الإسلامية في مناطق متفرقة وكانت حجرية ذات تركيب مميز وأسلوب معماري إسلامي غاية في الروعة والجمال[٣].

ورغم ما اتصف به غازان من وحشية في الحروب إلا أنه أحدث نقله عظيمة في تاريخ دولة مغول فارس وأضحى يعد من أعظم خانات هذه الدولة[٤] ووضع مجموعة من القواعد والقوانين نظمت شتى المناحي

---

(١) النويري السكندري: مصدر سابق، جـ٥، ص٢٣٥- ٢٣٧؛ بيبرس المنصوري: التحفة، ص١٥٨؛ القلشندي: صبح الأعشى، جـ٨، ص٧٠.

(٢) المقريزي: السلوك، جـ٢، بيروت، ص٣١٨- ٣٢٢؛ تيودور بيشوف الجرماني: تحف الأنباء، ص١٣٣.

(٣) كرم حلمي فرحات: "المسجد ودوره الحضاري في ضوء مكانة جامع بن طولون" بحث منشور ضمن كتاب ندوة الحضارة العربية الإسلامية في العصور الوسطى ودورها في بناء الحضارة العالمية، حصاد (١٠) ندوة عقدها الاتحاد بمقره في القاهرة، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، ص١٥٠؛ لي هواين: المساجد في الصين، ترجمة محمود يوسف، الطبعة الأولى، بكين، الصين، ١٩٨٩م، ص٩٠.

(٤) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص٦٩؛ رحيم رئيس نيا: سر تاريخ إيران، ص٥٧.

وأحدثت له نوعًا من الاستقرار ومنها على سبيل المثال: تغيير نظام جمع الضرائب في الولايات، فقبل غازان كان يتم جمعها عشر مرات في عرض العام الواحد بل عشرين مرة في بعض الأوقات، وعندما تولى غازان أمر بعدم مطالبة الرعية بدفع أية ضرائب إلا مرة واحدة في العام وحارب الفساد المالي وأعطى صكوكًا تفيد بدفع من تحق عليه الضريبة لضريبته حتى لا يتم المطالبة بها مرة أخرى من قبل موظفيه، وعمم غازان خان في عام ٦٩٨هـ/ ١٢٩٨م أمرًا على جميع البلاد نهى فيه عن الربا وفوائد المال نهيًا تامًا كما أمر الحكام والولاة بعقاب من يعصى الأمر(١).

ووصلت إصلاحات غازان إلى العملة وأحوال التجارة وأصدر غازان أمرًا بأن يكون عيار العملة الذهبية والفضية في كل البلاد تسعة أعشار، وجمعت بأمره كل العملات المغشوشة وأعدمها ليعاد سكها كاملة العيار، هذا بجانب توحيده للمكاييل والمقاييس التي كانت تختلف من مكان لآخر وعين موظفين مخصوصين لكي يساووا موازين التعامل بالذهب والفضة وأوزان الأحمال والمكاييل وأن يصنعوا هذه الموازين من الحديد ويمهروها بأختام خاصة، وعلى صعيد القرى والزراعة، أصدر غازان أحكامًا لتعمير ما خرب من الأراضي البور بأن يجدد الناس العمائر والمباني ويزرعون المزارع البائرة نظير معاملة خاصة من فروع الديوان لهم فيخفف عنهم الضرائب(٢).

وقد أمن غازان طرق التجارة وأمسك بقطاع الطرق ووضع مرشدين أمناء في المنازل الخطرة وأعطاهم أجرًا عن عملهم وأوكل إليهم

---

(١) عباس اقبال: إيران بعد الإسلام، ص٤٦٨- ٤٦٩.

(2) David. I: Islam and Islamic, p.3; عباس اقبال: إيران بعد الإسلام، ص٤٧١.

مهمة سلامة الطريق، وإذا وقعت سرقة فى الطريق يقوم مرشد القسم الذى حدثت فيه السرقة بالقبض على اللص أو يدفع قيمة ما سرق(١).

ونهى غازان عن شرب الشراب المسكر فى الشارع العام وأمر أحد الموظفين بالطواف بالعصى فى الطرقات لتتبع من يخالف هذه التعليمات، وعاقب بشدة من يتلفظ بألفاظ الكفر. وإحدى أعظم إصلاحات غازان تنظيم أمر المرافعات واختيار القضاة والشهود، هذا بجانب ترتيبه (التاريخ الإيلخانى) أو التاريخ الغازانى الذى قام به لتوفيق وتطبيق السنوات القمرية مع الشمسية فى التقويم الهجرى إذ إنه حدث فرق بينهما بسبب تأخر بداية العام ومن ثم تكون فارق ثلاثة عشر عامًا بين السنتين فى عهد غازان، فطابق هذا الإيلخانى السنين القمرية بالشمسية فى الثالث عشر من رجب من عام ٧٠١هـ/ ١٣٠١م. بعد أن أهمل تطبيقها فى عهد المعتضد العباسى والديالمة وجعل من هذا اليوم بداية تاريخ جديد إلا أن هذا التاريخ لم يدم وعجلت الأيام بزواله(٢) هذا بجانب العديد من البنود الأخرى التى أقرها غازان.

ونستنتج من كثرة إصلاحات غازان محمود أنه يعد أفضل وأعظم إيلخانات فارس ومجموعة القوانين التى وضعها لإحكام زمام الأمر فى دولته ولإصلاح الشئون الداخلية والخارجية لا تقل فى أهميتها عن الياسا الجنكيزخانية فهى بمثابة ياسا غازانية أحدثت طفرة فى تاريخ دوله مغول فارس وإعادة إحياء الدولة من جديد بعدما أفسد بعض الإيلخانات أحوالها، ومكنته من تحقيق أهدافه وأحدث بها نوعًا من الاستقرار الداخلى.

---

(١) نفسه، ص٤٧٢. ;Sheila Blair: The Arts of The Mongols, p.28

(٢) بيبرس الدوادار: زبدة الفكرة، ص٣٤١- ٣٤٦؛ عباس اقبال: إيران بعد الإسلام، ص٤٧٥؛ Dawson: Asia, p.31.

وعلى الرغم من قيام غازان بهذه الإصلاحات واعتناقه للإسلام وجعله الدين الرسمى لدولته إلا أن علاقته بالمماليك ظلت علاقات عدائية، لم تتحسن وكأن الديانة المشتركة بين الطرفين لم يكن لها تأثير فى تحسين العلاقات[1] مما دعا بعض المؤرخين إلى القول بأن اعتناق غازان للإسلام كان بدافع المصلحة السياسية ولم يكن مخلصًا فى إسلامه ويستدلون على ذلك بأمرين؛ الأمر الأول موقفه العدائى من سلاطين المماليك، والأمر الثانى رغبته فى الزواج من نساء أبيه وأنه عندما علم أن الإسلام يحرم ذلك كاد أن يرتد عن الإسلام لولا أن ذكر له بعض خواصه أن عقود نساء أبيه كانت سفاحًا وباطلة لأن أباه كان كافر، فمن حقه أن يعقد عليهن إن شاء ذلك[2].

وهذه الرواية بها بعض المغالاة لأن سياسة العنف والعداء التى اتبعها مع المماليك لا تدل على عدم إخلاصه للإسلام وإنما تدل على إلتزامه بمواصلة تنفيذ استراتيجية سياسية تقليدية للدولة الإيلخانية منذ نشأتها بغض النظر عن ديانتها فكان هدفه مد حدود دولته إلى الشام ويسيطر على مقاليد الأمور، وصارت له اليد العليا فى تلك المنطقة، ودلالة ذلك سوء معاملته لأهل الذمة فقد استرد منهم الدور والقصور التى استولوا عليها فور سقوط بغداد، وحرق الأيقونات المسيحية، وباع بعض زوجات المسيحيين وأولادهم فى سوق الرقيق وحول العديد من الكنائس ومعابد البوذية إلى مساجد[3]، وهذا الشكل من العلاقة التى كانت بين

---

(١) باول هرن: إيران، ص٧١- ٧٣؛ هولت: حروب صليبية، ص٢٢٧.

(٢) كاترمير: مقدمة كاترمير، ص١٥؛ Howorth: Op.Cit., III, p.384.

(٣) مؤلف مجهول: سلاطين المماليك، ص٣٤- ٣٥؛ جمال الدين سرور: دولة بنى قلاوون، ص١٧٥- ١٧٦؛ رجب محمد عبدالحليم: مرجع سابق، ص١٩٨.

السلطان محمود غازان و رعاياه من المسيحيين واليهود تؤكد أن طبيعة غازان جُبلت على العنف والقسوة وأنه تربى على استراتيجية توسيع حدود دولته، ولا تدل على عدم صدقه فى الإسلام كما ظن البعض.

وروى رشيد الدين: أن غازان زاد تعلقه بالإسلام وحاول أن يكون هو حامى الديار الإسلامية بعدما رأى الرسول صلى الله عليه وسلم فى منامه أكثر من مرة، وقام الرسول بتأييده (كما ظن غازان) ووعده بالوعود الطيبة وأنه سيحقق انتصارات وفتوحات ومن يومها وغازان يقيم العدل ويحسن فى سياسته، وازداد حبه لأهل بيت النبوة رضى الله عنهم[١].

أما أمر زواج غازان من زوجات أبيه ففى ذلك مغالاة ترجح عدم حدوثه لأن الزواج من نساء الآباء عادة متبعة عند المغول والوثنيين وحيث إن أباه أرغون قد توفى عام ٦٩٠هـ/ ١٢٩١م، فلابد أن غازان قد استحوذ على نساء أبيه عقب هذا التاريخ مباشرة كما هى العادة، والراجح أن ما حدث من زواجه منهن كان قبل اعتناقه الإسلام، وحتى لو أن هذا الزواج أتى بعد الإسلام فإنما يدل على عدم فهم لقواعد الإسلام إذ كان غازان وقتذاك حديث عهد بهذا الدين الجديد[٢] وإذا كان غازان قد حاول أن يرتد عن دينه الجديد بهذا الشكل السهل، أو لهذا السبب التافه، فما الذى جعله إذن يعتنق الإسلام ويتخلى عن الديانة التى نشأ عليها هو وآباؤه وأجداده، وأى شعور خطير يمكن أن يثير اهتمام أمير أو حاكم فى مثل قوة غازان ونفوذه وسطوته فيلهمه تبديل دينه إلى الإسلام وهو ابن

---

(١) رشيد الدين الهمذانى: تاريخ غازان، ص٢٢٧.

(٢) رجب محمد عبدالحليم: مرجع سابق، ص١٩٠- ١٩١.

من غزوا العالم[1] هذا بجانب ما فعله من صبغ إدارات الدولة بالـصبغة الإسلامية دلالة على صدق إسلامه فكان أعوانه مـن الـوزراء والقـواد والكتاب والموظفين من المسلمين، وحرم على الـدعاة مـن المـسيحيين والبوذيين القيام بالتبشير ومن يفعل ذلك يقع عليه أشـد أنـواع العقـاب والتنكيل[2].

وتولى الحكم فى دولة مغول فارس بعد وفاة غازان محمود عـام ٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م، أخوه أولجايتو خدابند أو خدابنده فى ذى الحجة عـام ٧٠٣هـ/ ١٣٠٤م وعمد فى صغره تحت اسم نيكولا وكانت أمه الـسبب فى تعميده، فكانت مسيحية نسطورية وطبـق أولجـايتو مراسـم الـدين المسيحى حتى وفاة أمه، بعدها تزوج من امرأة مسلمة وقد حثتـه علـى الإسلام فأسلم واختار من المذاهب الأربعة المذهب السنى الحنفى وذلـك بسبب نفوذ علماء خراسان الأحناف وأصبح مسلمًا رسميًا وأمر بنقش اسم الخليفة الأول على مسكوكاته، وفى عام ٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م دخل السلطان محمد خدابنده المذهب الشيعى بتأييد وتشجيع أحد أمرائه من ذوى النفـوذ ولكنه أمر بترك أسماء الخلفاء الثلاثة فى السكة والخطبة وبإحلال أسماء أمير المؤمنين على رضى الله عنه، والإمامين الثانى والثالث عند الشيعة محل الأوائل فى الخطبة والاقتصار فى السكة على اسم على بـن أبـى طالب وقبل أهل فارس مذهب التشيع وانتشر بينهم[3].

---

(١) توماس . أرنولد: مرجع سابق، ص٢٦٤.

(٢) البدليسى: الشرفنامة، جـ٢، ص١٥- ١٧؛ طه نـدا: الحـضارة الإسـلامية، ص١٨؛ Howorth: Op.Cit., III, p.399.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٤، ص٣-٤؛ كاترمير: مصدر سابق، ص٢٣؛ عباس اقبال: إيران بعد الإسلام، ص٤٧٩- ٤٨٠.

وعمل أولجايتو على تقوية الإسلام، ونشر المذهب الشيعى وأقام المساجد فى معسكراته ودياره، ويروى أنه كان مشغولاً بشكل دائم بقراءة القرآن وإقامة العبادات والإحسان إلى جميع المسلمين، وإن كان قد أظهر عداءً شديدًا لسلاطين المماليك بمصر[١].

وأدى انتشار الإسلام بين مغول فارس إلى ظهور الامتزاج الفنى بين العناصر المغولية والعناصر الإسلامية فى العمارة الدينية الإسلامية من خلال الزخارف والرسومات التى ظهرت فى الأضرحة والمساجد وغيرها من العمارة الدينية واتسع أفق الفن ولكن فى حدود الالتزام بما فرضه الدين الإسلامى عليهم، فلم يظهر عندهم فن النحت وصناعة التماثيل، وكذلك زاد الاحتكاك الفنى بين المسلمين والمغول عندما قام السلطان قلاوون باستجلاب المغول إلى مصر وعملوا فى العديد من الأعمال الفنية بجانب أهل البلاد كما عكس تأثيره فى مجالات عديدة، وكان ذلك إحدى نتائج تحول المغول بفارس إلى الإسلام[٢].

وأعقب أبوسعيد بهادر خان (أولجايتو) فى حكم دولة مغول فارس وحكم من عام (٧١٦ – ٧٣٦هـ/ ١٣١٦ – ١٣٣٥م) وكان مسلمًا حسن الإسلام[٣] يتبع المذهب السنى الحنفى وعرف عنه أنه من خيار ملوك المغول وأحسنهم طريقة، وأثبتهم على السنة وأقواهم بها، وأمر بإعادة الخطبة والدعاء للشيخين أبى بكر وعمر، وحاول أن يثنى على عثمان

---

(1) Rabban Sowma: Op.Cit., pp.90- 91; Sheila Blair: Op.Cit., p.27.

(٢) أرنولد: شيرستى، تراث الإسلام، جـ٢، ترجمة وتعليق زكى محمد حسن، القاهرة، ت، ص٧؛ محمد حمزة الحداد: المنصور قلاوون، ص٤٣.
David Talbot Rice: Islamic Arts, p.127.

(٣) فؤاد الصياد: الشرق الإسلامى، ص٤٠٩؛ يمنى رضوان: الدولة الجلائرية، ص١٣.

وعلى رضوان الله عليهم جميعًا، ففرح الناس بذلك وسكنت الفتن والشرور(١).

وكان لسياسة أبى سعيد أثرها فى استقرار الأحوال الداخلية بدولته وبدأ المغول يتفقهون فى الإسلام ويحسن إسلامهم ونال من أسلم منهم الكثير من الإحسان والإنعام والعطايا، وأقام المساجد والمدارس والبيمارستانات(٢).

أما عن السفارات المتبادلة بين مغول فارس والغرب الأوروبى إبان عهد الإيلخانيات المسلمين فعرف عن غازان أنه قرر انتهاج السياسة التقليدية لأسلافه بمحاولة ضم بلاد الشام لسيطرته، فلقد شجعه على ذلك فترة عدم الاستقرار فى السلطنة المملوكية بحيث أن أربعة من السلاطين اعتلوا العرش فى أقل من عشرة أعوام (٦٨٩ – ٦٩٩هـ/ ١٢٩٠ – ١٢٩٩م) وقتل اثنان منهم وطرد الثالث ونفى الرابع مؤقتًا لإمارة الكرك(٣).

وقبيل التحام غازان مع المماليك كان قد أرسل رسالة عن طريق سفيره (إيسول البيزى) Isol of Piza لملك قبرص ومقدمى الاسبتارية

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٤، ص٤٩٥.

(٢) النويرى: نهاية الأرب، جـ٣، ص٦٤.

(٣) **سلاطين المماليك**: تولى الأشرف خليل السلطنة فى نوفمبر ١٢٩٠م حتى قتله بيدرا لاجين فى ديسمبر عام ١٢٩٣م، ثم تولى شقيقه الناصر محمد بن قلاوون وكان طفلاً صغيرًا السلطنة بالاسم فقط من عام ١٢٩٣ حتى ١٢٩٤ ثم نفاه قادة المماليك لإمارة الكرك وتولى كتبغا من ديسمبر عام ١٢٩٤م حتى نوفمبر ١٢٩٦م ثم دبر بعض قادة المماليك مؤامرة لإقصائه إلى الشام وتولى حسام الدين لاجين من نوفمبر عام ١٢٩٦م حتى قتله بعض المماليك فى يناير ١٢٩٩م واستدعوا الناصر محمد من منفاه الاختيارى لتسلم السلطنة فى فبراير عام ١٢٩٩م.

لمزيد من التفاصيل: راجع: عادل إسماعيل هلال: مرجع سابق، ص١٦.

والداوية هناك يطلب منهم الانضمام له فى حملته على الشام، وفى نوفمبر عام ٦٩٨هـ/ ١٢٩٩م عقد الأخيرون اجتماعًا لاتخاذ قرار بهذا الشأن، ولكنهم رفضوا التحالف مع غازان رغم أنه أرسل لهم رسالة ثانية فى نهاية ذلك الشهر، ومن ثم اضطر الخان المغولى للاعتماد على قواته بالإضافة إلى الأرمن: الحليف الطبيعى للمغول[١] واستطاع هزيمة المماليك فى ٦٩٨هـ/ ٢٢ ديسمبر عام ١٢٩٩م وطردهم من الشام كلية وأناب قبجق حليف غازان والمتمرد على إخوانه المماليك فى القاهرة وأتباعه وبعضًا من قواد المغول على المدن الشامية، ولكن غازان اضطر للانسحاب من الشام لأسباب داخلية فى بلاده ومنها هجوم مغول الجغطاى على الحدود الشرقية لإيران[٢].

ومهما يكن من أمر، فقد أرسل غازان سفارته الثانية للغرب الأوروبى بقيادة بوسكا ريللو السفير السابق لأرغون عام ٧٠٢هـ/ ١٣٠٣م وكان غازان قد أوقف البابا فى رسالته على إعداد القوات لمهاجمة المماليك معًا، ولم يشترك مع المغول سوى الآرمن وتقابلت قواتهم مع المماليك فى موقعة مرج الصفر (شقحب) جنوبى دمشق بجوار حمص فى رمضان ٧٠٢هـ/ ١٣٠٣م وحلت الهزيمة الفادحة بالمغول وحلفائهم وقضى على أغلب جيشهم فى هذه المعركة قتلاً وأسرًا[٣].

---

(1) Howorth: OP.Cit., III, p.51;

عادل إسماعيل هلال: مرجع سابق، ص١٣٣.

(٢) أحمد مختار العبادى: الأيوبى والمملوكى، ص٢٥٣.

(٣) أبوالفدا: المختصر فى أخبار البشر، جـ٤، ص٤٩؛ أحمد مختار العبادى، الأيوبى والمملوكى، ص٢٥٤؛ عادل إسماعيل هلال: مرجع سابق، ص٣٧.

وقد صار أولجايتو خان على نهج غازان فى مراسلة الغرب الأوروبى واستقبال سفرائهم لأنه كان على عداء مع المماليك ولاسيما بعد تمذهبه بمذهب الشيعة المخالف لمذهب المماليك السنى فراسل فيليب الرابع عام ٧٠٥هـ/ ١٣٠٥م، وأرسل إليه كليمنت الخامس (٧٠٥ – ٧١٤هـ /١٣٠٥ – ١٣١٤م) رسالة يعرب فيها عن سعادته وسروره بهذه الغارات[١].

ولكن رغم هذه العلاقات التى تبدو فيها الحميمية بين الطرفين إلا أن الغرب الأوروبى لم يدخل فى تحالف مع المغول لإرسال حملة ضد المماليك لاشتغالهم بمشكلاتهم الإقليمية واهتماماتهم الجديدة[٢].

ولكن الأمور تغيرت على عهد أبى سعيد (٧١٦ – ٧٣٦هـ/ ١٣١٦ – ١٣٣٥م) حيث دخل فى مفاوضات صلح مع الناصر محمد بن قلاوون وتم إحلال السلام والمودة محل الحروب والمنازعات فى عام ٧٢٢هـ/ ١٣٢٢م، وقد حاول البابا حنا الثانى والعشرون (٧١٦ – ٧٣٥هـ / ١٣١٦- ١٣٣٤م) أن يدخل فى حلف مع أبى سعيد وأرسل إليه خطابين فى ١٢ – ١٣ يوليه عام ١٣٢٢م/ ٧٢٢هـ ففى الخطاب الأول طلب التحالف معه ودعاه إلى المسيحية وفى الخطاب الثانى ذكره بالعلاقات الودية بين البابوية وأسلافه وطلب منه إعادة سفرائه لروما والاتصال بالملك الفرنسى[٣].

---

(١) ذبيح الله صفا: تاريخ أدبيات إيران، ص١٥٠؛
David. I, Islam, Op.Cit., p.27.

(٢) عادل إسماعيل هلال: مرجع سابق، ص١٤١.

(٣) المقريزى: السلوك، جـ٢، بيروت، ص٦٣؛ رحيم نيا: سير تاريخ إيران، ص٦٠؛ Howorth: Op.Cit., III, p.603.

ولا عجب أن أبا سعيد لم يرد على سفارة البابا، لأنه لم يعد في حاجة له أو لغيره فالضرورة التي جعلت أسلافه يراسلون الغرب قد انتهت حينئذ بعقد صلح دائم مع المماليك، هذا بجانب كونه مسلمًا على المذهب السني فلا يوجد خلاف مذهبي مع المماليك.

وغاية القول إن السفارات الأوروبية المغولية المتبادلة بفارس باءت بالفشل في هذه المرحلة أيضًا مثلما حدث لها من قبل على عهد الخانات الأوائل، ويعزى ذلك إلى أن الأوضاع السياسية في غرب أوروبا كانت غير مهيأة لتنفيذ مشروع التحالف مع المغول، هذا بجانب ضعف الكيان الصليبي في الأراضي المقدسة، وتداعي هيبة البابوية وسلطتها في تلك الفترة الزمنية، ويضاف إلى ذلك ظهور الانتماءات القومية والاهتمامات الفردية للأوروبيين بتأثير نشأة الجامعات ونهضة القرن الثاني عشر وظهور مقدمات عصر النهضة الإيطالية، كما كان المماليك من أهم عوامل فشل التحالف المغولي الصليبي فقد استطاعوا هزيمة مغول فارس أربع مرات في عين جالوت عام ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م، أبلستين في الأناضول ٦٧٥هـ/ ١٢٧٦م، وموقعة حمص الأولى عام ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م وفي مرج الصفر عام ٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م واستطاعوا توجيه الضربات المتلاحقة لمملكة إرمينيا الصغرى، وتمكنوا من إنهاء الوجود الصليبي في بلادهم[١].

ولهذه الأسباب مجتمعة وغيرها من الأسباب الأخرى لم تنجح هذه السفارات ولم يخرج مشروع التحالف المغولي – اللاتيني ضد المماليك لحيز التنفيذ بالصورة التي أرادها له المغول، والأرمن واللاتين على حد سواء.

---

(1) Dawson: Asia, p.35; عادل هلال: مرجع سابق، ص١٤٥- ١٤٧.

وثمة ملاحظة فى هذا المضمار وهى أن السفارات الأوروبية تقلص دورها الدينى التبشيرى بعد اعتناق مغول فارس للإسلام وأضحت أقرب إلى التحالفات السياسية منها إلى تحقيق مكاسب دينية وهذا زادها ضعفًا على ضعف وكان ضمن أسباب فشلها .

واللافت للنظر أن الغرب الأوروبى قلت حماسته فى تكوين تحالف بعدما تغيرت الاتجاهات الفكرية وظهرت الانتماءات القومية وأضحى الكل مشغولاً بما لديه، وفى المقابل لم يجتهد مغول فارس أو يلحوا للوصول لهذا التحالف لاعتناقهم الإسلام من جهة ومن جهة أخرى لوجود الأرمن معهم فى كل التحالفات.

أضحت المشكلات بين المماليك ومغول فارس مشكلات توسعية، أو بغرض فرض سيادة ولم تعد عنصرية وعقائدية دينية تستهدف كل فئة استئصال الأخرى والقضاء عليها؛ لذا عندما ظهرت مبادرات الصلح بين أبى سعيد والناصر محمد قلاوون تمسك الطرفان بعقد الصلح والالتزام بعدم الدخول فى منازعات أو تحالفات ضد بعضهما البعض.

وأخيرًا نجد أن هرم الاحتياجات الدينية لمغول فارس كان فى تطور دائم ومستمر فعندما نقف برهة للنظر إليه نجد أن المغول مثلهم كباقى الشعوب البدائية عبدوا كل ما يخافون منه وما عجزوا عن تفسيره، ثم ارتقى فكرهم إلى الوحدانية ولكن مع تعدد الآلهة التى تصل فى النهاية إلى إله واحد موجود بالسماء.

وساعد المغول على الارتقاء فى سلم هرم الاحتياجات الدينية سريعًا مسحة السماحة الدينية التى تمتعوا بها مما كان لها مردودها فى الانفتاح على معتقدات الآخرين فعرفوا البوذية بجانب الشامانية، وكذلك الزرادشتية والمانوية ثم مع الاحتكاك بالصين عرفوا المسيحية فى

المشرق وتعرفوا على اليهودية والإسلام، وكثرة الاختلاط بشعوب عديدة ومعتقدات مختلفة ساعدتهم على الارتقاء بالمفاهيم الدينية وجعلت فكرهم الدينى فى تطور مستمر، وآل بهم المطاف فى آخره إلى اعتناق الإسلام وإعلانه دينًا رسميًا لبلادهم والعمل على تطبيق شرائعه ومبادئه بل تعدى الأمر إلى العمل على نشره ومحاربة دعاة التبشير البوذيين والمسيحيين، تلك هى رحلة المغول من معبودات وثنية إلى اعتناق الإسلام دين الله الحق، فصدق الله العظيم حين قال : {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}(١).

أما عن المؤثرات الإسلامية على مغول فارس فى النواحى الاجتماعية والدينية فقد ظهرت بشكل كبير بين مغول فارس فهذب الإسلام من سلوكهم وقلم أظافر همجيتهم وكان صاحب فضل عليهم وأحد أسباب نقلتهم من البداوة إلى التحضر، وظهر ذلك جليًا فى مناحٍ عديدة من شئون حياتهم، وفى المقابل ترك المغول أيضًا مؤثرات شتى على المسلمين وبلدانهم وظهرت مسحة من الامتزاج والاختلاط بين المغول والمسلمين، وعلى الرغم من أن الإسلام صهر المغول فى بوتقته وجعلهم جزءًا لا يتجزأ منه إلا أن المغول ظلت لهم صبغتهم ومؤثراتهم التى ميزتهم، وفى النهاية صب هذا كله فى خدمة الحضارة الإسلامية، وهذه الأمور مجتمعة سيحاول الفصل القادم – إن شاء الله – عرضها بشىء من التفصيل ليوضح التأثيرات المتبادلة بين مغول فارس والحضارة الإسلامية.

---

(١) سورة الحجر: آية (٩).

الفصـــل الــرابــع

أبرز مؤثرات الحضارة الإسلامية على النظم الاجتماعية والدينية لمغول فارس

(٦٥٦ – ٧٣٥هـ./ ١٢٥٨ – ١٣٣٥م.)

الفصـــل الرابـــع

أبرز مؤثرات الحضارة الإسلامية على النظم الاجتماعية والدينية لمغول فارس

(٦٥٦ – ٧٣٥هـ./ ١٢٥٨ – ١٣٣٥م.)

أولاً: المغول بين الهمجية والتحضر.

ثانيًا: أهم ملامح تأثيرات الحضارة الإسلامية على النظم الاجتماعية لمغول فارس.

ثالثًا: أثر الاتصال الإيلخانى بالدولة المملوكية على النظم الاجتماعية للمغول.

رابعًا: أهم مظاهر التأثيرات الإسلامية على النظم الدينية لمغول فارس.

خامسًا: أبرز مظاهر التأثيرات المغولية على المجتمع الإسلامى

أرأيت مهزومًا ينتصر على هازمه ويجعله طوع يمينه؟ هذا ما حدث بالفعل مع المغول فقد انتصر الإسلام والمسلمون المهزومون المقهورون، على المغول المتغلبين المتسلطين، وبدأ المغول يتأثرون بالنظم الاجتماعية والدينية للمجتمع الإسلامى، وتغيرت صورتهم الكريهة وانقلبت إلى صورة جميلة يلذ للرائى أن يطيل النظر إليها وأن يداوم الإمعان فيها ولم تكن هذه الصورة كذلك إلا بعد أن نقل المغول معظم الأنظمة الاجتماعية عن المسلمين وتغيرت أنظمتهم الدينية بتحولهم الكبير إلى اعتناق الإسلام، ولكن قبل الخوض فى الحديث عن هذه المؤثرات، نلقى بعض الضوء على مقومات ومظاهر الحضارة التى كان عليها المغول، فبرغم قسوة المغول ووحشيتهم وغلظتهم وفعلهم كل ما يشين الإنسان إلا أنهم امتلكوا بعض مظاهر ومقومات الحضارة.

أولاً: المغول بين الهمجية والتحضر:-

مما يلفت النظر أن المغول والتتار فى المراحل الأولى من حياتهم، كونوا مجتمعًا بدويًا يتمثل فى مجموعة قبائل كانت فى جملتها تعيش عيشة بربرية بحتة، ولم يكن لديهم أى شىء من الثقافة فهم كالأرض البور إلا فيما ندر(١) وقد كان هناك ثلاثة أنواع من التتار: التتار البيض وكانوا على درجة من التحضر بسبب مجاورتهم للصينيين فى الجنوب ، ثم جاء فى شمالهم التتار السود وهم أقل حضارة، وفى شمال هؤلاء قطن التتار المتوحشون الذين كان المغول يسمونهم (شعوب الغابة). وكان التتار السود بدوًا همجًا، أما المتوحشون فكانوا يعيشون على الصيد(٢).

---

(١) J. Saunders, Genghis Khan and the communists, London, p.391;
Henry Surreys, Mongolia, Journal, Vol. 27, p.283.

(٢) بارتولد: الترك، ص١٧١؛ زبيدة عطا: بلاد الترك فى العصور الوسطى، ص١٢٩.

واعتمدت معيشة المغول فى معظمها على الرعى، والقيام بعمليات السلب والنهب، ومهاجمة المدن والبلاد القريبة منهم، وكانوا دائمًا يخلفون وراءهم الخراب والدمار، ويقضون على الأخضر واليابس[١]، والبداوة التى كان عليها المغول هى مرحلة ما قبل الحضارة. وللبدو بصفة عامة ميول مضادة للثقافة فحيثما حكموا هلكت الحضارة، ولن تستطيع دولة أن تنال الدوام على أرض صحراوية جبلية، فالبداوة وحياة الفرار طريقتان من طرائق المعيشة التى تلفظها الحياة بسبب ضيق الرزق وشظف العيش وقسوة المظاهر الطبيعية، ولا شك أن انعدام روح الضبط والنظام الذى يلازم البداوة معادٍ للتقدم من أى نوع[٢].

ومن الثابت أن هناك ثلاثة أطوار تمر بها الدول والحضارات أولها: طور البداوة كمعيشة التتار فى الصحارى والجبال والسهول وفى تلك المرحلة لا يخضعون لقوانين مدنية ولا تحكمهم سوى حاجاتهم وعاداتهم، ثم يأتى بعد ذلك طور التحضر حيث تأسيس الدولة عقب الغزو والفتح ثم الاستقرار فى المدن، والطور الأخير هو طور التدهور نتيجة الانغماس فى الترف والنعيم[٣] وقد مرت الدولة المغولية بهذه الأطوار الثلاثة، فبينما غلب عليهم فى طورهم الأول الهمجية والبداوة والتخلف إذ بهم يدخلون الطور الثانى مع ظهور جنكيزخان الذى وحد صفهم وأقام دولته واستطاع بمجموعته العشائرية واقتصاده الرعوى أن يترك آثارًا وأساليب تدل على الحضارة[٤].

---

(١) التوحيدى: أخلاق، ص٩٤.

(٢) جوستاف. فون. جرونيبام، حضارة الإسلام، ص٢٢٤؛
Henry Surreys: Op.Cit, Vol 27, p.283.

(٣) ابن خلدون: المقدمة، القاهرة ١٣٢٢هـ، ص٢٩٢ – ٢٩٤؛ محمد عزيز نظمى سالم: جدلية التاريخ والحضارة، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٦م، ص٢٢٨- ٢٢٩.

(4) M. Haider: The Mongol Traditions, Vol. p.63.

ولأن الحضارة هى تعبير عن كل منجزات وأعمال الإنسان فكريًا ووجدانيًا وعمرانيًا ليحقق ذاته، ويطور مجتمعه ويسهم فى المسيرة الإنسانية وهى تشمل مختلف إنتاج الإنسان وألوان عطائه، كما تعبر عن مدى إسهام الشعوب والأمم فى تنمية المجتمعات الإنسانية والتسامى بها[١] لذا يكون من مزايا الحضارة خلق نوع من التأثير والتأثر بين المجتمعات لإحداث نوعٍ من التقدم والرقى، والنقل والاقتباس عن بعضهم البعض.

وعلى ضوء ذلك يتضح أن المغول كانت لديهم بعض مقومات الحضارة وجاءتهم هذه المقومات مع مجيء "جنكيزخان" وتوحيده للقبائل المغولية حتى أصبحت لديه إمبراطورية مغولية مترامية الأطراف وكان جنكيزخان حريصًا على الإفادة من أرباب الخبرة فى الشئون الإدارية والعسكرية، ولم يعرف استخدام الأختام والكُتاب إلا بعد الاستيلاء على بلاد النايمان[٢] فى رحلته التوسعية لتكوين الإمبراطورية فقد كان فى خدمة خان النايمان كاتب إيغورى يدعى (تاتاأونجا) فجعله جنكيزخان فى خدمته وصار مستشارًا له، ومعلمًا لأطفاله وأطفال الطبقة الراقية من المغول[٣].

وقد ساعد المغول على أن يخطوا خطوة نحو التحضر ما قام به جنكيزخان بسن مجموعة القوانين التى استنبطها من عقله وقررها من

---

(١) أحمد إسماعيل الجمال: دراسات فى الحضارة الإسلامية، ص١.

(٢) النايمان: عاش النايمان الذين امتدت ديارهم إلى نهر أرتش ومع أن اسمهم يبدو أنه مغولى، إذ أن لفظة نايمان تعنى بالعربية ثمان فإن ألقابهم كانت تركية ولذا يصبح اعتبارهم من الترك المغول، واعتنق النايمان الشامانية وجاءتهم أسباب الحضارة من الأويغور الترك.

لمزيد من التفاصيل راجع: السيد الباز العرينى: المغول، ص٣٥.

(٣) رشيد الدين الهمذانى: خلفاء جنكيزخان، المجلد الأول، جـ١، ص٩٧؛ السيد الباز العرينى، المغول، ص٥٨.

ذهنه، بجانب ما اعتمد عليه من مجموعة الآداب والتقاليد التي تعارف عليها المغول من قبل مجيء جنكيزخان، فقام بتعديلها عن طريق الحذف والإضافة[1]، وجعل لها صفة رسمية، وأمر بتدوين تلك الأحكام والاحتفاظ بها في خزائن أمراء المغول وذلك في عام ٦٠٣هـ/ ١٢٠٦م. وأطلق عليها "الياسا" وتضمنت بنودها شتى مناحي الحياة الاجتماعية والدينية والسياسية والاقتصادية والعسكرية، فهي بمثابة دستورٍ نظّم وضبط المجتمع المغولي وأضفى عليه حالة من التحضر والبعد عن البداوة[2].

وأضحى قبول المغول في بداية أمرهم أو رفضهم للثقافة والتحضر رهن العناصر الثقافية الموجودة من حيث تشابهِ هذه العناصر أو تقاربها من التراث البدوي المغولي وهل يتفق مدلولها مع أفكارهم وتطلعاتهم أم لا يتفق[3].

غاية القول إن المغول بعد قيام إمبراطوريتهم وقفوا على أعتاب الحضارة وفي ظني أن نعتهم بالهمجية والتخلف أمرٌ مبالغ فيه، ووصفهم بأنهم مجتمع متحضر أيضًا أمرٌ مبالغ فيه، فهذه المرحلة التاريخية من حياتهم هي مرحلة الانتقال من البداوة إلى التحضر فمن الممكن اعتبارهم إذن جنس لديه نصف حضارة واكتملت بعض الشيء مع الاحتكاك الخارجي بحضارتي الصين والإسلام.

ومن أبرز دلائل تحضر المغول إنشاء جنكيزخان لمجلس القوريلتاي الذي يجتمع بشكل سنوي ويتم عرض الياسا فيه ببنودها

---

(١) الدلجي، الفلاكة، ص١٥٥.

(٢) السيد الباز العريني، المغول، ص٦٠؛ عصام عبدالرؤوف الفقي، دول مستقلة، ص١٧٠.

(3) Sechin Jagchid: The Mongolian Khans, p.124.

وإقرارها من جديد فى كل اجتماع ويتم من خلاله اختيار الخان الذى سيحكم المغول ويضفى الشريعة على الخان ويحكم بإعدام الخارجين على نظام الحكم بجانب العديد من المهام الأخرى(١).

ثمة ملاحظة وهى أن المغول بدأ يظهر لهم فكرهم المنظم ومسحة من الحياة الديمقراطية بعدما افتقدت حياتهم لكل مظاهر التنظيم والمدنية والتشريعات التى تضبط المجتمع فهم بذلك تقدموا خطوة إلى الأمام، مردودها إلى دستورهم، ومجلس القوريلتاى الذى كان بمثابة مجلس شورى.

ولم يكن المغول مجتمعًا همجيًا بربريًا متخلفًا في نظامه العسكري أو السياسي فهم ليسوا مجرد قتلة وسفاحين ومدمرين ومخربين بل استخدموا القوة والعنف والسياسة التعسفية لتحقيق هدفهم فى التوسع والحفاظ على أملاك إمبراطوريتهم(٢)، وما أحدثه المغول من حرق وتدمير وتشريد ومذابح جماعية هى سمات ذلك العصر، فالطابع الدموى البربرى والكراهية مشاعر تملكت معظم مجتمعات العصور الوسطى ولاسيما المغول والصليبيين(٣).

وفى ظنى إن كان المغول أصحاب حضارة، فحضارتهم حربية تنظيمية عابها سوء سلوكهم ولا نستطيع إنكار أنهم تعاملوا بهمجية وبربرية فى رحلة توسعاتهم الخارجية مع كل ما قابلوا من مظاهر حضارية، وإن كانت هذه هى السمة السائدة فى تلك الآونة فيعزى ما

---

(1) Pamelakyle Grossly: The Manchus, Cambridge, p.4.

(٢) مايك إدواردز: جنكيزخان سيد المغول، ص٦٤؛
Catriona: The Mongols, p.1.

(٣) بطرس توديبودا: الرحلة، ص٣٣٣- ٣٣٤.

قاموا به من تصرفات إلى نشأتهم الأولى ذات الطابع الهمجى العدوانى والعادات والتقاليد الفظة والبيئة الجغرافية القاسية فهذا هو موروثهم الثقافى فحضارتهم مكتسبة ولا تستند إلى أصول ثابتة فهى جاءت عن طريق الاختلاط والمحاكاة والتزاوج مع أصحاب الحضارات الأخرى، بخلاف الحضارة الإسلامية فهذه الحضارة ذات أصول ثابتة تستمد تشريعاتها ومقوماتها من كتاب سماوى وسنة نبوية فلذلك لا نرى فيها هذا التناقض فالسلوك مطابق للأفعال والسماحة هى السمة السائدة عليها وهى تنكر البغض والكراهية والحقد والعدوان فهى حضارة لا يشوبها النقصان لأن مقوماتها قامت على أساس سماوى، لذا كانت نظرة المؤرخين المسلمين إلى المغول مفتقدة للموضوعية فى كثير من الأحيان لأن المغول كانوا متفوقين ومتقدمين فى عدة مجالات ولاسيما النظم الحربية فالنظام الحربى والعسكرى لديهم هو ركيزة حضارتهم أما همجية السلوك فقد اتصفت بها شعوب حديثة[1]، على أعلى درجات التقدم والمدنية والحضارة.

ولقد كانت النظم الحربية والمهارة العسكرية وتقسيم الجيش، أهم دلائل ومقومات الحضارة المغولية لأن ((الملك لا يستقيم إلا بالعسكر، ولا عسكر إلا بالمال))[2]، فقد كان الجيش المغولى بمثابة العمود الفقرى للإمبراطورية المغولية، فكان الفرد المغولى مادة الجيش، فالأطفال منذ نعومة أظفارهم يتعين على أهلهم تدريبهم على فنون الصيد والقتال،

---

(١) من أبرز هذه الشعوب الولايات المتحدة الأمريكية، فلا تنكر عليها ما وصلت إليه من تقدم وحضارة تسيدت بهما العالم، ولكن سلوكها وهمجيتها فى أفغانستان والعراق وما جرى بداخل سجونها ولاسيما سجن غوانتنامو، يظهر وجهًا آخر للعملة.

(٢) ابن البلخى، فارس نامه، ص١٤.

والنساء كن يشاركن فى الحروب، فصارت صحراء جوبى بمثابة مدرسة لتعليم الفنون القتالية، ولم يترك المغول أحدًا من أفراد المجتمع المغولى دون المشاركة فى الأعمال العسكرية حتى المزارعين فقد شاركوا بدفع الضريبة العسكرية التى أطلق عليها بالتركية Avarizat، والرعاة عليهم توفير المراعى لعلف الخيول إلى جانب حراسة وصيانة محطات البريد المعروفة باللغة التركية أيضًا بـ Jam، وتوفير الركائب من الخيول والحمير والجمال لتزويد هذه المحطات بها وكذلك الأطعمة، ولم يعف أحد من هذه الخدمة لدرجة أنه فى حالة غياب الرجل كان يتحتم على زوجته القيام بهذا العمل بدلاً منه[١].

واستطاع جنكيزخان أن يجعل الجيش نواة لقيام حضارة مغولية عسكرية تستمد قوتها من الانضباط العسكرى[٢]، فظهور جنكيزخان يعد نقلة حضارية فى تاريخ المغول فهذا الرجل ((كان أميًا لا يقرأ ولا يكتب، أعجميًا لا يحسب ولا ينسب، لا طالع الأخبار، ولا اقتفى فى سياسة الممالك والآثار، بل فرع ما فرعه ونظم ما نظمه من القواعد فى صحيفة تفكيره واخترع ما ابتدعه من تدبير الملك من هواجس ضميره)) [٣].

ويعود التميز الحربى للمغول إلى وجود فصائل إضافية فى جيوشهم من مهندسين وأخصائيين فى فن قذائف المجانيق وآلات الحصار وإصلاح مختلف أدوات القتال[٤] فقد تخصص الجيش المغولى فى فن

---

(١) صبرى أبوالخير سليم: مغول القفجاق، ص٦١- ٦٢؛
Paul Ralch Nevsky: Genghis Khan, p.95.

(2) M. Hiadter: The Mongol, p.79.

(٣) ابن عرب شاه: فاكهة الخلفاء، ص٥٤١.

(٤) أحمد مختار العبادى، الأيوبى والمملوكى، ص١٣٨.

الحصار واستعملوا السلالم وأكياس الرمل وأنواع عديـدة مـن الرمـاح والأقواس وكانوا منظمين بشكل رائع(١)، فيرجع السر فى انتصاراتهم إلى تفوقهم فى صناعة واستخدام الأسلحة وإلى سرعة إطباقهم على العدو ثـم إلى سرعة الرماية وإحكامها فأعمالهم الحربية قائمة على السرعة والقدرة فى السبق وهى المعبر عنها اليوم بالحرب الخاطفة ومعظم أسلحتهم هـى النبال ذات الأطراف الفولاذية أو العظيمة ولا تخلو جعبة الجندى المغولى من عدد كبير من أوتار القسى ومعها إبرة وشمع لإصلاحها ومبرد لسن أطراف النبال ثم كانت سيوف المغول مدببة حادة أصلح للطعن منهـا للضرب ودروع خيولهم من جلد مقوى مطلى، ويضع المغول أسـلحتهم وأمتعتهم فى جعبات من الجلد يمكن نفخها ليستعينوا بها علـى اجتيـاز الأنهار(٢).

غاية القول إن المغول اكتسبوا العديد من مقومات الحضارة عـن طريق ما أحدثوه من نظم داخلية وتشريعية وتنظيمات عـسكرية حتـى وصلوا إلى مستويات عالية جدًا فى النواحى التنظيمية والحربية(٣).

ولكن النقلة الحقيقية فى حياة المغول التى حولتهم إلـى مجتمـع يخطو بقوة نحو طريق التحضر مبتعدًا عن البداوة جاءت مع اخـتلاطهم بالشعوب المهزومة ولاسيما الصين التى أمـدتهم بـالكثير فـى شـتى المجالات(٤) وبدأ المغول يخرجون من حياة الفوضى والبساطة ويقوضون

---

(1) Richard. IB. M: World Book "Mongol Empire", p.11; David Morgan: The Mongol., p.84.

(٢) أحمد مختار العبادى: الأيوبى والمملوكى، ص١٣٨.

(3) David Morgan: The Mongol, p.85; John Masson Smith: Mongol Manpower, p.280.

(٤) كاترمير: مقدمة كاترمير، المجلد الثانى، جـ١، ص٨٤؛ پاول هرن: إيـران، ص٦٨.

مبادئهم الفطرية إلى تعلم فكر المتحضرين وثقافتهم(١) فقد نقل المغول عن الصينيين العديد من الأمور الحربية كان أبرزها استعانتهم بالأسرى الصينيين فى فنون الحصار والقتال والإمداد، ورأى جنود المغول فى الصين عربات للقتال تجرها الجياد تحمل الجنود والأسلحة والأقواس التى يصعب حملها، فنقلوا عنهم ذلك هذا بالإضافة إلى وجود مجانيق تقذف الأحجار وأخرى تقذف اللهب والحمم نقلها المغول عنهم أيضًا(٢).

واستطاع المغول أن يقووا إمكاناتهم الحربية بواسطة التقنيات الجديدة التى اكتسبوها من أعدائهم الصينيين، واستفاد المغول من خبرات المهندسين الصينيين، فنجحوا فى تصنيع أسلحة كثيرة من معدن الحديد وتعلموا تقنيات جديدة فى محاصرة المدن(٣) واستخدموا كل شيء كقذائف للمجانيق بما فى ذلك جثث الحيوانات والبشر خاصة إذا كانت تحمل وباء وأمراضا، وبدأ الجيش المغولى يضم ضمن تكوينه المهندسين الصينيين والصناع المهرة ومن لديهم مقدرة على التخطيط الحربى(٤)، وظل المغول يتعلمون النواحى الحربية الصينية حتى أضحوا أصحاب مخترعات لم يسبقهم إليها أحد وصار لهم باع كبير فى فنون الحرب والقتال(٥).

ونتج عن احتكاك المغول بالصين أن تعلم المغول بعض الصناعات اليدوية الخاصة لاسيما أن أرض الصين كانت غنية بالعديد من

---

(١) بارتولد: التركستان من الفتح الإسلامى حتى الغزو المغولى، ص١٠٩.

(٢) عادل إسماعيل هلال: المغول وأوروبا، ص٣٣؛ ثروت عكاشة: جنكيزخان الإمبراطور الدموى، ص٩٩.

(3) The Editors of Tim- Life Books: The Mongol Conquests, p.15; T. R. Foster and Charles Hartman: A History of Chinese, p.106.

(٤) مايك إدواردز: جنكيزخان سيد المغول، ص٧٠؛ M. Haider: Mongol Traditions, pp.68- 69.

(٥) ابن عرب شاه: فاكهة الخلفاء، ص٥٤٢.

الصناعات، وعرف المغول أشياء عن الزراعة فبدأت الحضارة تلمسهم وتغير فيهم ولكن التغير كان بالكاد ويسير ببطء[1].

وظلت النظم الاجتماعية المغولية تتلقى التأثيرات الصينية فعرفوا عن الصين الآلات الموسيقية والأطباء والكُتاب والمترجمين وضموهم جميعًا إلى الجيش المغولي، وتعرفوا على سلع جديدة مثل الحرير والمساند والبطاطين والعباءات والستائر والخزف والغلايات الحديدية والدروع والعطور والمجوهرات والنبيذ والعسل والأدوية والبرونز والفضة والذهب[2]، هذا بجانب العديد من الأطعمة التى لم يألفوها من قبل.

وعرف عن جنكيزخان أنه تزوج من أميرة صينية من أسرة كين، لكنه لم يمنح الثقافة الصينية فرصة التأثير إلا بعد زمن طويل من حكمه، ولم يستخدم المغول الأبجدية الصينية إلا بعد سنوات طويلة فكانوا يستخدمون الأبجدية الأيغورية وحرروا بها الوثائق والمكاتبات، ولم يكن جنكيزخان نفسه يعرف سوى لغة قومه وإن سمح لبعض الشباب من المغول بالإلمام بلغات وثقافات الشعوب المقهورة وأدخل فى خدمته بعض الرجال المثقفين وعهد إليهم ببعض المهام كإدارة المدن وتعليم أبنائه وأبناء الطبقة الراقية، ولذلك بدأت المؤثرات الصينية تتغلغل بداخل أوساط المجتمع المغولى وحررته من بداوته[3].

---

(١) الفردوسى: الشاهنامة، جـ٢، ص٨٨؛ چيان بوه تسان: تاريخ الصين، ص٥٤.

(2) Jack Weather: Genghis Khan and The Making of Modern World, p.83;
J. R. Foster and Charles Hartman, Op.Cit., p.125.

(٣) محمد مرسى الشيخ: التتار وأوروبا، ص٢٠٠؛
V. V. Barthold: Four Studies on the History of Central Asia, p.43.

ثم ما لبثت أن تطورت مع زيادة إقبال المغول على الزواج من الأميرات الصينيات اللاتى جلبن معهن موجة من العادات والتقاليد والصفات والطباع الصينية بجانب المؤثرات الثقافية، واستفاد المغول بكل هذه الأمور(١)، وعلى الرغم من تأثرهم بحضارة الصين إلا أن الياسا ظلت هى مصدر التشريع الأول والتزم المغول بكل ما فيها دون مناقشة(٢).

ونالت الثقافة الصينية إعجاب المغول وظهر تأثرهم بها عندما أقاموا دولة مغول فارس عام ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م فوجد أن ما أنتجوه من فنون فى إيران وتبريز تظهر فيه ملامح السحن الآدمية ورسم الثياب، ورسمت المناظر الطبيعية وتم زخرفة بعض الأدوات المنزلية بأشكال حيوانية كالتنين والعنقاء وظهرت العناية برسم أعضاء الحيوانات ورسم السحاب وكل هذه المؤثرات الفنية كانت صينية(٣).

وقد عرف المغول دُور القضاء وكانوا يلجأون إليها لفض المنازعات(٤) والفترة التى حكم فيها المغول بلاد الصين كانت فترة منافسة فى الفن والأدب والصناعة وكانت هناك انتعاشة عظيمة فى الحضارة الصينية وعرف الصينيون صناعة الورق والبوصلة والبارود، وكان لكل هذه الأشياء مردودها عند المغول بعدما ما اختلطوا واحتكوا بهذه الحضارة، بل فرضت هذه الحضارة نفسها على المغول فساعدهم ذلك

---

(1) M. Haider: The Mongol Traditions, p.68.

(2) David Morgan: The Great Yasa, p.169.

(٣) م. س. ديماند: الفنون الإسلامية، ترجمة أحمد محمد عيسى، مراجعة أحمد فكرى، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٨م، ص٤٥- ٤٦؛ منى محمد بدر: الأعلام الإسلامية، ص٤٢٤.

(4) David Morgan: The Great Yasa, p.179.

على معرفة وامتلاك بعض مقومات الحضارة(١).

أما بالنسبة للنواحى الاقتصادية فقد كانت هناك علاقات اقتصادية بين المغول والصين على عهد تولوى خان (٦٢٥ - ٦٢٧هـ/ ١٢٢٧ - ١٢٢٩م) إبان توليه الوصاية على عرش الإمبراطورية المغولية وعرف المغول كثيرًا مما يجهلون فى النظم الاقتصادية ولاسيما الضرائب والجبايات والإدارات هذا بجانب الزراعة والصناعة والتجارة وكانت أرض الصين مؤهلة لقيام مثل هذه الأمور وكان ذلك بمثابة خطوة فى طريق تحضر المغول(٢).

وظهرت المؤثرات الصينية على المغول فى العملة، فقد عرف أهل الصين عملة البالس Balis الورقية فهى عملة ورقية تشبه الحرير والثابت أن الصين عرفت أوراق النقد الحكومية حوالى القرن الثالث الهجرى التاسع الميلادى قبل معرفة أى بلد آخر فى العالم لهذه العملة، وانتشر استخدام النقود الورقية بعد الغزو المغولى للصين حيث قام أوكتاى خان (٦٢٧ - ٦٣٩هـ./ ١٢٢٩ - ١٢٤١م.) المغولى بإنشاء دار لسك النقود الورقية، أسوة بالدور القائمة فى العديد من المدن الصينية(٣).

أما عن النظم الدينية فقد عرف المغول العديد من المعتقدات مثل البوذية والمانوية والزرادشتية والديانة المسيحية وأدى ذلك إلى نقلة وتطور فى فكرهم الدينى ويعود الفضل فى ذلك إلى الصين أيضًا(٤).

---

(١) حمدى حافظ: الدولة الخوارزمية والمغول، ص٢٦٣؛
The World Book Encyclopedia, "Mongol Empire", Vol. 13, p.557.

(٢) الفردوسى: الشاهنامة، جـ٢، ص٨٨؛
Sechin Jagchid: The Mongolian, p.111.

(٣) ابن الزبير: الذخائر والتحف، ص٥؛ على أحمد السيد: مشاهدات، ص٤٥.

(4) Pamelakyle Grossley: The Manchus Cambridge, p.3.

خلاصة الأمر أن الثقافة والأخلاق والحضارة الصينية استطاعت أن تتفوق على المغول البربر وأن تجعلهم يتأثرون بها رغم قوتهم العسكرية التى فاقت قوى الصين وغيرها من البلاد التى هاجمها المغول، وكانت البلاد المغلوبة من قبل المغول أصحاب أيادٍ بيضاء عليهم حيث يعود الفضل إليهم فى تقدم المغول[1].

ثمة نتيجة مهمة وهى أن احتكاك المغول بحضارة كبيرة مثل الحضارة الصينية وما امتلك المغول من رجال وقادة أصحاب فكر أسهم فى تحضرهم، بجانب أنظمتهم الحربية والتشريعية كل هذه الأمور مجتمعة ساعدت على تشذيب بربرية المغول وهمجيتهم، وأعطت الحضارة الإسلامية فيما بعد الفرصة لتفرض نفسها على هذا المجتمع الذى أصبح تواقًا إلى معرفة الجديد، وأن يشترك فى سباق التقدم والتحضر، بعدما كان شغله الشاغل أن يبحث عن ما يقتات به ويتحرك فى موجات كالجراد من أجل السلب والنهب.

واللافت للنظر أن تحضر المغول شابه كثير من النقصان خاصة فى مجال السلوك، فظل تعاملهم مع أهل البلاد المهزومة فيه قسوة وهمجية حتى بعد معرفتهم للإسلام وحضارته، فاقتصرت حضارتهم على التقدم فى بعض المجالات ولكنها افتقدت للأخلاق والسلوك الطيب. وبرغم سماحتهم الدينية وقبول الآخر إلا أنهم فى الأمور السياسية غابت عنهم هذه السماحة ورفضوا قبول الآخر. ونتج عن تحضر المغول بعد خروجهم من عزلتهم واحتكاكهم بالحضارات المجاورة أن اهتموا بالعلم والعلماء فكان جنكيزخان لا يرجح ولا يفضل أمة على أمة إلا على حسب

---

(1) Novgorod: The Chronicle of Novgorod, p.65; Colin Mackerrs: Eastern Asia, p.110; باول هرن: إيران، ص٦٨

زهادها وعلمائها، فهو يبجل العلماء والزهاد فى كل طائفة، ويعطيهم مزيد من الإعزاز، وكان يعتبر ذلك وسيلة للتقرب إلى الحق جل وعلا[1] على حسب زعمه وظنه.

وأضحى المغول يهتمـون بـالنواحى العلميـة، وازداد شـغفهم بتحصيلها، ولاسيما إبان عهد قبولاى خان الذى أسس مرصدًا وتم حفـظ آلاته وسجلاته بشكل جزئى، وأدخل تقويمًا جديدًا إلى الصين مدة عامـه ٣٦٥,٢ يومًا وكانت دقته لافتة للنظر وازدهر علما الجغرافيا والفلك على عهده[2]، ولم يكتف بذلك بل أرسل البعثات لاكتشاف منبع النهر الأصفر، وأدخلت تحسينات على القناة العظيمة التى تربط مناطق زراعة الأرز فى اليانجستى بالعاصمة[3].

وشهد لأكثر خانات المغول بحبهم للعلم والعلماء وكانوا ملازمين لمجالسهم وشاركهم فى هذه المنزلة الزهاد والصالحون وكـان الخانـات يحسنون إليهم غاية الإحسان ويغدقون عليهم العطايا، ويتواضعون معهـم غاية التواضع فكان إذا جاء إلى خان أحد العلماء أو الـصالحين، نهـض الخان من مجلسه لاستقباله[4].

---

(١) الجوينى: جهانكشاى، ص٢٠٦؛ عباس إقبال: تاريخ المغول، ص١١١.

(٢) س. الجود: "العلم فى فارس" ترجمة السيد يعقوب بكر، بحث منـشور ضـمن كتاب تراث فارس، كتبه أساتذة من المستشرقين أشرف على نشره أ.ح. أربرى، راجعه يحيى الخشاب، دار إحياء الكتب العربية، القـاهرة، ١٩٥٩م.، ص٣٨٩؛ هيلدا: تاريخ الصين، ص٢٤٢؛

Jingwei: 100 Questions about Tibet, p.4.

(٣) رشيد الدين الهمذانى: خلفاء جنكيزخان، المجلد الأول، ص٢٧٢.

(٤) العينى: السيف المهند فى سيرة الملك المؤيد، ص١٨٣- ١٨٤؛

Catriona: The Mongols, p.2.

ومن ضمن الأشياء التى نقلت الثقافات والحضارات، وأحدثت الربط بين الشعوب، طريق الحرير الذى كان بمثابة مركز تجارى مهم فى آسيا الوسطى، والرئة التى كانت بمثابة متنفسٍ تنقل ثقافات متنوعة إلى المغول ولاسيما الثقافات الإسلامية من خلال التجار المسلمين وأدى ذلك إلى معرفة المغول لبلاد الإسلام وخيراتها التى لا تحصى ولا تعد(١).

وكانت هناك سفارات تجارية من قبل جنكيزخان تهدف إلى رواج الأحوال الاقتصادية وخلق علاقات قائمة على السلم مع جيرانهم، وفى المقابل استطاع التجار المسلمون أن يرفعوا فى منغوليا المستوى الحضارى أكثر من غيرهم ولاسيما التجار المسيحيين، وقد أخذ المغول عن الترك المسلمين كلمة (صارت) بمعنى تاجر وأصبحت فى منغوليا مصطلحًا يعبر عن التجار المسلمين(٢)، وكذلك استفاد "جنكيزخان" من التجار المسلمين الذين استخدمهم فى بلاطه وعُدوا أول معلمين للمغول فى مضمار الحضارة(٣).

وقد أخذ المغول عن التجار المسلمين العديد من المؤثرات الإسلامية فى النظم الاقتصادية والمعاملات والطباع والعادات والتقاليد ويعد ذلك احتكاكًا مبكرًا سبق عمليات الاختلاط والامتزاج بداخل الحضارة الإسلامية الذى حدث فيما بعد مهاجمة بلاد الإسلام من قبل المغول(٤).

---

(١) محمد عبدالعظيم أبوالنصر: مراكز التجارة فى آسيا، ص٣٣١؛ على أبوعساف: طريق الحرير، ص٧٤

(2) D'ohsson: Histoire des Mongoles, T1, p.201;

بارتولد: الترك، ص١٤٧.

(٣) قاسم عبده قاسم: سلاطين المماليك، ص٥٤.

(٤) نظام الدين الهروى: المسلمون فى الهند، جـ٣، ص٢٩٥؛

Rudi Paul Lindner: Nomadism, Horses and Huns, p.4.

ونتج عن وجود التجار المسلمين ضمن بلاط الخانات المغول أن حدث تأثير إسلامى كبير ساهم فى تكوين حضارة وأخـــلاق المغـــول[١]، وهذا يوضح أن المراحل الأولى التى خطاها المغول فى طريق التحضر والتقدم والرقى، ساهمت فيها الحضارة الإسلامية بشكل كبير حيث ســـهل لهم التجار المسلمين الاتصال والاحتكاك مع البلاد الأخرى المجاورة من خلال تبادل السفارات التجارية بجانب علمهم بسلع ومنتجات ومصنوعات جديدة لم يألفوها من قبل[٢].

مجمل القول إن الحضارة الإسلامية بدأت تداعب المغـــول منـــذ وقت مبكر من خلال التجار المسلمين ثم ما لبثـــت هـــذه الحـــضارة أن ساعدت فى انتقال المغول من البداوة إلى التحضر هذا بجانب نقلها وصف للعالم الإسلامى وثرواته، مما جعل المغـــول يفكـــرون فـــى مهاجمتـــه، والتجارة التى ساهمت فى تحضر المغول كانت أيضًا سببًا مباشـــرًا فـــى هجوم جحافل المغول على المشرق الإسلامى، بعد قتل سفارة جنكيزخان التجارية من قبل ينال خان حاكم مدينة أترار من قبل الدولة الخوارزمية.

وقد ساهمت الحضارة الصينية ومن بعدها الحضارة الإسلامية فى تعرف المغول على نظام الإحصاء وعلمه، فحينما تمت للمغول السيطرة على سائر البلاد المجاورة لهم قاموا بوضع نظام الإحصاء فـــى تعـــداد السكان وصنفوهم إلى عشرات ومئات وآلاف مثلما كانوا يفعلـــون فـــى جيوشهم، وعرفوا أيضًا نظام البريد، فحينما اتـــسعت مـــساحة بلادهـــم وترامت أطرافها أقاموا فى طول البلاد وعرضها نزلاً للبريد وعينوا له ما يلزمه من الرجـــال والحيوانـــات والمـــأكولات والمـــشروبات وســـائر المستلزمات الأخرى[٣].

---

(١) بارتولد: التركستان من الفتح الإسلامي حتى الغزو المغولي، ص٥٥٣.

(2) Rudi Paul Lindner: Op.Cit., p.8.

(٣) الجويني: جهانكشاى، ص٢١٢.

وبعد قيام دولة مغول فارس عام ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م تعايشوا مع المسلمين واختلطوا وامتزجوا بهم وبدأوا يتأثرون بهم في حياتهم وطرق معيشتهم وعاداتهم وتقاليدهم وبدأ يحدث تحول في حياتهم وتهذيب لبعض سلوكياتهم، ويعد ذلك بمثابة خطوة متقدمة في طريق تحصيل المغول للحضارة.

ثانيًا: أهم ملامح تأثيرات الحضارة الإسلامية على النظم الاجتماعية لمغول فارس:

كان للمغول رسوم وتقاليد وآداب تتفق وحياتهم الفطرية البسيطة الخالية من التكلف والتعقيد وقد ظلت نظمهم الاجتماعية على حالها واعتبر الإنسان المغولى على رأس قائمة من يتسمون بالبدائية، حتى برز جنكيزخان على مسرح الأحداث واحتك المغول بعالم زمانهم المتحضر ولاسيما العالم الإسلامى[١]، فقد تبدلت أحوالهم بعد الاحتكاك بالعالم الإسلامى وحدثت طفرة من التغيرات والتأثيرات على النظم الاجتماعية للمغول فى المشرق الإسلامى، ولم يقتصر الأمر على مغول فارس وحسب بل تعدى حتى وصلت التأثيرات إلى مغول قواقورم[٢].

وقد ظهر التأثر بالحضارة الإسلامية منذ وقت مبكر ومع أول احتكاك حربى بين المغول والمشرق الإسلامى حيث صاحب هجوم جحافل المغول على بلاد الإسلام إعمال السيوف فى رقاب أهل البلاد الإسلامية فقاموا بعمل مذابح جماعية لم ينجُ منها سوى أرباب الحرف والصناع والعلماء[٣].

ومما يستلفت النظر أن المغول سنوا سنة جديدة حيث قاموا بنقل أرباب الحرف والصناع والعلماء والفنانين المهرة إلى عاصمتهم قراقورم وأوكلوا إليهم مهمة تعليم سكانها، والارتقاء بهم وبذلك شهدت عاصمة

---

(١) سعد الغامدى: المغول بيئتهم الطبيعية، ص٤٠؛ فؤاد الصياد: المغول فى التاريخ، ص٣٢٩.

(2) Catriona Macpherson : the Mongols, p.2.

(3) D'Ohsson: Op.Cit., T2, p.310; Barthold: Four Studies on History of Central Asia, p.42.

المغول عناصر سكانية جديدة من أجناس مختلفة يتبعون العديد من البلاد، وبجانب نقلهم العلم والصناعات والحرف والفن نقلوا معهم لغتهم ودياناتهم وعاداتهم وتقاليدهم مما كان له أكبر الأثر فى النقل عن الإسلام وحضارته من قبل المغول[١].

ولم يكتف المغول بذلك بل قاموا بنقل الحدادين والنساجين والصيادين والنساخ والأطباء حتى قيل أن سمرقند وحدها أخذ المغول منها ثلاثين ألف حرفى ماهر للعمل الشاق فى منغوليا الأقل تحضرًا وكان معهم بلا ريب الآلاف من نسائهم وأطفالهم بالإضافة إلى موروثهم الثقافى الذى كان له أكبر الأثر فى نقلة المغول إلى التحضر والتمدن ومعرفة أشياء كثيرة كانت مجهولة لديهم[٢].

وتم نقل هذه الفئات السكانية من معظم بلاد الإسلام التى دخل المغول معها فى حرب وحققوا انتصارات عليها ومنها على سبيل المثال بلاد خوارزم، وسمرقند، وبخارى وبلاد الشام، واستطاع المغول تسخير كل هؤلاء لمنفعتهم الخاصة ونقلوا عنهم الكثير فى العديد من النواحى الاجتماعية والدينية، هذا بجانب ما حملوه مع هذه الفئات من الأشياء القيمة والنفيسة إلى حواضرهم وبلادهم[٣].

---

(١) المنشى النسوى: جلال الدين، ص١٧٥؛ البدليسى، الشرفنامة، جـ٢، ص٧؛ عباس إقبال: عمومى إيران، ص٧٢؛ D'Ohsson: Op.Cit., T1, p.223.

(٢) مايك إدواردز: جنكيزخان سيد المغول، ص٧٣- ٧٤؛ أرمنيوس: تاريخ بخارى، ص٧٤.

(٣) غياث الدين خواندمير: حبيب السير، ص٤٧٩؛ المنشى النسوى: مصدر سابق، ص١٧٥؛
عباس إقبال: عمومى إيران، ص٧٥.

وبعد قيام الدولة الإيلخانية بفارس اقتصر نقل هؤلاء العلماء والصناع والحرفيين والفنانين إلى الحواضر التى تتبع الدولة الإيلخانية مثل تبريز فازدهرت فيها الحركة العلمية وكثرت الأبنية والفنون(١)، ولم يقتصر الأمر على تبريز فحسب بل تخطى ذلك إلى معظم مدن أذربيجان التابعة للدولة الإيلخانية مما كان له أثره فى إحداث نقلة ثقافية كبيرة وأدى ذلك بدوره إلى اختلاف الألسن واللغات والعمارة كما ظهرت أنماط كثيرة من العناصر السكانية المختلفة(٢).

وظل هولاكو ومن خلفه على سياستهم من نقل كل ما يرونه صيدًا ثمينًا إلى حواضرهم حيث شملت عملية النقل أرباب الحرف وكذلك التجار المهرة والفلكيين ومن لم يتم نقله استخدمَ للعمل لدى دولة المغول بفارس إما مستشارًا للإيلخان أو وزيرًا أو ضمن بلاد الخان، غاية القول إن مغول فارس جنوا ثمار البلاد الإسلامية وانتفعوا بها دون غيرهم واحتكوا بهم احتكاكًا مباشرًا مما كان له أكبر الأثر عليهم(٣).

يفهم مما سبق أن همجية معظم المغول كانت همجية موجهة فى تلك الآونة حيث أنهم لم يكونوا بربرًا أو سذجًا، فمع الإكثار من عمليات القمع والقضاء على المسلمين بشكل عشوائى بدأوا يأخذون كل ما يمكنهم الاستفادة به لنقلهم من البداوة إلى التحضر ولقيام حضارة تعبر عنهم وعن هويتهم، فهى حضارة ملوثة بالدماء قامت على أجساد وعقول أهل الصين والمسلمين من بعدهم.

---

(١) الأصطخرى: الأقاليم، ص٨٠؛ نبيح الله: أدبيات إيران، ص٢٦.

(٢) القزوينى: نزهة القلوب، ص٨٠- ٨١؛ محمد جواد مشكور: نظرى تاريخ آذربايجان، ص١٧٢.

(٣) ابن الحنبلى الحلبى: الزبد والضرب فى تاريخ حلب، ص٤٧؛ غياث الدين خواندمير: حبيب السير، ص٤٧٩؛ رشيد الدين الهمذانى، الإيلخانيون تاريخ هولاكو، المجلد الثانى، جـ١، ص٢٤٧.

وكان من أبرز مظاهر التأثيرات الإسلامية على مغول فارس بعض الصناعات التى نقلها المغول عن المسلمين مثل صناعة السروج والمصابيح النحاسية والنسيج الموشى بالفضة ومدينة تبريز خير شاهد على النقل والاقتباس والتأثر بالفنون والصناعات الإسلامية التى تظهر مدى ما وصل إليه المغول نتيجة الاحتكاك بالمسلمين[١]، وفى المقابل نقل الفن الإسلامى عن المغول والصينيين بعض الزخارف فى صناعة الأوانى الفخارية من خلال رسومات الطبيعة بالإضافة إلى استخدام اللون الأزرق فى الرسومات[٢].

وقد تعاظم دور المؤثرات الإسلامية على المغول بعد قيام دولتهم بفارس وتواجدهم وسط المجتمع الإسلامى الذى أخذ يؤثر فيهم، وفى شتى مناحى حياتهم ومنها على سبيل المثال **المؤثرات الإسلامية على غذاء مغول فارس:**

فمع أن المغول تحضروا، بحكم تقليدهم للشعوب التى كانت أكثر تحضرًا منهم إلا أن نوعية اللحوم، المكونة بصفة رئيسية من لحوم الخيل والطريقة العامة فى الطبخ، وكيفية تقطيع اللحم ثم تقسيمه ظلت على حالها كما كانت طريقة الآباء والأجداد والتى كانت متبعة فى الموطن الأصلى فى منغوليا[٣].

وظلت معظم الأطعمة المغولية على حالها من حيث الطهى وطريقة التقديم، ولكن بعد احتكاك دولة مغول فارس بالحضارة الإسلامية

---

(١) David Talbot: Islamic Art, pp.117- 118;
مايك إدواردز: جنكيزخان سيد المغول، ص٦٣؛ Haworth: Op.Cit., III, p.208
(٢) أرنولد – شيرستى: تراث الإسلام، جـ٢، ص٤١؛
Catriona: The Mongols, p.5.
(٣) سعد الغامدى: جوانب من حياة المغول، ص١٣٨.

حرم المغول أكل الميتة إلا فيما ندر، ومنعوا أكل لحوم البشر وعندما دخل تكودار أحمد ٦٨١ - ٦٨٣هـ/ ١٢٨٢ - ١٢٨٤م فى الإسلام حرم أكل لحم الخنازير وأحل كل الأطعمة التى يحلها الإسلام وحرم ما يحرمه الإسلام وألزم مغول فارس بذلك[١].

ولم يكن المغول يعرفون الفاكهة حتى احتكوا بالحضارة الإسلامية ومن قبلها الصين فذاق جنكيزخان الرمان واستساغ طعمه[٢]، ثم عرف المغول بفارس البطيخ والعنب وصارت هذه الأنواع من الفواكه ألذ وأطيب المأكولات لديهم[٣].

ونقل مغول فارس كذلك عن الحضارة الإسلامية غذاء الحبوب والبقوليات وإن كانت الحبوب استُخدمت كغذاء إضافى لحيواناتهم فى المقام الأول[٤] وأضحى مغول بلاد فارس يقبلون على الأطعمة الإسلامية الشرقية بشهية مفتوحة ومع ذلك ظلت ألبان الخيول واللحوم تحتل القائمة الرئيسية للأطعمة المغولية، وفى حالة تعذر الحصول على حليب الخيل (القُمز) كانوا يستعيضون عنه بأنواع أخرى من حليب الضأن والماعز وحليب الأبقار وحليب النوق، واللافت للنظر أن أهم شىء اكتسبه المغول من المسلمين كان الاهتمام بنظافة الأطعمة وغسل الأيدى بعد الانتهاء من الطعام والاهتمام بتقديم الأطعمة بشكل جذاب ومغرى[٥].

وعندما تحولت دولة مغول فارس إلى الإسلام مع تولى محمود

---

(1) Rockhill – Jackson: Rubruk, p.14.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٣، ص١١٥- ١١٦.

(٣) بابرشاه: تاريخ بابرشاه، ص٣١.

(4) Rockhill – Jackson: Op.Cit., p.16; هيلدا: تاريخ الصين، ص٢٢٢

(5) Catriona: The Mongols, p.23; Jin Jones: the Mongol Terror 1212 to 1405 "The Ilkhans of Persia, p.15.

غازان خـــان ٦٩٤ - ٧٠٣هــــ/ ١٢٩٥ - ١٣٠٣م، كـــان للزراعـــة والمحاصيل الزراعية الغذائية التى لم يألفها المغول من قبل نصيب كبير من عناية غازان خان، فعمل على زيادة رقعة الأرض الزراعية، وقـــام بتوزيع الأراضى البور على الفلاحين بشروط ســخية، علـــى أن يبـــدأ تحصيل الضرائب منهم اعتبارًا من السنة الثالثة من حيازتها ويتوقف ذلك على مدى جودة الأرض أو رداءتها، وأمر أيضًا بأن يوضع تحت تصرف الفلاحين كل ما يلزمهم من بذور ودواب وآلات زراعيـــة، كـــذلك اهـــتم غازان بوسائل الرى داخل إيران وخارجها من المناطق التـــى يـــسيطر عليها، فأمر بإصلاح الأنهار وشق الترع الجديدة، وكان من بينها ترعـــة أقيمت بالقرب من الكوفة تكلفت حوالى مائـــة ألـــف دينـــار، كـــل هـــذه الإصلاحات أسفرت عن إنتاج غلات زراعية لم يألفها أو يأكلها المغـــول من قبل، بالإضافة إلى انتشار الحدائق والبساتين بعدما كانت أعين المغول لا ترى إلا الأرض الجدباء أوالجرداء(١).

وأدى تحول دولة مغول فارس إلى الإسلام إلى تـــرك عـــاداتهم القديمة من المأكل فلم يأكلوا ما حرم الإسلام إلا فيما ندر، وأصبح شغلهم الشاغل تطبيق الشريعة الإسلامية(٢).

وظلت عادات ذبح الحيوانات على ما جُبل عليه المغـــول ، وإن أظهر بعض خاناتهم تسامحًا مع المسلمين والسماح لهـــم بالـــذبح علـــى الطريقة الإسلامية مثل مونكوخان (٦٤٩ - ٦٥٨هـــ/ ١٢٥١ - ١٢٥٩م) الذى ذبح الماشية على حسب الشريعة الإسلامية ليقدمها لـــضيوفه مـــن المسلمين الذين جاءوا لتقديم التهنئة له بمناسبة اعتلائه عـــرش المغـــول،

---

(١) فؤاد الصياد: الشرق الإسلامى، ص٣١٧.

(٢) هدى درويش: دور الصوفية، ص٩٩.

ولكن هناك من أظهر التشدد مع من يذبح على الطريقة الإسلامية مثل أرغون (٦٨٣ - ٦٩٠هـ/ ١٢٨٤ - ١٢٩١م) الذى أمر بمعاقبة من يذبح على الطريقة الإسلامية بأن يُذبح بنفس الطريقة[١]، ثم مالبث أن أقر غازان الذبح على الطريقة الإسلامية لأنه أسلم وأعلن تطبيق الشريعة الإسلامية محل الياسا وكان إسلامه عن صدق وإخلاص، لا عن تظاهر ونفاق، فكان ثابت اليقين فى الإسلام، وظهر فى بعض أطواره بمظهر الحاكم المسلم المثالى[٢].

أما عن **المؤثرات الإسلامية فى مشروبات المغولى** فقد ظهر ذلك فى صنعهم لشراب من حبوب القمح أو الأرز عندما يحل عليهم فصل الشتاء ويقل حليب حيواناتهم، فيأتى المغولى بهذه الحبوب من الأقطار الزراعية ويضيف إليها العسل، والذى عرفه المغول مع الاحتكاكات الخارجية، ويصنع لنفسه شرابًا مخمرًا حلو المذاق، لأن عادة شرب المغول الماء المخلوط بشيء آخر ظلت سائدة بين السواد الأعظم من مغول فارس[٣].

وعرف مغول فارس بعض المشروبات الشرقية المسكرة، مثل: النبيذ والخمور وكان المغولى يبدأ يومه بكأس أو كأسين عند الصباح وظل إيلخانات دولة مغول فارس الأوائل مداومين على الشراب والخمور ويلهون ويلعبون[٤] حتى قيل إن وفاة أباقاخان عام (٦٨٠هـ/ ١٢٨٢م) كانت بسبب إفراطه فى شرب الخمور[٥].

---

(1) D'Ohsson: Op.Cit., T2, p.300.

(٢) فؤاد الصياد: الشرق الإسلامى، ص٢٥٤- ٢٥٥؛ سيرتوماس. أرنولد: الدعوة، ص٢٦٤.

(3) John Carpini: "Mongol History" Ed Dawson, pp.16- 17.

(4) Catrion: The Mongols, p.17; Jin Jones: The Mongols, p.20.

(٥) فؤاد الصياد: الشرق الإسلامى، ص١١٤.

وبعد أن تولى غازان مقاليد الحكم فى دولة مغول فارس أصدر قانونًا يحرم شرب الخمور فى الطرق العامة وهدد بالتشدد فى معاقبة من يخالف ذلك القانون ولم يكن يعفى عن شارب خمر تم القبض عليه إلا بعد أن تنزع عنه ثيابه ويطاف به فى المدينة والطرقات حتى يفتضح أمره ثم يربط فى شجرة ليشاهده القاصى والدانى ويكون عبرة لكل من تسول إليه نفسه الإقدام على مثل ذلك[(١)].

وأدى دخول المغول فى الإسلام وامتزاج دولة مغول فارس بأكملها داخل المجتمع الإسلامى إلى تحريم الخمر ولم يقتصر الأمر على الخمر فقط بل حرموا أكل ما حرمه الإسلام وأحلوا كل ما أحله[(٢)].

وكان الشاى من المشروبات الجديدة التى دخلت على المغول فاستساغه حكامهم، فأضحوا محبين له، ولاسيما أنه كان يعوضهم عن شرب الماء القح لأنهم اعتبروا الماء على هذا الشكل فاسدًا[(٣)] لأن الماء لا يشرب إلا مخلوطًا بشىء آخر كما سبق أن بينا.

ولم تقتصر المؤثرات الإسلامية على المشروبات فقط بل تعدت إلى الأوانى المستخدمة فى الشرب، فبعد أن استقر مغول فارس فى بلاد الإسلام كانوا يشربون أشربتهم فى أكواب فضية وذهبية[(٤)].

وهكذا فإن المؤثرات الإسلامية على الأطعمة والأشربة بدأت تنتشر بين مغول فارس ولكنها لم تقض على عادات المغول فى الغذاء بل أضافت هذه المؤثرات أنواعًا جديدة إلى قوائم الأطعمة والأشربة المغولية،

---

(١) غياث الدين خواندمير: حبيب السير، م٣، ص١٦٦.

(2) Rockhill – Jackson: Op.Cit., p.14; هدى درويش: دور الصوفية، ٩٩.

(٣) هيلدا: تاريخ الصين، ص٢٢٢؛ جورجى زيدان: طبقات الأمم، ص١٤٣.

(4) Sheile Blair: The Arts of the Mongols, p.31.

وظل الموروث الغذائى للمغول يحتل المرتبة الأولى ولا ينازعه فيه أحد، ثم تبدلت الأحوال مع تحول دولة مغول فارس إلى الإسلام، فلم تأخذ من موروثها الغذائى إلا الأطعمة والأشربة التى تتفق مع الشريعة الإسلامية فأحلوا حلالها وحرموا حرامها.

والشيء اللافت للنظر أن حياة المغولى تبدلت من كونه إنسانًا بدائيًا يبحث عما يقتات به، ويعيش حياة الكفاف إلى إنسان متحضر منغمس فى الأنعم والملذات لديه قوائم من الأطعمة والمشروبات، متذوق يدخل كل يوم صنفًا من الطعام والشراب إن استساغه، هكذا تطور هرم الاحتياجات المغولية، وصار المغولى يبحث عن كل ما هو جديد.

أما عن المسكن المغولى ومظاهر التأثير عليه فبعد أن فتح جنكيزخان أقاليم الصين الشمالية، ارتفعت حياة الخان المغولي، وطرأ تطور كبير على مسكنه، فلم يتخذ الخيمة المصنوعة من الجلد مقرًا له، بل صار يقيم سرادقًا مرتفعًا مصنوعًا من اللباد الأبيض ومبطنًا بالحرير، وإلى جانب المدخل وضع منضدة من الفضة عليها لبن الخيل والفاكهة واللحوم حتى يأكل ويشرب كل من يأتى لمقابلته، هذا بجانب استخدام المغول للمساكن الصينية[1].

وحدثت نقلة فى المسكن المغولى عندما احتكوا بالعالم الإسلامى المليء بـ ((مدن عظيمة وولايات جسيمة، ومحط رجال العلم، ومقر للظرفاء والشعراء ومورد الأدباء والكبراء)) [2] وبعد توطن المغول بداخل بلاد الإسلام بدأت خيامهم ومعسكراتهم تستبدل تدريجيًا بأبنية ثابتة ومراكز تجارية[3].

---

(١) فؤاد الصياد: المغول فى التاريخ، ص٣٣٤.

(٢) ابن عرب شاه: عجائب المقدور، ص١٨.

(3) Sheila: The Arts of the Mongols, p.28.

وإبان عهد هولاكو أباقاخان استغل المغول المساكن الموجودة بالفعل فى البلاد الإسلامية التى استولوا عليها ولم يسعوا لبناء منازل ومساكن، لكنهم سمحوا للمسيحيين والبوذيين ببناء الكنائس والمعابد[1]، ولكن عندما تولى أحمد تكودار ٦٨١ - ٦٨٣هـ/ ١٢٨٢ - ١٢٨٤م استقر في بغداد وأمر ببناء المساجد والجوامع على الطراز الإسلامى وأقام الشريعة الإسلامية وأضحى يمتلك العديد من المساكن[2].

وظلت المساكن والأبنية المغولية تنتشر فى بغداد وطبرية، بل تعدى الأمر إلى الاهتمام ببناء مراكز تجارية على طول الطرق التى تربط أوروبا بآسيا وقام بعض خانات المغول بتشييد مدن على الأنهار وكان البناء متأثرًا بالطراز الإسلامى غلب عليه التقليد والمحاكاة وإن ظهرت بعض المؤثرات الصينية فى الألوان، وكان مردُّ ذلك إلى الاحتكاك المبكر بين المغول والصين وإقامة المغول وسط المدن الصينية، فكان اللون الأزرق لون المغول المفضل، يغطى معظم أبنيتهم[3].

وقام السلطان أولجايتو بتشييد مدينة بين قزوين وهمذان عام ٧١٣هـ/ ١٣١٣م وسماها السلطانية واتخذها عاصمة لدولة مغول فارس وقد ازدحمت العاصمة الإيلخانية الجديدة بالكثير من القصور والمساجد والمدارس والمستشفيات، كما بنى أولجايتو مسجدًا جامعًا على نفقته الخاصة ومدرسة على نمط المدرسة المستنصرية فى بغداد وأصبحت تمثل أحد المراكز الثقافية المهمة سواء فى نشر الثقافة أو فى نشر الإسلام ذاته[4].

---

(1) David. J., Islam and Islamic, p.7.

(٢) الحنبلى، شذرات الذهب، جـ٥، ص٣٧٠.

(3) Sheila: Op.Cit., p.28; Kazakevich: History of Russia, p.42.

(٤) عصام عبدالرؤوف الفقى: دولة مستقلة، ص٢٠٩.

نخلص مما سبق بشيء مهم وهو أن المغول عرفوا القصور والمدارس والمستشفيات بعدما اقتصرت سكناهم على الخيام وأضحت حياتهم مستقرة ثابتة بعدما كانت متحركة وراء المراعي أو قنص أي صيد ثمين وبذلك أضفى التأثير الإسلامي على المسكن المغولي مظاهر الترف والأبهة والعظمة المعمارية وأعطاهم نوعًا من الاستقرار، واختفت حياة التنقل والترحال.

أما عن أبرز المؤثرات الإسلامية على الملابس المغولية، فقد وضحت بعد خروج المغول من موطنهم الأصلي وانصهارهم في بوتقة العالمين الصيني والإسلامي المجاورين لهما وقتذاك وظهر المغول كقوة عالمية سيطرت على مساحات كبيرة من الأراضي فأدى ذلك إلى اختلاطهم بشعوب وحضارات متقدمة مما أدى بدوره إلى تغيير لباسهم من حيث النوعية والكمية لا الشكل العام[١].

وبعد استقرار المغول في بلاد الإسلام عندما قامت لهم دولة بفارس عام ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م واتخذت من تبريز حاضرة لها، لوحظ التأثر بالزي الإسلامي بشكل لافت للنظر حيث لف المغول سلك الحرير بالذهب ونسجوا الأقمشة الفخمة وصنعوا منها ملابسهم الرسمية[٢]، وفي أحيان كثيرة كان إيلخانات المغول يقومون بجلب الحرير من بلاد الصين لجودته العالية[٣]، وصار الصوف ذا أهمية كبيرة في صناعة الملابس المغولية وانتشر لدى السواد الأعظم من مغول فارس[٤].

---

(١) صلاح نوار: المرأة ودورها في المجتمع المغولي، ص١٦٧- ١٦٨؛
Rockhill, Jackson: Op.Cit., p.1.

(2) Sheila: Op.Cit., p.31.

(٣) الجاحظ البصري: التبصرة بالتجارة، ص٢٦؛ جمال عبدالهادي مسعود، وفاء محمد رفعت: الطريق إلى بيت المقدس، ص١٣٥.

(4) John Masson Smith: "Mongol Manpower", Vol. XVIII, Part 3, p.271.

وعرف عن العرب المسلمين أن أهم مميزات زيهم لبس التيجان وهى العمائم وعدوا القلانس مظهرًا من مظاهر كمال الرجولة عندهم، فقد قال الإمام على رضى الله عنه: تمام جمال المرأة فى خفها وتمام جمال الرجل فى عمته أى (قلنسوته) [١] فنقل عنهم مغول فارس هذه العادات فى الملبس، وصار رجال المغول يرتدون قبعة على رؤوسهم وصار النساء يعتنين عناية فائقة بمظهرهن[٢] ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل أصبح من عادات الزواج عند مغول فارس أن يقدم الزوج بعض الهدايا شريطة أن تكون الثياب الخوارزمية ضمن هذه الهدايا[٣].

جدير بالذكر أن بعد تحول دولة مغول فارس إلى الإسلام مع عهد غازان محمود (٦٩٤ – ٧٠٣هـ/ ١٢٩٥ – ١٣٠٣م) بدأ المغول يذهبون إلى المساجد للمشاركة فى الأنشطة الدينية ولبس الرجال قبعة بيضاء وغطت النساء رؤوسهن[٤].

وأدى اعتناق مغول فارس للدين الإسلامى إلى تقليدهم الخلفاء المسلمين فى ملابسهم، لكنهم بالغوا فى ارتداء الثياب الباهظة الثمن وكان معظمها من "الكمخا" وهى ثياب من الحرير المذهب ولبسوا الملابس المزركشة بالذهب بل أن بعضهم ارتدى الكسوة الذهبية ليظهر بمظهر الأبهة والجلال على الرغم من أنها محرمة شرعًا على الرجال[٥].

---

(١) السيد عبدالعزيز سالم، سحر عبدالعزيز سالم: محاضرات فى الحضارة الإسلامية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ٢٠٠١م.، ص١٧٥.

(2) John Masson Smith: Op.Cit., p.271; Rockhill, Jackson: Op.Cit., p.21.

(٣) ابن فضلان: رسالة بن فضلان، ص٤٨.

(٤) سون مينغ تشن: المسلمون فى التبت، ص٨٩.

(٥) رشيد الدين الهمذانى: خلفاء جنكيزخان، المجلد الأول، ص٧٥؛ يمنى رضوان: الدولة الجلائرية، ص١٣٢.

على ضوء ما سبق يتبين أن المغول انغمسوا في حياة اللهو والترف والتنعم بشكل مبالغ فيه ، ومردود ذلك إلى سنوات الجدب والفقر والحرمان التي عاشوها في موطنهم الأصلي بمنغوليا، وأدت بهم هذه الأمور في نهايتها إلى سقوط دولتهم لأن جنودهم أصبحوا منعمين مرفهين فقدوا كثيرًا مما كانوا عليه من قوة وشراسة.

وقد ظهرت في مناطق الشام بعض الرسومات على المنسوجات وكانت تمثل المدرستين الإسلامية بزخارفها وأشكالها والمغولية من حيث رسوم الكائنات الحية والألوان وسيادة اللون الأزرق وهو لون مفضل لدى المغول، وإن كانت الزخرفة والفنون المغولية في تلك الآونة يعود الفضل فيها إلى الصين، وبعد أن اعتنق مغول فارس الإسلام ظهر مزيج بين المدرستين المغولية والإسلامية وأصبحت المنسوجات تحمل الزخرفة الإسلامية والرسومات المغولية، وهنا يظهر التأثير المتبادل بين الطرفين الإسلامي والمغولي[(١)].

ومن أبرز ما ميز طبقات مجتمع مغول فارس ارتداؤهم الملابس التي اختلفت من فئة إلى أخرى حيث ارتدى علية القوم والأثرياء الملابس الثمينة المصنوعة من الحرير والكتان والقطن. أما الفقراء فكانوا يرتدون الملابس البسيطة الرخيصة المصنوعة من الصوف أو القطن وأحيانًا من الجلد[(٢)].

وظهر تأثير الملابس على نساء المغول أيضًا، فكونَّ ثلاث طبقات في المجتمع المغولي الجديد بفارس تتميز كل واحدة منها عن الأخرى،

---

(1) David Talbot: Islamic Art, p.128; J. J. Saunders: Genghis Khan, p.391.

(٢) يمنى رضوان: الدولة الجلائرية، ص١٣٣؛
John Masson Smith: Op.Cit., p.271.

وأولى تلك الطبقات نساء الخان المغولى الحاكم، فكانت ثيابهن مصنوعة من الحرير المرصع بالجواهر، أما عن لباس الوزيرة والحاجبة المغولية فكان مصنوعًا أيضًا من الحرير المطرز بالذهب، وكانت المرأة المغولية تضع على رأسها "البغطاق" وهو كثير الشبه بتاج صغير، يناسب رأس المرأة وحجمها، وقد زين بريش الطاووس الزاهي الألوان(١).

بذلك أصبحت المرأة المغولية بفارس بديعة اللباس، غاية فى التزين والعناية الفائقة بمظهرها، فأخذت تغدو فى لباس من الحرير الخالص، يغطيها من رأسها إلى أخمص قدميها، وهذا الثوب له أذيال يرفعها من الأرض عدد من جواريها اللائى يمشين من ورائها لهذا الغرض. وبدأت نساء تلك الفئة يعتنين بالنظافة بشكل كبير بعدما كانت النظافة أبعد ما تكون عن المغول(٢).

أما نساء الطبقة الوسطى فهن نساء الأمراء ونساء هذه الطبقة كنَّ أيضًا على جانب كبير من الأهمية وعلو المكانة، فقد كانت الواحدة منهن تخرج من بيتها لتزور صديقة أو لقضاء بعض شئونها أو للتنزه أو تنزل من عربتها، بعد رحلة قد تطول أو تقصر حسب مسافة الطريق ، وكانت ترتدى أزهى الملابس الحريرية وبين يديها أربع جوارٍ فاتنات الحسن، بديعات الجمال، رائعات اللباس، وعندما تسير إلى زوجها فإنها تذهب ومعها جملة من العربات فيها جوارٍ يتبعنها، وقد يكون معها منهن نحو ثلاثين جارية من جواريها يرفعن أذيال ثيابها من خلفها لئلا تتعرض

---

(١) رشيد الدين الهمذانى: خلفاء جنكيزخان، المجلد الأول، ص٧٥؛ صلاح نوار: المرأة ودورها فى المجتمع المغولى، ص١٦٧- ١٦٨.

(٢) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص٣٤٣؛ سعد الغامدى: جوانب من حياة المغول، ص١٥٢؛ سعد الغامدى: المغول بيئتهم الطبيعية، ص٦٠.

للمس تراب الأرض أو لشيء من قاذوراتها. وتمشى المرأة المغولية وهى متبخترة وفى جلال عظيم، يزداد ويقل حسب مكانتها ومكانة زوجها[١]، فنساء هذه الطبقة لا يقللن رونقًا فى ملابسهن عن نساء الطبقة العليا إلا قليلاً، أما نساء الطبقة الثالثة فهن التجار والباعة وأصحاب الأسواق وكانت ملابسهن على درجة من الجمال وارتفاع الأسعار لكنها كانت أقل من ملابس نساء الطبقتين الأولى والثانية، وجاءت نساء العامة يرتدين أرخص الثياب وأقلها جودة[٢] والغالب على ملابس نساء المغوليات بفارس بصفة عامة أنها تتميز بالحشمة وتتكون من قميص طويل وسروال طويل، ويغطين الرأس بقبعة تتميز بوضع ريش الطاووس الزاهى الألوان فى قمتها[٣].

أما عن مظاهر الزينة عند المغول بفارس فقد صاروا بعد اختلاطهم بالإسلام غاية فى التزين والعناية الفائقة بالمظهر، وعندما عرفوا الذهب استخدمه الرجال للزينة فى ملابسهم واستخدمه النساء كحلى وصنعوا منه الأوانى[٤] وكذلك صار الحلى والجواهر أبرز ما اهتمت به المرأة فى زينتها، فراعين نظافتهن وهندامهن، كما يفعل ملوك وأمراء المسلمين[٥].

---

(١) صلاح نوار: المرأة ودورها فى المجتمع المغولى، ص١٦٨؛ سعد الغامدى: جوانب من حياة المغول، ص١٥٣.

(2) Shela: Op.Cit., pp.30- 31; Rockhill, Jackson: Op.Cit., p.15;
صلاح نوار: المرأة ودورها فى المجتمع المغولى، ص١٦٨- ١٦٩.

(٣) يمنى رضوان: مرجع سابق، ص١٣٣؛ عبدالنعيم حسنين: إيران فى عهد الإسلام، ص٥٩.

(4) Shela: Op.Cit., p.31.

(٥) عبدالسلام فهمى: الدولة المغولية، ص٢٢.

أما عن الحياة الأسرية والزواج عند إيلخانات فارس الأوائل وهم (هولاكو – أباقاخان وأرغون – بايدو) فكانت مراسم وتقاليد الزواج عندهم، ثابتة على ما جُبلوا عليه وحسب تقاليدهم وعاداتهم التى نشأوا عليها فى موطنهم الأصلى منغوليا، وإن نقلوا عن المسلمين بعض مظاهر وعادات الاحتفالات المصاحبة للزواج، ولكن إبان تلك الفترة كان المغول أقرب إلى ما جُبلوا عليه من حيث: تعدد الزوجات، واعتبار النساء ضمن التركة الأبوية يتوارثها الابن عن أبيه والأخ الأصغر عن أخيه، والزواج عن طريق الهدايا بدلاً من المهر، والزواج عن طريق خطف العروس، وعن طريق الشراء، وزواج الخطبة العادية(١) وغيرها من عادات الزواج الكثيرة التى سبق الحديث عنها.

وبعد فترة من تواجد المغول داخل المجتمع الإسلامى بفارس حدث نوع من الاختلاط عن طريق زواج المغول من مسلمات فارسيات على الطريقة الإسلامية، وبذلك عرف المغول نمطًا جديدًا للزواج كان مجهولاً لديهم ونتج عن هذا الزواج تعلم المغول اللغة الفارسية، فراحوا يعتنقون الدين الإسلامى بالتدريج وعاشوا فى متعة وبذخ(٢).

ولأن تأسيس التنظيمات السياسية والعلاقات الخارجية من الأسباب الداعمة للتمدن ونمو العمران فقد استطاع المغول بعد توطيد أنظمتهم السياسية من أن يقيموا علاقات خارجية مع دول ذات حضارات متقدمة(٣) وزاد من أواصر هذه العلاقات الزيجات السياسية من بنات وأخوات

---

(١) ماركوبولو: مصدر سابق، جـ١، ص١٠٧؛ صلاح نوار: المرأة ودورها فى المجتمع المغولى، ص١٥٥.

(٢) كاترمير: مقدمة، جامع التواريخ، المجلد الثانى ، جـ١، ص٨٨.

(٣) التونسى: أقوام المسالك، ص٤٩.

الملوك والأمراء الصينيين والمسلمين مما أحدث نوعًا من المزج ونقل الحضارات[1].

ولكن بعد اعتناق غازان محمود للإسلام واعتلائه عرش الدولة الإيلخانية بفارس أمر بتطبيق الشريعة الإسلامية، فأوقف زواج المحارم، وأضحى الزواج يسير حسب نصوص الشريعة الإسلامية ويأخذ مظاهر ومراسم الاحتفالات الإسلامية المتعارف عليها فى تلك البلاد آنذاك[2] وزاد الإقبال من قبل مغول فارس على الزواج من نساء فارسيات[3] وبذلك يكون المغول قد تعرفوا على تقاليد جديدة فى عملية الزواج.

وقد خالف بعض خانات بعض مغول فارس نصوص الشريعة الإسلامية عند زواجهم رغم كونهم مسلمين، فكان الخان إذا أُعجب بامرأة متزوجة يُرغم زوجها على طلاقها ويقوم بالزواج منها بعد تطليقها.

يلاحظ مما سبق أن رغم تحول المغول إلى الإسلام إلا أن بعض عادات الزواج عندهم ظلت على ما جبلوا عليه فرغبتهم الملحة فى الزواج بمن طاب لهم من النساء طغت على معتقداتهم الدينية وما نصت عليه من تحريم لمثل هذه الزيجات وهذا ينم عن ضعف إيمان وجهل بمبادئ وتعاليم الدين الإسلامى الحنيف.

هذا وقد نتج عن زواج مغول فارس من نساء مسلمات أن أنجبوا أولادًا عُدوا جيلاً جديدًا هو خليط من المسلمين والمغول ونتج عن هذا الخليط تجديد فى الحياة العقلية فظهرت طائفة من العلماء الذين يختلفون

(١) الفردوسى: الشاهنامة، جـ٢، ص١٧٨.

(٢) يمنى رضوان: مرجع سابق، ص١٣٣؛ David: Islam and Islamic, p.9.

(٣) كاترمير: مصدر سابق، ص٨٨.

فى تفكيرهم عن تلك الطائفة التى عرفها العالم الإسلامى قبل تلك الغزوات[1].

ومن مظاهر التأثيرات الإسلامية على خانات وأسر المغول بفارس أنهم اتخذوا لأنفسهم أسماءً وألقابًا عربية وإسلامية مثلما فعل تكودار الذى خلف أباقاخان فى حكم دولة مغول فارس عام ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م ثم اعتنق الإسلام وتلقب بالسلطان أحمد تكودار[2]، وغازان الذى سمى نفسه السلطان مظفر الدنيا والدين محمود غازان، وأضحى لقب السلطان يحل محل لقب الخان، وانتشر فى عهده بين مغول فارس التسمى بأسماء عربية إسلامية مثل أحمد ومحمود وسعيد وغيرها من الأسماء التى لم يألفها المغول من قبل[3].

ولقد تسمى أولجايتو هو الآخر باسم عربى إسلامى وهو محمد خدابنده، و"خدابنده" تعنى "عبدالله" باللغة العربية وسمى أولاده أبايزيد وبسطام وأباسعيد، وتلقب بلقب غياث الدين ثم توالت بعد ذلك أسماء سلاطين مغول إيران على هذا النحو. بل أن بعضهم سمى أولاده على أسماء المدن العربية مثل دمشق وبغداد ونحوها، تأثرًا بالإسلام وأهل بلاده[4] وانتشرت بين السواد الأعظم من مغول فارس ألقابًا عربية

---

(١) بيبرس المنصورى: مختار الأخبار، ص٧١؛ حمدى حافظ: الدولة الخوارزمية والمغول، ص٢٦٥.

(٢) ابن الوردى: تتمة المختصر، جـ٢، ص٢٢٣؛ البدليسى: الشرفنامة، جـ٢، ص١٦؛
محمد حمزة الحداد: المنصور قلاوون، ص٨٩.

(٣) القلقشندى: صبح الأعشى، جـ٧، ص٢٥١؛ السيوطى: الوسائل فى معرفة الأوائل، ص٨٩؛ محمود سعيد عمران: المغول والأوربيون، ص٤٢٠.

(٤) رجب محمد عبدالحليم: انتشار الإسلام بين المغول، ص٢٠٩- ٢١٠.

إسلامية مثل (الحضرة الشريفة، العالية - السلطانية - الأعظيمة)[١]، وسموا بناتهم بأسماء عديدة منها على سبيل المثال خديجة، عائشة، فاطمة[٢]، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل تلقبوا أحيانًا بلقب شيخ وحاج وشاركوا المسلمين فى كل الألقاب التى أخذوها لأنفسهم[٣]، وفى ذلك دلالة على مدى الامتزاج داخل المجتمع الإسلامى والانصهار فيه، وبأنهم صاروا جزءًا لا يتجزأ من المجتمع الإسلامى.

أما عن الميراث فكان المتبع عند خانات المغول وإيلخاناتهم الأوائل فى فارس أن يكون نظام الميراث على النحو التالى: الابن الأكبر يرث الحكم والأصغر يرث ممتلكات أبيه والابنة لا تحصل على شيء إلا ما أخذته فى زواجها، فلما اعتنق غازان محمود الإسلام وجعله الدين الرسمى لدولة مغول فارس قام بتطبيق قوانين الشريعة الإسلامية فى مجال الميراث والتزم بكل نصوصها ومنها أن تحصل الأنثى على نصف ما يرث الذكر[٤].

أما عن دور ومكانة زوجات سلاطين مغول فارس المسلمات فكن يشاركن أزواجهن فى الحكم وكن يصدرن الأوامر ويقمن بتسيير أمور الدولة معهم، فعندما كان السلطان نفسه يصدر أوامره يصدرها باسمه وباسم خواتينه أو زوجاته، وكانت ضمن هؤلاء امرأة تسمى (ساتى بيك) ابنة السلطان أولجايتو وأخت السلطان أبى سعيد وقد تربعت (ساتى بيك) على عرش الإيلخانية بفارس وحدها إبان فترة الاضطرابات التى أعقبت

---

(١) القلقشندى: صبح الأعشى، جـ٧، ص٢٥١.

(٢) زهراء ليو: زيارة إلى قرية تار، ص١٢١.

(٣) هدى درويش: دور الصوفية، ص٩٩.

(٤) أحمد عبدالعزيز بقوش: المجتمع المغولى، ص٦.

موت أبى سعيد عام ٧٣٦هـ/ ١٣٣٦م، فتولت (ساتى بيك) السلطة منفردة دون غيرها من أفراد الأسرة الحاكمة، كما قرأت الخطبة باسمها على منابر إيلخانية فارس وذلك عام ٧٣٨هـ/ ١٣٣٧ - ١٣٣٨م(١).

ولدينا مثال آخر لامرأتين من خواتين فارس تصارعتا على قلب رجل واحد للسيطرة على مقدرات الأمور فى الدولة إحداهما العمة والثانية ابنة أخيها والذى دب بينهما الصراع والغيرة والحسد، وقد دفع زوجهما أبوسعيد بهادر فيما بعد حياته ثمنًا لهذا الصراع بين الاثنتين، وكانت المرأة الأولى هى (بغداد خاتون) بنت جوبان وتزوجها أبوسعيد بهادر بن خدابنده إيلخان مغول فارس (٧١٦ - ٧٣٦هـ/ ١٣١٦ - ١٣٣٥م) ويبدو أنها كانت من الحزم وقوة الشخصية بحيث أن أوامرها كانت لا تُناقش فى جميع أرجاء الإيلخانية ويبدو أنها كانت متسلطة وتسيطر على أمور المملكة بيد من حديد، على أن دوام الحال من المحال فسرعان ما وقع زوجها أبوسعيد فى هوى ابنة أخيها دلشاد خاتون، وأحبها حبًا شديدًا، وتزوجها وهجر بغداد خاتون، وكما هى طبيعة المرأة دائمًا، فقد دب دبيب الغيرة والحسد فى قلب بغداد التى أحست بأن مكانتها بدأت تضعف فبدأت تتحين الفرصة للانتقام من زوجها(٢).

نخلص مما سبق بشيء مهم وهو أن نفوذ المرأة فى إيلخانية فارس ظل فى ارتفاع شأن وعلو مكانة إبان عهد الإيلخانات الوثنيين وحتى بعد تحول الإيلخانية إلى الإسلام فقد أصبحت المرأة ذات مكانة عالية ومرموقة لها سطوة ونفوذ سياسى وتتدخل فى إدارة شئون الدولة وهذا يتوقف على حسب مكانتها وشخصيتها وطبيعة الخان الحاكم.

---

(١) البدليسى: الشرفنامة، جـ٢، ص٣٨؛ صلاح نوار: المرأة ودورها فى المجتمع المغولى، ص١٢٨.

(٢) صلاح نوار: المرجع السابق، ص١٢٩- ١٣٠.

أما عن صفات مغول فارس الجسمانية والجسدية والتى ميزها القصر وميل الوجه إلى الاصفرار والعيون الضيقة فلم يطرأ عليها أى تغيير إلا مع وجود جيل جديد نتج عن زواج المغول من مسلمات فارسيات وعربيات أحيانًا، فظهر جيل جديد يحمل مزيجًا من الصفات العربية والفارسية والمغولية(١).

وقد كانت هناك عدة صفات ظل عليها مغول فارس حتى بعد اعتناقهم للإسلام ومنها حبهم للطعام وكثرة الأكل وأحيانًا طريقة الذبح(٢)، ومن العيوب التى ظلت مع معظمهم الشراسة والعنف والقتل والتشريد والتخريب والتدمير فظلوا فى هذه الأمور على ما جبلوا عليه(٣).

أما عن أبرز التأثيرات الإسلامية على صفات وطباع مغول فارس فظهرت على تكودار أحمد عندما أعلن إسلامه ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م، فقد أثر الإسلام فى تهذيب طباعه وتقويم خلقه، فلم يعد ذلك المغولى الذى كان كل همه سفك الدماء وتخريب البلاد وصب البلاء، فبدأ يلتزم بالشريعة الإسلامية ويدعو المغول إلى اعتناق هذا الدين ووطدت علاقته بمماليك مصر وإن أُخذ عليه تصرفاته مع المسيحيين واليهود التى كانت متشددة وقاسية، حيث أقدم على هدم كثير من الكنائس والمعابد وأبقى على بعضها وحولها إلى مساجد(٤).

---

(١) زكى محمد حسن: الصين وفنون الإسلام، دار الرائد العربى، بيروت، لبنان، ١٤٠١هـ./ ١٩٨١م.، ص٣٨؛
Jin Jones: "The Mongol Terror 1212 to 1405" The Ilkhans, p.5.

(٢) سعد زغلول: الترك فى العصر الإسلامى، ص١٩٥.

(٣) القلقشندى: صبح الأعشى، جـ٧، ص٢٤٣؛ الصرفى: دول الإسلام، ص٢٨٧.

(٤) عبدالسلام فهمى: الدولة المغولية، ص١٦٨- ١٦٩؛ محمود محمد زيادة: مجتمعات إسلامية، ص١٠٧.

ورغم أن غازان محمود عابه كثرة حروبه مع دولة المماليك وما قام به من قتل وتشريد ورغبة فى التوسع على حساب جيرانه المسلمين ووحشيته معهم(١)، إلا أن التأثيرات الإسلامية هذبت كثيرًا من وحشيته وأكسبته صفات جديدة وحميدة غابت عن كثير من الخانات الذين سبقوه، فقد غدا السلطان محمود غازان بعد أن أسلم من المؤمنين الجادين فى الدعوة واجتهد فى رعاية مراسم الدين الحنيف وآدابه وإقامة شعائره، وبدأ يتعرف على اللغة العربية وعرف منها القليل بجانب معرفته بلغات الصين والتبت واللاتينية فضلاً عن إتقانه المغولية والفارسية، واكتسب من المسلمين إتقان بعض الصناعات اليدوية والحرف المختلفة من قبيل المعمار والنقش والحدادة وكان محبًا للفن(٢).

وكان من مؤثرات الإسلام على غازان إحداثه نوعًا من التكافل الاجتماعى حيث أحسن إلى أهل الطبقة الدنيا وحاول تحقيق قدر من الاهتمام والاستقلالية لهم بحيث وفر لهم كل الاحتياجات الضرورية قدر المستطاع(٣) ومن أبرز إصلاحاته بعد تأثره بالإسلام القضاء على التزوير والدعاوى الباطلة، والمحافظة على الرعية ورعايتهم ودفع الظلم عنهم، وكف الأذى، والقضاء على الرشوة واللصوصية وقطاع الطرق وحرم التعامل بالربا، ونادى بعدم المغالاة فى دفع مهور الزواج ومنع الناس من احتساء الخمر، ومنع إجبار الجوارى على الإقامة فى دور البغاء بجانب تعديل الأوزان والمقاييس والمكاييل وما إلى ذلك بما يتماشى مع الشريعة الإسلامية(٤).

---

(١) القلقشندى: صبح الأعشى، جـ٧، ص٢٤٣.

(٢) عباس إقبال: إيران بعد الإسلام، ص٤٦٥- ٤٦٦.

(٣) رشيد الدين الهمذانى: تاريخ غازان خان، ص٥٥١؛ عادل إسماعيل هلال: المغول وأوروبا، ص١٩٠.

(٤) محمود سعيد عمران: المغول والأوروبيون، ص٤٢١؛ طه ندا: الحضارة الإسلامية، ص١٦٩.

وعندما تعثرت الأحوال المالية فى عهد غازان، ووجد صعوبة فى دفع رواتب الجنود قام باتباع نظام الوقف الإسلامى المتعارف عليه، فدفع للجند رواتبهم عن طريق إقطاعهم بعض الأراضى الزراعية وشرط عليهم عدم إهدائها لشخص آخر[1] فالحضارة الإسلامية هذبت تقريبًا من معظم عيوب غازان محمود وأضفت عليه العديد من المزايا والصفات الحميدة[2] لكنه ظل على شراسته الحربية.

وقد كان أولجايتو (٧٠٣ – ٧١٦هـ/ ١٣٠٣ – ١٣١٦م) يتميز بصفات عديدة بعد إسلامه فهو يعد من الإيلخانيين القلائل الذين تركوا ذكرى حسنة فى تاريخ إيران، ولقد شعر الناس فى عهده بالأمن والأمان والرفاهية والرخاء فقال ابن الفوطى عنه: ((لم يولَّ مَن سلوكهم أعدل منه ولا أكرم، ولا أجمع لصفات الخير وأسباب الصلاح والناس فى أيامه وادعون، ولدوام دولته متوقعون))[3].

وعندما تقلد أبوسعيد بهادر مقاليد حكم دولة مغول فارس (٧١٦ – ٧٣٦هـ/ ١٣١٦ – ١٣٣٥م) كان معروف عنه أنه نشأ منذ بدايته مسلمًا، وعاش فى بيئة مسلمة وأحيط منذ صغره بحاشية مسلمة تولت الإشراف على تربيته وتعليمه، لذلك خلا إيمانه بالإسلام وإحساسه به من ترسيبات وثنية أو مسيحية، وأضحى بيته تسوده العادات والتقاليد الإسلامية وكان ذا صفات حميدة ومزايا عديدة[4].

---

(١) رشيد الدين الهمذانى: تاريخ غازان خان، ص٣٤٢؛ عادل إسماعيل هلال: المرجع السابق، ص١٩٠- ١٩١.

(2) The Editors of Tim - Life Books: The Mongol Conquests, p.10.

(٣) فؤاد الصياد: الشرق الإسلامى، ص٤٠٠.

(٤) نفسه، ص٤٧٥،

خلاصة القول إن التأثيرات الإسلامية بدأت تتغلغل داخل صفات مغول فارس فقوضت الصفات والعيوب المنبوذة قدر المستطاع ، وبدأت تحل محلها صفات طيبة تتفق مع الشريعة الإسلامية، فاستطاع الإسلام أن يشذب صفات الهمجية والوحشية المغولية والبداوة وبربرية السلوك، ومنذ ذلك الحين بدأت تظهر للمغول شمائل ومزايا حسنة.

أما عن أبرز التأثيرات الإسلامية على عادات وتقاليد واهتمامات مغول فارس فقد تطبع المغول بعادات وتقاليد البلاد الإسلامية وإن ظلت تكتنفهم بعض العادات القديمة الموروثة عن الآباء والأجداد، وكان منها تمسكهم بما تتضمنه الياسا من عدم استعمال مياه النهر الجارى للغسل أو الاغتسال وعدم غسل ملابسهم فى الأنهار، ورغم تعارض هذه العادة مع التقاليد الإسلامية إلا أن معظم مغول فارس المسلمين ظلوا يتبعون هذه العادة لفترات طويلة[١].

وقد ظل معظم فارس على عاداتهم فى طريقة إعداد اللحوم وطريقة تقديمها للأكل وظل لحم الخيل يحتل المرتبة الأولى وسط الأطعمة ويأتى شراب الكوزموس (القُمز) على نفس الدرجة من الأهمية لديهم[٢]، ويضاف إلى ذلك محافظة المغول على التحرك بانتظام فيما بين شهور الشتاء فى الأراضى المنخفضة والمراعى الصيفية فى شمال إيران وهى عادة كانوا يفعلونها فى موطنهم الأصلى منغوليا أثناء مواسم الرعى والهجرة[٣].

وكانت عادة خروج الخان للصيد وما يصاحبها من طقوس من العادات التى لم يتخلَّ عنها مغول فارس رغم اعتناقهم للإسلام (وهذه

---

(١) رشيد الدين الهمذانى: خلفاء جنكيزخان، المجلد الأول، ص٧٣.

(٢) سعد زغلول: الترك والمجتمعات، ص٨٣.

(3) Sheila: Op.Cit., p.28.

العادة اتبعها أيضًا ملوك الإسلام)[1]، وكذلك العادات الحربية التى جبلوا عليها من سرعة فائقة وحب التوسع والاستيلاء، وما يصاحب ذلك من قتل وتشريد وتمثيل بجثث القتلى هذا بجانب القسوة والوحشية والعنف وخير مثال على ذلك ما فعله غازان محمود عام ٦٩٩هـ/ ١٢٣٠م فى هجومه على دمشق[2].

فبعد تحقيق المغول[3] الانتصار على الصين وإيران وإقامة دولتهم فى فارس عام ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م وبدء اعتمادهم على سكنى المدن حدثت تحولات جذرية فى عاداتهم، ومع أن الصورة الظاهرية تحتم إحلال عادات الغزاة محل عادات البلاد المغلوبة إلا أن العكس هو الذى حدث فى هذه الحالة، فبعد فترة من استقرار المغول فى بلاد فارس خضع أحفاد جنكيزخان لعادات الرعايا المغلوبين تمامًا وانزوت معظم عقائد الأجداد وتقاليدهم، وفرض على المغول من قبل أهالى البلاد المغلوبة لغاتهم ودياناتهم وأصول حكمهم، فحين تتصادم أمتان بينهما اختلاف جذرى من حيث الاستعداد الفطرى وأسلوب الحياة تكون الغلبة لمن تستند قوة تدبيرها وفن إدارتها وسياستها وأسس حياتها الفكرية والروحية على واقع غير متوهم ، تدعمها فى ذلك الآداب العريقة والماضى التاريخى الممتد الذى

---

(١) حسين مجيب المصرى: الأسطورة بين العرب والترك والفرس، ص١٣٨.

(٢) رشيد الدين الهمذانى: الإيلخانيون (تاريخ هولاكو)، المجلد الثانى، جـ١، ص١٩٣- ٢٢١؛
كاترمير: مصدر سابق، ص١٥.

(٣) المغول والترك: شأنهم شأن الرومان كانوا من العناصر التى تميل إلى السلطة والحكم والتوسع والسلطان ومع ذلك يصح أن يقال أن اليونان هم أساتذة الرومان رغم خضوعهم لهم سياسيًا راجع:
Rockhill: The Mongols A History, Vol 13, No 3, 1908, U. S. A, p.60.

يصل بينها وبين تراثها برباط وثيق[١]، وهكذا كانت الحضارة الإسلامية وهذا سهل دورها فى نشر عاداتها وتقاليدها وديانتها ولغتها وفنونها بين مغول فارس[٢].

وبذلك تطبع المغول بطباع المسلمين فى كثير من مناحى حياتهم مثل المسكن والمأكل والمشرب والزى وعادات الزواج والنظافة وحياة الترف وعادات دفن موتاهم، فلم تعد أماكن الدفن سرية كما كانت متبعة عند المغول من قبل وصار الدفن على حسب الشريعة الإسلامية، واصطبغت معظم العادات والتقاليد المغولية بالصبغة الإسلامية[٣].

وأدى تحول المغول إلى الإسلام مع حكم غازان محمود للدولة الإيلخانية (٦٩٤ – ٧٠٣هـ/ ١٢٩٥ – ١٣٠٤م) إلى تغيير اهتمامات مغول فارس فلوحظ عليهم زيادة الاهتمام بالعلم ومجالسه، فعلى الرغم مما عانته البلاد الإسلامية من قتل بعض العلماء وتخريب المكتبات ودور العلم، إلا أن العلم ظل باقيًا فلم يقض عليه، وكانت بعض فروع العلم أوفر حظًا من بعضها الآخر وبينما أهمل ... ول الاهتمام بالدراسات الخاصة بالفلسفة أو العقيدة أو توجيه العناية إلى الشعر، نراهم يهتمون ببعض فروع العلم الأخرى كالطب والتنجيم والتاريخ. وكان للتاريخ مكانة متميزة فى قلوبهم فقد كانوا يرون أن هذا الفرع من العلم هو الذى يحفظ أخبارهم ويخلد ذكرهم، وقد كان لدى إيلخانات المغول حبٌ كبيرٌ للعلم ورغبة ملحة فى التعلم والمعرفة[٤].

---

(١) عباس إقبال: تاريخ المغول، ص١١٥– ١١٦، حسين فهيم: أدب الرحلات، ص٢٢٤.

(٢) غوستاف لوبون: حضارة العرب، ص٥٦٤؛

V. V Barthold: Four Studies on the History of Central Asia, p.45.

(3) M. Haider: The Mongol Traditions, Vol 28, No 1-2, p.57; Sheila: Op.Cit., p.25; عبدالسلام فهمى: فرهاد، ص٣٣.

(٤) العرشى: بلوغ المرام، ص٤٩؛ طه ندا: الحضارة الإسلامية، ص٦٦؛ شاكر مصطفى: موسوعة، مرجع سابق، ص١٤٢١؛ لطفى نصار: وسائل الترفيه فى=

فقد أسهم علماء العالم الإسلامى آنذاك لا سيما من تبحر منهم فى التفسير والحديث والفقه والنحو والكيمياء وعلم الكلام فى إثراء المستوى الفكرى والحضارى للمغول[١].

وظل اهتمام المغول بالعلم والعلماء فى ازدياد مستمر وقاموا بتقريب الفقهاء والعلماء والمشايخ وبنوا المساجد والمدارس[٢]، وكان أبرزهم فى هذا المجال غازان محمود الذى استمع إلى القضاء والمشايخ والزهاد وأهل العلم والتقوى وتأثر بما ينصحون واشتهر غازان بالتقوى والورع واحترام الإسلام ومجالسه وقيل إنه فى عام ٦٩٦هـ/ ١٢٩٦م توجه إلى بغداد بجزء من قواته وشمل أهل المدينة بعدله وإحسانه وتوجه إلى المدرسة المستنصرية ودخل إليها من باب مجاور لها.ولما دخلها ألفى المدرسين والفقهاء يجلسون والقرآن فى أيديهم، فلما شاهدوا غازان قاموا، فطلب منهم الجلوس وعدم الانشغال بغير كتاب الله[٣].

وقد كان تأثير العلماء المسلمين على المغول تأثيرًا عظيمًا ويظهر ذلك من خلال استعانة الحكام المغول ببعض العلماء المسلمين فى أغلب الأنشطة فكانوا بوابة العلم وخط الالتقاء، ومنهم (خواجا نصير الدين الطوسى) الذى توفى عام ٦٧٠هـ/ ١٢٧١م فقد كان هذا العالم صاحب المرصد بمدينة مراغه وكان حكيمًا عظيم الشأن فى جميع فنون الحكمة[٤].

وإبان عهد خدابنده ٧٠٣ – ٧١٦هـ/ ١٣٠٣ – ١٣١٦م جعل

= عصر سلاطين المماليك فى مصر، سلسلة تاريخ المصريين، العدد ١٤١، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩م، ص٢١.

(١) السيوطى: التحدث بنعمة الله، ص٢٠٣.

(٢) المقريزى: السلوك، جـ١، ص٣٦٥.

(٣) محمود سعيد عمران: المغول والأوربيون، ص٤٢١.

(٤) ابن العبرى: مختصر الدول، ص٢٨٦– ٢٨٧.

أهل العلم موضع رعايته المباشرة، وكان يجتمع فـي مجلسه العلمـاء والحكماء والمنجمون ومؤرخو الأديان والـشعوب مـن جميـع الـبلاد الإسلامية، وكانت مجالس العلم تُعقد أيضًا برعاية الخواتين وكـان لكـل واحدة منهن إمام ومؤذن وقراء للقرآن[١]، وكذلك اهتم أبوسعيد بهادرخان (٧١٦ – ٧٣٦هـ/ ١٣١٦ – ١٣٣٥م) بمجالس العلم والعلماء والرحال وأغدق عليهم العطايا والهدايا[٢].

وقد طرأ على المجتمع المغولى بفـارس تغيـرات كثيـرة فـي اهتماماتهم بعد تواجدهم بداخل المجتمع الإسلامى مـن هـذه التغيـرات اهتمامهم بالفن والفنون فازدهر فن التذهيب فى عهد محمد خدابنده حيـث كان يعهد إلى الفنانين بتذهيب أعمال كثيرة، ويتضح تقدم هذا الفن من تلك النسخ المذهبة من القرآن الكريم التى كانوا يقدمونها إليه[٣] وبرع مغـول فارس فى عمل التماثيل واكتسبوا من الحضارة الإسلامية الإبداع فى عمل النقوش والتصوير حتى قيل إن مصورهم يصور الإنسان ولا يترك شيئًا إلا الروح[٤] وظهر تأثر المغول بالإسلام فى كل مظاهر فنـونهم حتـى أعلامهم طالها التأثير الإسلامى وكذلك الزخرفة والمنسوجات، وعـرف المغول ألوانًا جديدة من فنون الغناء والموسـيقى والـرقص وصـارت مجالسهم لا تخلو من الجوارى المغنيات والراقصات ، وهكـذا أضـحى المغول يهوون الفن والفنون[٥].

---

(١) خواندمير: دستور الوزراء، ص٣٧٥؛ رجب محمد عبدالحليم: مرجع سـابق، ص٢١٠.

(٢) عبدالهادى التازى: إيران، ص٧٨- ٧٩؛
Rockhill, Jackson: Op.Cit., p.13.

(٣) بارت: الفن الإسلامى، ص١٨١؛ طه ندا: الحضارة الإسلامية، ص١٧٠.

(٤) الثعالبى: لطائف المعارف، ص٢٢٠- ٢٢١؛ Sheila, Op.Cit., p.25.

(٥) جمال عبدالرحيم إبراهيم: التأثيرات الفنية المتبادلـة، ص٣٦٧- ٣٦٩؛ منـى محمد بدر: الأعلام الإسلامية، ص٤٢٤؛ Sheila: Op.Cit., pp.30- 32.

وظهر تأثر مغول فارس بالحضارة الإسلامية فى مجـال اللغـة العربية ، إذ بدأ بعض حكام المغول يتعلمون اللغة العربية ومـن بيـنهم غازان محمود الذى تعلم العربية والفارسية، ومحمد خدابنده و أبوسـعيد اللذان كان لديهما شغف كبير أيضا لتعلم اللغة العربية وآدابها[١] وبـدأت مراسلات ومكاتبات حكام مغول فارس تُكتب باللغة العربية ومنها علـى سبيل المثال أنه عقب استيلاء غازان على دمشق عام ٦٩٩هـ/ ١٢٩٩م أرسل رسوله إلى دمشق بالأمان وكان كتابه مكتوبًا باللغة العربية[٢].

أما عن النقود المغولية الذهبية والفضية والنحاسية فقـد تـأثرت بالإسلام هى الأخرى حيث نُقش على وجهها عبارة (لا إله إلا الله محمـد رسول الله صلى الله عليه وسلم) وعلى ظهرها نقش اسم الخـان الحـاكم وأضيفت إليه عبارة (خلد الله ملكه)، وكان ذلك خـلال عهـود غـازان محمودو محمد خدابنده وأبى سعيد بهادر، وإن أضاف إليها أبوسعيد أسماء الخلفاء الأربعة وكانتَ النقوش تكتب باللغة العربية[٣].

وقد تم استحداث عملة جديدة على عهد محمد خدابنده عندما زادت مظاهر الإنفاق وحدث عجز فى الميزانية فقام بنشر عملة ورقية فى عام ٦٩٣هـ/ ١٢٩٣م تشبه أوراق النقد وأسماها الجاو أو (تشاو) أى الورقية القرطاسية وكانت تحمل عبارات إسلامية أيضًا[٤].

---

(١) رجب محمد عبدالحليم: مرجع سابق، ص٢١٥- ٢١٦.

(٢) محمد كرد على: خطط الشام، جـ٢، ص١٣٥.

(٣) البدليسى: الشرفنامة، جـ٢، ص١٢- ١٣؛ رأفت محمـد النبـراوى: النقـود الإسلامية، ص١٧٤- ١٧٥.

(٤) ماركوبولو: مصدر سابق، جـ٢، ص١٦٩؛ البلدليسى: مصدر سابق، جـ٢، ص١٣؛
عباس إقبال: إيران بعد الإسلام، ص٤٥٥.

أما عن تأثيرات الحرف والأعمال المغولية بالحضارة الإسلامية فقد نقل مغول فارس عن الحضارة الإسلامية صناعة الفخار وبدأوا يمتهنون هذه المهنة ورسموا الفخار باللون الأزرق، لونهم المفضل، وكانت العناصر الزخرفية على الأوانى الفخارية تُظهر ما ورثه الفنان المغولى من الأجداد والآباء وما اكتسبه من فكر جديد واتجاهات جديدة بتوطنه بداخل العالم الإسلامى[(١)].

وفى مجال التجارة عرف المغول أوزانًا جديدة وهى الأوزان الإسلامية السائدة فى العالم الإسلامى وكان أشهرها وزن يسمى (المن) وكان يعادل على عهد الدولة الإيلخانية وزن مائتين وستين درهمًا[(٢)] وأضحت مدينتا مراغة وتبريز من أبرز المراكز التجارية والصناعية عند مغول فارس وشهدتا رواجًا كبيرًا وكانت أبرز الصناعات المتوفرة فيهما الصناعات الجلدية والحديدية والثياب والأسهم والسروج والأسلحة والدباغة[(٣)].

كذلك عرف مغول فارس الزراعة وعمل بعضهم بها وبدأ يظهر من المغول حرفيون فى حرف عديدة هذا بجانب احتفاظهم بحرفة الصيد التى لم يتخلوا عنها[(٤)].

أما عن الاحتفالات المغولية وتأثرها بالإسلام فقد شارك مغول فارس المسلمين والمسيحيين كل احتفالاتهم، وبعد تحول دولة مغول فارس

---

(١) محمود وصفى محمد: دراسات فى الفنون والعمارة العربية الإسلامية، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٨٠م، ص٢٥؛ Sheila: Op.Cit., p.30.

(٢) الكرمانى: بدائع الأزمان، ص٦٠.

(٣) سيد محمد تقى مصطفوى: يك أثر تاريخى، ص١٢٨؛ John M. Smith: Op.Cit., pp.284- 285.

(4) The Editors of Tim- Life Books, Op.Cit., p.18; جيهان الشناوى: المغول، ص١٥٥.

إلى الإسلام على عهد غــازان محمــود (٦٩٥ – ٧٠٣هــــ/ ١٢٩٥ – ١٣٠٤م) احتفل مغول فارس بالأعياد الإسلامية مع احتفــاظهم بــبعض مراسمهم وأعيادهم القديمة كيوم تولية الخان وعيد ميلاده، وظهرت بعض الاحتفالات الثانوية مثل احتفال محمد خدابنده بعد شفاء ابنه أبى سعيد من مرض عضال، وأقام حكام دولة مغول فارس احتفالاتهم تصحبها مواكب التشريفات وضربت الطبول ونفخت الأبواق واستمعوا إلى الموسيقى[١].

ونقل مغول فارس عن المسلمين العديد من مظاهر الترفيه مثــل لعبة الكرة والصولجان وكانوا قد عرفوها منذ استيلائهم علــى الــصين، وعرفوا الموسيقى والأغانى وممارسة العديد من الرياضات وكان بــلاط الخان مليئًا بألوان مختلفة من الفنون[٢].

وعمل لدى مغول فارس مجموعة من الــوزراء والمستــشارين والموظفين فى البلاط الخانى كان لهم أكبر الأثر في نقل كــل المظــاهر الاجتماعية بشتى أشكالها إلى المغول وكان أبرز هؤلاء الخواجــة بهــاء الدين محمد صاحب الديوان على عهد أباقاخان وشــمس الــدين محمــد الجوينى وعلاء الدين الجوينى على عهد أحمد تكــودار، ورشــيد الــدين الهمذانى و على شاه على عهد غازان محمود وهذان الأخيران يذكر لهما أثران بارزان: الأول فى حماية المسلمين ورفع الظلم عنهم، والثانى فــى نقل عادات وتقاليد وكل مظاهر المجتمع الإسلامى بين الأوساط المغولية وعلى الأخص عندما وكل إليهما تربية بعض أولاد الخانات[٣].

---

(١) البدليسى: الشرفنامة، جــ٢، ص٢٢؛ عبدالهادى التازى: إيران، ص٧٩؛.
M. Haider: Op.Cit., pp.73- 74.

(2) J. J. Saunders: Genghis Khan, p.392;
على السيد: مشاهدات، ص٦٩– ٧٠.

(٣) رشيد الدين الهمذانى: الإيلخانيون (تاريخ هولاكو)، المجلــد الثــانى، جــــ١، ص٢٥٧؛
ابن الفوطى: الحوادث الجامعة، ص٢٠٠؛
Rockhill. Jackson: Op.Cit., p.11.

ثالثًا: أثر الاتصال الإيلخانى بالدولة المملوكية على النظم الاجتماعية المغولية:

كانت غارات المغول كارثة كبرى أصابت الحياة في الصميم واتسمت بالشدة والقسوة وعندما توقف الزحف المغولى بعدما تصدى لهم قطز وجيشه عام (٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م) فى معركة عين جالوت التى كانت بمثابة صدمة قوية للمغول لعظم الخسائر التى حلت بهم فى الرجال والعتاد[١]، ومنذ ذلك التاريخ ساءت العلاقات بين مغول فارس والمماليك بمصر والشام وقد أراد هولاكو بعد هزيمته النكراء فى عين جالوت أن يهاجم المماليك ويقضى عليهم لكن الموت عاجله عام (٦٦٢هـ/ ١٢٦٥م) فلما خلفه ابنه أباقاخان بادر بالعمل على إعادة سمعة المغول الحربية إلى سابق عهدها، ومن ثم سار على سياسة أبيه فى مناوأة المماليك ومصادقة الصليبيين[٢]، وخاض أباقا عدة حروب مع الظاهر بيبرس كانت أشهرها معركة أبلستين أو أبلستان (شرق مدينة قيصرية أو قيساوية الروم) عام ٦٧٥هـ/ ١٢٧٧م) وانتصر بيبرس فى هذه المعركة انتصارًا ساحقًا وفقد من المغول فى تلك المعركة حوالى سبعة آلاف نفس[٣]، فزادت حدة التوتر والعداء بين الطرفين ولكن هذا العداء لم يمنع تبادل المؤثرات بين الطرفين التى نتجت عن احتكاكهم ببعضهم البعض فنقل كل طرف عن الآخر فى شتى المجالات العسكرية والاجتماعية والدينية[٤].

ولما توفى أباقاخان، وخلفه أخوه أحمد تكودار عام (٦٨١هـ/ ١٢٨٢م) اعتنق الإسلام وأظهر إخلاصه وتمسكه بالدين الإسلامى وراسل

---

(١) المقريزى: السلوك، جـ١، ص٤٣٧؛ محمد جمال الدين سرور: دولة بنى قلاوون فى مصر، ص١٦٠.

(٢) غياث الدين خواندمير: حبيب السير، ص٤٧٩؛ محمد جمال الدين سرور، المرجع السابق، ص١٦٠.

(٣) أحمد مختار العبادى: الأيوبى والمملوكى، ص٢٢٦.

(4) P. M. Holt: The Age of The Crusades, pp.92- 96.

السلطان المنصور سيف الدين قلاوون (٦٧٨ – ٦٨٩هـ/ ١٢٧٩ – ١٢٩٠م) وأعلن التصالح والمودة معه وأظهر رغبته فى أن يظل فى سلام ومودة مع جيرانه ونتج عن ذلك تبادل السفارات بين الطرفين مما أحدث نوعًا من نقل المؤثرات[١].

وعندما تولى أرغون خان (٦٨٣ – ٦٩٠هـ/ ١٢٨٤ – ١٢٩١م) اضطهد المسلمين فى بلاده وصرفهم عن كافة المناصب التى كانوا يشغلونها فى القضاء والمالية ، كما حرم عليهم الظهور فى بلاطه وكان لهذه السياسة أسوأ الأثر فى مصر فعادت العلاقة بين دولتى المماليك والمغول فى فارس سيرتها الأولى في العداوة والتشاحن، وأخذ المماليك يتطلعون فى عهد السلطان الملك الأشرف خليل إلى إجلاء المغول عن العراق وضم هذا القطر إلى مصر[٢].

ولم تكن حالة دولة المغول فى فارس إبان عهد كيخاتوخان (٦٩٠ – ٦٩٤هـ/ ١٢٩١ – ١٢٩٤م) الذى خلف أخاه أرغون تجعلها توالى هجماتها على بلاد الشام وتحارب المماليك فقد أسرف كيخاتو فى إنفاق الأموال على ملذاته حتى نفذت خزانة دولته وصار مكروهًا من قبل المغول لسوء خلقه، فقُبض عليه وقتل عام (٦٩٤هـ/ ١٢٩٥م) وخلفه (بيدو) الذى تولى الحكم لبضعة أشهر أظهر فيها انحيازه إلى المسيحية وبذل كثيرًا من الجهد لوضع العقبات فى سبيل نشر الإسلام بين المغول[٣].

---

(١) بيبرس الدوادار: زبدة الفكرة، ص٢٠٦؛ رحمت الله مهزار: برزكان، ص٣٩٠.

(٢) محمد جمال الدين سرور: المرجع السابق، ص١٧٢.

(٣) نفسه، ص١٧٤.

وعندما تولى غازان محمود بن أرغون (٦٩٤ - ٧٠٣هـ/ ١٢٩٥ - ١٣٠٤م) ورغم اعتناقه للإسلام إلا أن الصراع والعداء بينه وبين المماليك بمصر والشام ظل قائمًا وفى عام (٦٩٩هـ/ ١٢٩٩م) سار على رأس حملة إلى الشام فاستولى على دمشق والمناطق المجاورة لها وأحدث فيها شتى أنواع الفظائع جريًا على عادات المغول(١).

ولقد تحسنت الأوضاع بين الطرفين المملوكى والمغولى على عهد محمد خدابنده (٧٠٣ - ٧١٦هـ/ ١٣٠٣ - ١٣١٦م) حيث أرسل محمد خدابنده عام (٧٠٤هـ/ ١٣٠٤م) برسالة إلى السلطان الناصر محمد بن قلاوون (٦٩٣ - ٧٤١هـ/ ١٢٩٣ - ١٣٤٠م) يطلب فيها المصالحة وابتغاء المسالمة وتقرير المودة وإبداء المحبة فأكرم السلطان المملوكى مثوى الرسول ورد على جوابه بالقبول(٢).

وعندما تولى أبوسعيد بهادر (٧١٦ - ٧٣٦هـ/ ١٣١٦ - ١٣٥٣م) كان عمره أحد عشر عامًا وقام بتدبير شئون دولته نائب أبيه الأمير جوبان، ووصلت رسله بالهدايا إلى السلطان المملوكى الناصر محمد بن قلاوون وتم تبادل السفارات وانتظم الصلح والاتفاق بين الطرفين(٣)، وأخذت العلاقات بين هاتين الدولتين تتحسن كما أخذ الإسلام ينتشر بين أفراد الدولة المغولية ملوكًا وشعبًا، وزال الخطر المغولى. وحقيقة الأمر أن الخطر المغولى زال منذ عام (٧٠٢هـ/ ١٣٠٣م) بعد هزيمة جيش غازان بقيادة قائده قطلو شاه فى معركة مَرجْ الصُفَّر

---

(١) كاترمير: مصدر سابق، م٢، جـ١، ص١٥؛ ابن الفُوطى: الحوادث الجامعة، ص٢٣٨.

(٢) بيبرس المنصورى: التحفة، ص١٧٦.

(٣) النويرى: نهاية الأرب، جـ٢٧، ص٤٢٠.

(شَقْحَبْ) على يد الجيش المملوكى حيث خرج السلطان الناصر محمد بجيوشه لملاقاة المغول وتقابل الفريقان عند مرج الصفر جنوبى دمشق فى شهر رمضان وكان النصر النهائى للمصريين، وارتدت فلول المغول إلى الفرات بعد أن فقدوا ما يقرب من عشرة آلاف جندى بين قتيل وأسير(١).

ومن المعروف أن دولة إيلخانات فارس كانت على عداء مستحكم مع دولة مغول القفجاق أو (القبيلة الذهبية) فى شمال البحر الأسود وكان زعيمها فى عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون يدعى (أوزبك خان) وكان حليفًا لمصر، ولكن لما انتهى العداء بين مصر ومغول فارس فى عهد أبى سعيد لم يستطع الناصر محمد بن قلاوون مناصرة صديقه أوزبك خان زعيم القبيلة الذهبية ضد إيلخان فارس أبى سعيد وأوضح له موقفه الجديد من هذه الدولة ولكنه عمل فى نفس الوقت على إزالة ما بين دولتى المغول من عداء وقد كلل مسعاه بالنجاح إذ عقد صلح بين أبى سعيد وأوزبك خان وانتهت هذه المشكلة التى ترتب عليها إلتقاء سياسى وحضارى بين مصر ومغول الشرق والشمال(٢).

جاءت المحصلة النهائية فى صالح المماليك، إذ انتصروا فى معظم معاركهم مع مغول فارس حتى آل الأمر فى النهاية إلى عقد التصالح بين الطرفين فتحسنت العلاقات وزادت الاتصالات والسفارات بينهما(٣).

---

(١) أحمد مختار العبادى: الأيوبى والمملوكى، ص٢٥٤.

(٢) المقريزى: السلوك، جـ٢، ص٢٠٤- ٢١١؛ ابن خلدون: العبر، جـ٥، ص٤٢١؛

أحمد مختار العبادى: الأيوبى والمملوكى، ص٢٥٥.

(٣) الحنبلى الحلبى: الزبد، ص٤٦.

ورغم قسوة حروب مغول فارس وشدتها إلا أنها أتت ببعض عناصر الخبرة، وربما كان من بعض فضائلها أنها مزجت بين الشعوب التى طال ركودها وخمودها فأيقظتها من سباتها وجددت نشاطها، وعملت على تحطيم الحواجز والسدود بين مختلف الأقاليم والممالك(١)، وظهر ذلك من خلال الهجرات المغولية إلى مصر والتى كان لها دور مؤثر فى الناحية الاجتماعية حيث فر العديد من جنود المغول بعد هزيمتهم فى عين جالوت واتجهوا إلى سلطان مصر وأعلنوا إسلامهم وخضوعهم وكانت كثرتهم العددية التى بلغت زهاء ألف نفس تضم عددًا من أمراء وأعيان المغول، وقد طاب لهم المقام فى مصر ورتب لهم السلطان المملوكى الظاهر بيبرس الإقطاعات فضلاً عن الهبات والخلع(٢).

ويفهم مما سبق أن العناصر السكانية فى مصر أُضيف عليها عنصرٌ جديدٌ تمثل فى المغول الذين تأثروا بالمماليك وأعلنوا إسلامهم بدأوا يتطبعون بطباعهم ويسيروا على نهجهم وينقلون عنهم نظمهم الاجتماعية من مأكل ومشرب وملبس وزى وعادات وتقاليد لأنهم أصبحوا جزءًا من المجتمع فى مصر.

ومما يستلفت النظر أن الترحيب الذى لقيه الفارون من المغول إلى مصر قد وصلت أخباره إلى أسماع بنى جنسهم فى إيران وظل تأثيره قائمًا، وصار له صدى هناك، كما كانت السياسة التى اتبعها سلاطين المماليك الأوائل ابتداءً من الظاهر بيبرس لها أثرها الواضح فى تشجيع

---

(١) فؤاد الصياد: الشرق الإسلامى، ص١٥.

(٢) العينى: عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان (حوادث سنوات ٦٤٨ - ٦٦٤هـ) جـ١، تحقيق محمد أمين، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص٣٦٤.

مغول فارس على الهجرة إلى الديار المصرية، فقد كانت هذه السياسة تهدف إلى التغلغل داخل صفوف المغول واستمالة العناصر المناوئة لنظم الحكم القائمة لديهم حتى يمكن الاستفادة بهم فى رصد كل التحركات وسكنات مغول فارس(١).

وقد كانت هناك عوامل اجتماعية ونفسية ودينية ساعدت على هجرة المغول إلى مصر من أبرز هذه العوامل: التركيبة الاجتماعية لكل من دولتى المماليك والمغول، فقد كانتا متشابهتين إلى حد كبير، فكلتاهما من سكان سهوب أواسط آسيا، كما تتكون الطبقة الحاكمة فى كل منهما من أفراد يتمتعون بالخصائص التركية ويحكمون شعبًا ذا طبيعة مختلفة تمامًا(٢).

ومما ساعد على استمرار الهجرات المغولية إلى مصر نجاح السلطان الناصر محمد فى اتخاذ بعض مسلمى المغول فى المناطق المتاخمة لحدود سلطنة المماليك مع دولة مغول فارس ليكونوا عيونًا على هؤلاء المغول يأتون له بأخبارهم، وكان منهم (الأمير بدر الدين جنكلى) الذى قدم إلى مصر عام ٧٠٢هـ/ ١٣٠٢م وفى صحبته عدد من أتباعه فأكرم وأعطى الكثير من الهبات والمنح والعطايا، وكانت مصر عامل جذب للمغول لأنها كانت أكثر خصوبة وأوفر ثروة من مواطن المغول بفارس آنذاك، ولاسيما أن دولة مغول فارس فى بداية عهد أبى سعيد

---

(١) بيبرس الدوادار: التحفة، ص٧٨؛ صبحى عبدالمنعم: المغول والمماليك، ص٨٠.

(٢) صلاح الدين محمد نوار: الطوائف المغولية فى مصر وتأثيراتها العسكرية والسياسية والاجتماعية واللغوية والعمرانية فى عصر دولة المماليك البحرية (٦٥٨ – ٧٨٣هـ/ ١٢٦٠ – ١٣٨١م)، منشأة المعارف، الإسكندرية، د.ت، ص٢٦.

بهادر قد اشتدت بها الفتن وانشغل رجال الحكم والبلاط بمشاكلهم الخاصة عن العمل الجاد وتحسين أحوال رعيتهم[١].

وكان لهذه الاحتكاكات العسكرية بين مغول فارس والمماليك بمصر والشام وكذلك الهجرات المغولية تأثيرات مهمة تبدو جلية واضحة حيث نقل غازان محمود عن المماليك العديد من آلات الحصار وطريقة تصنيع قذائف المجانيق وكيفية تطويرها[٢].

وكان من نتائج الاحتكاكات العسكرية المستمرة بين المماليك ومغول فارس أن حدث نوعٌ من التأثيرات المتبادلة بين الطرفين من حيث الخطط الحربية وطرق الهجوم وتقسيم الجيش مما أدى إلى إثراء الحضارة الإسلامية لا سيما بعد اعتناق المغول للإسلام وإعلانه دينًا رسميًا في دولتهم[٣].

أما عن أبرز التأثيرات الاجتماعية التى نقلها مغول فارس عن الدولة المملوكية فتظهر في ملابس المغول التى تأثرت بالملابس المملوكية ذات الزخارف والمنسوجات وزاد عليها نقش أسمائهم على قطع النسيج كما كان يفعل المماليك[٤].

وعندما تحسنت العلاقات بين المماليك والمغول قام السلطان أبوسعيد بهادر بنقش ألقاب السلطان المملوكى الناصر محمد بن قلاوون

---

(١) صبحى عبدالمنعم: المغول والمماليك، ص٨١- ٨٣.

(٢) القلقشندى: صبح الأعشى: جـ٨، ص٧٠.

(٣) اليونينى: الزمان، المجلد الثانى، ص٩؛ ابن طولون (شمس الدين محمد بن طولون): مفاكهة الخلان فى حوادث الزمان (تاريخ مصر والشام)، حققه ووضع حواشيه، محمد مصطفى، القسم الثانى، المؤسسة المصرية العامة للتأليف، القاهرة، ١٣٤٨هـ/ ١٩٦٤م، ص١٩- ٢٠.

(٤) ديماند: الفنون الإسلامية، ص٢٦٤؛ Holt: Op.Cit., p.3.

على سبعمائة شقة من القماش قام بإهدائها إليه مع هدايا أخرى عام ٧٢٤هـ/ ١٣٢٤م(١).

ويتجلى لنا التحول الواضح فى الحياة الاجتماعية عند مغول فارس نتيجة اتصالهم بالمماليك فيما اتخذه أبوسعيد من إصلاح فى الميدان الاجتماعى متأثرًا بسياسة الملك الناصر محمد بن قلاوون ومنها على سبيل المثال ترتيب إدارة الدولة، وتنظيم طرق جباية الضرائب والأموال، وتطوير القصور الملكية، وقد سبقه على عهد محمد خدابنده نقل المغول عن المماليك المصوغات الفاخرة التى تتزين بها خواتينهم وعملوا لهن البزات المزركشة ذات القماش عالى الجودة على غرار نساء المماليك، وانتقل الأمر إلى الأطعمة، فصار ما يقدم من الطعام وأنواعه وطريقة تقديمه حسبما كان متبعًا وموجودًا فى بلاد سلاطين مصر(٢).

وقد نتج عن التبادل التجارى بين المماليك والمغول وتبادل السفارات أن انتشرت الثياب والأقمشة الإسلامية الشرقية ذات الرسومات المملوكية بين مغول فارس(٣) وقد ألزم الإيلخان أبوسعيد النصارى فى بغداد عام ٧٣٤هـ/ ١٣٣٤م بلبس العمائم الزرقاء واليهود العمائم الصفراء وتم هذا الأمر رغم وجود هيئة للأساقفة فى مدينة السلطانية تحت زعامة رئيس لهم، وكان أبوسعيد متأثرًا فى ذلك بسياسة الملك الناصر محمد بن قلاوون تجاه أهل الذمة(٤).

---

(١) صبحى عبدالمنعم: المغول والمماليك، ص٨٥.

(2) Jin Jones: Op.Cit., p.11; David: Islam and Islamic, p.20.

(٣) ابن فضلان: رسالة بن فضلان، ص٤٨.

(٤) صبحى عبدالمنعم: المغول والمماليك، ص٨٧؛ شيرين بيانى: در ايران عهد مغول، ص٥١٤.

وأخذت ظاهرة المصاهرة بين مغول فارس وأمرائهم وسلاطين مصر المملوكية طريقًا غير مسبوق حينما تمسك المغول فى إيران بعقيدة الإسلام وعندما تولى أبوسعيد بهادر مقاليد الحكم صار أول شخصية نشأت فى الإسلام دون أن تنال منها العادات المغولية والتأثيرات المسيحية وهو أمر فرضته الظروف التى توالت على إيران لينتشر الإسلام بمعناه الواسع بين الأسر المغولية ومن هنا لم يعد غريبًا أن تنتقل السفارات بين الإيلخان أبى سعيد والناصر محمد بن قلاوون منذ ذلك العهد طلبًا للمصاهرة وتوطيد أواصر الصداقة[1].

وقد كانت العلاقات المملوكية مع دولة مغول فارس منذ قيامها حتى انهيارها مضطربة لا تسير على وتيرة واحدة بل تنوعت بين العداء والسلم وخلال تلك الفترات ظلت الدولة الإيلخانية بفارس تنهل من النظم الاجتماعية المملوكية[2]،ولاسيما وسائل الترفيه حيث تفنن المماليك الذين أغراهم غنى مصر فى الاستمتاع بمباهج الحياة فكان هناك الغناء والموسيقى ومجالس العلم والوعظ والأدب والألعاب الرياضية والفروسية والرماية ونقل عنهم المغول معظم هذه المظاهر والوسائل الترفيهية[3]

وزخر العالم الإسلامى بالعديد من العلماء ولاسيما دولة المماليك وعلى الأخص فى مجال الفلك والكيمياء وقرب المغول هؤلاء وأخذوا عنهم الكثير لشدة شغفهم بهذه العلوم ورغبة المغول الملحة فى معرفتها وتحصيل بعضها، وكان أبرز هؤلاء العلماء نصير الدين الطوسى وتلميذه

---

(1) Jin Jones: Op.Cit., p.15; صبحى عبدالمنعم: المرجع السابق، ص٨٩.

(٢) تيودور: تحفة الأنباء، ص١٣٣.

(٣) لطفى نصار: مرجع سابق، ص٣٥٩؛ محمد جمال الدين سرور: دولة الظاهر بيبرس، ص١٥٢.

العلامة قطب الدين محمود الشيرازى وكذلك الشيخ أبو القاسم محمد القبارى الإسكندرانى الصوفى فقد حرص أباقاخان أن يستمر المرصد الذى يُشرف عليه نصير الدين فى أداء رسالته وشجع طلاب العلم على السير قدمًا فى دراستهم حتى يقفوا على الدقائق العلمية وقال لقطب الدين: أنت أكبر تلامذة نصير الدين الذى كبر وشارف الموت فاجتهد حتى لا يفوتك شىء من علمه (١).

أما فى مجال تأثر المغول بالنواحى المعمارية المملوكية فقد شهد العصر المملوكى مميزات معمارية عديدة منها تطور نظام المدرسة كمنشأة دينية فى مصر وإنشاء العديد من الخانقاوات وهى دور الصوفية وتشييد الأضرحة الضخمة ذات القباب المرتفعة وتطوير المآذن والزخرفة وعمل المداخل والمحاريب والمنابر والعقود والأعمدة والقصور والمنازل والحمامات والقاعات والأسبلة وغيرها من أنواع المعمار (٢)، وكان محمد خدابنده حاكم دولة مغول فارس محبًا للمعمار وعاشقًا لهذا الفن وتأثر بالمماليك فى كل عناصر ومميزات المعمار وظهر ذلك جليًا عند تأسيسه لمدينة السلطانية التى وضحت فيها مظاهر التاثر المعمارى المملوكى (٣).

---

(١) الدلجى: الفلاكة، مصدر سابق، ص٥؛ فؤاد الصياد: الشرق الإسلامى، ص١١٥؛

Reuven Amitai: Ghazan, Islam and Mongol Tradition, A View From the Mamluk, Vol 59, No 1, London, 1990, p.80.

(٢) مجير الدين الحنبلى (قاضى القضاة أبو اليمين القاضى مجير الدين الحنبلى): الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، الطبعة الأولى، جـ٢، المكتبة الحيدرية، النجف، العراق، ١٣٦٨هـ، ص٩٢؛ عبدالله كامل موسى عبده: الآثار الإسلامية، كلية الآداب، جامعة جنوب الوادى، القاهرة، د.ت، ص١٢٣.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٤، ص٤٠٣؛ Sheila: Op.Cit., p.27.

وقد نقل مغول فارس عن المماليك أيضًا امتلاك المحلات والدكاكين والعمل بالتجارة الداخلية بجانب عملهم بالزراعة وإتقانهم بعض الحرف الصناعية وهنا بدأ يظهر تغير فى الهيكلة الوظيفية للمغول حيث بدأوا حياة جديدة قوامها التجارة والصناعة والزراعة(١)، ونتج عن هذا الاحتكاك خلق تراث ثقافى فنى وأضحت مشاركة المغول للفن الإسلامى أحد الأركان الرئيسية التى لا غنى عنها(٢). ومن أمثلة تلك الوكالات والأسواق التجارية التى أنشأها المغول ومارسوا فيها حرفًا جديدة لم تكن مألوفة لديهم من قبل. وكالة دار طينال التى بناها الأمير طينال المغولى وكان أحد مماليك الناصر محمد بن قلاوون وكان طينال متأثرًا فى تشييدها (برحبة كتبغا) المنسوبة إلى السلطان زين الدين كتبغا، وكذلك بنى المغول عديدًا من المحلات والدكاكين والمدارس التى عرفت بحكر (الأقبغارية) وكانت مجاورة للجامع الأزهر بالقاهرة وكان القائم على هذا الحكر الأمير (جنكل بن البابه) المغولى الأصل(٣).

---

(1) Patrica Buckely: Chines, p.193.

(2) Sheila: Op.Cit., p.27.

(٣) المقريزى: الخطط، جـ٢، ص٥٠- ٧٦؛ صلاح نوار: الطوائف المغولية، ص١٤٤.

رابعًا: أهم مظاهر التأثيرات الإسلامية على النظم الدينية لمغول فارس:

مما لا شك فيه أن أبرز مظاهر التأثيرات الإسلامية على النظم الدينية لمغول فارس ظهرت جليًا فى تحول مغول فارس إلى الإسلام والتوافد عليه لاعتناقه حتى بدأت الدولة الإيلخانية تصطبغ بالصبغة الإسلامية فى معظم مظاهر النواحى الدينية لديها وبدأوا يتحرون تطبيق الشريعة الإسلامية ومبادئ الإسلام فى القول والفعل.

وأذنت مرحلة النصر النهائى للإسلام على غيره من الأديان بقيام مرحلة جديدة فى تاريخ دولة مغول فارس وهى مرحلة استقلالهم عن قراقورم، وكان هذا من العوامل التى أطلقت عقال الإسلام حتى بلغ الذروة منذ عهد غازان وتحول مغول فارس إلى حصن حصين للإسلام وأصبحت ذرية هولاكو تدفع به إلى الأمام وتعمل بكل وسعها من جهد لتعويضه عما لحقه على يد زعيمها هولاكو من خسارة وبوار[١].

لذا يعد انتشار الإسلام بين المغول المؤثر الرئيسى فى تغير وتحول النظم الدينية المغولية ونتج عن هذا التحول الكبير للعديد من المؤثرات فكان إعلان الإسلام كدين رسمى للمغول بفارس كفيلاً بأن يغير ما فى النفوس ويهذب الأخلاق[٢].

ثمة ملاحظة وهى أن انتشار الإسلام بين المغول عمل على إعادة هيكلة وبناء فكرهم الدينى، وبعدما كان المغول متفرقين على ديانات ومعتقدات شتى، تجمعوا على دين واحد وعملوا على نصرته والانتصار له.

---

(١) رجب محمد عبدالحليم: مرجع سابق، ص١٨٨؛ شيرين بيانى: مرجع سابق، ص٤٤٧.

(٢) القلقشندى: مآثر الإنافة، جـ٢، ص٩٠.

وانتحال المغول للإسلام جعلهم يقبلون على الحضارة الإسلامية كي يستزيدوا منها وظهرت لديهم رغبة ملحة فى تعلم اللغة العربية وصارت أعداد المغول بفارس الذين يعتنقون الإسلام فى ازدياد[1]، وقد قال جوستاف لوبون: ((لا نرى فى التاريخ أمة ذات أثر بارز كالعرب فجميع الأمم التى اتصل العرب بهم اعتنقت حضارتهم حتى من غلبهم من الترك والمغول تركوا تقاليدهم وانتحلوا حضارة العرب وصاروا لها ناشرين))[2].

واللافت للنظر أن مغول فارس صاروا يهتمون بالمدارس والتعليم وقام خانهم أحمد تكودار بالعمل على إعطاء كل ذى حق حقه وحث رعيته على عدم الخروج عن القواعد الإسلامية، كما أمر تكودار ببناء المدارس والمساجد والأوقاف وكذلك أمر بتجهيز الحجاج واتجه إلى مهادنة أعدائه حقنًا لدماء المسلمين[3].

وقد حافظ معظم مغول فارس على تعاليم الشريعة الإسلامية ونصوصها فقاموا بأداء فريضة الصوم فى شهر رمضان وامتنعوا عن المشروبات المسكرة وكانوا حريصين على أداء الصلوات فى أوقاتها وفى حالة سفرهم كانوا يحملون خيامًا معهم يجعلونها مساجد وبدأوا يطلقون الأسماء الإسلامية على مواليدهم مثل (محمد، على، خديجة، عائشة، فاطمة) وفى مجال حياتهم العامة أدى دخولهم الإسلام إلى ترك عاداتهم القديمة، كما أن التقاضى بينهم صار على طريقة المذاهب الفقهية الأربعة

---

(١) اليافعى: مرآة الجنان، جـ٤، ص١٢١.

(٢) غوستاف لوبون: حضارة العرب، ص١٩.

(٣) النويرى: نهاية الأرب، جـ٢٧، ص٤٠٢؛ أحمد عبدالكريم: المغول والمماليك، ص١٩- ٢٠.

المعروفة، وكان لكل مدينة قاضى وحلت الشريعة الإسلامية محل القوانين المغولية (الياسا) [١].

وكذلك ظهرت المؤثرات الإسلامية على رسائل ومكاتبات المغول فكان من عاداتهم قبل الإسلام أن تبدأ رسـائلهم بالمخاشـنة والتـصريح بالعداوة وفى الجانب الأيمن فى أعلى الرسالة تكتب عبارة ((مـن ملـك الملوك شرقًا وغربًا القآن الأعظم، باسمك اللهم باسـط الأرض ورافـع السماء)) وبعد دخول المغول فى الإسلام بدلت هذه العبارة فى مراسلات أحمد تكودار إلى السلطان المنصور قلاوون إلىعبارة "بسم الله الـرحمن الرحيم" على يمين الرسالة، وفى اليسار عبارة "بقوة الله تعـالى"، وفـى الوسط عبارة "بإقبال الخان فرمان أحمد"[٢]، فقد استطاع أحمد تكودار إبان فترة حكمه أن يُصبغ كل شيء فى دولته بالصبغة الإسلامية وأن يجتهـد فى تطبيق الشريعة، وتحسين علاقاته الخارجية مع جيرانه من المـسلمين وبالفعل نجح إلى حدٍ كبير فى تحقيق هدفه[٣].

وكانت الخواتين (زوجات السلاطين والأمراء من المغول) يكثرن من إقامة مجالس العلم بحكم كثرتهن وفراغهن وكانت هذه المجالس تعقد فى المدارس والمشاهد والزوايا وبحضور القـضاة والفقهـاء والـشرفاء وطلبة العلم الذين كانوا يأخذون فى تلاوة القرآن الكريم بأصوات حـسنة حتى ينتهوا من قراءته كله، ثم يؤتى لهم بالطعام والفواكه والحلوى، فإذا

---

(١) زهراء ليو: زيارة إلى قرية تار الإسـلامية، ص١٢١؛ هـدى درويـش: نور الصوفية، ص٩٩؛ Barthold: Four, Op.Cit., p.47.

(٢) القلقشندى: صبح الأعشى، جـ٨، ص٦٣- ٦٥.

(3) Rabban Sowma: Op.Cit., p.89;

ابن تغرى بردى: الدليل الشافى، جـ٢، ص٩٥.

انتهى القوم من الطعام قام الواعظ يخطب في الحاضرين ويعظهم ويستمر هذا المجلس العلمى الدينى من بعد صلاة الظهر إلى صلاة العشاء، كل ذلك والخاتون بجوارهم فى غرفة تطل على الحاضرين وكانت الخاتون تعقد هذا المجلس دوريًا كل ليلة اثنين فى ضريح أحمد بن موسى الكاظم أخى على الرضا العلوى، وتعقد أيضًا مجلسًا آخر كل ليلة جمعة فى ضريح آخر هو ضريح القطب أبى عبدالله بن خفيف بشيراز، وقد بلغ من عمق العقيدة الإسلامية فى نفوس سلاطين مغول فارس أنهم يذكرون أسماء الخلفاء الراشدين على منابر بلادهم فى خطبة الجمعة(١).

وقد ذكر سلاطين المغول بفارس أسماء الخلفاء الراشدين فى خطبهم وعملتهم حتى يتجنبوا ذكر أسماء الخلفاء العباسيين أو ذكر أسماء سلاطين المماليك الذين تربطهم بهم علاقة عداء وعلى الأخص بيت هولاكو الذى قضى على الخلافة العباسية، وفى عام ٦٥٩هـ/ ١٢٦١م حاول الخليفة العباسى المستنصر بالله استرداد العراق بتشجيع من الظاهر بيبرس ولكن محاولته فشلت بسبب تخلى جنوده عنه عند لقائه مع المغول وانتهى الأمر بموته(٢).

أما عن أبرز مظاهر التأثيرات الإسلامية إبان عهد غازان محمود (٦٩٤ - ٧٠٣هـ/ ١٢٩٥ - ١٣٠٤م) فقد تلا إسلام غازان بن أرغون اعتناق ما يقرب من ثمانين ألف مغولى من كبار أتباعه وعظماء قومه للعقيدة الإسلامية، وكانت طائفة كبيرة من المغول قد اعتنقت الإسلام

---

(١) رجب محمد عبدالحليم: مرجع سابق، ص٢١٠- ٢١١؛ شيرين بيانى: مرجع سابق، ص٤٥٩.

(٢) المقريزى: السلوك، جـ١، ق٢، القاهرة، ١٩٣٦م.، ص٤٥٠- ٤٦٢؛ Robert Irwin: Islamic Art, London, 1997, p.50.

سرًا، فأعلنوا إسلامهم بعد إسلام غازان ونظرًا لأنه جعل الإسلام دين الدولة الرسمى، فقد شرع فى إجراء إصلاحات كبيرة تتفق مع الوضع الجديد فى دولته وأصدر عملة جديدة تحمل اسمه منفردًا باللغة العربية وتعبر عن هويته الإسلامية، وأعلن غازان أنه لم يعد هناك محذورات فى الدولة إلا فيما يخالف الشريعة الإسلامية أما كل ما يتفق مع الإسلام فهو مباح[1]، وأضحى غازان محمود يهتم بالمساجد ويعمرها ويزور مقابر الصالحين ويحث المغول بفارس على تعلم القرآن وحفظه ويغدق عليهم المنح والعطايا، وانتهج عدة إصلاحات صارت كلها على النمط الإسلامى[2].

وقد نالت فريضة الحج اهتمامًا بالغًا من قبل السلطان محمود غازان فكان من أوائل السلاطين الذين سهلوا السبل لأداء هذه الفريضة وقدم يد العون والمساعدة لكل الراغبين فى الحج وقام غازان بعمل وقف مخصص للإنفاق على الحجاج وقوافل الحج من إيران إلى الحجاز ولم يكتف بذلك بل وفر الحماية لهذه القوافل وأمن الطريق فى الذهاب والإياب وقام بتعيين أمير وألحق له فرقة عسكرية يكون هو قائدها ويكون دورها المنوط القيام به هو حماية قوافل الحجاج فى طريق الذهاب والعودة، كما أرسل غازان كسوة الكعبة مطرزةً بألقابه وأسمائه، وأغدق الذهب على المشايخ العرب فى مكة والمدينة المنورة و وكان يستجيب على الفور لطلب أية مبالغ مالية للتعمير فى مكة والمدينة المنورة دون أى ممانعة

---

(١) البدليسى: الشرفنامة، جـ٢، ص١٥؛ ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ٨، ص٢٣٢؛
أحمد عبدالكريم: المغول والمماليك، ص٣٦.

(2) David Morgan: Mongols, p.159;
توماس. أرنولد: مرجع سابق، ص٢٦٤.

أو مناقشة، بل كان يرسل بالزيادة حتى أضحى من أكثر السلاطين جودًا وإنفاقًا فى سبيل الله(١).

وقد أدى اهتمام هذا السلطان بطرق الحج وقوافله على هذا النحو إلى ازدياد حرص المغول على أداء فريضة الحج برغم المشقة وبعد المسافة ، كذلك حرص بعض المغول على بناء مقابر يدفن فيها عند موته فى مكة والمدينة تبركًا بهذه البلاد المقدسة، كما حرص آخرون على توجيه كثير من أعمال البر والخير إلى هذه البلاد مثل "الأمير جوبان" نائب السلطان أبى سعيد وقائد جيشه، فقد حرص هذا الأمير المغولى الكبير على تزويد مكة بالماء العذب على حسابه الخاص، كما أمر ببناء مقبرة يدفن فيها بعد موته فى المدينة المنورة، ولما توفى جيء بجثمانه ووقف به حاملوه على جبل عرفات للتبرك وطلب الغفران ثم حمل الجثمان إلى المدينة المنورة ليدفن فى قبره الذى اتخذه بالقرب من مسجد الرسول (صلى الله عليه وسلم)، ولكن شاء القدر أن يدفن فى مقابر البقيع لاعتراض أمير المدينة على دفنه فى مقبرته لعدم وصول أوامر السلطان الناصر محمد بن قلاوون بذلك(٢).

وغدت فريضة الحج تشغل اهتمام كل مغولى ببلاد فارس، فقد كانوا يبذلون كل جهد من أجل القيام بها ويضحون فى سبيلها بكل غالٍ وثمين وأيقن معظمهم أن إسلامه لن يكتمل أو يستقيم إلا بعد أن يقوم بأداء هذه الفريضة، وخيمت هذه الفكرة على عقول مغول فارس ويظهر ذلك

---

(١) Haworth: Op.Cit., III, p.530; رحيم نيا: سير تاريخ إيران، ص٥٧.

(٢) ابن خلدون: تاريخ بن خلدون، جـ٥، الكتاب اللبنانى، بيروت، ص١٦٥-١٦٧؛

رجب محمد عبدالحليم: مرجع سابق، ص٢٢٢.

أن المغول حسن إسلامهم وصار إيمانهم إيمانًا صادقًا يعقبه إخلاص في النية والعمل[١].

وقد أظهرت النساء المغوليات بفارس حرصهن على أداء هذه الفريضة مثل الرجال، ومنهن على سبيل المثال (قطلو بنت أبغا بن هولاكو) التى قامت بأداء هذه الفريضة على عهد أبى سعيد بهادر (٧١٦ - ٧٣٦هـ/ ١٣١٦ - ١٣٣٥م) وذهبت إلى الحجاز يصاحبها أعداد كثيرة من المغوليات لخدمتها وأداء الفريضة معها وقد أمن لها أبوسعيد الطريق ووفر لها كل مستلزماتها فى هذه الرحلة[٢].

ولا شك أن توافد حجاج مغول إيران على هذا النحو لدليل على مدى انفعالهم بالإسلام وحرصهم على أداء شعائره، كما أنه لابد أن يدفع فيهم روح الحياة الإسلامية دفعًا قويًا يجعلهم يحسون بانتمائهم إلى عالم الإسلام وإلى ضرورة تأكيد صلتهم به وحسن علاقتهم بأهله وقد برزت هذه الناحية في تحول مغول فارس من حالة العداء نحو سلاطين مصر إلى صداقة ومودة ومحبة[٣].

ولقد وصلت المؤثرات الإسلامية إلى فن الأسطورة المغولية بفارس فهناك أسطورة مغولية تدعى (أوغوز) وهى تتجاوز عصور ما قبل الإسلام إلى العصر الإسلامي وهى تقول: ((إنه ولد لأسرة على غير الدين الحنيف طفل، ويظهر العجب كل العجب وهو يهدد أمه قائلاً لها إنه لن يلتقم ثديها وليهلك ما لم تدخل فى دين الله. إلا أن أمه رضخت لطلبه

---

(١) Robert Irwin: Op.Cit., pp.50- 51; رحيم نيا: سير تاريخ إيران، ص٥٧.

(٢) ابن خلدون: تاريخ بن خلدون، جـ٥، ص١٦٥؛ Jin Jones: Op.Cit., p.21

(٣) رجب محمد عبدالحليم: مرجع سابق، ص٢٢٢- ٢٢٣؛ Rockhill: A History, Op.Cit., p.30.

وحسن إسلامها، ولما صار شابًا أراد أن يخطب إحدى بنات عمه و كانت بارعة الحسن، إلا أن هذا الشاب الذى يدعى (أوغوز) رفضها لما علم أنها ليست على دين الإسلام، ورأى فتاة غاية فى الجمال وهو يصطاد فى الغابة وأراد أن يخطبها عندما علم أنها مسلمة فوافقت وتمت الخطبة، وعندما علم أبوه أن هذا الفتى وأمه وخطيبته ارتدوا عن دين الآباء والأجداد ودخلوا فى الإسلام تجهز لمحاربتهم واستعد (أوغوز) لملاقاة أبيه ودارت الحرب وانتصر الإسلام على الكفر وصار (أوغوز) ملكًا على قومه ودعا الناس إلى الإيمان ورفع راية الجهاد فى سبيل الله))[١] وهنا تنتهى الأسطورة.

يمكن القول إن الإسلام صبغ كل مناحى الحياة لدى مغول فارس حتى وصل إلى الفن الذى برع فيه المغول وهو فن الأسطورة ، وبعد ما كانت أساطيرهم تحمل التهديد والوعيد وتظهر القوة الخارقة لهم صارت تحمل فى طياتها الدعوة إلى نشر الإسلام واتباع الدين الحق وهذا إن دل على شىء فإنما يدل على أن الإسلام أصبح متغلغلاً بشكل كبير داخل المجتمع المغولى بفارس وأضحى يشغل حيزًا كبيرًا من تفكيرهم.

وقد انتقل التأثير الدينى إلى حد اتباع حكام دولة مغول فارس المذاهب والطرق الموجودة داخل المجتمع الإسلامى آنذاك فقد اعتنق تكودار الإسلام وهو ((فى عنفوان الصبا وريعان الحداثة))[٢] وبعد توليه حكم إيلخانية فارس بدأ يتخذ كل الإجراءات التى تضمن التطبيق السليم للشريعة الإسلامية، ودعا إلى السماحة والحرية الدينية وأشهر إسلامه

---

(١) حسين مجيب المصرى: الأسطورة، ص١٤٢- ١٤٣؛
Hung William: Op.Cit., p.490.

(٢) المقريزى: السلوك، جـ١، ق٣، القاهرة ١٩٣٩م، ص٩٧٨.

على مذهب أهل السنة والجماعة، وكل أفعاله دلت على عميــق إســلامه وإيمانه وصدقه وحبه لدينه الجديد، وعاش طيلة حياته يبذل قصارى جهده من أجل نشر الإسلام بين المغول وكل من تحول منهم إلى الإسلام كــان تكودار يعطيه بسخاء العطايا والمنح وألقاب التشريف[١].

ولما اعتنق غازان خان الإسلام ٦٩٤هــ/ ١٢٩٥م رأى أن يكون سنيًا على مذهب الإمام أبى حنيفة النعمان، فقوى هذا المذهب فى مقابــل أتباع المذاهب الأخرى وتقرر أن تذكر أسماء الخلفاء الراشدين فى خطب الجمعة والعيدين والمناسبات الأخرى فى المساجد، وأصبح يدعى لغازان من بعد هؤلاء الخلفاء، كما نُقشت أسماؤهم على السكة، فعلى أحد وجهى كل قطعة من العملة، أحيطت الشهادتان بأسماء الخلفاء الراشــدين كــذلك كُتب اسم السلطان وألقابه ومكان ضرب السكة وتاريخ ضــربها، ولكــن غازان فى الوقت نفسه كان حريصًا على أن يثبت نواياه الطيبــة تجــاه الشيعة، ولهذا قام بزيارة ضريح الإمام على والإمام الحسين رضــى الله عنهما، وصار يكرم السادات فى أئمة الشيعة ويجلهم، فأمر لهم بالعطايــا والهبات الكثيرة، وأنشأ للسادات دورًا فى تبريز وغيرها من أمهات المدن على أن يعطوا مرتبات تصرف لهم بانتظام، حسب ما نصت عليه حجج الأوقاف المخصصة لهذا الغرض[٢].

وأصدر السلطان غازان محمود فى عام ٦٩٥هــ/ ١٢٩٦م أمرًا بأن تنقش على السكة عبارة (لا الله إلا الله محمد رسول الله)، وأمر كذلك بأن تتوج رؤوس الكتب والمنشورات بكلمة (الله أعلى)، وبــأن تــشرف

---

(1) W. W. Rockhill: The Mongols, A History, Vol 13, No 3, U. S. A., 1908, p.563; Haworth: Op.Cit., III, p.186.

(٢) فؤاد عبدالمعطى الصياد: الشرق الإسلامى، ص٢٦٦.

منشورات وفرمانات الوظائف والمرتبات وسائر الجريات والإقطاعات لأهل الإسلام بتوقيعاته[١] وبذلك صبغ غازان دولته بالصبغة الإسلامية واتخذ من الحضارة الإسلامية مرجعية له في كل مناحي الحياة[٢].

وكان حب آل البيت عالقًا في قلب غازان فأكرم رجال الشيعة وقام بتزيين أماكنهم المقدسة التي كان يزورها من آن لآخر ثم تحول إلى اعتناق المذهب الشيعي ولكن دون تعصب فشهد له أنه لم يفرق بين شيعي وسني وكان دائمًا يقول" ((لست منكرًا أي شخص وإني لمعترف بعظمة الصحابة)) [٣].

وعلى إثر ذلك زاد اهتمام غازان محمود بالشيعة وآل البيت وشملهم بالعطف والرعاية وأكرم علماء الشيعة وأئمتهم وكان يزور قبورهم وينذر النذور، وعندما زار الحلة عام ٦٩٨هـ/ ١٢٩٨م وشاهد المشاهد الشريفة ، أمر للعلويين المقيمين بها بمال كثير، ثم أشار بحفر نهر بأعلى الحلة، فتم ذلك وسمي النهر الغازاني، وقد أوصله إلى مشهد الحسين حتى أخذ يروي أراضي كربلاء اليابسة فأصبحت الأراضي الممتدة على جانبيه مليئة بالحدائق والبساتين وصارت السفن القادمة من بغداد وغيرها من دجلة والفرات تستطيع الوصول إلى المدينة وزاد إنتاج غلات المنطقة زيادة ملحوظة وقد عُمرت الأراضي الواقعة على هذا النهر وارتفعت أسعارها وأسعار البيوت التي أنشئت عليها أضعافًا مضاعفة[٤].

---

(١) البدليسي: الشرفنامة، جـ٢، ص١٦.

(٢) بابرشاه: تاريخ بابرشاه، ص٢٥.

(٣) رشيد الدين الهمذاني: تاريخ غازان خان، ص١٢٢- ١٢٣؛
David Morgan: The Mongols, pp.164- 165.

(٤) فؤاد الصياد: الشرق الإسلامي، ص٣٦٦- ٣٦٧.

وقد ذكر كتاب تاريخ وصاف أن غازان لم يعتنق مذهب الشيعة رغم محاباته لهم ولكنه ظل على المذهب السنى، وشدة عطفه ورعايته للشيعة هى من قبيل تعلقه الزائد بآل البيت(١).

ثمة ملاحظة مهمة وهى أن غازان تميز بالسماحة الدينية المذهبية فسواء كان سنيًا أو شيعيًا فهو لم يحاب طرفًا على حساب الآخر ولم يحاول فرض مذهب دون الآخر ودلالة ذلك أن مؤرخى عصره أنفسهم اختلفوا فيما بينهم فذهب الهمذانى إلى كونه شيعيًا وقال صاحب تاريخ وصاف بأنه كان سنيًا، فبذلك يمكن القول إنه تأثر بالاتجاهات المذهبية السائدة فى عهده وأحسن إلى الجميع وحرص على كسب ود وعطف أصحاب كل المذاهب.

وعندما اعتلىٰ محمد خدابنده (أولجايتو) ٧٠٣ - ٧١٦هـ./ ١٣٠٣ - ١٣١٦م كان معتنقًا للإسلام وهو فى مقتبل العمر بتأثير إحدى زوجاته المسلمات، ولما كان المذهب الحنفى هو السائد فى خراسان فى ذلك الوقت، فاعتنق أولجايتو الدين الإسلامى على مذهب الإمام أبى حنيفة، وقرب إليه رجال الدين الحنفية وفقهاءهم وتعلم منهم أصول الدين وجزئياته، وكان فخورًا بدينه الجديد مقتنعًا به تمام الاقتناع، ثم قدم من تبريز عالم شافعى المذهب وكان يعتبر أعلم أهل السنة فى زمانه وهو الفقيه نظام الدين عبدالملك الشافعى وما إن سمع السلطان بمقدمه حتى طلبه للاستفادة من علمه وفقهه، ورتب له مناظرات مع علماء المذهب الحنفى، فكان يناظرهم فى حضرة السلطان ويحقق الغلبة عليهم، فتم تعيين نظام الدين عبدالملك الشافعى قاضى القضاة فى إيران وحل المذهب الشافعى محل مذهب الحنفية، ولم تستقر الأمور حيث قام علماء الحنفية

---

(١) عبدالمحمد آيتى: مصدر سابق، ص٢٠٨.

بعدة مناظرات أخرى مع نظام الدين وبدأ أصحاب كل مذهب يسفهون ويعيبون فى بعضهم البعض مما كان له أثره السيء على محمد خدابنده وفكر فى العدول عن الدين الإسلامى بسبب كثرة هذه المهاترات والخلافات الجدلية(١).

وانتهز (طومطاز) أحد أمراء البلاط المقربين من محمد خدابنده فرصة الانقسامات وبدأ يدعوه بأن يتحول إلى مذهب الشيعة الإمامية الاثنى عشرية وقد استنكف السلطان فى البداية أن يصبح رافضيًا شيعيًا يخالف أهل السنة والجماعة، ولكن دعاه أحد أئمة الاثنى عشرية وهو "السيد تاج الدين الآوى الرافضى" إلى التحول إلى مذهب الشيعة وقال له" إن السنة والشيعة لا يختلفان إلا فى وراثة الحكم حيث يراها الشيعة فى آل على بن أبى طالب متفقين فى ذلك قوانين المغول التى تورث الحكم لآل جنكيزخان، أما السنة فيجيزون للناس من غير البيت الحاكم أن يتولوا الحكم، وظلوا فى إلحاح شديد حتى اعتنق خدابنده مذهب الروافض الاثنى عشرية(٢).

على ضوء ما سبق نستنتج أن الفرقة والتمزق السياسى أسقطا بغداد وسمحا للمغول بأن يقيموا دولة وسط المجتمع الإسلامى بفارس، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل اختلف أصحاب مذهب أهل السنة والجماعة فيما بينهم مما أدى إلى تحول السلطان المغولى من المذهب السنى إلى الشعيى، وفى ذلك دلالة على أن أئمة المذاهب الفقهية لم يقدروا خطورة

---

(١) البدليسى: الشرفنامة، جـ٢، ص٢٠؛ عبدالسلام فهمى: الدولة المغولية، ص٢١٥- ٢١٦؛ Haworth: Op.Cit., III, pp.557- 559.

(٢) رجب محمد عبدالحليم: مرجع سابق، ص٢١٣؛ عباس العزاوى: حكومة المغول، ص٤٠٩؛ Grajdanzev: The Mongol, Op.Cit., Vol. 8, p.44.

الموقف ودخلوا فى سفسطة وجدل عقيمين، أسفر عنهما نتائج سلبية مؤداها ارتفاع مكانة وشأن الشيعة، وبذلك يكون التمزق السياسى قد ألقى بظلاله على النواحى الدينية، وجاء المغول وورثوا كل هذه المظاهر بالمزايا والعيوب لأنهم أضحوا جزءًا لا يتجزأ من النسيج الإسلامى فى تلك الآونة.

ونتج عن اتباع خدابنده مذهب الشيعة أن قام بضرب نقود جديدة نقش عليها أسماء الإمام على وأبنائه وأسماء الاثنى عشرية وحذف أسماء أبى بكر وعمر وعثمان رضوان الله عليهم من على العملة(١) ولم يكتف هذا السلطان بذلك بل أمر بتغيير صيغة خطبة الجمعة لتتفق مع مذهب الشيعة الجديد وذلك عام ٧٠٩هـ/ ١٣٠١م، وكان اعتناقه للمذهب الشيعى نكبة كبيرة على مملكته حيث اتخذ إجراءات شديدة مع أتباع المذهب السنى وأظهر تطرفًا كبيرًا وكراهيةً وعداءً شديدين لأنصار المذهب السنى(٢).

وعندما مرض السلطان خدابنده عام ٧١٦هـ/ ١٣١٦م أصدر قرارين وهو على فراش الموت:- الأول بإعادة ذكر أسماء الخلفاء الراشدين فى الخطبة وعلى السكة، ورفع الأذى والاضطهاد عن أهل السنة وعلمائهم وفقهائهم(٣) وراح علماء المسلمين يزينون للسلطان أن مذهب الشيعة مقارن لمذهب الروافض والخوارج ويخالف إجماع المسلمين فى العالم وأدى ذلك فى النهاية إلى التراجع من قبل أولجايتو خدابنده عن مذهب الشيعة والعودة إلى مذهب أهل السنة، وهكذا انتصر

---

(١) رأفت النبراوى: النقود الإسلامية، ص١٧٠- ١٧١.

(٢) عبدالسلام فهمى: الدولة المغولية، ص٢١٦؛ عادل إسماعيل هلال: المغول وأوروبا، ص١٣٧.

(٣) عبدالمحمد آيتى: مصدر سابق، ص٢٧٥- ٢٧٧.

أهل السنة والجماعة على الشيعة وعاد المغول وسلاطينهم إلــى مــذاهب السنة مرة أخرى[1].

وقد خلف السلطان خدابنده ابنه أبوسعيد بهادر (٧١٦ - ٧٣٦هـ/ ١٣١٦ - ١٣٣٥م) وأعلن منذ توليه التزامه بمذهب أهل السنة والجماعة واتبع مذهب أبى حنيفة وقرب إليه الفقهاء الحنفية، وكان أبوسـعيد مـن خيار ملوك المغول وأحسنهم وأثبتهم على السنة وأقواهم بها وقد أعز الله أهل السنة وأعطاهم فأجزل العطايا وأذل الرافـضة والـشيعة وضـيق عليهم[2].

وأبرز إصلاحات السلطان أبى سعيد أنــه أصــدر أمــره عــام ٧٢٠هـ/ ١٣٢٠م بإغلاق الحانات ودور البغاء ومنع صـناعة الخمـر والشراب، وأراق ما وجد منه فى البلاد وعوقب عدد من الناس بـالموت لوجود الشراب لديهم، وسمح فقط بفتح حانة واحدة فى كل ولايـة لتقـوم بسد حاجات الغرباء، وزوج البغايا والخاطئات، وأبعد أربــاب الملاهــى ورفع بعض المكوس عن كاهل الرعايا كما أنه ورث ذوى الأرحام، وكان ملتزمًا فى كل أفعاله بما ينص عليه مذهب الإمام أبى حنيفة النعمان[3].

غاية القول إن مذهب السنة كان الأكثر شيوعًا بين مغول فـارس وحتى من تشيع منهم عاد فى أواخر أيامه إلى صوابه وبدأ يدعو لمذهب السنة من جديد، ويعزى تقلب حكام مغول فارس بين الشيعة والسنة إلــى

---

(١) فؤاد الصياد: الشرق الإسلامى، ص٣٩٩؛ رجب محمد عبدالحليم: مرجع سابق، ص٢١٤- ٢١٥.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٤، ص٤٩٥؛ رأفت النبراوى: مرجع سـابق، ص١٧٤.

(٣) فؤاد الصياد: الشرق الإسلامى، ص٤٧٥- ٤٧٦؛ شيرين بيانى: مرجع سابق، ص٥١٤- ٥١٥.

تقصير العلماء والفقهاء في توصيل الإسلام بصورته الصحيحة إلى المغول، لأنهم عندما قاموا بدورهم عاد المغول إلى صوابهم.

ولم ينفعل وسلاطينهم بالإسلام ومذاهبه وتقاليده على هذا النحو فقط بل أن بعضهم تحول إلى **حياة الصوفية** بما فيها من زهد شديد وتقشف وورع بالغ، وقد بلغ الأمر بأحد أمرائهم المتصوفين أنه كان يلبس تحت ثيابه ثوبًا خشنًا مصنوعًا من شعر الماعز أو وبر الجمال وكان هذا الأمير من بلاط أبى سعيد بهادر، فظن حراس أبى سعيد أن ذلك الثوب الداخلى الغليظ ربما يكون درعًا وضعه ذلك الأمير تحت ثيابه خوفًا على نفسه من الاغتيال أو التعرض لأى أذى وأرادوا معرفة حقيقة أمره فمسكوه من ثيابه على سبيل المزاح والمضاحكة ولما تبين لهم وللسلطان حقيقة أمره قام إليه السلطان وعانقه وأجلسه إلى جانبه وقال له: ((أنت أبى))، وأعطاه هدية قيمة[١].

وأظهر خانات الدولة المغولية بفارس الرعاية والعناية والاهتمام بعلماء الصوفية وقربوهم إليهم واللافت للنظر أن هذا الاهتمام جاء من قبل حكام دولة مغول فارس أصحاب المذاهب الشيعية وكذلك أهل السنة وكان ذلك من قبيل شمول علماء الإسلام وفقهائه ورجاله بالاحترام والعمل على رفع منزلتهم دون التمييز بين مذاهبهم[٢].

على ضوء ما سبق يتبين أن المغولى أصبح يحترم العلم والعلماء والفقهاء والأئمة دون تمييز مذهبى وفى ذلك دلالة على محاولة المغول تغليب العلم على الخلافات المذهبية ولهذا الفكر المغولى موروث ثقافى

---

(١) رجب محمد عبدالحليم: مرجع سابق، ص٢١٥.

(٢) رشيد الدين الهمذانى: الإيلخانيون (تاريخ هولاكو)، المجلد الثانى، جـ١، ص١٩٤؛ Haworth: Op.Cit., III, pp.536- 537.

عندهم إذ أنهم مع بداية ظهورهم فى العالم الإسلامى كانوا يقتلون ويشردون ولا يرحمون أحدًا ولم يسلم من أذاهم سوى بعض العلماء والصناع والحرفيين لاستغلالهم والاستفادة منهم، فلما اعتنقوا الإسلام زاد اهتمامهم بالعلم والعلماء وحدث عندهم قبول لكل المذاهب الفقهية والطرق الشيعية والصوفية.

وانتشرت الصوفية بين أعداد كبيرة من أفراد المجتمع المغولى بفارس وكانت الطريقة المولوية ومؤسسها مولانا جلال الدين الرومى العالم والشاعر الصوفى الذى ولد فى بلخ عام ٦٠٦هـ/ ١٢٠٧م ذات تأثير عظيم على المغول فاتبعها العديد منهم ومردود ذلك إلى تأثيرها المعنوى والروحانى الشديد واشتهرت هذه الطريقة بالانجذاب الروحانى عن طريق السماع والرقص ونظم مولانا جلال الدين كتابه "المثنوى" وضمنه ستة وعشرين ألف بيت فى ستة أجزاء، وضع فيها إلهاماته وكانت بمثابة المرشد للسالكين طريق التصوف(١).

وبدأ بعض المغول يقومون بزيارة الأضرحة للتبرك بها وكانوا ينذرون لها النذور العظيمة ويأتون لها بالبقر والغنم والدراهم والدنانير، فتصرف فى النفقات اللازمة ويعطى منها لخدام الزاوية والضريح وأشهر هذه الأضرحة كان ضريح قثم بن عباس بن عبدالمطلب رضى الله عن العباس وعن ابنه، وكان موجودًا بالقرب من سمرقند(٢).

وكان من أشهر العلماء والمتصوفة الذين اشتهروا فى عهد دولة مغول فارس، العالم نصير الدين الطوسى (٥٩٧ - ٦٧٢هـ/ ١٢٠٠ - ١٢٧٣م) وزكريا القزوينى (٦٠٠ - ٦٨٢هـ/ ١٢٠٣ - ١٢٨٣م)

---

(١) هدى درويش: دور الصوفية، ص٩٩؛ Rockhill, Jackson: Op.Cit., p.97.

(٢) جمال عبدالرحيم: التأثيرات المتبادلة، ص٣٦٦؛ Reuven: Islam and Mongol, p.50.

والقاضي البيضاوى المتوفى عام ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م وقطب الدين الشيرازى (٦٣٤ - ٧١٠هـ/ ١٢٣٦ - ١٣١٠م) والقاضي عضد الإيجى المتوفى عام ٧٥٦هـ/ ١٣٥٥م وقطب الدين الرازى المتوفى عام ٧٦٦هـ/ ١٣٦٤م أما الشعراء فكثيرون وكان أشهرهم كمال إسماعيل الأصفهاني، وجلال الدين مولوى بلخى (٦٠٤ - ٦٧٢هـ/ ١٢٠٧ - ١٢٧٣م) وسعدى الشيرازى، وهمام التبريزى توفى عام ٧١٤هـ/ ١٣١٤م وأوحدى مراغي توفى ٧٣٨هـ/ ١٣٣٧م وحافظ شيرازى توفى ٧٩١هـ/ ١٣٨٨م ونال هؤلاء العلماء والشعراء مكانة خاصة لدى حكام مغول فارس سمحت لهم بأن يقوموا بنشر فكرهم الصوفي دون معارضة أو اضطهاد[١].

ولم تتوقف التأثيرات الدينية على مغول فارس عند هذا الحد بل انتقلت إلى المنشآت المعمارية وعلى الأخص الأبنية الدينية، فبعد أن هدم المغول العديد من العمائر في شتى البلاد الإسلامية التى استولوا عليها وأحرقوا الجوامع والمساجد وأكثروا المفاسد كنوع من القضاء على الثقافات الموجودة[٢]، إذ بهم يتبدل حالهم بعد توطنهم في بلاد الإسلام، ثم اعتناقهم للإسلام، فصاروا من المحبين للتشييد والبناء.

وعندما جلس أحمد تكودار على كرسى الحكم عام ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م اهتم اهتمامًا كبيرًا بالأبنية الدينية وطلب من وزرائه أن يتم الصرف على المدارس والمساجد وجميع وجوه البر كما كان الحال على أيام الخلفاء العباسيين[٣] وأمر ببناء المساجد والمدارس وتجهيز الحجاج

---

(١) طه ندا: الحضارة الإسلامية، ص١٦٨.

(٢) بيبرس المنصورى: التحفة، ص٩٥؛ ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص١٥٦.

(٣) بيبرس الدوادار: زبدة الفكرة، ص٢٠٢؛ شيرين بيانى: مرجع سابق، ص٥٣٠.

والأوقاف[1] وكانت كل الأبنية التى شيدها أحمد تكودار تأخذ الطراز الإسلامى فى هندستها المعمارية وزخرفتها ولم تظهر عليها المؤثرات المغولية في هذا الوقت المبكر إلا فيما ندر[2].

وكان غازان محمود فى مقدمة السلاطين الذين يميلون إلى التشييد والتعمير، فقد شق الأنهار وأقام على ضفافها الأبنية الكبيرة، وبنى الجسور لربط الطرق وتسهيل المرور وكذلك أنشأ الحدائق والبساتين والحمامات وبنى المساجد العديدة فى المدن والقرى وأوقف الأوقاف الكثيرة على مبنى الحرم، وأوقف الأوقاف أيضًا للإنفاق على الفقراء والمساكين، كذلك شيد المستشفيات لعلاج المرضى، كما بنى المدارس والمطاعم وغير ذلك من المبانى ذات النفع العام مثل مدينة (الربع الرشيدى) ولم يكتف غازان بهذا، بل أنه حث الأهالى أيضًا على البناء والتشييد، فسارع الأمراء والوزراء والأثرياء فى المساهمة بنصيبهم فى هذه الحركة العمرانية الواسعة، وقد نالت العاصمة تبريز من عناية غازان حظًا موفورًا من ناحية العمران والبناء وكانت أروع المنشآت وأكثرها فخامة وأدقها صنعًا مقبرته التى أمر بتشييدها لتكون مثوى له فى آخرته وأشرف على بنائها بنفسه[3].

وكل هذه المظاهر المعمارية نابعة من تأثر غازان بالحضارة المعمارية الإسلامية فقبل احتكاكات المغول الخارجية لم تكن لهم أى

---

(١) ابن الفرات: تاريخ بن الفرات، ص٤٤٩؛ القلقشندى: صبح الأعشى، جـ٨، ص٦٧.

(2) David Talbot: Op.Cit., p.126;

صلاح الدين نوار: الطوائف المغولية، ص١٤٢.

(٣) فؤاد الصياد: الشرق الإسلامى، ص٣٣٦؛ عبدالسلام فهمى: الدولة المغولية، ص٢١٣- ٢١٤؛ David: Islam and Islamic, p.3.

اهتمامات في التشييد والبناء إذ كانوا رحلاً يتحركون وراء العشب والكلأ حيثما وجد.

وبنى غازان حول مقبرته مباني عديدة كان أهمها ما شُيد في مدينتي محلة شاه غازان وحي رشيد الدين بالقرب من تبريز واللتان تضمنتا مسجدًا وصومعة ومدرستين: إحداهما للشافعية، والأخرى للحنفية، وأقام مستشفى ومكتبة ومرصدًا، وبالقرب من تلك المباني بنى مدرسة لتدريس علوم الدنيا وقد عين لها المدرسين اللازمين، كما شيد بيت القانون المخصص لحفظ كتب القوانين التي وضعت في عهده وبنى مسكنًا للأطفال وآخر للأشراف والسادة[1] وشيد حوضًا من الماء وزوده بالأواني وكذلك بنى حمامًا وملجأ يسع مائة يتيم يتلون القرآن ويحفظونه، ويُعطون مائة مصحف ويشرف عليهم خمسة من المدرسين ويقوم بالخدمة خمسون من الخدم، وبنى ملجأ للأطفال المشردين وثالثًا للأرامل تنزل فيه خمسمائة أرملة، ولم يقف عطف غازان على الإنسان فحسب بل شمل أيضًا الحيوان، إذ أمر بإعداد مكان خاص، ووضع فيه قدرًا كافيًا من الحبوب تستطيع الطيور أن تحصل على قوتها مدة الأشهر الستة الباردة، كذلك حث غازان السكان على تعمير الخرائب أينما وجدت، وكان يرى أن تعمير هذه الخرائب، إنما يتيسر بالعزم والمال وتعاون الناس جميعًا[2].

من خلال ما سبق نخرج بعدة نتائج وهي: أن الإسلام قضى على الهمجية المغولية وبات المغولي الذي كان كل ما يشغله حصد الأرواح،

---

(١) البدليسي: الشرفنامة، جـ٢، ص١٦؛ القزويني: نزهة القلوب، ص٩١؛ فؤاد الصياد: الشرق الإسلامي، ص٣٣٧.

(٢) كاترمير: مصدر سابق، م٢، جـ١، ص٢٣؛ فؤاد الصياد: الشرق الإسلامي، ص٣٣٨.

يتبدل حاله بعد الإسلام إلى شخص يحاول توفير حياة كريمة للجميع قوامها العدالة الاجتماعية التى تستمد بنودها من الشريعة الإسلامية.

واللافت للنظر أن المغول الذين وضعوا المصاحف في مزاود وقدموها للخيول عند اجتياحهم الشرق الإسلامى، إذا بهم وبعد فترة يعتنقون الإسلام ويشيدون دورًا لتحفيظ القرآن ويوزعون على الأطفال المصاحف ويشرف المدرسون على الحفظ ويأتون بالخدم لخدمة الطلاب الذين يحفظون القرآن فصدق الله العظيم: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} (١).

ويتضح أيضًا مما سبق أن غازان محمود يعد من أوائل من سعوا لتوفير احتياجات الطيور والحيوانات التى شغلت حيزًا من اهتماماته وبذلك يعد من أوائل مؤسسى جمعيات الرفق بالحيوان التى ظهرت حديثًا فهكذا أضحى إيلخانات مغول فارس يوفرون المأكل والمشرب للطيور والحيوانات أثناء أشهر السنة الباردة حتى لا تهلك الطيور وفى ذلك دلالة على ما فعله الإسلام بهم وما أحدثه من تغيرات فى اتجاهاتهم واهتماماتهم وترقيق قلوبهم.

كذلك يعد غازان صاحب تفكير متميز سبق به عصره فهو من أوائل من شيدوا دور الرعاية الاجتماعية التى شملت الأيتام والمتشردين والأرامل وأحسن إليهم وقدم لهم الرعاية المطلوبة ووفر لهم المعيشة الكريمة واللافت للنظر أنه فصل الأيتام عن المتشردين حتى لا يفسد الأطفال بعضهم بعضًا وكثير من المجتمعات الحديثة تحتاج غازان محمود كى يشرف لها على رعاية هذه الدور التى افتقدت للكثير من مظاهر الرحمة والعطف، ولم تقم بالدور المتوقع منها القيام به على أكمل وجه.

---

(١) سورة الحجر: آية ٩.

وعندما اعتلى محمد خدابنده (أولجايتو) عرش دولة مغول فارس صار على نهج غازان محمود من حيث الاهتمام بالأبنية الدينية من مساجد وجوامع وأوقاف ومستشفيات ثم شرع فى بناء مدينة خاصة به يتخذها عاصمة لدولته وكان ذلك عام ٧٠٤هـ/ ١٣٠٤م. وسماها السلطانية، وقام المهندسون والبناءون بعمليات البناء وكان الإنفاق على البناء يأتى من جمع الأموال من الولايات المختلفة، واستمر العمل بهذه المدينة لمدة عشرة سنوات حيث انتهى بناؤها عام ٧١٣هـ/ ١٣١٣م[١].

وكانت السمة الغالبة على هذه المساجد التى بناها المغول إنشاؤها على الطراز الإسلامى، ولكن ظهرت فيها مسحة من المؤثرات الصينية والألوان المغولية وهذه الأشياء نقلها المغول إلى المنشآت المعمارية الإسلامية[٢] وكذلك ظهرت المآذن الطويلة الرائعة مزينة ببلاط ملون كانت تمثل الهندسة المعمارية فى ذلك الوقت ويظهر عليها الروح المغولية فى بعض الزخارف الهندسية[٣].

وظهر للمغول فن معمارى خاص بهم مع أنهم لم يبدعوا فى أى عنصر فى هذا الفن الخاص ولكن قام هذا الفن على مزج مختلف فنون الأمم التى خضعت لحكمهم ونقلوا عنها مظاهر عديدة فى البناء والتشييد[٤].

---

(١) عبدالمحمد آيتى: مصدر سابق، ص٢٧٧؛ رشيد الدين الهمذانى: الإيلخانيون (تاريخ هولاكو) المجلد الثانى، جـ١، ص١٨٥؛ ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٤، ص٤٠٣.

(٢) الحرانى: جامع الفنون، أمم المجوس، ص١٤٧؛ تشانغ تش تشنغ: المسلمون فى شانغهاى، ص١١٢.

(3) David Talbot: Op.Cit., p.126.

(٤) غوستاف لوبون: حضارة العرب، ص١٨٥؛ Rebort Irwin: Op.Cit., p.55.

وقد كان أبوسعيد بهادر ميالاً إلى التشييد والتعمير وأقام العديد من المساجد والمدارس فى أنحاء مملكته وظهرت معظم الأبنية فى عهد وزيره تاج الدين على شاه الجيلانى فأقام أبنية رفيعة من مدارس وخوانق وأربطة وأوقف عليها أوقافًا كثيرة وطيبة(١).

إجمالاً فإن أبرز ما ميز المنشآت المعمارية المغولية بفارس أنها نقلت عن العمارة الإسلامية كل عناصرها وزخرفها وألوانها، وما أضافه المغول كان عبارة عن بعض الزخارف أخذوها عن أهل الصين ومنها على سبيل المثال الجدران الحمراء والأسقف الذهبية(٢) وقد شُهد لأهل الصين بأنهم من أمهر أهل الأرض فى النقوش والصناعات والزخارف والفنون(٣)، وكانت أشهر الأبنية التى شيدها المغول القصور مثل قصر مدينة (كامباليث) بالصين والذي يعد عجيبة لا يمكن أن تضاهيها عجيبة أخرى من حيث الفخامة والبهاء فمدخله يرتفع نحو قدمين عن سطح الأرض وتحيط به الأسوار التى تتخللها البوابات وينتشر داخله عدد أربعة وعشرين عمودًا طليت بالذهب. أما الحوائط فمغطاة بجلود مصبوغة بلون أحمر قيل إنها كانت من أفخر أنواع الجلود فى العالم وفى وسط القصر يرتكز حوض كبير من الذهب ضخم بارتفاع قدمين هو بمثابة القاعدة وتتدلى من أطراف الحوض لآلئ نفيسة ذات حجم كبير وثعابين من ذهب(٤).

---

(١) خواندمير: دستور الوزراء، ص٣٧٨.

(2) Elpopla: Tibet, p.115.

(٣) المسعودى: مروج الذهب، المجلد الأول، ص١٤٠.

(٤) ماركوبولو: مصدر سابق، جـ٢، ص١٤٠؛ على أحمد السيد: مشاهدات، ص٥٧.

وكذلك شيد المغول العديد من المدن فى أماكن متميزة وفى وسط هذه المدن أقاموا الصروح وهى غاية فى العظمة وكانت أعمدتها وأرضياتها كلها من الرخام والمرمر وتميزت بالأناقة والروعة والنظافة والجمال، وقُسمت إلى أربعة أقسام تفصل بين كل قسم مسافة كبيرة وكان القسم الخارجى للبلاط والتشريفات، والقسم الداخلى لجلوس الأمراء الذين يجتمعون كل صباح، والثالث للحرس، والرابع للخاصة ويقيم الإيلخان فى ذلك القصر طيلة فصل الشتاء[١]. ومن أشهر هذه المدن مدينة (قتلغ باليغ) التى بناها كيخاتوخان بفارس على ضفاف نهر كر، وكذلك مدينة (الإسلام) التى أسسها غازان بجوار تبريز هذا بجانب إصلاحه للعديد من المدن المتهدمة، بالإضافة إلى بناء مدينة السلطانية التى شرع أولجايتو فى تشييدها منذ عام ٧٠٤هـ/ ١٣٠٤م[٢].

وقد اهتم المغول أيضًا بتشييد الجوامع والمساجد والمستشفيات والأوقاف والمدارس التى تقوم بتدريس المذاهب الدينية وكان أشهر هذه الأبنية (حكر أحمد تكودار) بفارس وكذلك (الربع الرشيدى) و (محلة شاه) شرق تبريز اللذان قام بتشييدهما غازان محمود وتضمنا مدرستين أحدهما للشافعية وأخرى للحنفية ومستشفى ومكتبة ومرصدًا ومساجد[٣] وعلى جانبى الطرق أنشئت القرى والحوانيت فبذلك أصبحت معظم الطرق عامرة[٤].

---

(١) رشيد الدين الهمذانى: خلفاء جنكيزخان، المجلد الأول، ص٢٧١- ٢٧٢.

(٢) رشيد الدين الهمذانى: تاريخ أبناء هولاكو، المجلد الثانى، جـ٢، ١٨٠؛ فؤاد الصياد: الشرق الإسلامى، ص٣٣٦- ٣٥١.

(3) David: Islam and Islamic, p.5;

فؤاد الصياد: الشرق الإسلامى، ص٣٣٦- ٣٣٧.

(٤) رشيد الدين الهمذانى: خلفاء جنكيزخان، المجلد الأول، ص٢٧٣.

على ضوء ما سبق يتبين أن المؤثرات الصينية ظهرت فى معظم قصور ومدن المغول، ولكن المؤثرات الإسلامية كان ظهورها واضحًا بشكل كبير فى الأبنية الدينية كالمساجد والجوامع والمدارس والمستشفيات وبعض المدن التى بناها المغول فى فارس مثل مدينة السلطانية التى بناها محمد خدابنده، ولم يقتصر التأثير الإسلامى على ذلك بل ظهر أيضًا فى بعض قصور المغول ولاسيما التقسيمات الهندسية والزخرفة والألوان، ففى تلك الآونة صارت جميع أبنية دولة مغول فارس تصطبغ بالصبغة المعمارية الإسلامية، وبعض التشكيلات الصينية.

أما عن أثر الاتصال الإيلخانى المملوكى على النظم الدينية لمغول فارس فيبدو ذلك واضحًا من خلال الهجرات المغولية إلى مصر وخاصة بعد هزيمة المغول فى معركة عين جالوت ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م فأحسن المماليك بمصر استقبالهم ودعوهم إلى الإسلام، وبالفعل أعلنوا إسلامهم وخضوعهم وكانوا حوالى ألف نفس منهم عددٌ من أمراء وأعيان المغول، وقد طاب لهم المقام فى مصر ورتب لهم السلطان المملوكى الظاهر بيبرس الاقطاعات والطبلخانات فضلاً عن الهبات والخلع، وعندما فر الأمير المغولى شمس الدين بهادر من فارس بعد اكتشاف أمره من قبل دولة مغول فارس، حيث كان يراسل بيبرس سرًا، ولجأ هذا الأمير إلى السلطان المملوكى بيبرس فأحسن إليه وأعطاه إمرة عشرين فارسًا فى الديار المصرية[1].

ويتجلى التأثير المملوكى واضحًا أيضًا عندما حدث اتصال بين السلطان أبى سعيد بهادر حاكم الدولة الإيلخانية بفارس والسلطان

---

(١) بيبرس الدوادار: التحفة، ص٧٨؛ صبحى عبدالمنعم: المغول والمماليك، ص٨٠؛
فايد حماد: الجهاد الإسلامى، ص٣٣٨.

المملوكى الناصر محمد بن قلاوون فتم الاتفاق فيما بينهم على تحريم الخمر وإغلاق الحانات وقتل من وجد عنده الخمر، وإبطال بيوت الفواحش وإبعاد أرباب الملاهى، وهدم عدة كنائس ورفع شهادة الإسلام ونشر العدل وتعمير المساجد والجوامع(١).

وكذلك تأثر السلطان أبوسعيد بهادر بسياسة السلطان المملوكى الناصر محمد بن قلاوون تجاه أهل الذمة، فقام أبوسعيد فى بغداد عام ٧٣٤هـ/ ١٣٣٤م بإلزام أهل الذمة بارتداء علامات مميزة وملابس خاصة فلبس النصارى العمائم الزرقاء ولبس اليهود العمائم الصفراء ((وورد الخبر على السلطان من بغداد بأن صاحبها أمر النصارى بلبس العمائم الزرق واليهود الصفر اقتداءً بالسلطان الملك الناصر بهذه السنة الحسنة))(٢).

وقد أسفرت فترات التصالح بين مغول فارس والمماليك عن الاتصالات المتبادلة بين الطرفين والرواج التجارى وانجذاب أعداد كبيرة من مغول إيران إلى مصر والإقامة بها لما وجدوه من ترحيب وترغيب وكان لهذه الأمور فضلها فى نشر المذهب السنى بين المغول الموجودين فى مصر وانتقاله إلى فارس عن طريق التجار والسفارات المتبادلة بين الدولتين ولاسيما فى الفترة التى تشيع فيها السلطان محمد خدابنده فنشط المماليك وتحركوا لنصرة المذهب السنى(٣).

وقد تميز العصر المملوكى بالمنشآت المعمارية ذات التجديد وإعادة بناء المبانى المتهدمة وكذلك بناء عمائر ومساجد وقباب ومدافن

---

(١) صبحى عبدالمنعم: المغول والمماليك، ص٨٥.

(٢) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ٩، ص٨٦.

(3) Leonard Helfgott: A Cultural History of Islamic Textiles, Vol. 104, No 5, U. S. A., pp.1632- 1633; David: Islam and Islamic, p.6.

وقلاع هذا بجانب التفوق فى دراسة علم الفلك من خسوف القمر وكسوف الشمس والعواصف والبرق والرعد وسقوط الأمطار والبرد والثلج فى تلك الآونة كان المماليك حماة الخلافة الإسلامية المتمتعين ببيعتها(١).

ونتج عن اتصال مغول فارس بالمماليك فى مصر أن نقلوا عنهم نهضتهم المعمارية، فتميزت أبنية المغول الدينية بعد احتكاكهم بالمماليك فى مصر بوجود المساجد والخانقاوات والوكالات المخصصة للتجار لعرض بضاعتهم فيها وكانت كل هذه الأبنية تحمل الطابع والطراز المعمارى المملوكى ومنها جامع غازان بتبريز ومدينة السلطانية والربع الرشيدى(٢).

وظهر أثر المماليك أيضًا فى المعمار المغولى بسبب استعانة مغول فارس بالمهندسين والفنانين والصناع والمهنيين والمهرة من المماليك من أجل أن يشيدوا لهم مبانيهم فخرجت المبانى فى تلك الفترة تحمل الطابع الإسلامى المملوكى لأن معظم القائمين عليها من المماليك حتى ما خص المغول فى تلك الفترة من ألوان فنية خرجت فى معظمها بأصابع إسلامية مملوكية(٣) هذا بجانب استعانة المماليك ببعض المغول الموجودين بمصر للعمل فى النشاط المعمارى مما أدى إلى تزايد العمائر ولا سيما فى حى باب اللوق والأحياء المجاورة له وأسفر ذلك عن تعلم المغول هذه الفنون المعمارية لعملهم بها(٤).

---

(١) ابن طولون: مفاكهة الخلان، ص٢٠؛ ابن تغرى بردى: حوادث الدهر، ص١١.

(٢) صلاح نوار: الطوائف المغولية، ص١٤٢- ١٤٣؛

Rockhil: A History, p.563.

(3) David Talbot: Op.Cit., p.13.

(٤) حمدى حافظ: الدولة الخوارزمية، ص٢٤٣.

وقد كان أكثر أمراء المغول نشاطًا في النهضة العمرانية المملوكية الأمير سيف الدين قوصون المغولي الوافد من بلاد بركة خان إلى مصر بصحبة خواند الأميرة المغولية التي تزوجها الناصر محمد بن قلاوون وينسب إليه أبنية عديدة بمصر منها الجامع الذي أقامه خارج باب زويلة عام ٧٣٠هـ/ ١٣٢٩م وأطلق عليه جامع قوصون، بالإضافة إلى الخانقاه داخل باب القرافة وأنشأ بجوار مسجده حمامًا عُرف باسمه وبنى قصر قوصون بجوار مدرسة السلطان حسن هذا بجانب الوكالات التي أنشأها بما فيها من فنادق وخانات(١).

وإبان عهد غازان زاد الاهتمام بالمنشآت المعمارية فقد كان غازان محبًا للتعمير ومولعًا به وحث الناس على الاهتمام به واستعان بمهرة الحرفيين المسلمين في هذا الشأن وأقام المساجد والحمامات وبعض القصور وانتشرت المساجد في جميع القرى التي تضمنتها بلاده وكان معظمها على الطرز المملوكية والإيرانية الإسلامية مع إدخال بعض لمسات الزخرفة المغولية وأضحى هناك تشابه كبير بين ما يشيد في مصر والشام تحت رعاية المماليك وبين ما يشيد في فارس تحت رعاية المغول وظهر ذلك جليًا في مدينة الإسلام قرب تبريز(٢).

وبعد هذا الاحتكاك ظهرت لمغول فارس مجموعة من الرسوم والفنون الدقيقة، والتي نالت إعجاب الشرق والغرب لما لها من مزايا فنية ودقة وإتقان صنعة تحمل مزيجًا من التأثيرات الصينية والإسلامية

---

(١) صلاح نوار: الطوائف المغولية، ١٤٤- ١٤٥؛
Reuven Amitai: Op.Cit., p.93.

(٢) محمود سعيد عمران: المغول والأوربيون، ص٤٢١؛ ديماند: للفنون الإسلامية، ص١٥٨؛ David: Islam and Islamic, p.5.

وظهرت الزخارف الإسلامية فـي فـن المغـول ولاسـيما الأرابيـسك Arabesque ورغم بقاء المدرسة العربية فى إيران فى العصر المغولى فقد ظهرت مدرسة جديدة ذات أسلوب وطراز متميز يجمع بـين الطـابع المغولى والصينى والإسلامى وعرفت باسم المدرسة المغولية وأهـم مـا اهتمت به تصوير الحروب والصراعات التى تُظهر الفروسية والشجاعة وحركات الفر والكر بجانب الصور الحيوانية والنباتية، فلعل من أجمـل المخطوطات المصورة فى المغولية كتاب منافع الحيوان لابن بختيـشوع (المحفوظ فى مجموعة مورجان بنيويورك) وكذا كتاب كليلة ودمنه وجاءا فى مخطوطتين جمعتا فى مرقعة للشاه طهماسب (المحفوظ فـى مكتبـة جامعة اسطنبول) وضمتا الكثير من الرسوم والصور الحيوانية والنباتيـة فى العصر المغولى[١].

وكان محمد خدابنده متأثرًا بالمماليك فى النواحى المعمارية وعلى الأخص الأبنية الدينية وحين بنى مدينة السلطانية[٢]، وقد لوحظ أن عمارة مغول فارس وعمارة المماليك حملت نفس الشكل والمضمون من حيـث الزخارف النباتية بأنواعها والزخـارف الهندسـية وأشـكال المعينـات والأشكال النجمية والخط الكوفى المربع والقباب المضلعة وعنصر العمود المدمج وزخرفته[٣].

---

(١) رتشارد اتجهاوسن: الفن الإسلامى، ص٣٣؛ عبدالحى حبيبى: تُـرك وتَـرك، ص٧٣؛
سعاد ماهر: الفنون الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبـة الأسـرة، القاهرة، ٢٠٠٥، ص٣٨٠.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٤، ص٤٠٣.

(٣) جمال عبدالرحيم: التأثيرات المتبادلة، ص٣٥٩.

أما عن مراسم وطقوس الدفن فى الدولة الإيلخانية بعد تحولها إلى الإسلام فقد تغيرت فعلى الرغم من أن الإيلخانيين الأوائل طبقوا مراسم الآباء والأجداد عند دفن موتاهم والتى جاءوا بها إلى أراضيهم الجديدة فى إيران والعراق، إلا أننا نجد أن البقية من خاناتهم قد اعتنقوا الدين الإسلامى وطبقوا تعاليمه من الغسل إلى التكفين حتى طريقة دفن الموتى ونظام المقبرة أضحت كما كان عليه حال المسلمين آنذاك ولم يعد مكان المقبرة سرًا لا يعرفه أحد[1].

وقد كان أرغون خان (٦٨٣ - ٦٩٠هـ/ ١٢٨٤ - ١٢٩١م) الحاكم الإيلخانى على غير دين الإسلام فعند موته جرت له مراسم الدفن المغولية المعتادة ولكن بعد فترة اعتنقت ابنته (أولجتاى خاتون) الإسلام فقامت بإماطة اللثام عن مكان ضريح والدها، فأقامت عنده منزلاً يتعبد فيه الدراويش، كما قامت بإنشاء مستوطنة هناك لتعمير المنطقة المحيطة بضريح والدها[2].

غاية القول إن السرية والتكتم والتأمين التى أحاطت أماكن الدفن وطقوس التطهير بالنار لأهل وأقارب المتوفى من قبل الكاهن لم تعد موجودة فزالت وحلت محلها التعاليم الإسلامية وصار الحكام المسلمون المغول يدفنون موتاهم على الطريقة الإسلامية، وأضحت طريقة الأباء والأجداد على حسب العادة المغولية القديمة غير موجودة فى مجتمع المغول الإسلامى الجديد.

وهكذا تغلغلت الحضارة الإسلامية بداخل كيان المجتمع المغولى وأبدلت عادات وتقاليد الجاهلية بالمبادئ الإسلامية ومردود ذلك إلى

---

(١) سعد الغامدى: المغول بيئتهم الطبيعية، ص١٨٦.

(٢) نفسه، ص١٨٨.

معيشة المغول فى الممالك الإسلامية ذات مظاهر العظمة والأبهة والخيرات التى لا تحصى ولا تعد، فلم يجد المغول أمامهم بدًّا من أن ينقلوا معظم مظاهر الحضارة الإسلامية[1].

وقد اعتبر غازان محمود أول خان مغولى فى دولة فارس يدفن فى مقبرة ظاهرة ذات شاهد يدل عليها وكان قبل موته عام ٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م قد أوصى بذلك وبنى ضريحه ذا الشاهد الذى سيدفن فيه بعد موته متأثرًا بالمقابر الموجودة آنذاك وبالفعل نفذوا له وصيته ودفن فى مقبرته الظاهرة [2].

وهكذا اكتملت المظاهر والتقاليد الإسلامية فى حياة المغول وسلاطينهم فى إيران وآسيا الصغرى والعراق، وانتهى الأمر باندماجهم فى أهالى هذه البلاد وتخلوا عن لسانهم المغولى إلى اللسان التركى والفارسى والعربى وأصبحوا يكونون مع الإيرانيين وأهل آسيا الصغرى أحد شعوب العالم الإسلامى وبذلك تحقق للإسلام نصرٌ مؤزرٌ على مغول إيران، أما البوذية فقد انتهى نفوذها نهائيًا فى إيران وفقدت المسيحية النسطورية كل قوتها وتحول غالبية معتنقيها إلى الإسلام وانسلت البقية الباقية منهم إلى المناطق الجبلية فى أعالى نهر دجلة واستقروا فى أرمينيا ولم يتأخر هذا الانتصار الرائع الذى حققه الإسلام على مغول إيران أحفاد هولاكو وجنكيزخان أكثر من ثمانية وثلاثين عامًا بعد قضاء هولاكو على الخلافة العباسية فى بغداد عام ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م، وتحولت النظم الاجتماعية والدينية لمغول فارس إلى التشبع بكل جوانب ومظاهر الحياة الإسلامية[3].

---

(١) الظاهرى: زبدة كشف الممالك، ص١٣٣.

(٢) القزوينى: تاريخ كَزيده، مجلد أول، ص٦٠٦؛ عباس العزاوى: حكومة المغول، ص٣٩٧.

(٣) رجب محمد عبدالحليم: مرجع سابق، ص٢٢٦؛
Rockhill: The Mongol, Op.Cit., p.50.

وهكذا ذابت دولة مغول فارس داخل بوتقة الحضارة الإسلامية وأخذت تنهل من هذه الحضارة وتستزيد حتى تحسنت سلوكياتهم وتخلوا عن بربريتهم وهمجيتهم وأضحى بعدما أطلقنا عليهم أصحاب حضارة يشوبها النقصان أو أصحاب أنصاف حضارة، يجتهدون فى التشبث والتمسك بمظاهر الحضارة الإسلامية وكل تعاليم الإسلام حتى صاروا جزءًا من الحضارة الإسلامية، يحملون لواءها ويدافعون عنها.

واللافت للنظر أن الإسلام كما أثر فى المغول وغير وبدل أنظمتهم القديمة بأنظمة جديدة، فقد ترك المغول كذلك أثرًا فى المجتمع الإسلامى، وعلى الرغم من أن التأثيرات الإسلامية كانت أشمل وأعم إلا أن هذا لا ينفى وجود تأثيرات مغولية على المجتمع الإسلامى حينئذ.

خامساً: أبرز مظاهر التأثيرات المغولية على المجتمع الإسلامي:

عادة ما يعقب الغزوات الكبرى فى التاريخ فترة من الزمن تنتقل فيها حضارة الغالب إلى حضارة المغلوب ثم يحدث أن تتقابل الحضارتان وتؤثر إحداهما فى الأخرى وتتأثر بها فتظهر حضارة جديدة تكون عبارة عن مزيج من الحضارتين معاً[1]، فصحيح أن حضارة المغلوب وهى الحضارة الإسلامية خالفت القواعد وانتقلت إلى الغالب وهم المغول ولكن هذا لا ينفى وجود تأثيرات مغولية فى عدة مجالات أثرت فى المجتمع الإسلامى بالمشرق آنذاك.

فقد كانت غارات المغول كارثة كبرى، أصابت المجتمع الإسلامى فى الصميم إلا أن الخير كمن فى باطن الشر وأدت هذه الغارات إلى إحداث حراك بين الشعوب وأيقظت الدول من سباتها وجددت نشاطها، وعملت على تحطيم الحواجز والسدود بين مختلف الأقاليم والممالك[2].

فمن أبر المؤثرات الإيجابية للمغول:-

١- توحيد كل ممالك آسيا ذات الحضارات من ساحل المحيط الهادى وحتى البحر المتوسط فى ظل حكومة واحدة ونظام إدارى واحد.

٢- تأمين الطرق وإزالة الحواجز التى حالت من قبل دون اتساع العلاقات التجارية وذلك بسبب الشقاق والعداء بين دول المنطقة، وقد أدى ذلك إلى انتعاش التجارة والتبادل التجارى

---

(١) حمدى حافظ: الدولة الخوارزمية، ص٢٦٢؛
Reuven: Islam and Mongol, p.107.

(٢) صبحى عبدالمنعم: المغول والمماليك، ص٧٩؛
Hung William: Op.Cit., p.450.

بين آسيا الشرقية والغربية من ناحية وآسيا وأوروبا من ناحية أخرى.

٣- إيجاد علاقات سياسية بين آسيا وأوروبا وتبادل السفراء بين خانات المغول وملوك دول أوروبا المسيحية.

٤- إيجاد اتصال بين أهل العلم من الصينيين والأويغوريين والبوذيين والفرس والعرب والأوربيين وامتزاج أفكارهم ومعلوماتهم وانتشار التصوير الصينى.

٥- انتشار اللغة الفارسية فى ممالك آسيا الشرقية وارتفاع شأنها، وعلو نجم الوزراء والحكماء الفرس فى الممالك غير المسلمة الخاضعة للمغول ودخولهم فى إدارات الصين، وانتشار الدين الإسلامى فى تلك البلاد[١].

أما عن التأثيرات الاجتماعية للمغول فى المجتمع الإسلامى فتبدو جلية واضحة فيما ظهر آنذاك من أطعمة وأشربة لم تكن معروفة من قبل وعلى الأخص ما انتشر فى مصر مع الهجرات المغولية إليها، ونقلها الظاهر بيبرس الذى صار فى معظم أحكامه على قواعد ملوك المغول فى التنظيم والحكم والإدارة[٢] وكانت أبرز الأطعمة التى عرفها المجتمع الإسلامى عن المغول واستحسنها وبدأ يقبل على طهيها وأكلها لحوم الخيل، فامتلأت بهذه اللحوم الموائد الإسلامية فى المناسبات المختلفة من

---

(١) عباس إقبال: تاريخ المغول، ص١٣٥- ١٣٦؛
Reuven AMitai: Ghazan, Islam and Mongol Tradition, A view form the Mamluk Sultanate, University of London, Vol. 59, 1996, pp.9- 10.

(٢) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ٧، ص١٦٢.

أفراح وحفلات وغيرها، ولم تكن هذه الظاهرة منتشرة في العصور الإسلامية السابقة ولاسيما قبل مقدم المغول(١)، وكان لحم الخيل هو الطعام الرئيسي المفضل لدى المغول، كما أكد ابن بطوطة أثناء رحلته في بلاد الأوزبك وشرق أوروبا(٢).

ويبدو أن التأثير المغولي على المجتمع الإسلامي لم يقتصر فقط على بعض الأطعمة المغولية بل امتد ليشمل صناعة بعض أنواع من الخمور ولا سيما المصنوعة من لبن الخيل والتي أقبل سلاطين وأمراء المماليك على تناولها في المناسبات وغير المناسبات(٣)، وقد عُرف هذا الشراب باسم القُمز ولكنه اشتهر باسم الكوزموس وهو لبن مخمر ممتاز ومنشط إلا أنه ذو مذاق لاذع وله طعم كطعم الخل ويحدث عند شرابه نشوة روحية وعقلية ويعد من أفضل الأشربة المفضلة عند المغول ولا غنى لمغولي عن تناوله، فانتقل هذا الشراب إلى بلاد فارس(٤)، وعرفه المماليك في مصر والشام من خلال الهجرات المغولية إلى مصر والتوطن والإقامة بها فقد بنى لهم الظاهر بيبرس حيًا كاملاً بمساكنه في منطقة اللوق أو باب اللوق(٥).

كذلك كان للمغول دور كبير فيما شاع في ذلك العصر من ملابس جديدة على المجتمع الإسلامي سواء ما كان خاصًا بالنساء أو الرجال،

---

(١) محمود محمد زيادة: مجتمعات إسلامية، ص١٢١؛ صبحي عبدالمنعم: المغول والمماليك، ص٨٣.

(٢) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص٣٣٩- ٣٤١.

(٣) صلاح نوار: الطوائف المغولية، ص١٢٠؛
Rockhill, Jackson: Op.Cit., p.48.

(٤) سعد الغامدي: جوانب من حياة المغول، ص١٣٩- ١٤٠.

(٥) المقريزي: الخطط، جـ٢، ص١١٧- ١١٨.

ويؤكد ذلك ما ذكرته المصادر التاريخية عن الأمير سيف الدين أرغون شاه الناصرى الذى أتى من بلاد أبى سعيد بهادر وتولى رأس نوبة الحمدارية للسلطان المملوكى الناصر محمد بن قلاوون فقد كان يقترح فى الملابس أشكالاً غريبة ويعمل بيده منها صنائع عجيبة[١].

وامتد تأثير الأزياء المغولية إلى ملابس المماليك من رجال ونساء خاصة فى المناسبات والاحتفالات الدينية أو الاجتماعية الأخرى، وهناك رواية متأخرة قليلاً ترجع إلى عام ٩١٢هـ/ ١٥٠٦م فى عهد السلطان الأشرف قنصوه الغورى فى عصر المماليك الجراكسة، تشير إلى أن طوائف الغلمان الأوجاقية (الأوشاقية) قد ساروا فى موكب شعبى بصحبة الوزير من القلعة فى إحدى المناسبات وهم يرتدون المعاطف أو الأقبية المغولية المصنوعة من الحرير الأصفر وفى ذلك دلالة على أن الأزياء المغولية انتشرت بين المماليك، وظلت متواجدة حتى عصر متأخر وهو عصر المماليك الجراكسة، أى إن هذه المؤثرات وُجدت على عهد دولة المماليك البحرية وظلت كذلك فى عصر المماليك الجراكسة[٢] وقد بلغ من انتشار العادات المغولية فى الأزياء والملابس أن ظهر العديد من أمراء المجتمع الإسلامى فى زى أمراء المغول وهم يركبون (الأكاديش) [٣] تشبهًا بأمراء المغول ويستخدمون نفس مصطلحات وأسماء الملابس المغولية[٤].

---

(١) صبحى عبدالمنعم: المغول والمماليك، ص٨٤؛
Rcuven: Islam and Mongol, pp.55, 57.

(٢) صلاح نوار: الطوائف المغولية، ص١٢٣.

(٣) **الأكاديش**: جمع إكديش وهو لفظ فارسى الأصل معناه:- الحيوان الذى يكون أبوه من جنس آخر مثل (البغل). راجع: محمود محمد زيادة: مجتمعات إسلامية، ص١٢٠.

(٤) محمود محمد زيادة: المرجع السابق، ص١٢٠.

وكانت هذه فرصة سانحة لإثراء الأقمشة والأزياء المملوكية وإدخال بعض الطرز والتصميمات عليها كما حدث بالنسبة (للأقبية) المعاطف المغولية التى استخدمها المسلمون فصار لهذه الأقبية كمرات تلف الصدر من اليسار إلى اليمين، ويصنع من الصوف أو الحرير، بأشرطة باللونين الأحمر والأزرق، وله أكمام ضيقة، كما اهتم مغول فارس بزخارف المنسوجات وحرص خاناتهم على نقش أسمائهم على قطع النسيج وقد قام الإيلخان أبوسعيد بنقش ألقاب السلطان المملوكى الناصر محمد بن قلاوون على سبعمائة شقة من القماش وقام بإهدائها إليه مع هدايا أخرى عام ٧٢٤هـ/ ١٣٢٤م(١).

وكانت أبرز الملابس المغولية التى نقلها عنهم المجتمع الإسلامى (السلارى) أو (السلارية) وهو أحد الأردية الفوقانية ذات الأكمام الضيقة والمصنعة من خامات متنوعة مثل القطن البعلبكى وفراء السنجاب الرمادى، وكانت ألوان هذه الملابس مختلفة أشهرها الأحمر والأزرق وتُحلى بزخارف فخمة تنثر عليها اللآلى والأحجار الكريمة(٢).

مما سلف يتبين أن المجتمع الإسلامى قد نقل عن المغول بعض أنواع المأكل والمشرب والملابس ولكن ما أخذه المجتمع الإسلامى عنهم كان قليلاً ومردود ذلك إلى أن أطعمة المغول وملابسهم كانت بسيطة وتناسب حياتهم الأولى البدائية وكانت تتخذ من أصواف الغنم ووبر الجمال وجلود الحيوانات وبعد احتكاكهم بالصين صاروا يلبسون الحرير

---

(١) صبحى عبدالمنعم: مرجع سابق، ص٨٤- ٨٥؛ ديماند: الفنون الإسلامية، ص٢٦٤.

(٢) ابن تغرى بردى: الدليل الشافى على المنهل الصافى، جـ٢، ص٣١٤- ٣١٦؛ Jin Jones: Op.Cit., p.23.

والفراء الثمين، لذلك نقل عنهم المسلمون ما استحسنوه ووجدوا فيه غرابة وجمالاً وهذا سبب قلة النقل عنهم فى هذا المجال.

وقد انتشرت الأسماء والألقاب المغولية بين بعض أفراد المجتمع الإسلامى مثل اسم نائب السلطان محمد بن قلاوون الذى كان يدعى أرغون[١] وكانت الأسماء والألقاب عبارة عن أسماء لأشياء أو حيوانات أو صفات فى اللغات المغولية ومنها على سبيل المثال (طوغان) وهو لقب مغولى تركى معناه (الصقر)، (بكتمر) ومعناه (الأمير الجديد)، (وسلار) ومعناه (المهاجم)، (وأوزبك) ومعناه (النبيل)، ولقب (بهادر) وهو لقب مغولى معناه (مبارز أو شجاع)[٢].

وهكذا انتشرت بعض الأسماء والألقاب المغولية وسط أفراد المجتمع الإسلامى فكما نقل المغول عن المسلمين أسماءهم مثل زينب وخديجة وعائشة وأحمد ومحمود وأبى سعيد نقل أيضًا المسلمون عن المغول أسماءهم فكانت التبادلات مشتركة بين الطرفين فى هذا المجال.

ومن الألقاب العسكرية المغولية التى لا تزال شائعة ومستخدمة فى البلاد العربية والفارسية والتركية وأغلب البلدان التى غزاها المغول واستقروا فيها لقب (بكباشى) وهو قائد الألف ولقب (يوزباشى) وهو قائد المائة ولقب (أونباشى) وهو قائد العشرة[٣].

أما عن أبرز العادات والتقاليد التى نقلها المجتمع الإسلامى عن المغول فكانت فى مجال الرياضة ومنها لعبة القبق وهى عبارة عن خشبه

---

(١) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ٩، ص٥٣.

(٢) صلاح نوار، الطوائف المغولية، ص٦٩- ٧٠؛
Rockhill: A History, Op.Cit., p.5.

(٣) صبرى أبو الخير: مغول القفجاق، ص٦٣.

عالية جدًا تنصب فى براح من الأرض، ويعمل بأعلاها دائرة من خشب ويقف الرماة يرمون السهام فى جوف الدائرة، وكان فى ذلك تمرينٌ على مهارة الرمى[١].

وقد تأثر بعض المماليك بعادة المغول فى حلاقة الشعر ((فقد اعتادوا ترك شعورهم ترسل طويلة بإرخاء ذوائب الشعور))[٢] وظل المماليك يشاركهم بعض الرجال من فارس يستخدمون طريقة المغول فى الحلاقة حتى عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون عام ٧١٥هـ/ ١٣١٥م عندما ذهب لأداء فريضة الحج فحلق شعر رأسه كاملاً وخالف الطريقة المغولية فتبعه العديد ممن كان يسير على النمط المغولى فى الحلاقة[٣].

ولعل من أهم مظاهر التأثير المغولى على المجتمع الإسلامى ظاهرة الزواج من مغوليات سواء كن أميرات أو جوارى ولم يقتصر هذا الأمر على طبقة الأمراء وعامة المجتمع الإسلامى بل أن السلاطين المماليك أقبلوا أيضًا على الزواج من أميرات مغوليات مثلما حدث عام ٧١٦هـ/ ١٣١٦م عندما أراد الناصر محمد بن قلاوون أن يعقد معاهدة مع "أوزبك" خان مغول القفجاق، طلب الناصر فى سفارة أوفدها إلى أوزبك، الزواج من إحدى أميرات بيت جنكيزخان[٤].

ويتجلى التأثير المغولى واضحًا فى ميدان الإصلاح الاجتماعى

---

(١) محمود محمد زيادة: مرجع سابق، ص١٢١؛ Catriona: Op.Cit., p.23.

(٢) المقريزى: السلوك، جـ٢، ص١٤٨.

(3) Jin Jones: Op.Cit., p.14.

(٤) مؤلف مجهول: تاريخ سلاطين المماليك، ص١٩٥- ١٩٩؛ صلاح نوار: الطوائف المغولية، ص١٢٦- ١٢٩.

فى بعض الأوقات ولاسيما إبان حكم أبى سعيد بهادر الذى حرم فى دولته تداول الخمور أو شربها وأغلق بيوت الفواحش وأبطل المكوس التى تجبى من التجارة الواردة إليهم من البلاد الأخرى، وأغلق الحانات واستتابه أهل الفواحش وأوجد لهم أعمالاً يرتزقون منها حتى لا يعودوا إلى المعاصى، فلما علم السلطان المملوكى الناصر محمد بن قلاوون بما فعل أبوسعيد كتب لسائر نواب الشام أن يفعلوا مثلما فعل أبوسعيد بهادر، واجتهد فى تطهير البلاد وإزالة المنكرات منها(١).

ومن العادات التى نقلها المماليك عن المغول استخدام الدروع المعدنية وكانت هذه الدروع مصنوعة إما من المعدن الخالص أو دروع من الجلد مكسوة بصفائح كبيرة من المعدن هذا بجانب الدروع الخشبية وعلى الرغم من معرفة المماليك المسبقة للدروع إلا أنهم نقلوا عن المغول تعدد طرق تصنيعها هذا بجانب استخدام الخوذة المغولية التى تغطى الرأس والوجه بأكمله فيما عدا العينين(٢).

ولا شك أن تواجد المغول داخل بلاد الإسلام وتوافدهم على مصر المملوكية أوجد ضرورة لتعلم اللغة المغولية لمعرفة أوامر الحاكمين ومتطلبات الوافدين والمهاجرين إلى مصر وترجمة نصوص الياسا، وبدأت تظهر موجة أو تيار يدعو لتعلم اللغة المغولية، وظهرت بعض المرادفات المغولية وسط اللغة العربية، مثل طمغة (معناها خاتم) والخاتون (معناها الزوجة)و بهادر ومعناها (شجاع أو قوى)، وهكذا أثرت اللغة المغولية بإضافتها بعض الكلمات الجديدة على اللغة العربية(٣).

---

(١) صبحى عبدالمنعم: مرجع سابق، ص٨٥- ٨٦؛ Jin Jones: Op.Cit., p.61

(٢) صلاح نوار: الطوائف المغولية، ص٨٢- ٨٤؛. Catriona: Op.Cit., p.25

(3) Catriona Macpherson: The Mongols, p.23; Parlnge Oestmon: Welcome to the Realm of the Mongols, Norway, 1998, pp. 14- 15.

ويلاحظ تمسك بعض المغول بعاداتهم القديمة حتى بعد اعتناق دولتهم الإسلام وهذه العادات كانت عند قلة منهم ولكنها أصابت المجتمع الإسلامى بالنفور ومنها أكلهم الخيل المقتولة بالضرب لا بالذبح بمعنى أنهم كانوا لا يذبحون الخيل ذبيحة ولا نحرًا بل يربطون الفرس ويضربونه على وجهه حتى يموت فيأكلونه بما اعتادوا عليه فى بلادهم فأنف الأمراء وعامة المجتمع من الجلوس معهم[١].

وقد تمت الاستفادة من أبناء العناصر المغولية المقيمين بمصر فى ترجمة الكتب الواردة من إيلخانات المغول، بل وإرسالهم أيضًا فى سفارات من قبل المماليك إلى فارس مثل الأمير سيف الدين أيتمش المحمدى الذى أرسله الناصر محمد بن قلاوون فى سفارات عدة إلى الإيلخان أبى سعيد حيث كان يجيد الحديث والكتابة بلغة الإيلخانيين ويعرف آدابهم وبيوتهم ويستحضر تواريخهم ووقائعهم وكان يقوم بنفس العمل أيضًا الأمير سيف الدين طاير بُغا الذى قدم إلى مصر مع رسل الأمير جوبان نائب أبى سعيد عام ٧٢٦هـ/ ١٣٢٦م وكان من أقارب السلطان محمد بن قلاوون ويعيش فى المملكة الإيلخانية متوليًا نيابة (خلاط) ثم جاء إلى مصر وأقام فيها هو وأهله[٢].

وكان لتواجد المغول فى كل من الصين وإيران وروسيا أثره الكبير فى النتاج الأدبى من الشعر والنثر وكتب التاريخ والحوليات الكنسية وقصص وحياة الأمراء والقديسين وخانات المغول التى لا يمكن الاستغناء عنها فى الدراسات المغولية والتى كتبها الأدباء والمؤرخون من المسلمين والمسيحيين على حد سواء بطلب من المغول أو قاموا بأنفسهم

---

(١) صلاح نوار: الطوائف المغولية، ص١٢٢- ١٢٣.

(٢) صبحى عبدالمنعم: مرجع سابق، ص٩٥.

بهذه الكتابات ومنها على سبيل المثال تاريخ جهانكشاى للجوينى وجامع التواريخ الرشيد الدين الهمذانى والحوليات الصينية وغيرها[١] وهذه الكتب حفظت الكثير من التراث المغولى وأوجدت تاريخاً مفصلاً عن حياتهم وإن كانت هناك فترات تاريخية من حياتهم مجهولة ولم تتناولها كتب التاريخ لندرة مادتها العلمية[٢] وأنشد المغول الأدب والمعرفة وألف الهمذانى تاريخ المغول بتكليف من غازان[٣].

أما عن المؤثرات المغولية على نظم الحكم والإدارة بداخل المجتمع الإسلامى، فعندما استقرت أحوال الملك الظاهر بيبرس البندقدارى بعد اعتلائه عرش الدولة المملوكية أراد أن يسلك فى ملكه طريقة جنكيزخان فقام فى عام ٦٦٣هـ/ ١٢٦٤م بترتيب سلطنته على غرار مملكة المغول واستحدث أرباب وظائف كثيرة لم تكن معروفة فى مصر قبل ذلك[٤] ومن هذه الأمور على سبيل المثال:

- استحدث إمارة السلاح ولم تكن معروفة من قبل بمصر وأمير السلاح مسئول عن السلاح وعن أسلحة السلطان فى الحرب.
- أوجد أمير مجلس كان عليه أن يحرص المجلس السلطانى وفراشه ويتحدث مع الأطباء والكحالين.

---

(١) صبرى أبوالخير: مرجع سابق، ص٧٧؛
Parlnge Oestmon: Op.Cit., p.17.

(٢) رشيد الدين الهمذانى: خلفاء جنكيزخان، المجلد الأول، ص١٤٦؛
David Morgan: The Mongols, pp.195- 199.

(٣) رشيد الدين الهمذانى: خلفاء جنكيزخان، المجلد الأول، ص١٤٦؛ كاترمير: مصدر سابق، م٢، جـ١، ص٨١.

(٤) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ٦، ص٢٣٩.

- وهناك أيضًا رأس نوبة النواب وهو من يجلس على مسيرة السلطان ويراعى شئونه وكل احتياجاته.

- أمير آخور، وكان عليه النظر فى الإصْطَبْلُ السلطانى ومعالف الخيول.

- وظيفة نقابة الجيوش وهى تنص على أنه إذا أراد السلطان القبض على أحد الأمراء يكون من خلاله هو بعد تكليفه من قبل السلطان.

- أمير علم يكون على الطبال والزمار[١]، هذا بجانب العديد من الوظائف الأخرى ومعظم هذه الوظائف

نقلها بيبرس عن المغول وكانت في أغلبها مأخوذة من بنود الياسا ونتج عن ذلك تبادل المؤثرات العسكرية والإدارية بين الطرفين وأخذ كل طرف ما ينقصه ويفتقده من الطرف الآخر ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل تعدى إلى الخطط الحربية والتنظيمات والأسلحة الخاصة بالجيش[٢].

أم بالنسبة للنواحى الدينية فقد كان لمغول فارس الفضل الكبير فى انتشار المذهب الحنفى فى إيران عقب تولى الإيلخان أبى سعيد الحكم (٧١٦ - ٧٣٦هـ/ ١٣١٦ - ١٣٣٥م) وتراجع المذهب الشيعى وصار هناك نوع من التوافق المذهبى بين المماليك والمغول بعد عودة المذهب السنى إلى إيران[٣].

غاية القول إن الطرفين الإسلامى والمغولى حاولا أن يستفيدا من

---

(١) ابن اياس: بدائع الزهور، جـ١، ص٣٢٣- ٣٢٤.

(2) Holt: Op.Cit., p.3; شيرين بيانى: مرجع سابق، ص٥٤٦.

(٣) صبحى عبدالمنعم: مرجع سابق، ص١٠٤.

بعضهما البعض فقد نقل الطرف الإسلامى عن المغول بعض الأمور الإدارية والتنظيمية التى برع فيها المغول بشرط أن لا تخالف هذه الأمور الشريعة الإسلامية، وفى المقابل حاول المغول بكل قوة أن ينهلوا من الحضارة الإسلامية ما تستقيم به حياتهم من سلوكيات وأطعمة وأشربة وملابس ومبادئ وتعاليم وقيم وأخلاق وكلها أشياء غابت عنهم رغم حضور التفوق الحربى والتقنية العسكرية.

واللافت للنظر أن المؤثرات المغولية لم تقتصر على النواحى الاجتماعية فقط بل تعدت إلى العملة حيث أدخل المغول عملة جديدة بجانب العملة الذهبية والفضية وهى عملة (الجاو) أى النقود الورقية القرطاسية، وهى التى بدأت تدخل فى التعاملات بديوان تبريز منذ عام ٦٩٣هـ/ ١٢٩٣م ولكنها لم تجد قبولاً أو استحساناً لدى الناس فى تبريز أو العراق فأجبروا على استعمالها من قبل دولة مغول فارس[١].

وقد كان المغول يحبون الأدب والمعرفة والفنون[٢] وكان لذلك مردوده الإيجابى عندما احتلوا الصين حيث بدأوا يتأثرون بكل فنون الصين ونقلوها معهم إلى البلاد الإسلامية وظهر ذلك بوضوح على الزخارف وفى صدق تمثيل للطبيعة ورسم النباتات بدقة تبعد عن الاصطلاحات الوضعية التى كانت موجودة قبل الغزو المغولى كما يتجلى أثر الفن المغولى الصينى فى مراعاة النسب ودقة رسم الأعضاء عند تصوير الحيوانات[٣].

---

(١) عباس العزاوى: حكومة المغول، ص٣٥٨؛ محمد جواد مشكور: دينكرد، ص٤٣.

(٢) رشيد الدين الهمذانى: خلفاء جنكيزخان، المجلد الأول، ص١٤٦.

(٣) حمدى حافظ: الدولة الخوارزمية، ص٢٧٠.

وكذلك ظهر تأثير المغول فى النقوش على الصناعات الخزفية، على الرغم من أن الغزو المغولى قضى على أكبر مراكز الصناعة الخزفية فى إيران بتدمير مدينتى "الرى" عام ٦١٧هـ/ ١٢٢٠م وقاشان عام ٦٢١هـ/ ١٢٢٤م، ولكن الراجح أن صناعة الخزف نفسها لم تتأثر بذلك إلى حد كبير اللهم إلا فى كمية الإنتاج وخير دليل على أن بعض التحف الخزفية الجميلة عليها تواريخ تثبت أنها صُنعت بعد الغزو المغولى وعليها رسومات تعبر عنهم(١).

وكان الجفر على الخشب من ضمن الفنون التى برع فيها المغول وكان الحفر يتم بشكل جميل وتزينه الكتابات والزخارف النباتية والهندسية المتشابكة ونقل عنهم الإيرانيون الكثير من عناصرهم الفنية فى هذا المجال وصارت التركستان الغربية ذات مستوى فنى عالى(٢)، وبعد فترة من الاحتكاك المغولى الإسلامى ظهرت فى مدرسة ما بين النهرين الشرقية الإسلامية بعض المؤثرات المغولية فى رسوماتهم وصناعاتهم وكانت هناك لوحات فنية ومصنوعات تبدو عليها العناصر الفنية المشتركة التى تحمل الطابع المغولى والطابع الإسلامى، هذا بجانب تقدم صناعة الخزف والفخار بسبب الاتصال بالصين ويعزى للمغول الفضل أيضًا فى معرفة المسلمين ببعض صناعات الصين مثل الأباريق التى تتضمن نقوشًا ولها فم قصير ومستقيم ومقبض وعرف المسلمون سر صناعة الورق من الصينيين(٣).

ويعزى للمغول الفضل الأكبر على عدم الاكتراث بتحريم

---

(1) David Talbot: Op.Cit., p.123; حمدى حافظ: المرجع السابق، ص٢٦٩.

(٢) ديماند: الفنون الإسلامية، ص١٢٦.

(3) David Talbot: Op.Cit., p.120; عصام الفقى: دول مستقلة، ص٢٦٦.

التصوير عند الإيرانيين وامتاز فن التصوير عندهم بالدقة ومحاكاة الطبيعة في رسم الحيوان والنبات والصور الآدمية[١].

ومن أبرع ما أدخله العصر المغولى على المجتمع الإسلامى زخرفة العمائر بالزخارف الخزفية والفسيفساء المتعددة الألوان والتي كانت تغطي أسطح العناصر المعمارية المهمة فى العمائر، ولقد بلغت قمة تطور هذه الصناعة فى النصف الثانى من القرن الثامن الهجرى الرابع عشر الميلادى، فتكونت تشكيلات زخرفية ونباتية وهندسية وكتابية بألوان رائعة[٢].

نخلص من ذلك إلى أن المغول أدوا دورًا مهمًا فى الحياة الثقافية فقاموا ببناء المدارس والمساجد والزوايا واشتغل بعضهم بالعلم وبرع فيه، ووردت مجموعة من الجوارى من بلاد مغول إيران كهدايا لأمراء المماليك وسلطانهم وكان لهم دور مؤثر فى الحياة الأدبية والفنية، وأراد مغول فارس بعد اعتناقهم الإسلام أن يكون لهم دورٌ في خدمة الحرمين الشريفين متأثرين بالدور الكبير الذى كان المماليك يقومون به فعملوا على إحداث بعض الإصلاحات هناك[٣].

وقد شهدت العلاقات الثقافية بين المغول والمماليك تفاعلاً مستمرًا وارتباطًا وطيدًا وأخذًا وعطاءً متدفقين، وكان هذا التفاعل المستمر ثمرة جهود طويلة بين الطرفين[٤].

---

(١) زكى محمد حسن: مرجع سابق، ص٣٩- ٤٠؛ محمود وصفى: مرجع سابق، ص٢٨.

(٢) جمال عبدالرحيم: مرجع سابق، ص٣٧؛ بارت: الفن الإسلامى، ص١٨٠.

(3) Catriona: Op.Cit., pp.22- 23;
صبحى عبدالمنعم: مرجع سابق، ص١٠٤- ١٠٥.

(4) Rockhill, Jackson: Op.Cit., p.31; صبحى عبدالمنعم: مرجع سابق، ص١٠٥.

وهكذا وبعد فترة حكم ثمانين عامًا تقريبًا بدأت من عام ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م عندما هاجم هولاكو المشرق الإسلامي وأسقط العديد من الممالك ومنها الحصون الإسماعيلية وآذربيجان والروم والعراق والجزيرة والشام، وعرف عن هولاكو أنه ذو سطوة ومهابة وعقل وحزم ودهاء وخبرة بالحروب وشجاعة ظاهرة وكرم وفرط محبة لعلوم الأوائل رغم كونه لا يفهم معظمها كل هذه الأشياء مجتمعة أهلته لأن يقيم الدولة الإيلخانية بفارس(١).

وقد أتى المغول إلى المشرق الإسلامي ومعهم نظمهم الاجتماعية المتمثلة في عاداتهم وتقاليدهم وطباعهم ومزاياهم وعيوبهم وكل ما يخص مناحي حياتهم وبدأوا يحتكون بالحضارة الإسلامية التي أعطتهم أكثر مما أخذت منهم حتى حولتهم إلى أعلى درجات الرقي الاجتماعي بعدما كانوا على أول السلم الحضاري.

وظل حكام الدولة الإيلخانية بفارس يتقلدون مقاليد الحكم من حاكم لآخر حتى نجح الإسلام في أن يغزو النظم الدينية ويقضي على الفكر الوثني والصراعات البوذية المسيحية من أجل اكتساب المغول، وبالفعل يتحول المغول إلى الإسلام ويعلن غازان محمود الإسلام دينًا رسميًا لدولته المغولية بفارس بداية من عام ٦٩٤هـ/ ١٢٩٤م.

وبعد فترة من الاحتكاك بين المسلمين بحضارتهم والمغول بما نقلوه معهم من البلاد التي غزوها وبما حواه عقلهم من أفكار حضارية وبما تميزوا فيه من تقنية حربية عسكرية، بدأت الدولة الإيلخانية تسير في طريق الزوال والاضمحلال والانهيار، لأن المنطق يفترض أنه بعد الكمال يأتي النقصان.

---

(١) الذهبي: العبر في خبر من غبر، جـ٣، ص٣١١.

وكان آخر خانات دولة مغول فارس هو أبوسعيد بهادر (٧١٦ – ٧٣٦هـ/ ١٣١٦ – ١٣٣٥م) ورغم تميزه فى عدة أمور وشجاعته المفرطة إلا أنه أُخذ عليه أنه كان يهوى حياة اللهو والمجون فطلب المغنيين من بغداد وأخذ عنهم صنعة العود وغيره من آلات الطرب وأجاد فى هذا الفن، وأُخذ عليه أيضًا أنه كان يغنى باجتماع القضاة والملهى لا يفارق مجلسه وتاه فى اللهو وقيل إنه حرم النكاح لفترات[١].

وقد عُرف عن أبى سعيد أنه آخر الإيلخانات الأقوياء فى أسرته ولكنه عندما كان فى آران عام ٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م أصيب بمرض بسبب حرارة الجو، ولم يتخلَ عن هواياته حتى أثناء مرضه فقيل عنه إنه ذو قريحة شعرية حسن الخط وله مصنفات شعرية باللغة العربية[٢]. ولكن الأجل عاجله ولم يطل عمره ووافته المنية فى الثالث عشر من ربيع الآخر عام ٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م فى حدود شروان فحُمل جسده إلى السلطانية ودُفن بالقبة التى بناها بهذه المدينة، ولم يكن لأبى سعيد أولاد ذكور فانفرط عقد الدولة الإيلخانية بوفاته وانقسمت أملاك هذه الدولة بين الأسر المحلية والدول المجاورة مثل الجلائرية والمظفرية وغيرهما[٣].

وأعقب انهيار دولة مغول فارس أن ذاب المغول بداخل البلاد الإسلامية وانصهروا بداخل المجتمع الإسلامى، وتزوجوا منه وتزوج

---

(١) اليوسفى: نزهة الناظر، ص٣٣٥.

(٢) ومن أبرز ما صنف أبوسعيد من أشعار باللغة العربية قوله:

يا من تملك قلبى * يا ساكنا بفؤادى
من بعد بعدك جفنى * لم يكتحل برقاد
هواك أنحل جسمى * يا مالكًا لقيادى
فامنُن علىّ بوصلٍ * من بعد هذا البعاد

راجع: اليوسفى: نزهة الناظر، ص٣٣٦.

(٣) عباس إقبال: إيران بعد الإسلام، ص٤٩٥– ٤٩٦.

منهم، ونقلوا عنه ونقل عنهم، وأصبح المغول ضمن العناصر السكانية للمجتمع الإسلامى(١).

واللافت للنظر أن الحضارة الإسلامية استقبلت المغول بما جُبلوا عليه من نظم اجتماعية ودينية فى فترة اضطرابات سياسية مرت بالعالم الإسلامى قبيل الغزو المغولى ثم أعقب ذلك أن تقلد المماليك الحكم فى مصر فتبدلت مراحل الضعف والوهن إلى قوة وازدهار وانجذب المغول إلى الإسلام واهتموا بالعلم والعلماء وطلاب العلم وشيدوا المدارس والجوامع والزوايا والقباب وتوافد التجار إلى البلاد الإسلامية من شتى أنحاء العالم بعد أن وفر المغول لهم الحماية والأمان.

واستطاع المغول بعدما كانوا أداة تخريب وهدم وتدمير أن يكونوا ضمن الأسباب الرئيسية التى حركت ركود الحضارة الإسلامية وأيقظتها من سباتها وأصبح المغول أحد عوامل ازدهار الحضارة الإسلامية ورقيها وهى صفحة مضيئة يجب أن تضاف إلى صفحات الإسلام ويجب أن تبرز أمام أعيننا جميعًا حتى نتعرف على جانب مهم من جوانب عظمة هذا الدين الحنيف، ونلاحظ عن كثب أن الإسلام قلم أظافر الهمجية وارتقى بالمغول، ولم يجد المسلمون عيبًا فى النقل عنهم والتأثر بما وجدوه مناسبًا، ومتفقًا مع مبادئ الشريعة الإسلامية.

صفوة القول إن هرم الاحتياجات المغولية ظل فى تصاعد مستمر، فقد بدأ المغول حياتهم بدوًا رحل رعاة ثم تغيرت حياتهم مع توحدهم وقيام إمبراطوريتهم على يد جنكيزخان وبدأو يسلكون كل مقومات ومظاهر التقدم والرقى وساعدهم على الصعود والرقى والاحتكاك بالحضارات العظيمة كالحضارتين الصينية والإسلامية.

---

(1) M. Haider: The Mongol Traditions, Vol. 28, Vol. 2, p.78.

وقد حمل المغول معهم إلى الشرق الإسلامى كل مظاهرهم الاجتماعية والدينية وظلوا يمارسون حياتهم على طريقة الآباء والأجداد حتى حدثت الطفرة التى غيرت أنظمة حياتهم وهى دخولهم فى الإسلام الذى أنار لهم ظلمات حياتهم وسد ثغرات عديدة عانى منها المغول كثيرًا وأورثهم الأخلاق الحميدة، ومع الإسلام والتأثر بكل المظاهر والنظم الإسلامية ظهر للمغول وجه مضيء جميل يخالف الوجه القبيح الذى ظهروا به لأول مرة بالمشرق الإسلامى.

الخـــاتمـــة

الخاتمة

لقد رصدت هذه الدراسة أبعاد النظم الاجتماعية والدينية لمغول فارس وتأثرها بالحضارة الإسلامية وأظهرت الجوانب الإيجابية والسلبية لهذه النظم وعلى أية حال، فقد أوضحت الدراسة عددًا من النتائج نعرض لأبرزها بإيجاز طبقًا لترتيب مضمونها:

فمن خلال دراسة جغرافية بلاد المغول خلصنا إلى أن قسوة المعيشة وصعوبة التضاريس والتطرف المناخى السائد فى معظم فصول السنة جعلت المغولى يتميز بقوة جسمانية ومقدرة على التحمل فاق بهما أقرانه فى ذاك الزمان وصار المغولى ذا مقدرة فائقة فى التعايش مع أصعب الظروف ووظف كل عناصر بيئته لصالحه حتى أضحى مثل قطعة من الجبل فى عناده وصلابته وقوته فهو لا يكل ولا يمل.

وقد تبين من خلال الدراسة أن هناك لبسًا وغموضًا عند بعض المؤرخين فى تناول النشأة الأولى من تاريخ المغول حيث تم الخلط بين المغول والتتار، فأكدت الدراسة على الحقيقة التاريخية التى تظهر أن القبائل التتارية غير القبائل المغولية وأن الأولى هى الأقدم فى الظهور، ثم توحدا سويًا مع تولى جنكيزخان مقاليد الحكم. وجميع هذه القبائل تعود إلى أرومة واحدة وأصل واحد هو الأصل التركى.

أما فيما يتعلق بتولى جنكيزخان عرش الإمبراطورية المغولية فخلصنا إلى شئ مهم وهو أن جنكيزخان أضفى على نفسه صبغة دينية وصلت إلى حد التقديس من قبل مجتمعه مما وطأله إدارة الحكم بكل سهولة ويسر، وضمن الطاعة العمياء، فأطاعه المغول طاعة قوم لنبيهم وكذلك أوضحنا أن جنكيزخان وضع استراتيجية لإمبراطوريته قائمة على الجيش

والنواحى الحربية والعسكرية حتى أضحت القوى الحربية هى العمود الفقرى للإمبراطورية المغولية.

لقد كان المغولى تواقًا لأن يرتقي ويخطو خطوة إلى الأمام ولاسيما بعد توحده تحت حكم جنكيزخان وبداية احتكاكه بالعالم الخارجى فانتقل المغولى من الحياة العشوائية الهمجية إلى الحياة النظامية، وأضحى يمتلك دستورًا (الياسا) ومجلسا للشورى (مجلس القوريلتاى) وأخذ هرم احتياجاته فى الازدياد وحصَّل بعض المعارف واطلع على تقنيات حديثة زادت من قوته الحربية حتى صار يمتلك جيشًا لا يشق له غبار.

لقد كان جنكيزخان بمثابة طفرة فى تاريخ المغول استطاع بحنكته وذكائه ودهائه أن يحقق إنجازات أقرب إلى المعجزات بالنسبة لقومه، وإليه يعود الفضل فى تحول المغول من البداوة والهمجية إلى الوقوف على أعتاب الحضارة، هذا بجانب تربيته للفكر المغولى على البحث عن كل صيد ثمين.

وأوضحت الدراسة أن المغول كانوا من أوائل الشعوب التى توصلت إلى عمل بطاقة تحقيق الشخصية، إذ صنع المغول (البايزا) وهى ميدالية ينقش عليها الاسم والموطن وتعطى صاحبها حرية التنقل داخل أرجاء الإمبراطورية دون أن يعترضه أحد. ثم تطور فكرهم ونقشوا لوحة هى (اليارليغ والبايزا) تعطى لحلفائهم وأصدقائهم وتحقق لهم حرية التنقل أيضًا داخل أرجاء الإمبراطورية المغولية دون قيدٍ أو شرط، ويعد ذلك آلية تحالف مبتكرة لم تكن معروفة من قبل.

أما فيما يتعلق بالمذهب الشيعى فقد أثبتت الدراسة أن من أسباب تأصيل هذا المذهب فى إيران وتحولها إلى التشيع محاباة المغول لهذا المذهب منذ قدوم هولاكو إلى المشرق الإسلامى فلم يتعرض لهم ولم يهدم أضرحتهم

وقرَّب علمائهم. أضف إلى ذلك أنه بعد اعتناق المغول للإسلام كان معظم خاناتهم على المذهب الشيعي ونال المذهب الشيعي قدرًا كبيرًا من الازدهار والانتشار في عهد أولجايتو وارتفع شأن علماء هذا المذهب ولاسيما نصير الدين الطوسي وعد ذلك ضمن عدة أسباب جعلت إيران تدين بالمذهب الشيعي حتى يومنا هذا.

وأظهرت الدراسة نتيجة مهمة وهى أن المغول سنوا سنة جديدة أخذها عنهم العثمانيون فيما بعد وهى نقل العلماء والصناع والحرفيين والمهرة والفنانين إلى حواضرهم للاستفادة منهم ولكى يرتقوا بالمجتمع المغولى، فلم ينج من سيوف المغول إلا هؤلاء، ولقد كان من النتائج الإيجابية لمهاجمة جحافل المغول لآسيا الإسلامية والاستيلاء على مدنها وبلادها أن فر العديد من العلماء إلى شتى البقاع الإسلامية وتوحدت آسيا تحت حكم المغول فكان بذلك أن أعادوا اكتشاف آسيا وغيروا من نسيجها الديموغرافى وعملوا على إدخال نوع من الحراك العلمى بانتقال العلماء والحرفيين والصناع من مكان لآخر، فكان ذلك بمثابة ومضة ضوء وسط ظلام المغول.

هذا وقد اثبتت الدراسة أن المغولى لا يتلف عنده شئ بل يعتبر ترك الشئ ليتلف من المحرمات فهو يحسن استغلال كل عناصر بيئته المحيطة به فهو يتغذى على جميع أنواع الحيوانات ولا يبالى أكانت نطيحة أو متردية جيفةً أو صيدًا مواتيًا ومن عظامها يصنع بعض السهام ومن الجلود يصمم الملابس والأحذية وحتى الروث يستخدمه فى وقوده فلقد كان المغولى من أمهر الأقوام فى تطويع ثرواته وعناصر بيئته لتحقيق أكبر قدر من الاستفادة منها. وخلق لنفسه نوعًا من الاكتفاء الذاتى وفى حالات العسرة درب نفسه على تحمل الجوع لمدة تزيد على أربعة أيام وكان يكفيه بعد ذلك أن يشرب بعضًا من دم أحد أوردة خيوله.

أما فيما يتعلق بالمغولي منذ ولادته ومراحل طفولته الأولى فكان المغولي يتلقى تربية عسكرية صارمة منذ نعومة أظفاره فكان هزلة وجده ولعبه ولهوه تدريبات على الرماية والتصويب بالسهام وركوب الخراف وصغار الخيل ومتابعة عمليات الصيد وكيفية القنص وسرعة الحركة والخفة والهجوم المباغت، وعندما يدخل المغولي في مرحلة الشباب ويمارس بعض الرياضات تكون أقرب إلى الإعدادت الحربية منها إلى الرياضة الترفيهية وكل هذه الأشياء مكنت المغولي من أن يكون محاربًا لا يحول بينه وبين النصر حائل ولا يضاهيه في مهارته الحربية أحد فهو كجلمود الصخر بل أشد قوة أحيانًا.

وتبين أيضًا أن مغول فارس عرفوا الزيجات السياسية من أجل تحقيق بعض التوازنات أو السعي وراء تحالفات واكتساب أصدقاء وحلفاء جدد وخير دليل على ذلك رغبة محمد خدابنده ايلخان دولة مغول فارس الزواج من ابنة صاحب ماردين (الملك المنصور نجم الدين غازى) وكذلك زواج مظفر الدين على بن علاء الدين الجويني من ابنة أرغون عام ٦٩٠هـ/ ١٢٩١م حتى يوثق علاقته بالحاكم المغولي ويحقق أكبر قدر من المكاسب.

واتضح من خلال تناول تاريخ المغول تبنيهم لقدر من الفكر العنصري فهم يرون أنفسهم من أفضل الشعوب والمجتمعات ويحرمون الكذب فيما بينهم ويعاقب بالقتل كل من يقدم عليه وفي المقابل يستحلون هذا الأمر مع غيرهم من الأقوام الأخرى، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل يتعدى إلى رؤيتهم أنفسهم جنود الله على أرضه ودورهم معاقبة الفاسدين من وجهة نظرهم فعلى الجميع أن يعلموا أن المغول بمثابة الحكام وهم لهم بمثابة الرعية التي تطيع دون أدنى مخالفة.

والشئ اللافت للنظر أن الدراسة توصلت لنتيجة مهمة وهي توصل المغول لنظام البصمات حيث اكتشف المغول أن أصابع الناس مختلفة فى بصمتها عن بعضها ويحسب لهم أنهم من أوائل الشعوب التى استخدمت نظام البصمات فى التحقيقات فحين يتم إثبات التهمة على الجانى يأخذ منه بصمة على ورقة تفيد بإرتكابه هذا الجرم، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل يوزع ما يفيد بارتكاب الجانى لهذه التهمة على جميع دواوين المحاكم المغولية وقد كانوا بذلك من أوائل واضعى الصحيفة الجنائية وتحديد سوابق جنائية للمتهمين.

لقد استطاع المغول أن يوجدوا نوعًا من الإعلام الموجه الذى يخدم أغراضهم ويحدث نوعًا من الفزع والرعب لدى الأقوام المعادية لهم ويضفى على خانهم قدسية تمنع التفكير فى الخروج عليه فأثبتت الدراسة أن الإعلام المغولى أدى دوره المنوط به على أكمل وجه وخدم أهدافهم.

ظهر داخل المجتمع المغولى بفارس تعدد فى المعتقدات والمعبودات الدينية وتبين أنه رغم التعددية إلا أن المغولى كان لديه نوعٌ من قبول الآخر والتسامح الدينى فأتباع كل عقيدة يفعلون ما يروق لهم دون خوف أو حذر ولم يحدث بينهم أى صراع دينى أو فتنة طائفية ولكن هذا التسامح كان مقصورًا عليهم فى أغلب الأحيان دون سواهم، وأحيانًا نجد أن التسامح شمل المسيحيين واليهود إلا أن المسلمين لم ينالوا حظهم مع معظم إيلخانات فارس المغول.

أثبتت الدراسة أن السماحة الدينية التى انتهجها المغول مع المسيحيين كانت من ضمن العوامل التى جعلت البابوية والغرب الأوروبى يعملان بجهد من أجل محاولة تنصير المغول حتى يأمنوا شرهم ويدخلوا معهم فى تحالف يطوقون به العالم الإسلامى ويقضون على الدولة المملوكية بمصر والشام، وأوضحنا أن المحصلة النهائية لإنجارات هذه البعثات لا تتواءم

مع الجهد المبذول من قبل رهبان البعثات رغم أنها نجحت في تنصير أعداد قليلة من مغول فارس وسدت ثغرة في معارف أوروبا وثقافاتها عن سكان آسيا وعن أبرز عاداتهم وتقاليدهم: كما أظهرت كثرة خيراتهم وتميز موقعهم وما لديهم من ثروات وموارد اقتصادية، مما أماط اللثام عن ملامح قارة كانت منتقبة خلف عصور من الخلاف والاختلاف.

وأوضحت من خلال هذه الدراسة أن الطرفين الأوروبي والمغولي بعد فترة أخذا يتلاعبان بورقة الدين من أجل تحقيق مكاسب سياسية ويظهر المغول وكأنهم على وشك اعتناق المسيحية لإنجاح التحالف مع أوروبا ثم ما يلبثوا أن يظهروا نقيض ذلك، وكذلك البابوية كانت تشعر أنها قاب قوسين أو أدنى من تحويل المغول إلى النصرانية ثم تأتي الرياح بعكس ما تشتهي السفن فكان الدين بمثابة ستار يخفي حقيقة أمر كل طرف.

أما فيما يتعلق بانتشار الإسلام بين المغول فما أكدته الدراسة يثبت أن المسلمين وعلماءهم لم يضعوا خططًا معينةً وهيكلة ثابتة من أجل العمل على نشر الإسلام بين المغول فلم يكن لديهم سياسة منظمة لتحقيق هذا الهدف مثلما كان يفعل المسيحيون والبوذيون وكذلك فإن محاولات نشر الإسلام كانت فردية من قبل بعض العلماء والوزراء وزوجات المغول وأصحاب الطرق الصوفية ولكن شاء الله العلي القدير أن تكون الغلبة للإسلام وأن ينشر على حساب البوذية والمسيحية بين المغول وتتحول الدولة الإيلخانية إلى الإسلام، ويعلن غازان محمود الإسلام دينًا رسميًا للدولة المغولية بفارس ٦٩٤هـ/ ١٢٩٤م.

ومن المفارقات التاريخية التي خلصنا إليها أن أحمد تكودار فقد عرشه وقتل ٦٨٣هـ/ ١٢٨٤م بسبب اعتناقه للإسلام وبعد مرور اثني عشر عامًا خلع بايدو وتم القضاء عليه عام ٦٩٤هـ/ ١٢٩٤م بسبب معاداته للإسلام ومنعه الدعاه من نشر الإسلام بين مغول فارس.

هذا وقد كانت هناك بعض المخالفات التشريعية التى لا تتفق مع الدين الإسلامى الحنيف وأقدم عليها مغول فارس وقد رصدت الرسالة بعضها ومنها زواج بعض إيلخانات فارس من مسلمات رغم كونهم وثنيين وشامانيين وبوذيين مثل زواج آباقاخان من مسلمة وكذلك زواج أرغون من (قولتاق ابكاجى) المسلمة، والأدهى من ذلك إقدام بعض حكام المغول المسلمين على اجبار بعض الرجال من تطليق زوجاتهم من أجل الزواج بهن مثل أبوسعيد بهادر الذى طلق (بغداد خاتون) من زوجها حسن بزرك وتزوجها هو وبعد فترة جمع بينها وبين بنت أخيها التى تدعى (دلشاد خاتون) رغم مخالفة ذلك للشريعة الإسلامية.

ولقد أثبتت الدراسة أن غازان يعد من أفضل وأعظم حكام دولة مغول فارس بسبب مجموعة القوانين التى وضعها لضبط دولته وإصلاح ما أفسده سابقوه هذا بجانب إصلاحاته الخارجية والداخلية وتحديد ضرائب وتأمين طرق التجارة وأوقف شرب الخمور وأغلق بيوت الدعارة وبذلك أعاد إحياء دولة مغول فارس وكان من أفضل حكام زمانه، فقوانينه الغازانية لا تقل فى أهميتها عن الياسا الجنكيزخانية.

وأوضحت الدراسة أيضًا أن غازان كان صاحب تفكير مستنير ومتميز سبق به عصره حيث أقدم على توفير مكان يوضع به المأكل للطيور المهاجرة أثناء الشهور الباردة حتى لا تهلك وفى ذلك دلالة على ما أحدثه الإسلام فى نفوس المغول من الرفق بالحيوان، فضلاً عن تغير اتجاهاتهم واهتماماتهم ورقة قلوبهم ولغازان دورٌ بارز أيضًا فى الرعاية الاجتماعية حيث ذكرت الدراسة أنه من أوائل من شيدوا دورًا للأيتام والمتشردين والأرامل وأحسن إليهم وقدم لهم الرعاية المطلوبة ووفر لهم المعيشة الكريمة وظهر ذكاؤه عندما فصل الأيتام عن المتشردين حتى لا يفسد الأطفال بعضهم بعضا.

وتبين من خلال هذه الدراسة أن المجتمع المغولى لم يكن مجتمعًا متخلفًا بربريًا بل يصح أن يطلق عليه مجتمع صاحب أنصاف حضارة وافتقدت حضارته للسلوكيات الطيبة ولكن مع احتكاكاته الخارجية بدأ يرتقى فى سلم التحضر حتى ذاب داخل الحضارة الإسلامية وأصبح جزءًا لا يتجزأ منها.

ولقد كانت المرأة المغولية ذات مكانة مرموقة بين المغول وإليها يعزى الفضل فى كثير مما وصل إليه المغول فكانت تقوم بالعديد من الأعمال وتشارك فى إدارة الأمور السياسية وساعدت على نقل المؤثرات الحضارية ولاسيما الاجتماعية والدينية بين أقرانها من المغول فكانت تنهل من الحضارات التى احتك بها المغول وفاقت الرجال المغول فى أحيان كثيرة.

وأظهرت الدراسة أن المؤثرات الإسلامية بدأت تتغلغل داخل مجتمع المغول بفارس فتقوضت العيوب والصفات المنبوذة قدر المستطاع وبدأت تحل محلها صفات طيبة تتفق مع الشريعة الإسلامية ومنذ ذلك الحين بدأت تظهر للمغول شمائل حسنة. ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل ظهرت المؤثرات المعمارية الإسلامية فاستطاع المغول أن يؤدوا دورًا مهمًا فى الحياة الثقافية وقاموا ببناء المدارس والمساجد والزوايا واشتغل بعضهم بالعلم وبرع فيه ووردت مجموعة من الجوارى من بلاد مغول إيران كهدايا لأمراء المماليك وسلطانهم وكان لهم دور مؤثر فى الحياة الأدبية والفنية وأراد مغول فارس بعد اعتناقهم الإسلام أن يكون لهم دورٌ فى خدمة الحرمين الشريفين متأثرين بالدور الكبير الذى كان المماليك يقومون به فعملوا على إحداث بعض الإصلاحات هناك.

هذا وقد خلصت الدراسة كذلك إلى أن المجتمع الإسلامى بدأ ينقل عن المغول بعض العادات والتقاليد والصفات وظهرت مؤثرات العمارة

والفنون الصينية المغولية على الطرز المعمارية الإسلامية وخاصة في عهد دولة المماليك ونقل الظاهر بيبرس بعض بنود الياسا وطبقها بداخل دولته.

ومن الحقائق التي أشارت إليها الدراسة أن من أسباب زوال الدولة الإيلخانية بفارس انغماس المغول في حياة اللهو والترف والملذات، ومرد ذلك إلى سنوات الجدب والفقر والحرمان التي عاشها المغول في موطنهم الأصلي بمنغوليا.

وختامًا، فقد عمدت إلى أن أتجنب التعميمات والمفاهيم المسبقة عن حضارة لها ما لها وعليها ما عليها فذكرت فيها ما استطاعت الوقوع عليه من مناقب ومثالب وجوانب مضيئة وأخرى مظلمة. ولا ينكر أحد أن في طيات كل حضارة أو تاريخ شعب ساد الكثير مما نجهله أو يصعب الوصول إلى حقيقته، إلا أنه من حق كل شعب كان له أثر في مسار الحياة الإنسانية أن يقوم الباحثون والدارسون على تمحيص حقيقته وإظهار دوره ممدوحا كان أو مذمومًا.

الملاحق

الملاحق

الملحق الأول: الأسماء والألقاب لأبرز حكام المشرق ومدن المغول.

الملحق الثانى: أبرز حكام المغول وأوروبا والبابوات (قوائم بسنوات حكمهم).

الملحق الثالث: أبرز حكام المسلمين بالمشرق الإسلامى (قوائم بسنوات حكمهم).

الملحق الرابع: الخرائط والصور والأشكال التوضيحية.

الملحق الأول

أولاً: ألقاب الملوك فى بعض بلاد المشرق الإسلامى

ملك فرغانه	الأخشيد
الروم	قيصر
الفرس	كسرى
اليمن	تبع
المسلمون	خليفة
الأكراد	أمير
أشروسنه	الأفشين
خوارزم	خوارزم شاه
الترك	خاقان
جرجان	صول
أذربيجان	اصبهند / مرزبان
طبرستان	سالار
المغول	القآن أو الخان

ثانيًا: أسماء المدن عند المغول كانت ترتب حسب مكانتها ومكانة حكامها

المرتبة الأولى	كينك	ولاية عظيمة بها مقر الخان
المرتبة الثانية	دو	مملكة بها عرش للخان
المرتبة الثالثة	فو	عاصمة ولاية
المرتبة الرابعة	چو	مدينة من الدرجة الثانية
المرتبة الخامسة	كون	ناحية حربية
المرتبة السادسة	هين	مدينة من الدرجة الثالثة
المرتبة السابعة	چين	قصبته
المرتبة الثامنة	شون	قرية

الملحق الثانى

أبرز حكام المغول و أوروبا والباباوات

الإيلخانيون (مغول فارس) أحفاد هولاكو شقيق قوبيلاى (٦٥٤ – ٧٥٤هـ/ ١٢٥٦ – ١٣٥٣م)

هولاكو	٦٥٤هـ/ ١٣٥٦م
ابغا (آباقا)	٦٦٣هـ/ ١٢٦٥م
أحمد تكودار	٦٨٠هـ/ ١٢٨٢م
أرغون	٦٨٣هـ/ ١٢٨٤م
كيخاتو	٦٩٠هـ/ ١٢٩١م
بايدو	٦٩٤هـ/ ١٦٩٥م
محمود غازان	٦٩٤هـ/ ١٦٩٥م
محمد خدابندة (أولجايتو)	٧٠٣هـ/ ١٣٠٤م
أبوسعيد	٧١٧هـ/ ١٣١٧م
أربا	٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م
موسى	٧٣٦هـ/ ١٣٣٦م

عهد الخانات المتنافسين الذين كانوا ينصبّون من قبل الأمير الجلائرى بُزرك والأمير الجوبانى حسن كوجك ثم بعد ذلك تم اقتسام فارس بين الأسر المحلية كالجلائريين والمظفريين والسربداريين حكام خراسان.

(٧٣٦ – ٧٥٤هـ/ ١٣٣٦ – ١٣٥٣م)

السلغريون فى إقليم فارس

٥٤٣ – ٦٦٨هـ/ ١١٤٨ – ١٢٧٠م

مظفر الدين سنقر	٥٤٣هـ/ ١١٤٨م
مظفر الدين زنكى	٥٥٦هـ/ ١١٦١م
دَغِلى (دكلا)	٥٧٠هـ/ ١١٧٥م
طغرل	٥٩٠هـ/ ١١٩٤م
عزالدين سعد الأول	٦٠١هـ/ ١٢٠٣م
أبوبكر قتلغ خان	٦٢٨هـ/ ١٢٣١م
سعد الثانى	٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م
محمد	٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م
محمد شاه	٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م
سلجوق شاه	٦٦١هـ/ ١٢٦٣م
آبش خاتون	٦٦٣ –٦٦٨هـ/ ١٢٦٥-١٢٧٠م

خانات المغول

(بيت أوكيتاى وتولوى)

منغوليا

	تاريخ تولى العرش
جنكيزخان	٦٣٠هـ/ ١٢٠٦م.
أوكيتاى	٦٢٥هـ/ ١٢٢٧م.
توراكينا (وصية)	٦٣٩هـ/ ١٢٤١م
كيوك	٦٤٤هـ/ ١٢٤٦م
أوغول قيميش (وصية)	٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م
مونكو	٦٤٩هـ/ ١٢٥١م
قوبيلاى	٦٥٩هـ/ ١٢٦٠م
أولجاتيو	٦٩٤هـ/ ١٢٩٤م
كيولوك	٧٠٧هـ/ ١٣٠٧م
بويانتو	٧١١هـ/ ١٣١١م
كه كُن	٧٢٠هـ/ ١٣٢٠م
يسّون تيمور	٧٢٤هـ/ ١٣٢٣م
راجى بقا	٧٢٩هـ/ ١٣٢٨م
جياغاتو	٧٢٩هـ/ ١٣٢٨م
كويتالا	٧٣٠هـ/ ١٣٢٩م
رينجن بال	٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م
طوغان تيمور	٧٣٣ - ٧٧٢هـ/ ١٣٣٢ - ١٣٧٠م

بيت جغتاى بإقليم ما وراء النهر وتركستان الشرقية

جغتاى ٦٢٥هـ/ ١٢٢٧م
قراهولاكو ٦٣٩هـ/ ١٢٤١م
يسوّمنكو ٦٤٥هـ/ ١٢٤٧م
قراهولاكو للمرة الثانية ٦٥٠هـ/ ١٢٥٢م
الكو ٦٦٠هـ/ ١٢٦١م.
مبارك شاه ٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م.
براق خان ٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م.
نيكباى ٦٨٠هـ/ ١٢٨١م.
توقا تيمور ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م
ذو واخان ٦٩١هـ/ ١٢٩١م.
قونجوق خان ٧٠٦هـ/ ١٣٠٦م.
تاليقو ٧٠٨هـ/ ١٣٠٨م.
كبك خان ٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م.
أسن بغا ٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م.
كبك خان للمرة الثانية ٧١٨هـ/ ١٣١٨م.
ايلجى كداى ٧٢٧هـ/ ١٣٢٦م.
دووا تيمور ٧٢٧هـ/ ١٣٢٦م.
علاء الدين ترماشيرين ٧٢٧هـ/ ١٣٢٦م.
جنكشى (جنكاشاى) ٧٣٥هـ/ ١٣٣٤م.
بوزون ٧٣٥هـ/ ١٣٣٤م.
اسن تيمور ٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م.
محمد ٧٤٣هـ/ ١٣٤٢م.
قازان تيمور ٧٤٣هـ/ ١٣٤٣م.
دانشمندجه ٧٤٧هـ/ ١٣٤٦م.
بويان قولى ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م.
شاه تيمور ٧٦١هـ/ ١٣٥٩م.
تقلق تيمور ٧٦١ - ٧٧٢هـ/ ١٣٥٩ - ١٣٧٠م.
حاز تيمور تلك البلاد

خانات القبيلة الذهبية

(جوجى)

٦٢٤هـ/ ١٢٢٦م

جنوب روسيا وغرب سيبيريا

١ـ فرع باطو – خانات القبيلة الزرقاء فى جنوب وغرب بلاد القبجاق:

باطو بن جوجى	٦٢٥هـ/ ١٢٢٧م
سارتاق	٦٥٣هـ/ ١٢٥٥م
اولاغجى	٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م
بركة بن جوجى	٦٥٥هـ/ ١٢٥٧م
مونكو تيمور	٦٦٦هـ/ ١٢٦٧م
تودا مونكو	٦٧٩هـ/ ١٢٨٠م
تولا بوغا	٦٨٦هـ/ ١٢٨٧م
تقتو، غياث الدين	٦٨٩هـ/ ١٢٩٠م
أوزبك، غياث الدين محمد	٧١٢هـ/ ١٣١٢م
تينى بك	٧٤٢هـ/ ١٣٤١م
جانى بك	٧٤٢هـ/ ١٣٤١م
عصر فوضى واضطراب	٧٥٩ – ٧٨٢هـ/ ١٣٥٧ – ١٣٨٠م.

٢ـ فرع أوردا – خانات القبيلة البيضاء فى سيبيريا وشرقى بلاد القبجاق ثم اتخذت القبيلتان الزرقاء والبيضاء الذهبية فى جنوب روسيا – بعد ٧٨٩هـ/ ١٣٧٨م:

أوردا بن جوجى	٦٢٤هـ/ ١٢٢٦م
قوجى	٦٧٩هـ/ ١٢٨٠م
بايان	٧٠٢هـ/ ١٣٠٢م
ساسى يوقام	٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م
إبسان	٧١٥هـ/ ١٣١٥م
مبارك خواجه	٧٢٠هـ/ ١٣٢٠م
جمتاى	٧٣٥هـ/ ١٣٣٤م
اوروس	٧٦٣هـ/ ١٣٦١م
توقتاكية	٧٧٧هـ/ ١٣٧٥م
تيمور ملك	٧٧٧هـ/ ١٣٧٥م
غياث الدين تقتاميش	٧٧٨هـ/ ١٣٧٦م
تيمور قتلغ	٧٩٨هـ/ ١٣٩٥م
شادى بك	٨٠٤هـ/ ١٤٠١م
بولاد	٨١٠هـ/ ١٤٠٧م
تيمور	٨١٣هـ/ ١٤١٠م
جلال الدين	٨١٥هـ/ ١٤١٢م
كبك	٨١٧هـ/ ١٤١٤م
جبار بردى	٨٢٠هـ/ ١٤١٧م
أولغ محمد	٨٢٢هـ/ ١٤١٩م
دووابرى	٨٢٣هـ/ ١٤٢٠م
أولغ محمد (مرة ثانية)	٨٣١هـ/ ١٤٢٧م
سيد أحمد	٨٣٧هـ/ ١٤٣٣م
كوجك محمد	٨٣٩هـ/ ١٤٣٥م
أحمد	٨٧٠هـ/ ١٤٦٥م
شيخ أحمد	٨٨٦هـ/ ١٤٨١م

ملوك إنجلترا بعد الفتح النورمانى

وليم الأول (الفاتح)	٤٥٩ – ٤٨٠هـ/ ١٠٦٦ – ١٠٨٧م
وليم الثانى	٤٨٠ – ٤٩٤هـ/ ١٠٨٧ – ١١٠٠م
هنرى الأول	٤٩٤ – ٥٣٠هـ/ ١١٠٠ – ١١٣٥م
ستفن	٥٣٠ – ٥٤٩هـ/ ١١٣٥ – ١١٥٤م
هنرى الثانى	٥٤٩ – ٥٨٥هـ/ ١١٥٤ – ١١٨٩م
ريتشارد الأول	٥٨٥ – ٥٩٦هـ/ ١١٨٩ – ١١٩٩م
يوحنا	٥٩٦ – ٦١٣هـ/ ١١٩٩ – ١٢١٦م
هنرى الثالث	٦١٣ – ٦٧١هـ/ ١٢١٦ – ١٢٧٢م
إدوارد الأول	٦٧٢ – ٧٠٧هـ/ ١٢٧٣ – ١٣٠٧م
إدوارد الثانى	٧٠٧ – ٧٢٨هـ/ ١٣٠٧ – ١٣٢٧م
إدوارد الثالث	٧٢٨ – ٧٧٩هـ/ ١٣٢٧ – ١٣٧٧م
ريتشارد الثانى	٧٧٩ – ٨٠٢هـ/ ١٣٧٧ – ١٣٩٩م
هنرى الرابع	٨٠٢ – ٨١٦هـ/ ١٣٩٩ – ١٤١٣م
هنرى الخامس	٨١٦ – ٨٢٦هـ/ ١٤١٣ – ١٤٢٢م
هنرى السادس	٨٢٦ – ٨٦٦هـ/ ١٤٢٢ – ١٤٦١م
إدوارد الرابع	٨٦٦ – ٨٨٨هـ/ ١٤٦١ – ١٤٨٣م
ريتشارد الثالث	٨٨٨ – ٨٩٠هـ/ ١٤٨٣ – ١٤٨٥م
هنرى السابع (تيودور)	٨٩٠ – ٩١٥هـ/ ١٤٨٥ – ١٥٠٩م.

ملوك فرنسا

فيليب أوغسطس	٥٧٦ – ٦٢٠هـ/ ١١٨٠ – ١٢٢٣م
لويس الثامن	٦٢٠ – ٦٢٣هـ/ ١٢٢٣ – ١٢٢٦م
لويس التاسع (القديس)	٦٢٤– ٦٦٩هـ/ ١٢٢٦ – ١٢٧٠م
فيليب الثالث	٦٦٩ – ٦٨٤هـ/ ١٢٧٠ – ١٢٨٥م
فيليب الرابع	٦٨٤ – ٧١٤هـ/ ١٢٨٥ – ١٣١٤م
لويس العاشر	٧١٤ – ٧١٦هـ/ ١٣١٤ – ١٣١٦م
حنا الأول	٧١٦هـ/ ١٣١٦
فيليب الخامس (الطويل)	٧١٦ – ٧٢٢هـ/ ١٣١٦ – ١٣٢٢م
شارل الرابع	٧٢٢ – ٧٢٩هـ/ ١٣٢٢ – ١٣٢٨م
فيليب السادس فالوا	٧٢٩ – ٧٥١هـ/ ١٣٢٨ – ١٣٥٠م
حنا الثانى (الطيب)	٧٥٢ – ٧٦٦هـ/ ١٣٥١ – ١٣٦٤م
شارل الخامس	٧٦٦ – ٧٨٢هـ/ ١٣٦٤ – ١٣٨٠م
شارل السادس	٧٨٢ – ٨٢٦هـ/ ١٣٨٠ – ١٤٢٢م
شارل السابع	٨٢٦ – ٨٦٦هـ/ ١٤٢٢ – ١٤٦١م
لويس الحادى عشر	٨٦٦ – ٨٨٨هـ/ ١٤٦١ – ١٤٨٣م
شارل الثامن	٨٨٨ – ٩٠٤هـ/ ١٤٨٣ – ١٤٩٨

أباطرة الإمبراطورية الرومانية المقدسة وملوكها

هنرى الرابع	٤٤٨ – ٤٩٩هـ/ ١٠٥٦ – ١١٠٥م
هنرى الخامس	٤٩٩ – ٥١٩هـ/ ١١٠٥ – ١١٢٥م.
لوثر الثانى	٥١٩ – ٥٣٣هـ/ ١١٢٥ – ١١٣٨م
كونراد الثالث	٥٣٣ – ٥٤٧هـ/ ١١٣٨ – ١١٥٢م
فريدريك بارباروسا	٥٤٧ – ٥٨٦هـ/ ١١٥٢ – ١١٩٠م
هنرى السادس	٥٨٦ – ٥٩٤هـ/ ١١٩٠ – ١١٩٧م
فيليب الثانى	٥٩٤ – ٦٠٥هـ/ ١١٩٧ – ١٢٠٨م
أوتو الرابع	٦٠٥ – ٦١٥هـ/ ١٢٠٨ – ١٢١٨م
فريدريك الثانى	٦١٥ – ٦٤٨هـ/ ١٢١٨ – ١٢٥٠م
كونراد الرابع	٦٤٨ – ٦٥٢هـ/ ١٢٥٠ – ١٢٥٤م
وليم الهولندى	٦٥٢ – ٦٥٤هـ/ ١٢٥٤ – ١٢٥٦م
(فترة الشغور)	٦٥٥ – ٦٧١هـ/ ١٢٥٧ – ١٢٧٢م
رودلف الأول	٦٧٢ – ٦٩١هـ/ ١٢٧٣ – ١٢٩١م

هابسبورج

أدولف ناسو	٦٩١ – ٦٩٨هـ/ ١٢٩١ – ١٢٩٨م
ألبرت الأول	٦٩٨ – ٧٠٨هـ/ ١٢٩٨ – ١٣٠٨م

البابوات

انوسنت الثالث	٤٩٥ – ٦١٣هـ/ ١١٩٨ – ١٢١٦م
هونوريوس الثالث	٦١٣ – ٦٢٥هـ/ ١٢١٦ – ١٢٢٧م
جريجورى التاسع	٦٢٥ – ٦٣٨هـ/ ١٢٢٧ – ١٢٤٠م
كلستين الرابع	٦٣٩ – ٦٤٢هـ/ ١٢٤١ – ١٢٤٤م
انوسنت الرابع	٦٤٢ – ٦٥٢هـ/ ١٢٤٤ – ١٢٥٤م
إسكندر الرابع	٦٥٢ – ٦٦٠هـ/ ١٢٥٤ – ١٢٦١م
أوربان الرابع	٦٦٠ – ٦٦٣هـ/ ١٢٦١ – ١٢٦٤م
كلمنت الرابع	٦٦٤ – ٦٧٥هـ/ ١٢٦٥ – ١٢٦٨م
جريجورى العاشر	٦٧٠ – ٦٧٥هـ/ ١٢٧١ – ١٢٧٦م
انوسنت الخامس	٦٧٥هـ/ ١٢٧٦م
هدريان الخامس	٦٧٥هـ/ ١٢٧٦م
حنا الواحد والعشرون	٦٧٥ – ٦٧٦هـ/ ١٢٧٦ – ١٢٧٧م
نيقولا الثالث	٦٧٦ – ٦٧٩هـ/ ١٢٧٧ – ١٢٨٠م
مارتن الرابع	٦٨٠ – ٦٨٤هـ/ ١٢٨١ – ١٢٨٥م
هونوريوس الرابع	٦٨٤ – ٦٨٦هـ/ ١٢٨٥ – ١٢٨٧م
نقيولا الرابع	٦٨٧ – ٦٩٢هـ/ ١٢٨٨ – ١٢٩٢م
كلستين الخامس	٦٩٤هـ/ ١٢٩٤م
بونيفاس الثامن	٦٩٤ – ٧٠٣هـ/ ١٢٩٤ – ١٣٠٣م

بندكت الحادى عشر	٧٠٣ – ٧٠٤هـ/ ١٣٠٣ – ١٣٠٤م
كلمنت الخامس	٧٠٥ – ٧١٤هـ/ ١٣٠٥ – ١٣١٤م
حنا الثانى والعشرون	٧١٦ – ٧٢٥هـ/ ١٣١٦ – ١٣٣٤م
(نيقولا الخامس)	٧٢٩ – ٧٣١هـ/ ١٣٢٨ – ١٢٣٠م
بندكت الثانى عشر	٧٣٥ – ٧٤٣هـ/ ١٣٣٤ – ١٣٤٢م
كلمنت السادس	٧٤٣ – ٧٥٣هـ/ ١٣٤٢ – ١٣٥٢م
انوسنت السادس	٧٥٣ – ٧٦٤هـ/ ١٣٥٢ – ١٣٦٢م
أوربان الخامس	٧٦٤ – ٧٧٢هـ/ ١٣٦٢ – ١٣٧٠م

الملحق الثالث

أبرز حكام المسلمين بالمشرق الإسلامى.

الخلفاء العباسيون

(١) فى العراق وبغداد (١٣٢ – ٦٥٦هـ/ ٧٤٩ – ١٢٥٨م)

السفاح	١٣٢هـ – ٧٤٩م
المنصور	١٣٦ – ٧٥٤
المهدى	١٥٨ – ٧٧٥
الهادى	١٦٩ – ٧٨٥
هارون الرشيد	١٧٠ – ٧٨٦
الأمين	١٩٣ – ٨٠٩
المأمون	١٩٨ – ٨١٣
إبراهيم بن المهدى – فى بغداد	٢٠١ –٣/ ٨١٧ – ٨١٩م.
المعتصم	٢١٨ – ٨٣٣
الواثق	٢٢٧ – ٨٤٢
المتوكل	٢٣٢ – ٨٤٧
المنتصر	٢٤٧ – ٨٦١
المستعين	٢٤٨ – ٨٦٢
المعتز	٢٥٢ – ٨٦٦
المهتدى	٢٥٥ – ٨٦٩
المعتمد	٢٥٦ – ٨٧٠
المعتضد	٢٧٩ – ٨٩٢

المكتفى	٢٨٩ - ٩٠٢
المقتدر	٢٩٥ - ٩٠٨
القاهر	٣٢٠ - ٩٣٢
الراضى	٣٢٢ - ٩٣٤
المتقى	٣٢٩هـ - ٩٤٠م
المستكفى	٣٣٣ - ٩٤٤
المطيع	٣٣٤ - ٩٤٦
الطائع	٣٦٣ - ٩٧٤
القادر	٣٨١ - ٩٩١
القائم	٤٢٢ - ١٠٣١
المقتدى	٤٦٧ - ١٠٧٥
المستظهر	٤٨٧ - ١٠٩٤
المسترشد	٥١٢ - ١١١٨
الراشد	٥٢٩ - ١١٣٥
المقتفى	٥٣٠ - ١١٣٦
المستنجد	٥٥٥ - ١١٦٠
المستضئ	٥٥٦ - ١١٧٠
الناصر	٥٧٥ - ١١٨٠
الظاهر	٦٢٢ - ١٢٢٥
المستنصر	٦٢٣ - ١٢٢٦
المستعصم	٦٤٠ -٦٥٦/ ١٢٤٢ -١٢٥٨

(٢) فى القاهرة ٦٥٩ – ٩٢٣هـ/ ١٢٦١ – ١٦١٧

المستنصر	٦٥٩/ ١٢٦١
الحاكم الأول	٦٦٠/ ١٢٦١
المستكفى الأول	٧٠١/ ١٣٠٢
الواثق الأول	٧٤٠/ ١٣٤٠
الحاكم الثانى	٧٤١هـ/ ١٣٤١م
المعتضد الأول	٧٥٣/ ١٣٥٢
المتوكل الأول، للمرة الأولى	٧٦٣/ ١٣٦٢
المعتصم، للمرة الأولى	٧٧٩/ ١٣٧٧
المتوكل الأول، للمرة الثانية	٧٧٩/ ١٣٧٧
الواثق الثانى	٧٨٥/ ١٣٨٣
المعتصم، للمرة الثانية	٧٨٨/ ١٣٨٦
المتوكل الأول، للمرة الثالثة	٧٩١/ ١٣٨٩
المستعين	٨٠٨/ ١٤٠٦
المعتضد الثانى	٨١٦/ ١٤١٤
المستكفى الثانى	٨٤٥/ ١٤٤١
القائم	٨٥٥/ ١٤٥١
المستنجد	٨٥٩/ ١٤٥٥
المتوكل الثانى	٨٨٤/ ١٤٧٩
المستمسك، للمرة الأولى	٩٠٣/ ١٤٩٧
المتوكل الثالث، للمرة الأولى	٩١٤/ ١٥٠٨
المستمسك، للمرة الثانية	٩٢٢/ ١٥١٦
المتوكل الثالث، للمرة الثانية	٩٢٣/ ١٥١٧

أعقب ذلك الفتح العثمانى لمصر

الفاطميون

٢٩٧ – ٥٦٧هـ/ ٩٠٩ – ١١٧١م.

فى إفريقيا الشمالية ثم فى مصر وسوريه

(هى أبوعبدالله الشيعى، أتم دعوته التمهيدية فى عام ٢٩٨/ ٩١٠)

عبدالله المهدى	٢٩٧هـ/ ٩٠٩م
القائم	٣٢٢/ ٩٣٤
المنصور	٣٣٤/ ٩٤٦
المعز	٣٤١/ ٩٥٣
العزيز	٣٦٥/ ٩٧٥
الحاكم	٣٨٦/ ٩٩٦
الظاهر	٤١١/ ١٠٢١
المستنصر	٤٢٧/ ١٠٣٦
المستعلى	٤٨٧/ ١٠٩٤
الآمر	٤٩٥/ ١١٠١
فاصلة زمنية حكم خلالها الحافظ كوصى،	
لكنه لم يكن قد نصب نفسه بعد كخليفة	٥٢٤هـ/ ١١٣٠هـ
الحافظ	٥٢٥/ ١١٣١
الظافر	٥٤٤/ ١١٤٩
الفائز	٥٤٩/ ١١٥٤
العاضد	٥٥٥ –٦٧/ ١١٦٠ –٧١

الغزو الأيوبى

السلاجقة الأتراك

٤٢٩ – ٥٩٠هـ/ ١٠٣٨ – ١١٩٤م.

١ـ السلاجقة الكبار (فى العراق وفارس) ٤٢٩ – ٥٩٠هـ/ ١٠٣٨ – ١١٩٤م

ركن الدنيا والدين طغرل الأول	٤٢٩/ ١٠٣٨
عضد الدولة ألب أرسلان	٤٥٥ – ١٠٦٣
جلال الدولة ملك شاه الأول	٤٦٥/ ١٠٧٢
ناصر الدين محمود الأول	٤٨٥/ ١٠٩٢
ركن الدين بركيارق	٤٨٧/ ١٠٩٤
معز الدين ملك شاه الثانى	٤٩٨/ ١١٠٥
غياث الدين محمد الأول	٤٩٨/ ١١٠٥

معز الدين سنجر (حاكمًا فى شمال فارس ٤٩٠ – ٥٥٢هـ/ ١٠٩٧ – ١١٥٧م، ثم سلطانا أعلى للأسرة السلجوقية بعد ٥١١هـ/ ١١١٨م).

فى العراق وشرقى فارس فقط

مغيث الدين محمود الثانى	٥١١هـ/ ١١١٨م
غياث الدين داود	٥٢٥/ ١١٣١
ركن الدين طغرل الثانى	٥٢٦/ ١١٣٢
غياث الدين مسعود	٥٢٩/ ١١٣٤
معين الدين ملك شاه الثالث	٥٤٧/ ١١٥٢
ركن الدين محمد الثانى	٥٤٨/ ١١٥٣
غياث الدين سليمان شاه	٥٥٥/ ١١٦٠
معز الدين أرسلان	٥٥٦/ ١١٦١
ركن الدين طغرل الثالث	٥٧١ – ٥٩٠/ ١١٧٦ – ١١٩٤م

٢ـ سلاجقة سوريا ٤٧١ – ٥١١هـ/ ١٠٧٨ – ١١١٧:

تاج الدولة توتش	٤٧١/ ١٠٧٨
رضوان (فى حلب)	٤٤٨ – ٥٠٧/ ١٠٩٥ – ١١١٣
دقاق (فى دمشق) وخلفه أتابكه تغتكين	٤٤٨ – ٤٩٧/ ١٠٩٥ – ١١٠٤
ألب أرسلان الأخرس (فى حلب)	٥٠٧/ ١١١٣
سلطان شاه (فى حلب)	٥٠٨ – ٥١١هـ/ ١١١٤ –١١١٧م

سلالة تغتكين والبوريون فى دمشق، وإيلغازى الأرتقى فى حلب

٣ـ سلاجقة كرمان ٤٣٣ – ٥٨٢هـ/ ١٠٤١ – ١١٨٦م.

عماد الدين قاورد	٤٣٣ – ١٠٤١
كرمان شاه	٤٦٥ – ١٠٧٣
حسين	٤٦٧ – ١٠٧٤
ركن الدولة سلطان شاه	٤٦٧/ ١٠٧٤
محى الدين توران شاه الأول	٤٧٧/ ١٠٨٥
بهاء الدين إيران شاه	٤٩٠/ ١٠٩٧
محى الدين أرسلان شاه الأول	٤٩٥/ ١١٠١
مغيث الدين محمد الأول	٥٣٧/ ١١٤٢
محى الدين طغرل شاه	٥٥١/ ١١٥٦
بهرام شاه	٥٦٥/ ١١٧٠
أرسلان شاه الثانى	٥٧٠/ ١١٧٥
توران شاه الثانى	٥٧٢/ ١١٧٦
محمد الثانى	٥٧٩ –٨٢/ ١١٨٣ –٦

الاحتلال الغزى

سلاجقة الروم

٤٧٠ – ٧٠٧هـ/ ١٠٧٧ – ١٣٠٧م.

فى الأناضول

سليمان بن قتلميش	٤٧٠هـ/ ١٠٧٧م
فاصلة زمنية	٤٧٩/ ١٠٨٦
قليج أرسلان الأول	٤٨٥/ ١٠٩٢
ملك شاه	٥٠٠/ ١١٠٧
ركن الدين مسعود الأول	٥١٠/ ١١١٦
عز الدين قليج أرسلان الثانى	٥٥١/ ١١٥٦
(تقسيم الأراضى بين أبنائه خلال الجزء الأخير من حكمه)	
غياث الدين كيسخرو الأول، للمرة الأول	٥٨٨/ ١١٩٢
ركن الدين سليمان الثانى	٥٩٢/ ١١٩٦
عز الدين قليج أرسلان الثالث	٦٠٠/ ١٢٠٤
غياث الدين كيسخرو الأول، للمرة الثانية	٦٠١/ ١٢٠٤
عز الدين كيكاوس الأول	٦٠٧/ ١٢١٠
علاء الدين كيقباد الأول	٦١٦/ ١٢١٩
غياث الدين كيسخرو الثانى	٦٣٤/ ١٢٣٧
عز الدين كيكاوس الثانى	٦٤٤/ ١٢٤٦
كيكاوس الثانى بالاشتراك مع أخيه ركن الدين قليج أرسلان الرابع	٦٤٦/ ١٢٤٨
كيكاوس الثانى بالاشتراك مع قليج أرسلان الرابع وعلاء الدين كقباد الثانى	٦٤٧/ ١٢٤٩
قليج أرسلان الرابع	٦٥٥/ ١٢٥٧
غياث الدين كيسخرو الثالث	٦٦٣/ ١٢٦٥

الخوارزمشاهات

١ـ الأفريغيون فى كاث (بعد الميلاد ٣٠٥ – ٣٨٥/ ٩٩٥)

أبو عبدالله محمد ؟- ٣٨٥/ ؟- ٩٩٥

الغزو المأمونى

٢ـ المأمونيون فى كركانج (٣٨٥ – ٤٠٨هـ/ ٩٩٥ – ١٠١٧م)

أبو على مأمون الأول ح٣٨٢/ ح٩٩٢

أبو الحسن على ٣٨٧/ ٩٩٧

أبو العباس مأمون الثانى ٣٩٩/ ١٠٠٩

أبو الحارث محمد ٤٠٧ -٨/ ١٠١٧

الغزو الغزنوى

٣ـ الحكام الغزنويون (٤٠٨ـ٤٢٥هـ/ ١٠١٧ـ١٠٣٤م)

التونتش ٤٠٨هـ/ ١٠١٧م

هارون بن التونتش (نائبًا للخوارزمشاه الإسمى، سعود بن مسعود الغزنوى، وقد استقل فيما بعد بغزنة) ٤٢٣هـ/ ١٠٣٢م

إسماعيل خندان بن التونتش (مستقلاً بغزنة) ٤٢٥/ ١٠٣٤

غزو خوارزم على يد اليبغو الغزى شاه ملك حاكم جند Jand ٤٣٢هـ/ ١٠٤١م

٤. سلالة انوشتكين (ح ٤٧٠ – ٦٢٨/ ح١٠٧٧ – ١٢٣١) كانوا فى الأصل حكامًا من قبل السلاجقة، وحكامًا مستقلين فيما بعد فى وسط آسيا وفارس

أنوشتكين غرشه ح٤٧٠هـ/ ح١٠٧٧م

الحاكم التركى إكنيشى بن قُشقَرْ ٤٩٠/ ١٠٩٧

قطب الدين محمد ٤٩٠/ ١٠٩٧

علاء الدين أتسيز ٥٢١/ ١١٢٧

إيل – أرسلان ٥٥١/ ١١٥٦

علاء الدين تكش ٥٦٧/ ١١٧٢

سلطان شاه بن إيل- أرسلان، الحاكم المنافس

فى شمالى خراسان ٥٦٧ -٥٨٩هـ/ ١١٧٢ -١١٩٣م

علاء الدين محمد ٥٩٦هـ/ ١٢٠٠م

جلال الدين منكبرتى (الصورة الصحيحة لهذا الاسم التركى، وبخاصة العنصر الثانى منه ليست مؤكدة) ٦١٧ -٦٢٨/ ١٢٢٠ – ١٢٣١

الغزو المغولى

الإسماعيليون أو الحشاشون

٤٨٣ – ٦٥٣م/ ١٠٩٠ – ١٢٥٦م فى فارس

ح ٤٩٣ – ٦٧١هـ/ ح ١١٠٠ – ١٢٧٣هـ فى سوريا

الفرع الرئيسى فى ألموت بجبال الألبرز الفارسية

الفرع الثانوى فى سوريا

كبار السادة فى ألموت

حسن الصباح	٤٨٣/ ١٠٩٠
كيا بُركَ – أُميِّد	٥١٨/ ١١٢٤
محمد الأول	٥٣٢/ ١١٣٨
حسن الثانى على ذِكْرِهِ السلام	٥٥٧/ ١١٦٢
نور الدين محمد الثانى	٥٦١/ ١١٦٦
جلال الدين حسن الثالث	٦٠٧/ ١٢١٠
علاء الدين محمد الثالث	٦١٨/ ١٢٢١
ركن الدين خورشاه	٦٥٣ – ٥٤/ ١٢٥٥ – ١٢٥٦م.

ثم الاحتلال المغولى لألموت

الأيوبيون

٥٦٤ – نهاية القرن ٩هـ/ ١١٦٩ – نهاية القرن ١٥م.

فى مصر وسوريا وديار بكر واليمن

١ – فى مصر

الملك الناصر الأول صلاح الدين	٥٦٤هـ/ ١١٦٩م
الملك العزيز عماد الدين	٥٨٩/ ١١٩٣
الملك المنصور ناصر الدين	٥٩٥/ ١١٩٨
الملك العادل الأول سيف الدين	٥٩٦/ ١٢٠٠
الملك الكامل الأول ناصر الدين	٦١٥/ ١٢١٨
الملك العادل الثانى سيف الدين	٦٣٥/ ١٢٣٧
الملك الصالح نجم الدين أيوب	٦٣٧/ ١٢٤٠
الملك المعظم توران شاه	٦٤٧/ ١٢٤٩
الملك الأشرف الثانى مظفر الدين	٦٤٨ –٥٠/ ١٢٥٠ –١٢٥٢م.

المماليك البحرية

٢ـ فى دمشق

الملك الأفضل نور الدين على	٥٨٢/ ١١٨٦
الملك العادل الأول سيف الدين	٥٩٢/ ١١٩٦
الملك المعظم شرف الدين	٦١٥/ ١٢١٨
الملك الناصر صلاح الدين داوود	٦٢٤/ ١٢٢٧
الملك الأشرف الأول مظفر الدين	٦٢٦/ ١٢٢٩
الملك الصالح عماد الدين، للمرة الأولى	٦٣٤/ ١٢٣٧
الملك الكامل الأول ناصر الدين	٦٣٥/ ١٢٣٨
الملك العادل الثانى سيف الدين	٦٣٥/ ١٢٣٨
الملك الصالح نجم الدين أيوب، للمرة الثانية	٦٣٦هـ/ ١٢٣٩م
الملك الصالح عماد الدين، للمرة الثانية	٦٣٧/ ١٢٣٩
الملك الصالح نجم الدين أيوب، للمرة الثالثة	٦٤٣/ ١٢٤٥
الملك المعظم توران شاه (بالإضافة إلى مصر)	٦٤٧/ ١٢٤٩
الملك الناصر الثانى صلاح الدين	٦٤٨ -٥٨/ ١٢٥٠ -١٢٦٠م

ثم الغزو المغولى

٣- فى حلب

الملك العادل الأول سيف الدين	٥٧٩هـ/ ١١٨٣م
الملك الظاهر غياث الدين	٥٨٢/ ١١٨٦
الملك العزيز غياث الدين	٦١٣/ ١٢١٦
الملك الناصر الثانى صلاح الدين	٦٣٤ -٥٨/ ١٢٣٧ - ١٢٦٠م

ثم الغزو المغولى

٤ـ ديار بكر (ميافارقين وجبل سنجار)

الملك الناصر الأول صلاح الدين	٥٨١هـ/ ١١٨٥م
الملك العادل الأول سيف الدين	٥٩١/ ١١٩٥
الملك الأوحد نجم الدين أيوب	٥٩٦/ ١٢٠٠
الملك الأشرف الأول مظفر الدين	٦٠٧/ ١٢١٠
الملك المظفر شهاب الدين	٦١٧/ ١٢٢٠
الملك الكامل الثانى ناصر الدين	٦٤٢ -٥٨هـ/ ١٢٤٤ -١٢٦٠م

ثم الغزو المغولى

٥ـ ديار بكر (حصن كيفا وآمد)

الملك الصالح نجم الدين أيوب	٦٢٩هـ/ ١٢٣٢م
الملك المعظم توران شاه	٦٣٦/ ١٢٣٩
الملك الموحد تقى الدين	٦٤٧/ ١٢٤٩
الملك الكامل الثالث محمد	٦٨٢/ ١٢٨٣
الملك العادل مجير الدين	- ؟ -
الملك العادل شهاب الدين	- ؟ -
الملك الصالح أبوبكر	- ؟ -
الملك العادل فخر الدين	٧٨٠/ ١٣٧٨
الملك الأشرف شرف الدين	- ؟ -
الملك الصالح صلاح الدين	٨٣٦ - ١٤٣٣
الملك الكامل الرابع أحمد - الملك العادل خلف	٨٥٦ - ١٤٥٢
خليل (؟)	٨٦٦/ ١٤٦٢
سليمان	- ؟ -
الحسين	- ؟ -

ثم الغزو الأقيونيللى

٦ـ اليمن

الملك المعظم شمس الدين توران شاه	٥٦٩/ ١١٧٤
الملك العزيز ظهير الدين تغتكين	٥٧٧/ ١١٨١
معز الدين إسماعيل	٥٩٣/ ١١٩٧
الملك الناصر أيوب	٥٩٨/ ١٢٠٢
الملك المظفر سليمان	٦١١/ ١٢١٤
الملك المسعود صلاح الدين	٦١٢ -٢٦/ ١٢١٦ -١٢٢٩م

ثم استيلاء الرسوليين على السلطة

٧ـ الفروع الصغيرة فى بعلبك وحمص والكرك وحماة وبانياس وسبيبه وبصرى

(**انظر تفاصيلها فى** : Zambaur, 98 -99)

المماليـــك

٦٤٨ – ٩٢٢هـ/ ١٢٥٠ – ١٥١٧م

فى مصر وسوريا

١ـ سلالة المماليك البحرية ٦٤٨ – ٧٩٢هـ/ ١٢٥٠ – ١٣٩٠م

شجر الدر	٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م
المعز عزالدين أيبك	٦٤٨/ ١٢٥٠
المنصور نورالدين على	٦٥٥/ ١٢٥٧
المظفر سيف الدين قطز	٦٥٧/ ١٢٥٩
الظاهر ركن الدين بيبرس الأول البندقدارى	٦٥٨/ ١٢٦٠
السعيد ناصر الدين بركة [اوبيرك] خان	٦٧٦/ ١٢٧٧
العادل بدر الدين سلامش	٦٧٨/ ١٢٨٠
المنصور سيف الدين قلاوون الألفى	٦٧٨/ ١٢٨٠
الأشرف صلاح الدين خليل	٦٨٩/ ١٢٩٠
الناصر ناصر الدين محمد، للمرة الأولى	٦٩٣/ ١٢٩٤
العادل زين الدين كتبغا	٦٩٤/ ١٢٩٥
المنصور حسام الدين لاجين	٦٩٦/ ١٢٩٧
الناصر ناصر الدين محمد، للمرة الثانية	٦٩٨/ ١٢٩٩
المظفر ركن الدين بيبرس الثانى الجاشنكير	٧٠٨/ ١٣٠٩
الناصر ناصر الدين محمد، للمرة الثالثة	٧٠٩/ ١٣٠٩

المنصور سيف الدين أبوبكر	٧٤١/ ١٣٤٠
الأشرف علاء الدين كوجوك	٧٤٢/ ١٣٤١
الناصر شهاب الدين أحمد	٧٤٣/ ١٣٤٢
الصالح عماد الدين اسماعيل	٧٤٣/ ١٣٤٢
الكامل سيف الدين شعبان الأول	٧٤٦/ ١٣٤٥
المظفر سيف الدين حاجى الأول	٧٤٧/ ١٣٤٦
الناصر ناصر الدين حسن، للمرة الأولى	٧٤٨/ ١٣٤٧
الصالح صلاح الدين صالح	٧٥٢/ ١٣٥١
الناصر ناصر الدين حسين، للمرة الثانية	٧٥٥/ ١٣٥٤
المنصور صلاح الدين محمد	٧٦٢/ ١٣٦١
الأشرف ناصر الدين شعبان الثانى	٧٦٤/ ١٣٦٣
المنصور علاء الدين على	٧٧٨/ ١٣٧٦
الصالح صلاح الدين حاجى الثانى، للمرة الأولى	٧٨٣/ ١٣٨٢
الظاهر سيف الدين برقوق (برجىّ)	٧٨٤/ ١٣٨٢
حاجّى الثانى (للمرة الثانية – حاملاً لقب المظفر أو المنصور)	٧٩١/ ١٣٨٩

٢ـ سلالة المماليك البرجية ٧٨٤ – ٩٢٢هـ/ ١٣٨٢ – ١٥١٧م

الظاهر سيف الدين برقوق، للمرة الأولى	٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م
حاجّي الثانى، (للمرة الثانية [بحري])	٧٩١/ ١٣٨٩
الظاهر سيف الدين برقوق، للمرة الثانية	٧٩٢/ ١٣٩٠
الناصر ناصر الدين فرج، للمرة الأولى	٨٠١/ ١٣٩٩
المنصور عزالدين عبدالعزيز	٨٠٨/ ١٤٠٥
الناصر ناصر الدين فرج، للمرة الثانية	٨٠٨/ ١٤٠٥
العادل المستعين (الخليفة العباسى، الذى نصب سلطانًا)	٨١٥/ ١٤١٢
المؤيد سيف الدين شيخ	٨١٥/ ١٤١٢
المظفر أحمد	٨٢٤/ ١٤٢١
الظاهر سيف الدين ططار	٨٢٤/ ١٤٢١
الصالح ناصر الدين محمد	٨٢٤/ ١٤٢١
الأشرف سيف الدين برسباى	٨٢٥/ ١٤٢٢
العزيز جمال الدين يوسف	٨٤١/ ١٤٣٧
الظاهر سيف الدين جقمق	٨٤٢/ ١٤٣٨
المنصور فخر الدين عثمان	٨٥٧/ ١٤٥٣
الأشرف سيف الدين إينال	٨٥٧/ ١٤٥٣
المؤيد شهاب الدين أحمد	٨٦٥/ ١٤٦١
الظاهر سيف الدين خوش قدم	٨٦٥/ ١٤٦١

الظاهر سيف الدين بلباى	٨٧٢/ ١٤٦٧
الظاهر تيمور بوغا	٨٧٢/ ١٤٦٨
الأشرف سيف الدين قايتباى	٩٠١/ ١٤٩٦
الظاهر قنصوه	٩٠٣/ ١٤٩٨
الأشرف جانبلاث	٩٠٥/ ١٥٠٠
العادل سيف الدين تومان باى	٩٠٦/ ١٥٠١
الأشرف قنصوه الغورى	٩٠٦/ ١٥٠١
الأشرف طومان باى	٩٢٢/ ١٥١٦

ثم الغزو العثمانى

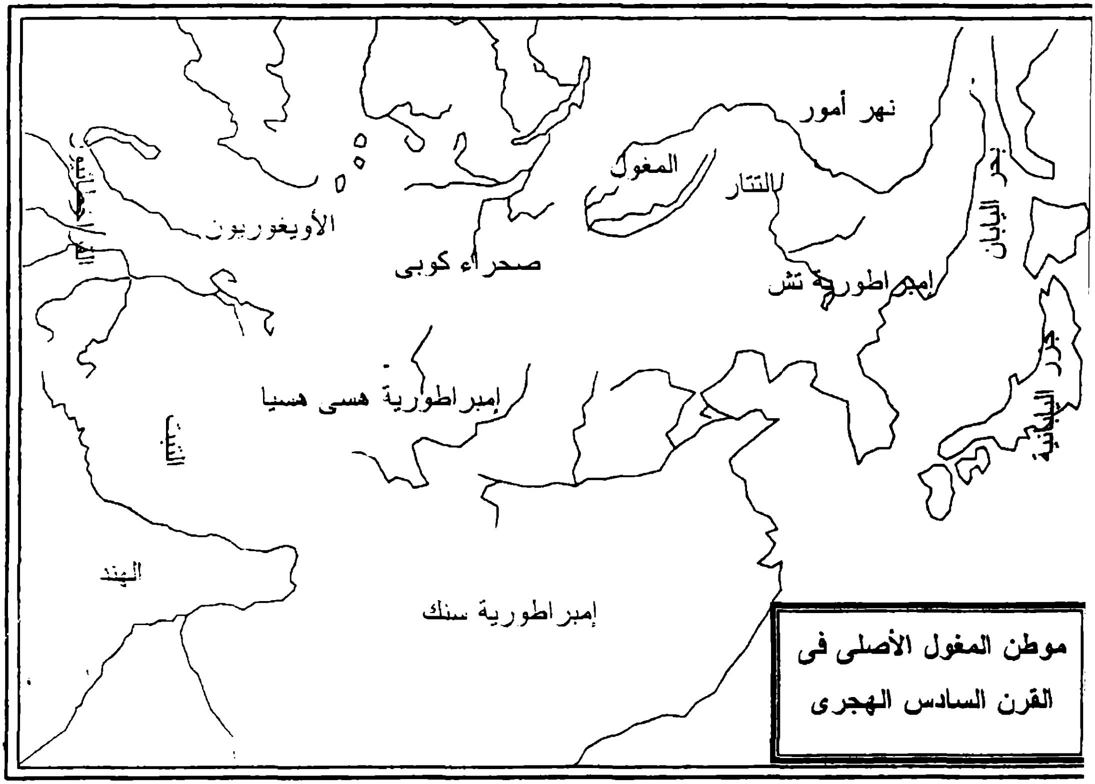
راجع كلاً من:ـ

* زامباور: معجم الأنساب والأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامي، جـ١، أخرجه د/ زكى حسن بك، حسن أحمد محمود، مطبعة فؤاد الأول، القاهرة، ١٩٩١م.

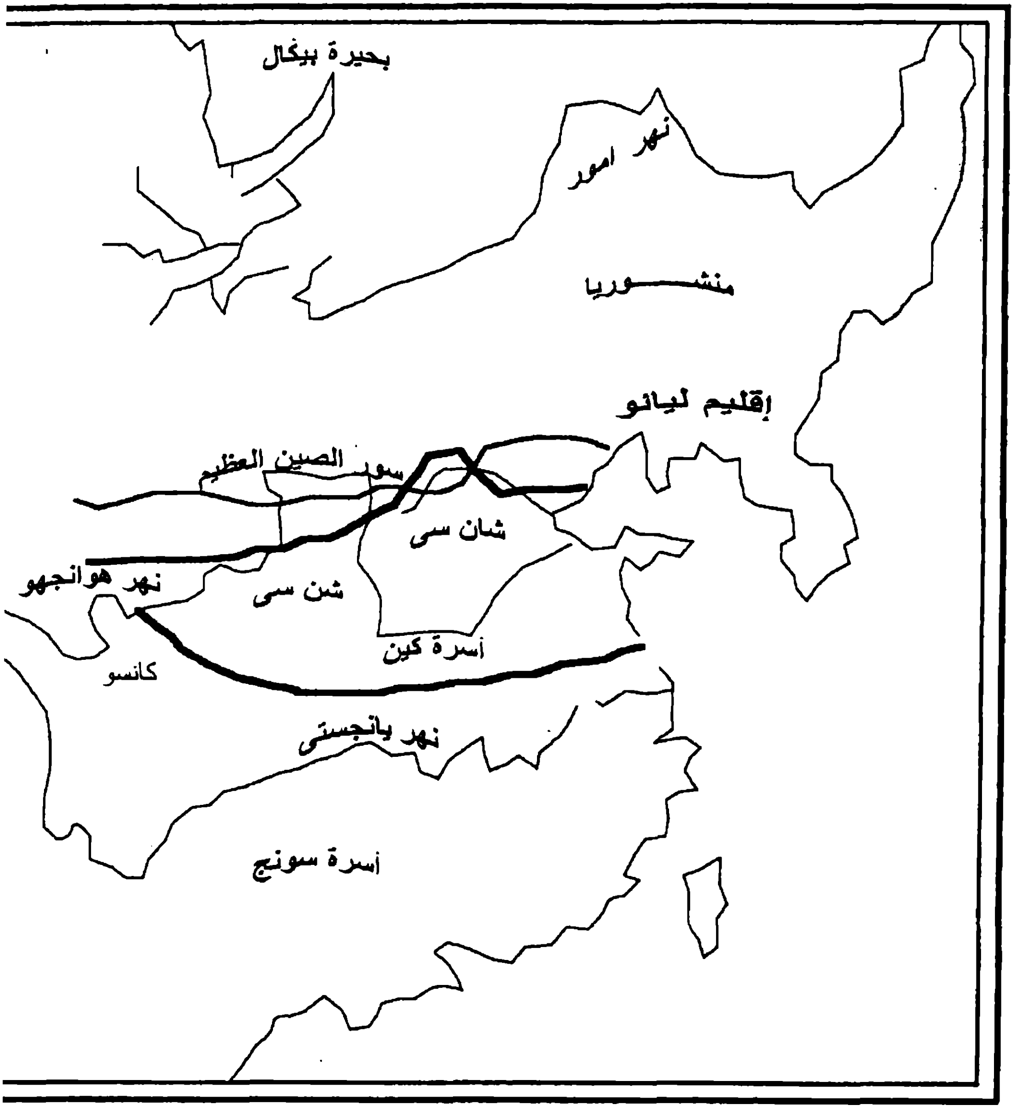
* كليفورد. أ. بوزورث: الأسرات الحاكمة * أحمد السعيد سليمان: الأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامى

* Lane Pools Stanly: The Mohammedan, dynasties Paris, 1862.

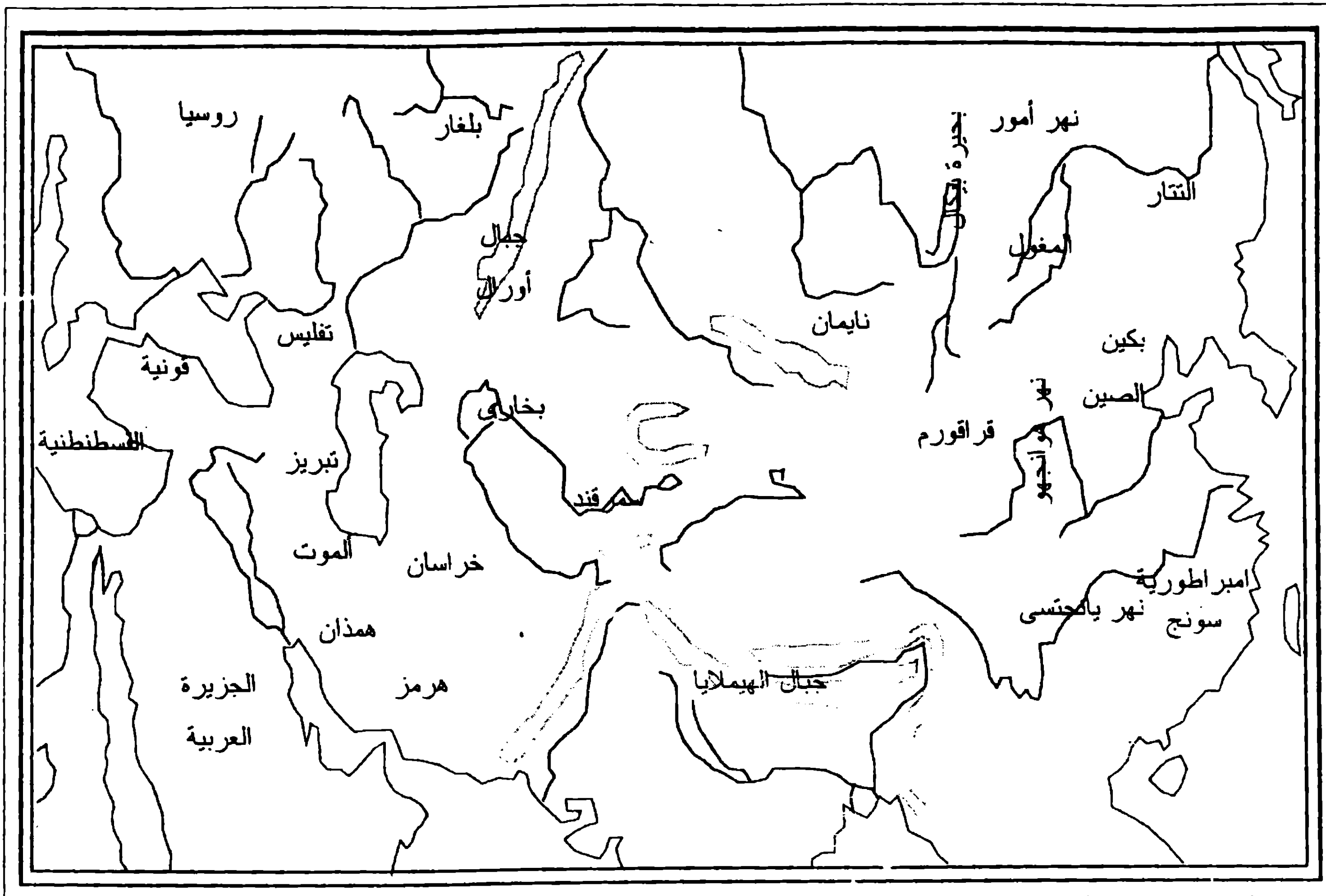
الخرائط والصور والأشكال التوضيحية.



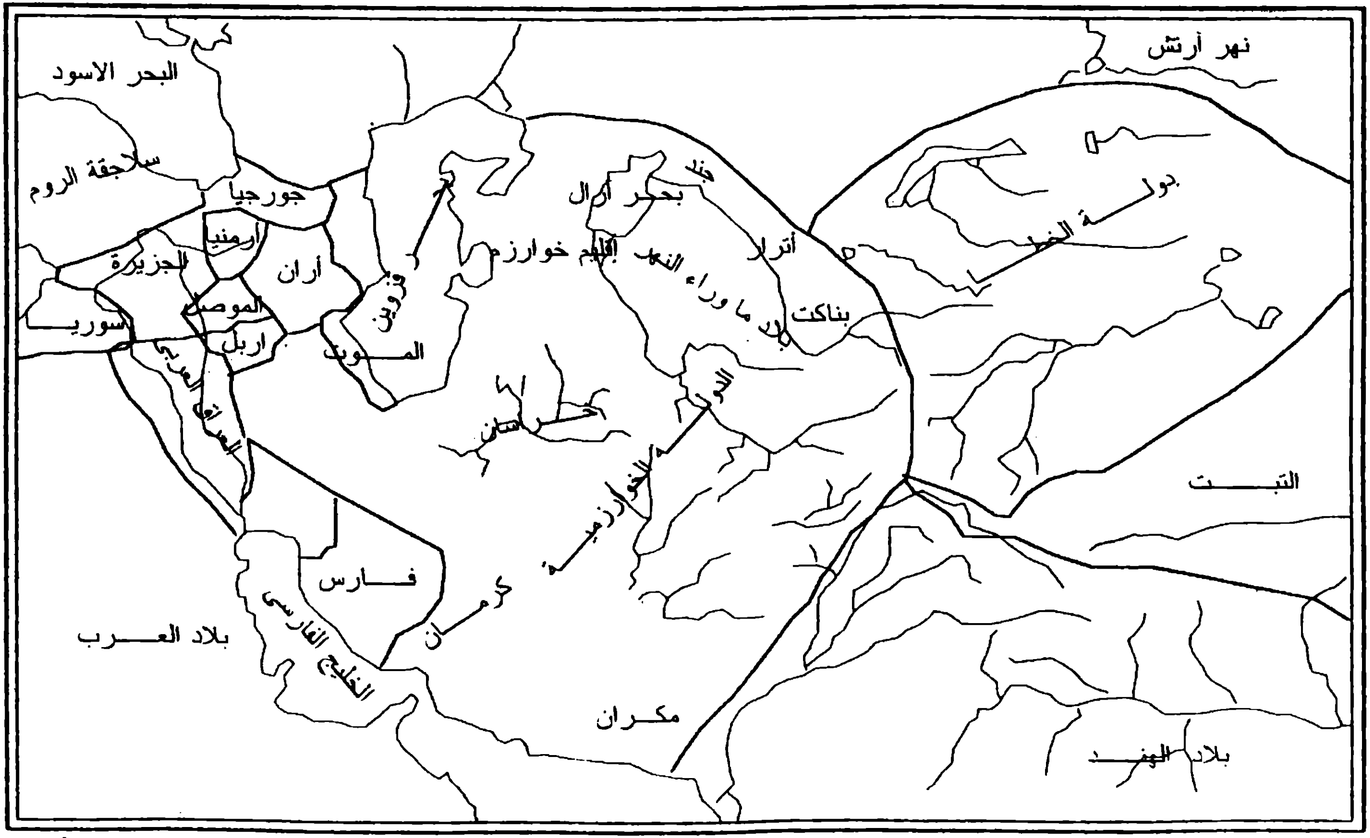
موطن المغول الأصلى فى
القرن السادس الهجرى



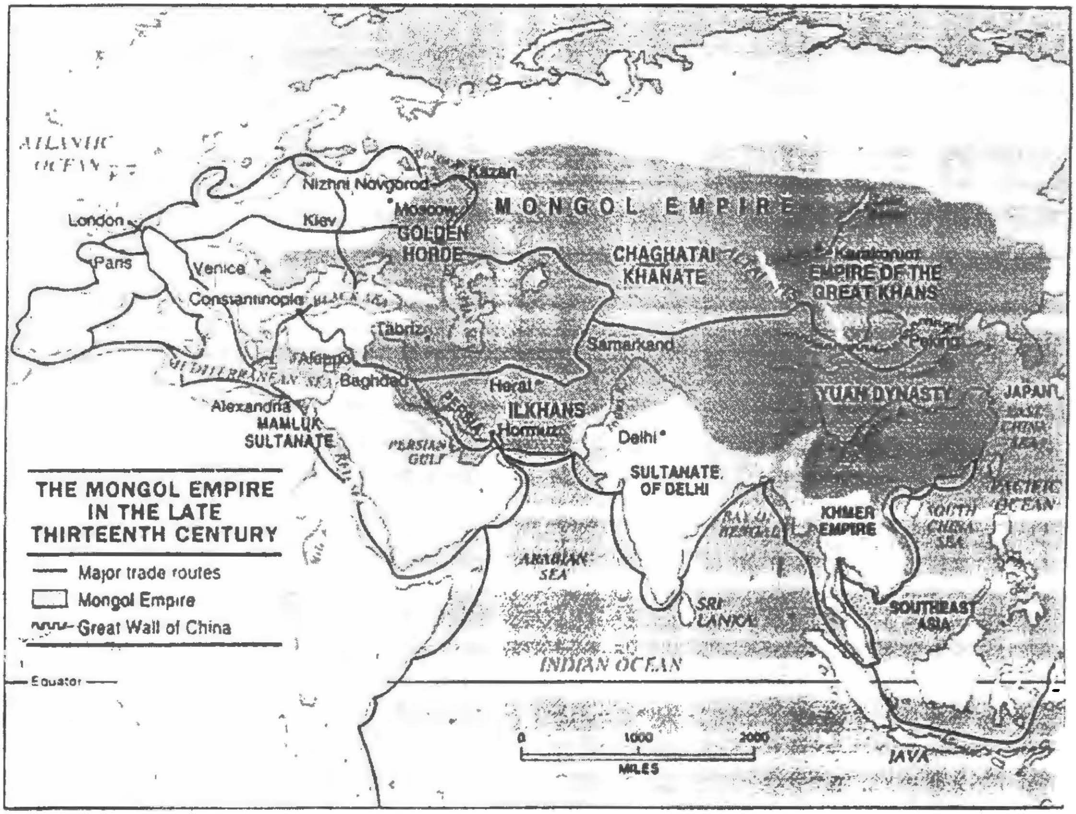
أقاليم الصين فى القرن السادس



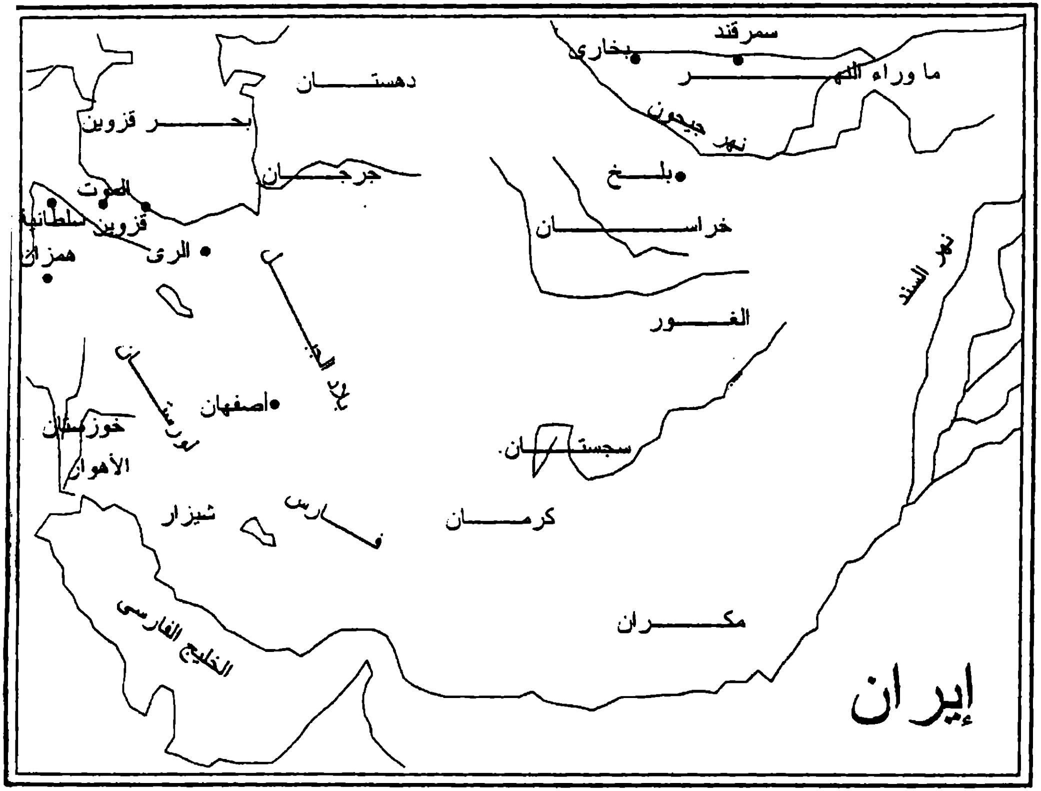
إمبراطورية المغول

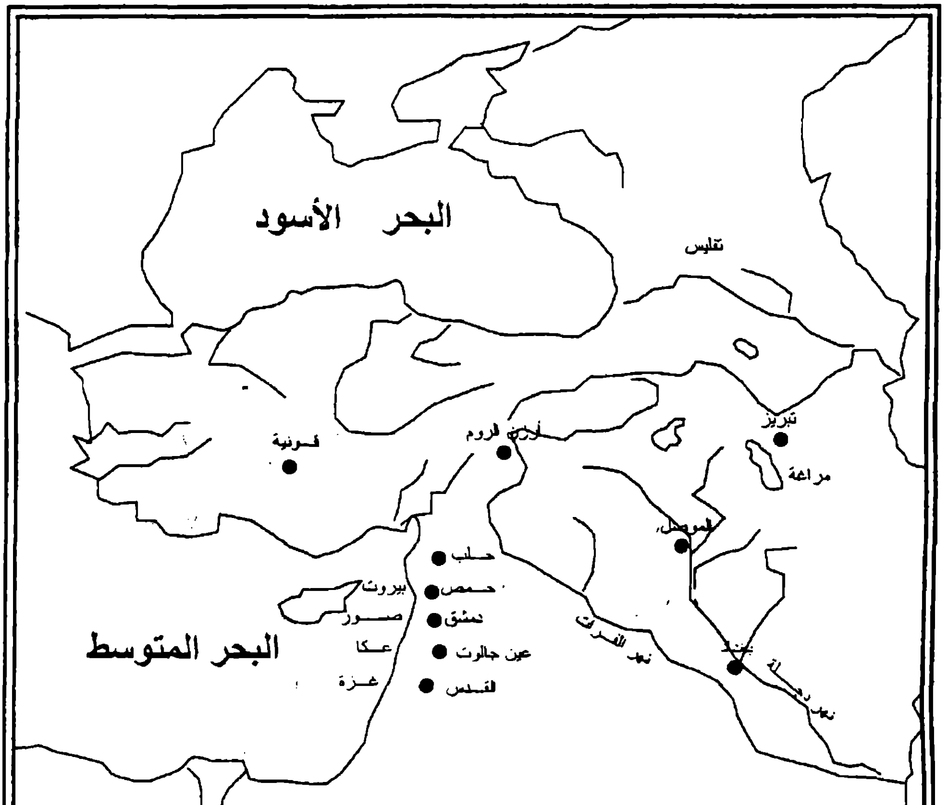


الدولة الخوارزمية في أقصى اتساعها

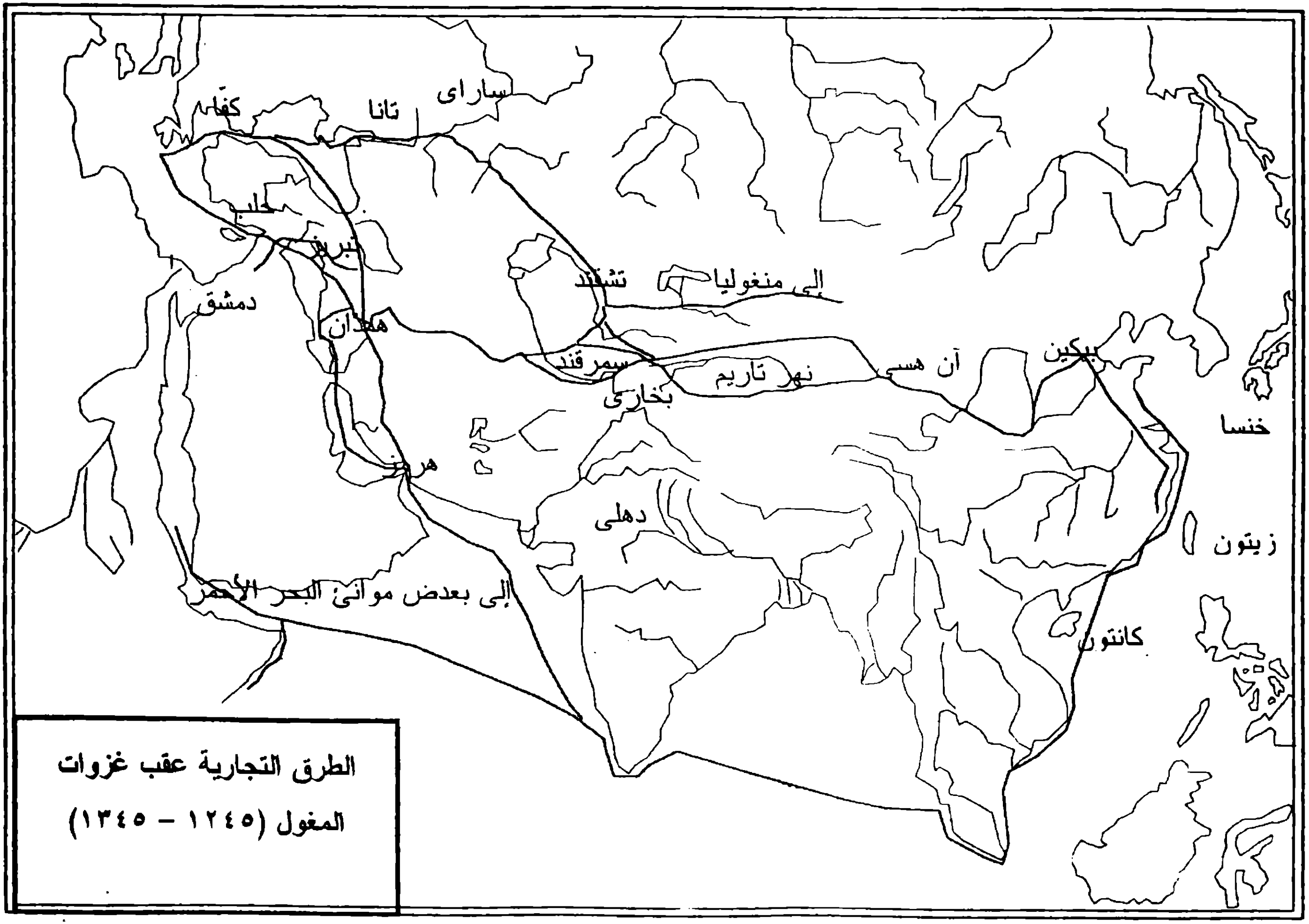


انقسام الإمبراطورية المغولية

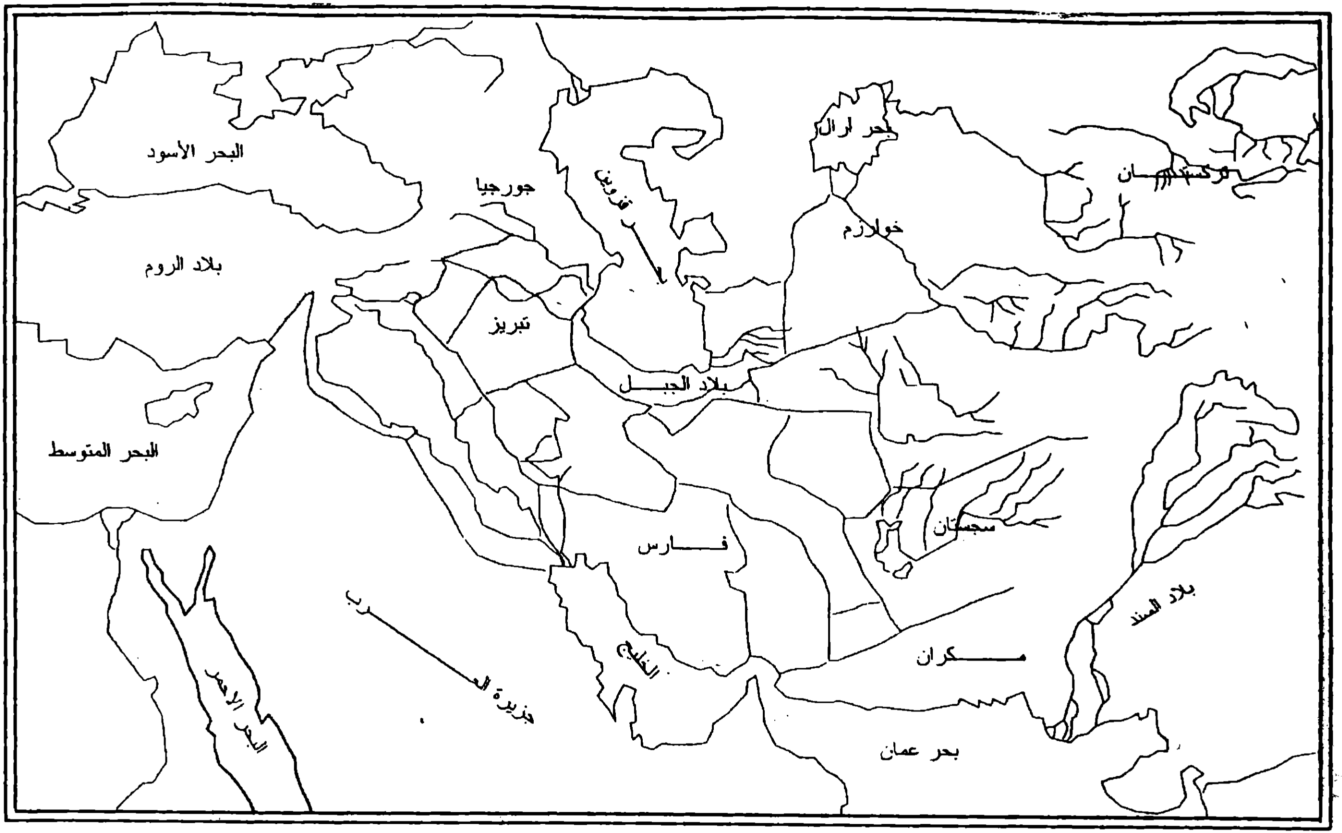

سمرقند
بخارى
ما وراء النهر
دهستان
بحر قزوين
نهر جيحون
بلخ
جرجان
الصوت
قزوين
سلطانية
الري
همذان
خراسان
الغور
نهر السند
لورستان
أصفهان
خوزستان
الأهواز
سجستان
شيراز
فارس
كرمان
مكران
الخليج الفارسي
إيران



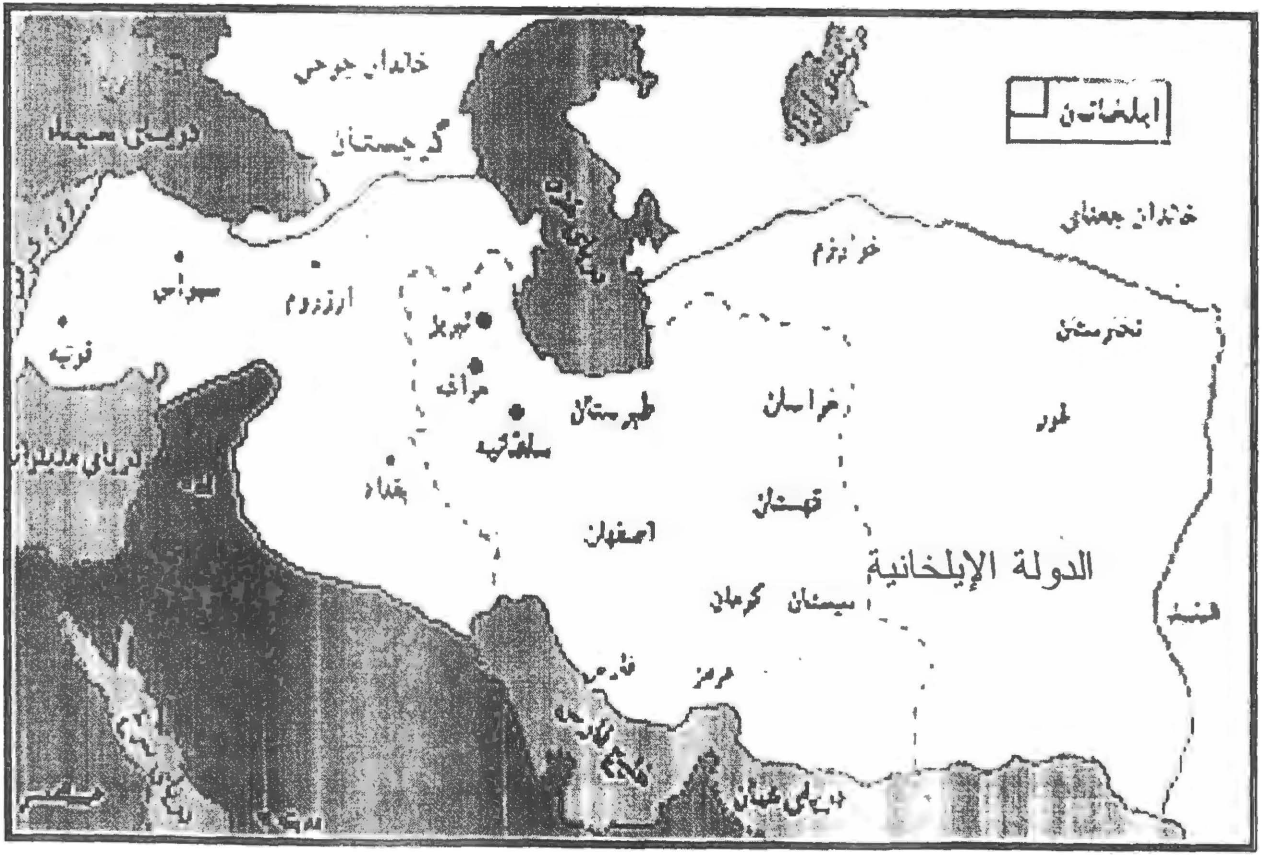
تحركات المغول في آسيا الصغرى والعراق وبلاد الجزيرة وبلاد الشام



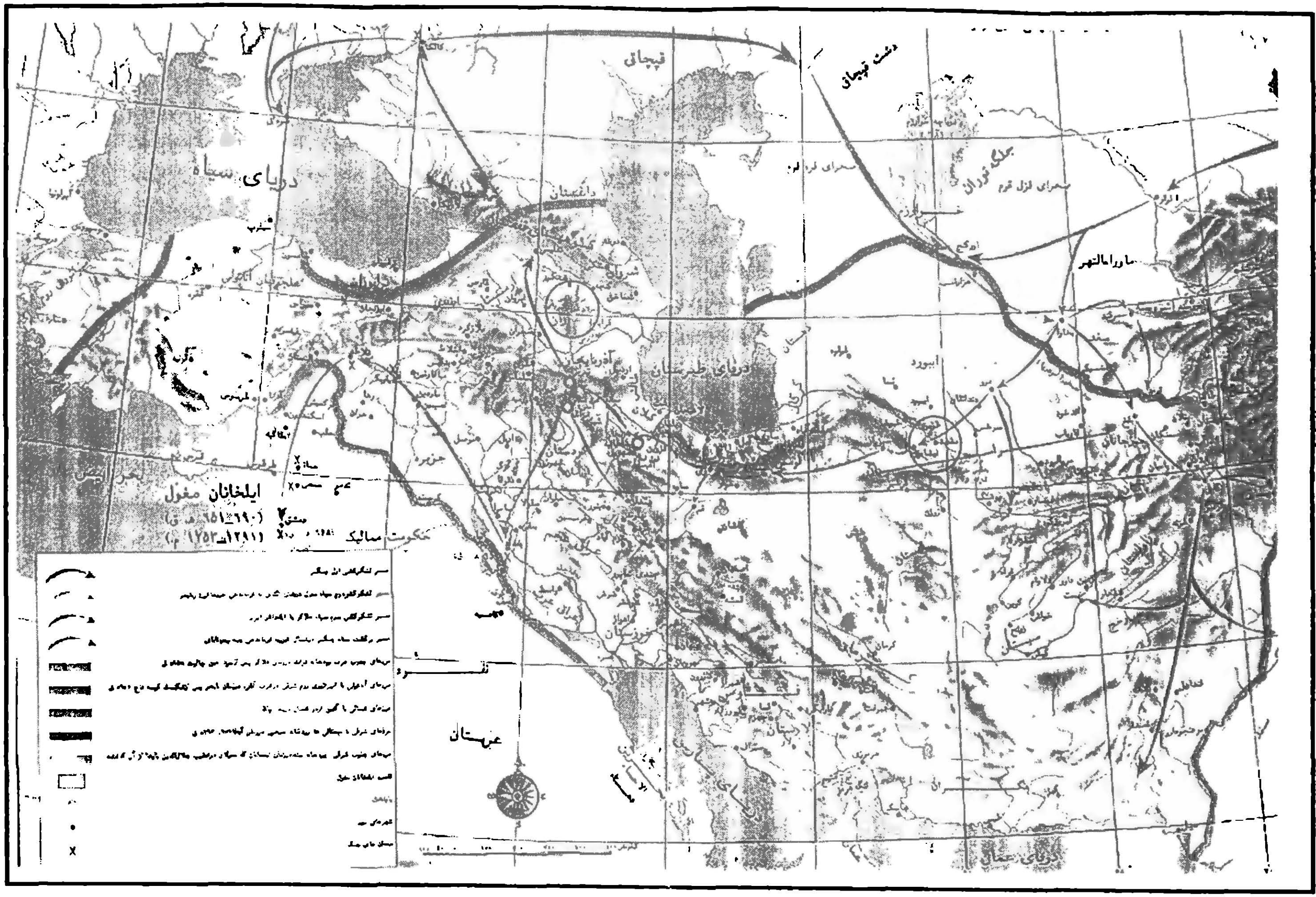
الطرق التجارية عقب غزوات المغول (١٢٤٥ - ١٣٤٥)



دولة الإيلخانيين والممالك المجاورة لها



الدولة الإيلخانية



انتشار المغول فى قارة آسيا



صورة تخيليه لجنكيزخان



جنكيزخان الخان الأعظم للمغول



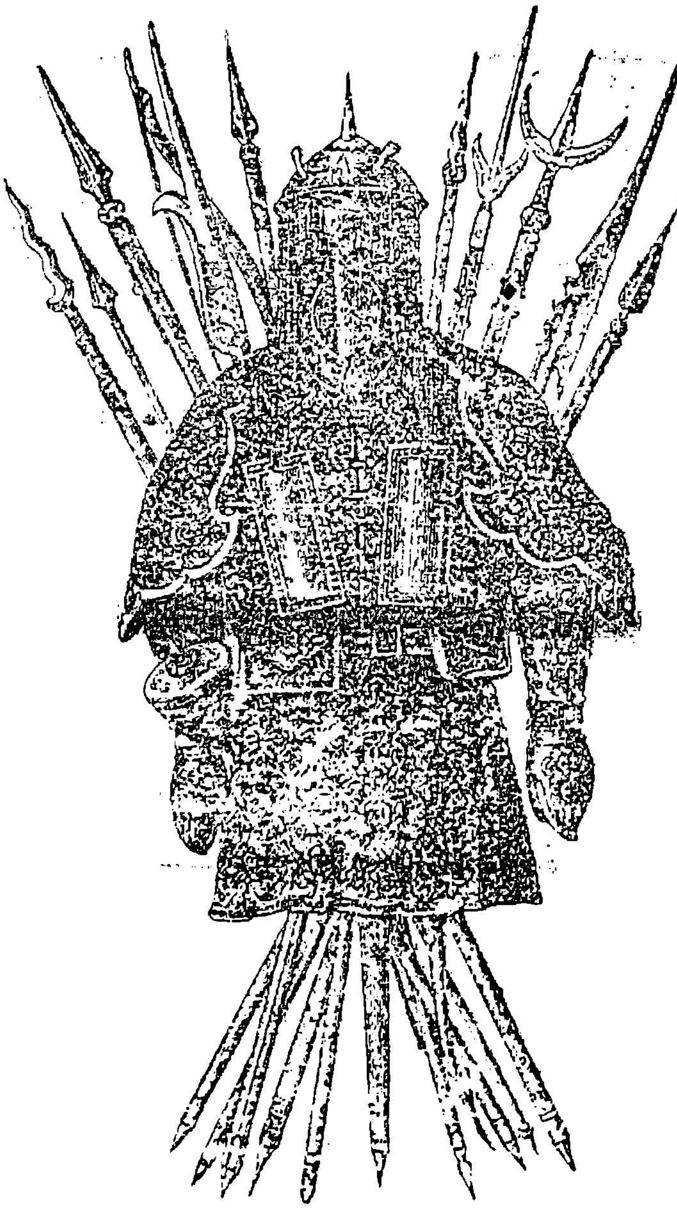
جنكيزخان ببزته الحربية



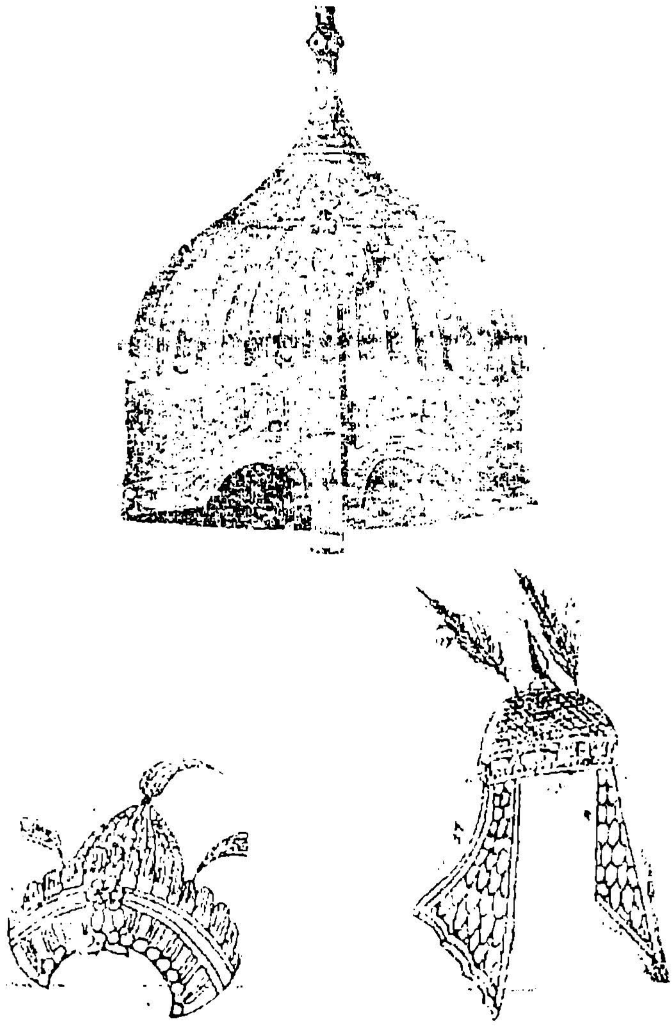
قوبیلای خان



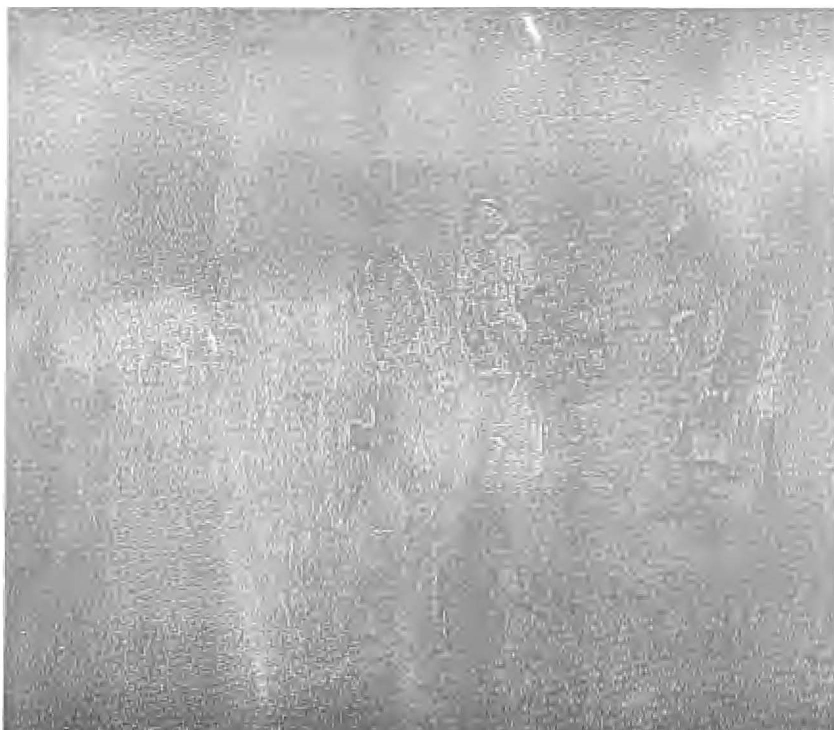
جندى مغولى بزييه العسكرى



.نماذج من أسلحة المغول



نمادج من تيجان المغول



المغول حال خروجهم للقنص



المغول يتأهبون للخروج إلى الحرب



أعلى الصورة أبناء تولوى

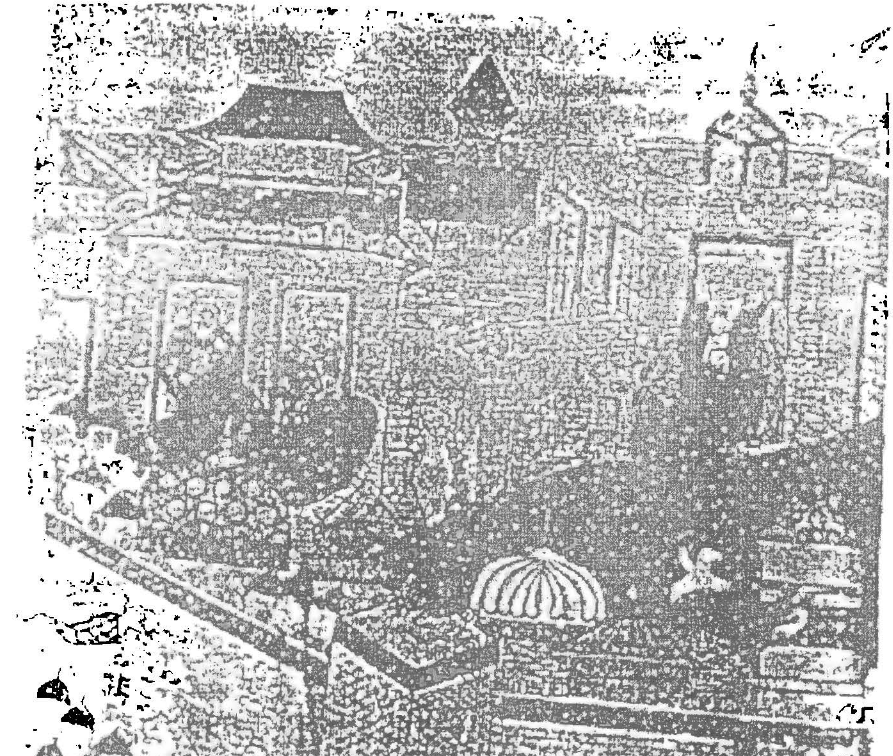
(منكو - قوبيلاى - هولاكو)



انعقاد القوريلتاى لانتخاب منكو خاناً أعظم



تركان خاتون والدة محمد خوارزم شاه في الأسر المغولي



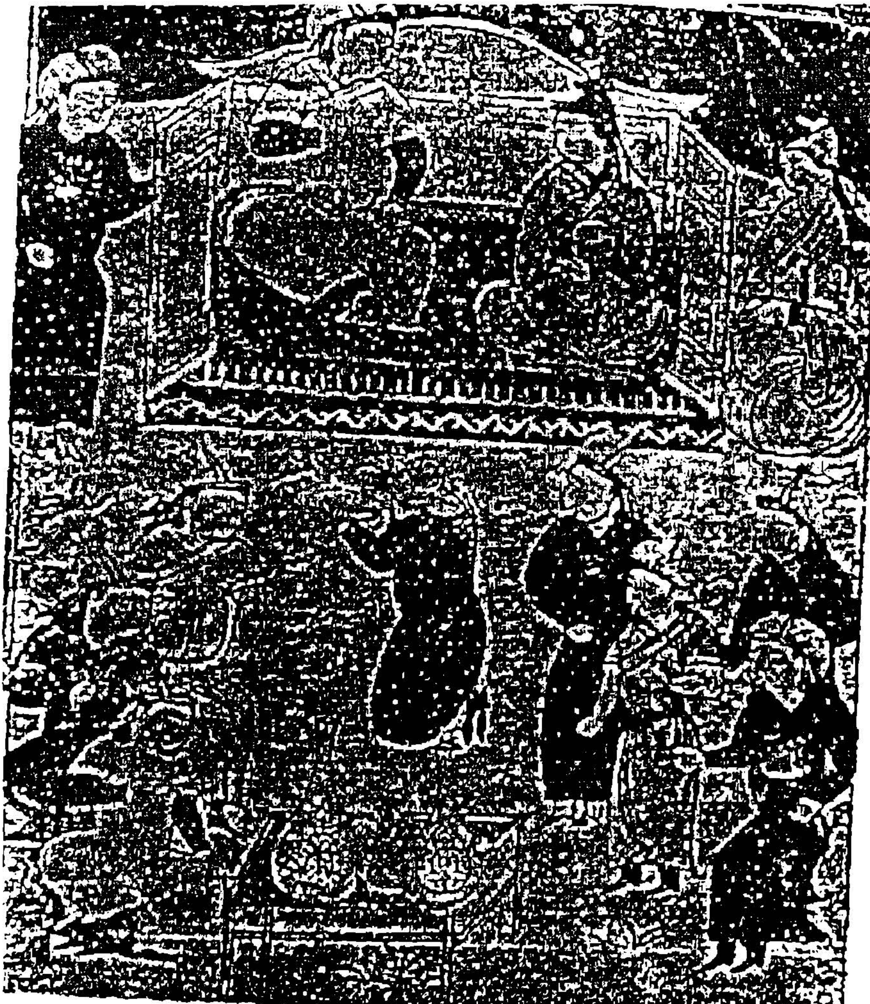
أشخاص من أهل بغداد يقفون فوق لسطح منازلهم لمشاهدة جنود المغول وهم يعبرون الأحياء والطرقات



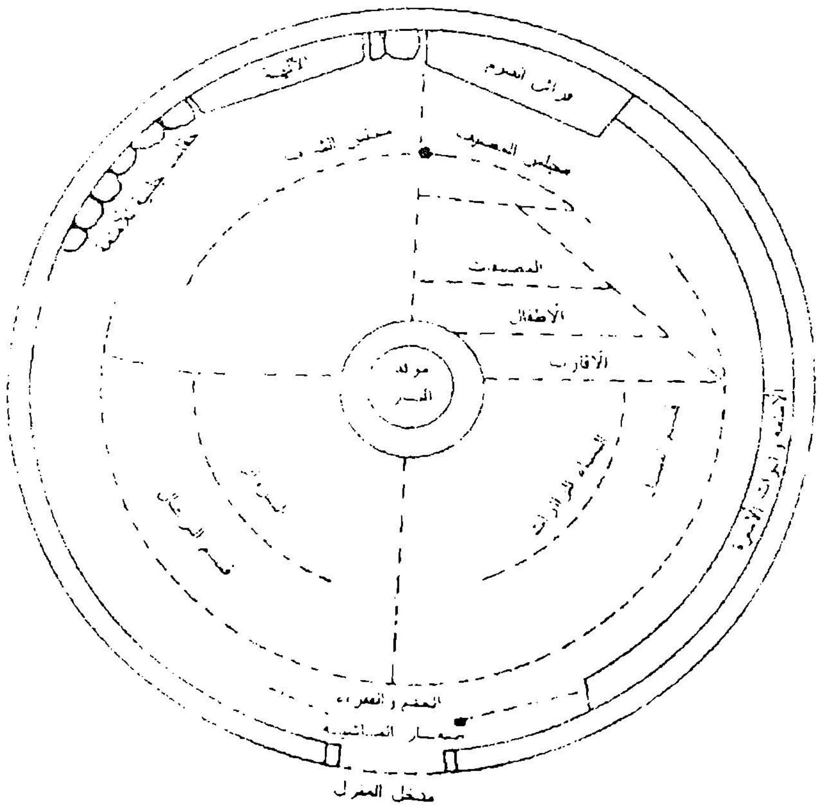
جلوس هولاكو على العرش



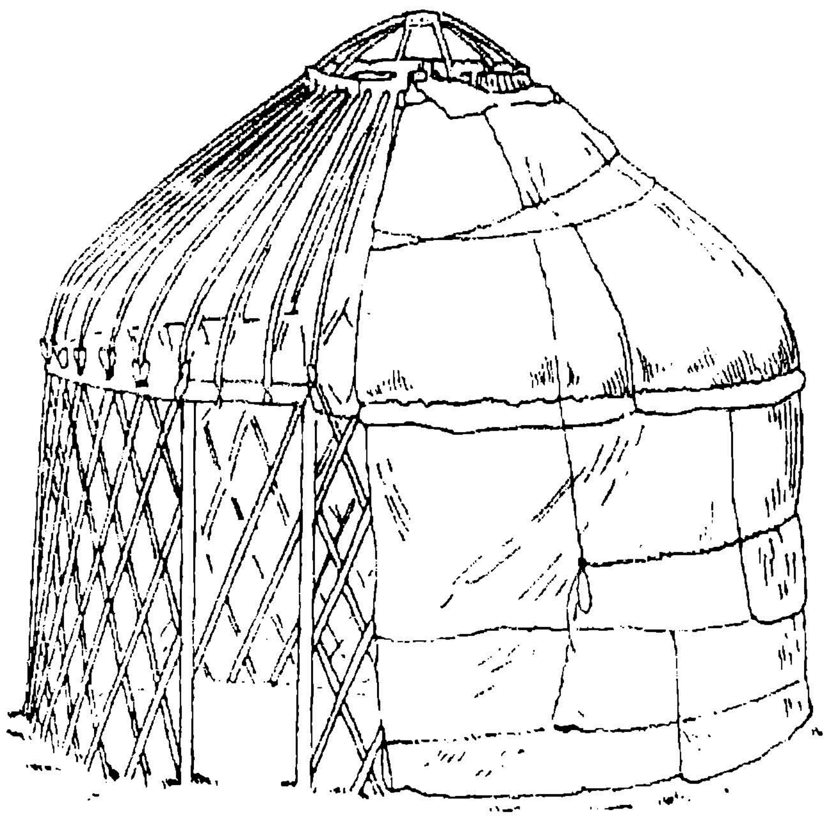
هولاكو ببزة حربية



أرغون خان وزوجتان من زوجاته، وقد جلست الملكة بجواره



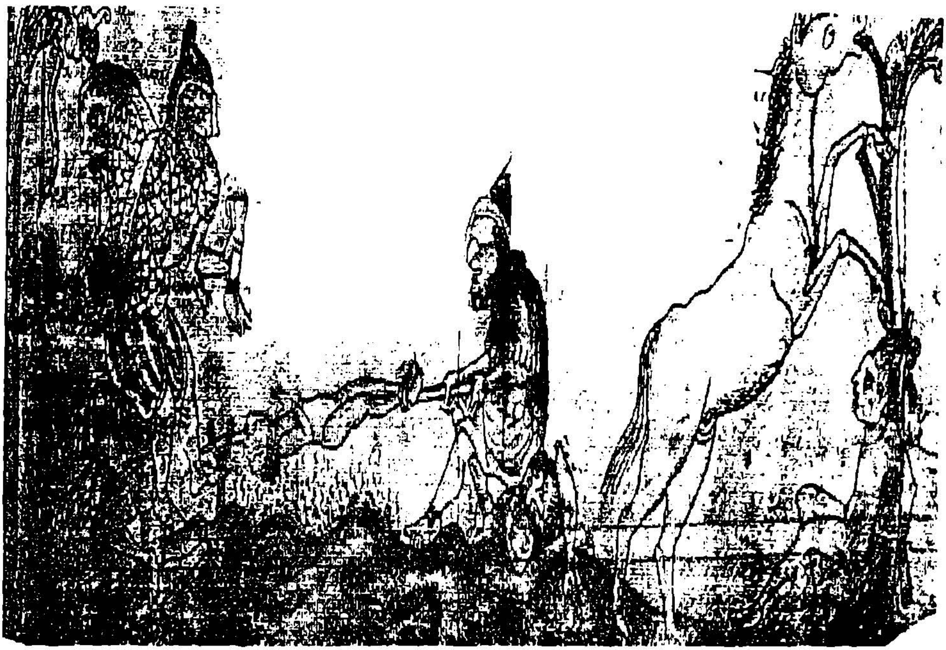
تقسيمات منزل المغولى من الداخل



منزل المغولى من الخارج



الخان وبجواره خانيته في إحدى الاحتفالات



صورة تخيلية لمغول يأكلون أحد أطفال أعدائهم







نساء مغوليات منهمكات فى بعض

الواجبات اليومية



مغولى يحرق الطعام على أرواح

موتاه رأس كل عام



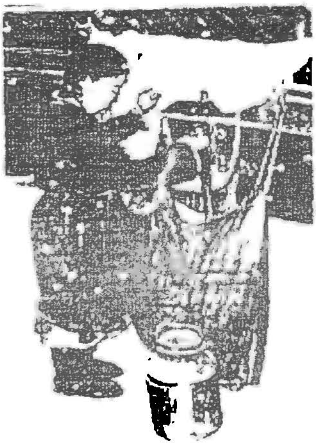
أحد المغول خارجًا للصيد



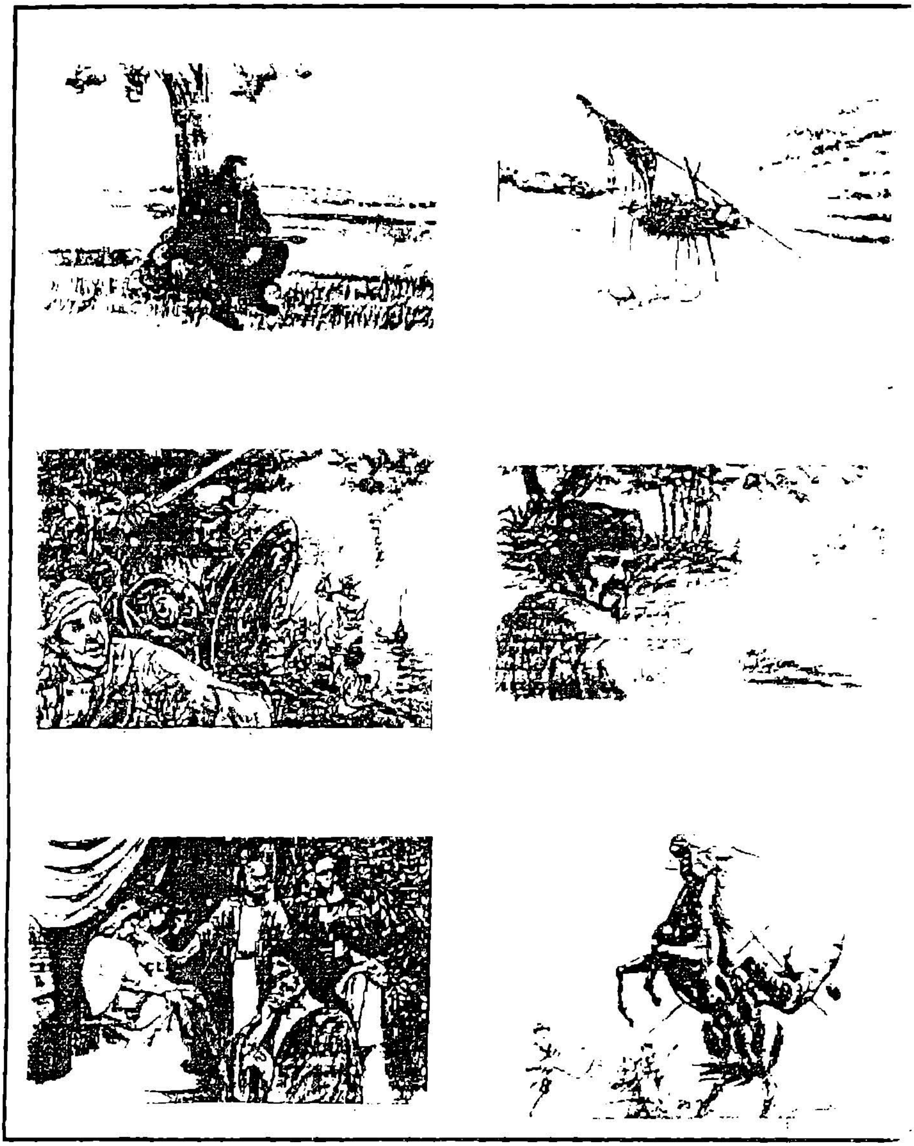
مغولى يتأهب لإطلاق سهمه على صيده



مغولى يحلب فرسًا مروضة

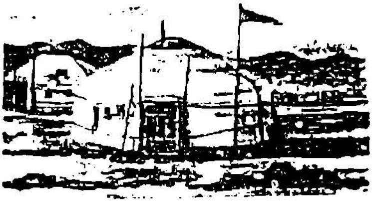


مغولية تعالج كمية حليب بمخضها بعصا
غليظة لاستخراج الزبد



بعض العادات والطقوس المغولية





وضع علم إشارة على أن

داخل المنزل مريض







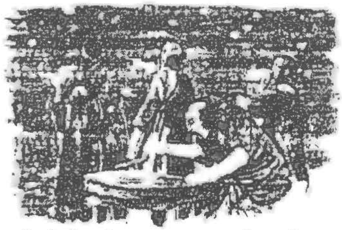


رجل حديث الوفاة والدفن

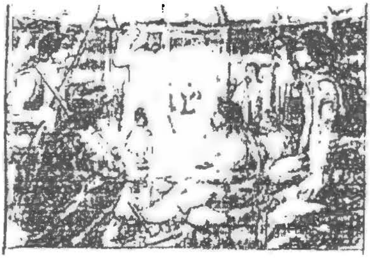
نماذج من الطقوس والعادات



بعض المغول ابان ركوعهم للشمس



المغول يضربون على الطبول ابتهاجًا بانجلاء خسوف القمر



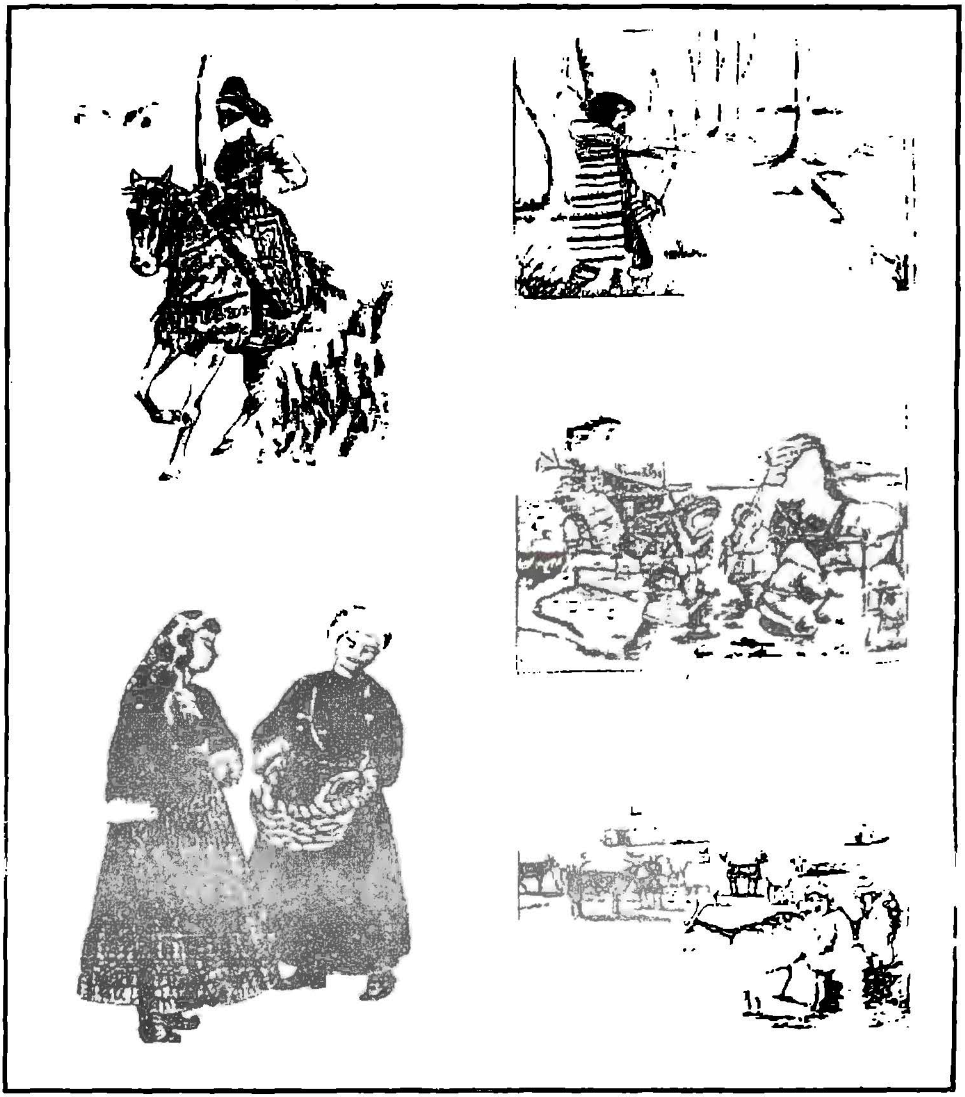
داعية يشرح عقيدة الإسلام لجمهور المغول



أحد الدعاة يشرح الإسلام للخان



مجموعة من الناس يقدمون طعامًا وشرابًا للكاهن



مناظر من الحياة اليومية عند المغول



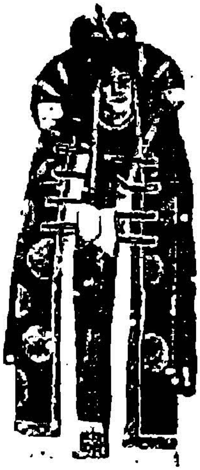
مراحل اختيار الزوجة واختطافها من قبل عريسها عند المغول



مراحل بناء الخيمة المغولية



الملابس العادية لفتيات المغول



لباس العروسة



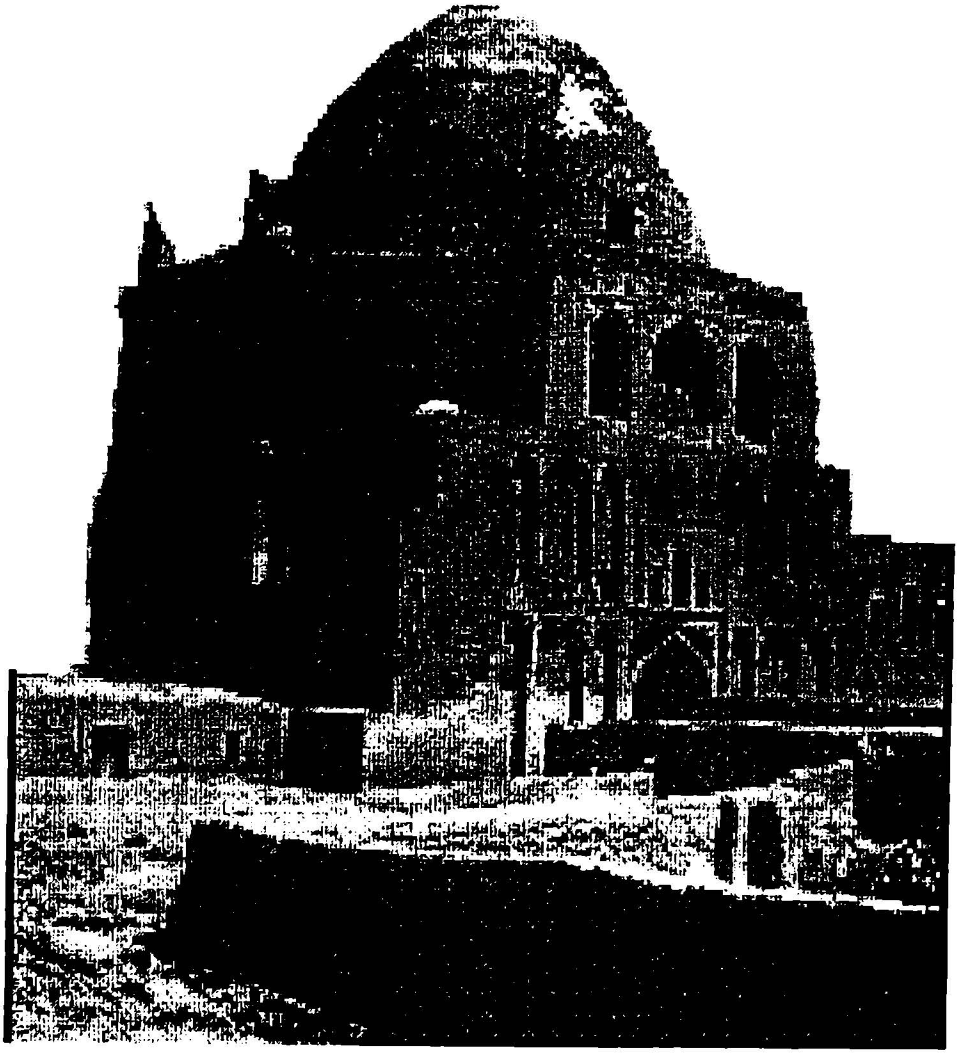
وليمة فى ليلة الزفاف



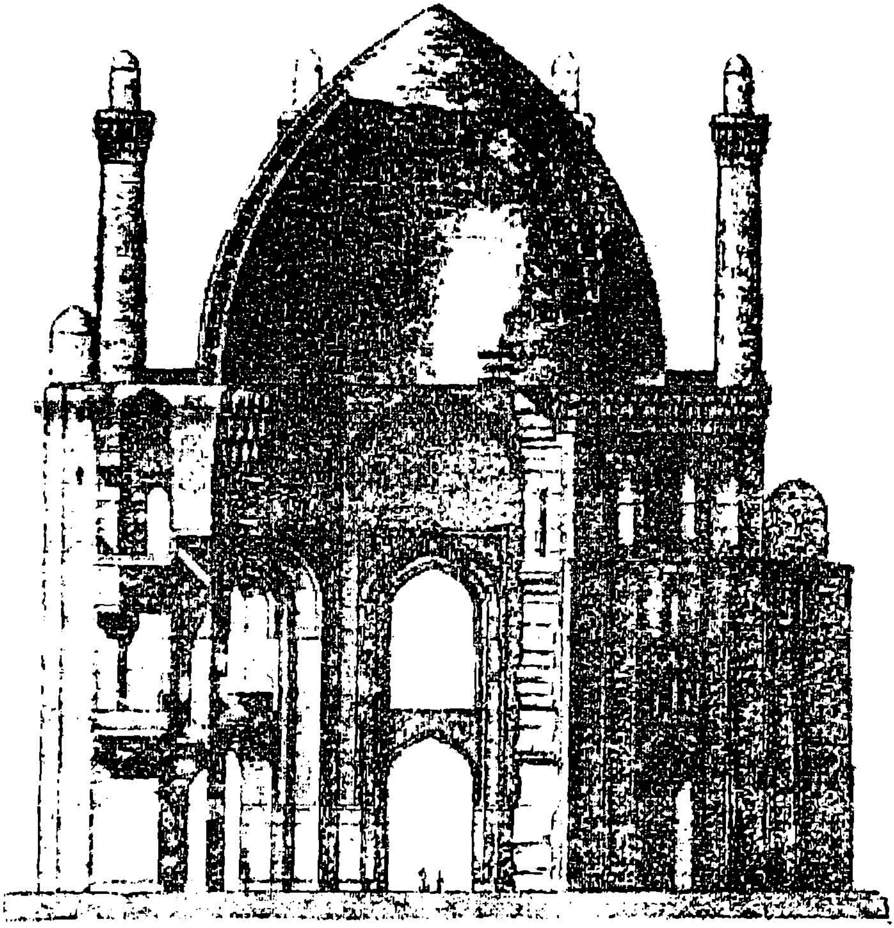
إمراة مغولية وطفلها



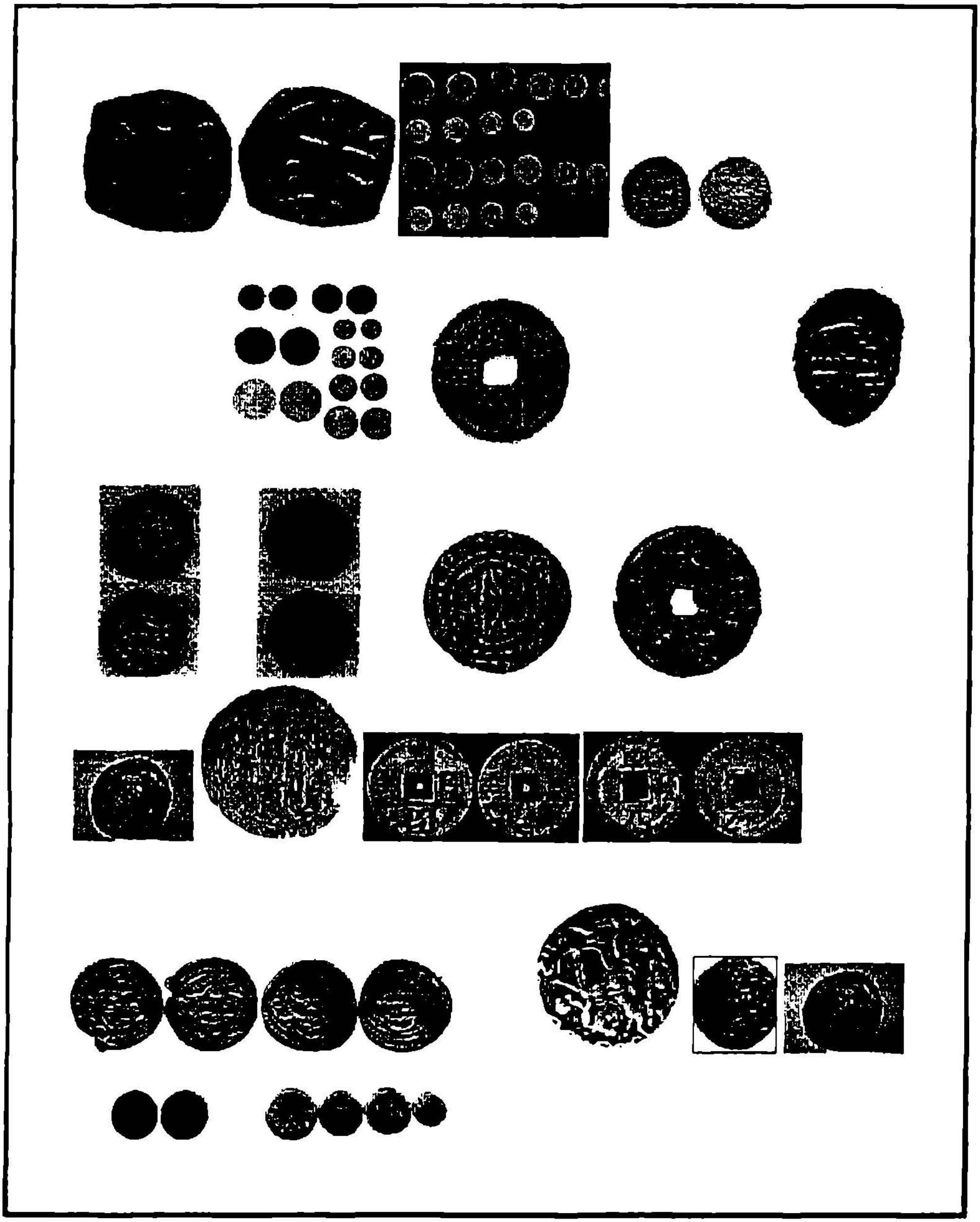
تشييع جِنازةَ غازان وقد صارت زوجاته خلف نعشه



مرقد أولجايتو



مقطع من مرقد أولجايتو



بعض نماذج لمراحل تطور العملات المغولية

الخرائط والصور والأشكال نقلاً عن:

١- ١- د/ سعد بن محمد الغامدى: المغول بيئتهم الطبيعية وحياتهم الاجتماعية والدينية، الطبعة الأولى، الرياض، السعودية، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

٢- ------------: المجتمع المغولى ((ضوابطه وقوانينه وأقوال جنكيزخان وحكمه والياسا والبيليك))، الطبعة الأولى، الرياض، السعودية، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

٣- د/ فؤاد عبدالمعطى الصياد: مؤرخ المغول الكبير رشيد الدين فضل الله الهمذانى، الطبعة الأولى، دار الكاتب العربى، القاهرة، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٧م.

٤- ------------: المغول فى التاريخ، دار النهضة، بيروت، لبنان، ١٩٧٠م.

٥- ------------: الشرق الإسلامى فى عهد الإيلخانيين (أسرة هولاكو) منشورات مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، جامعة قطر، ١٩٨٧م.

٦- د/ محمود سعيد عمران: المغول والأوروبيون والصليبيون وقضية القدس، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٣م.

٧- شيرين بيانى: دين ودولت ((در ايران عهد مغول))، جلد دوم حكومت ايلخانى، مركز نشرد انشگاى، تهران، ١٣١٧.

8- (Bojegei) Kate: The Mongols, London, 1998.

9- ----------------: Mission to the Mongols, 28 May, 2002. Available at http://www.florilegium.org/files/culture/mongol-mission-art.html.

10- (D'Ohsson): Histoire des Mongols, T. –IV, Amsterdam, 1892.

11- (Howorth) Henry. H. F. S: History of the Mongols, London, 1927.

12- (Macpherson) Catriona: The Mongols, 2003, London. http://members-tripod-com-whitebardcalhtm.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

أ- المصادر العربية والمعربة

ب- المصادر الفارسية

جـ- المصادر الأجنبية

ثانياً: المراجع

أ- المراجع العربية والمعربة

ب- المراجع الفارسية

جـ- المراجع الأجنبية

ثالثاً: الدوريات والرسائل العلمية

أولاً: المصـــادر

أ- المصادر العربية والمعربة

١- ابن الأثير (عز الدين أبى الحسن على أبى الكرم الشيبانى) ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م: الكامل فى التاريخ، الطبعة الأولى، حققه وضبط حواشيه على شيرى، دار إحياء التراث العربى، بيروت، لبنان، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

٢- الإدريسى (الشريف أبى عبدالله محمد بن محمد بن إدريس الحموى الحسنى) ت ٥٤٨هـ/ ١١٥٤م من علماء القرن السادس الهجرى: نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق، المجلد الأول، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت.

٣- ------------------: نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق، دراسة وتحليل الدكتور/ إبراهيم الخورى، الطبعة الأولى، مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات العربية المتحدة، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

٤- الأزدى (جمال الدين أبوالحسن على منصور ظافر بن حسين الأزدى) ت ٦١٣هـ/ ١٢١٦م: أخبار الدول المنقطعة، تحقيق. د. عصام هزايمة، محمد محافظة وآخرون، جزءان، مؤسسة حماد، الأردن، ١٩٩٩م.

٥- ابن أعثم (العلامة أبى محمد بن أحمد بن أعثم) ت ٣١٤هـ/ ٩٢٦م: الفتوح، الطبعة الأولى، المجلد الرابع، جـ٧، جـ٨، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٦- أسامة بن منقذ (مؤيد الدولة أبومظفر أسامة بن مرشد الكنانى الشيرزى) ت ٥٨٤هـ كتاب الاعتبار، حرره فليب حتى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت.

٧- الإصطخرى (أبى اسحق إبراهيم بن محمد بن الفارسى الكرخى) المتوفى فى النصف الأول من القرن الرابع الهجرى: المسالك والممالك، تحقيق د. محمد جابر عبدالعال، مراجعة محمد شفيق غربال، قدم لهذه الطبعة د. عبدالعال الشامى، سلسلة الذخائر عدد ١١٩، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، مايو ٢٠٠٤م.

٨- ---------------: كتاب الأقاليم، مكتبة المثنى، بغداد، العراق، د.ت.

٩- الأصفهانى (عماد الدين الكاتب) ت ٥١٩ – ٥٩٧هـ: الفتح القسى فى الفتح القدسى، تحقيق وشرح وتقديم محمد محمود صبح، قدم له أ.د/ حامد زيان، سلسلة الذخائر، عدد ٩٠، الشركة الدولية للطباعة، القاهرة، ٢٠٠٣م.

١٠- الأصفهانى (عماد الدين أبوعبدالله محمد بن الفتح بن على) ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠١م: تاريخ دولة آل سلجوق، بولاق، القاهرة، ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م.

١١- ابن اياس (محمد بن أحمد بن اياس الحنفى) ت ٩٣٠هـ: بدائع الزهور فى وقائع الدهور، حققه وكتب له المقدمة محمد مصطفى، جـ١، القسم الأول، الطبعة الثانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

١٢- ــــــــــــــــــــــــ: نشق الأزهار فى عجائب الأقطار، منـــشور وملحق مقتطفات منه بكتاب، مؤلف مجهول، أخبار المجــوس مـــن الأرمن وورنك الروس، د.ت.

١٣- بابرشاه (ظهير الدين محمد مؤسس الدولة التميوية): تاريخ بابرشـــاه المعروف ببابرنامه وقائع فرغانه، ترجمة وتقديم وتعليق د/ ماجـــده مخلوف، الطبعة الأولى، دار الآفاق العربية، القـــاهرة، ١٤٢٢هـــــ/ ٢٠٠٢م.

١٤- البخارى (أبى عبدالله محمد بن اسماعيل البخـــارى) ت ٢٥٦هــــ: صحيح للبخارى، علق عليه ووضـــع حواشـــيه الإمـــام أبوالحـــسن نورالدين السندى، المجلد الأول والثانى، دار المعرفة، بيروت، لبنان، د.ت.

١٥- أبى البسام الفاطمى (الإمام العلامة أبى الخطاب عمر بن الشيخ على حسن بن سبط المعروف بذى النسبين دحية والحسين) ت ٦٣٣هـــــ/ ١٢٣٥م: كتاب النبراس فى تاريخ خلفاء بنى العباس، صححه وعلق عليه. عباس العزاوى، مطبعة المعارف، بغداد، العراق، ١٣٦٥هــ/ ١٩٤٦م.

١٦- بطرس توديبود: تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، نقله عن اللاتينية إلى الإنجليزية مع مقدمة وهوامش. جون هيوج هيـــل، لوريتـــال هيـــل، جامعة هوستون، نقله إلى العربية وعلق عليه. د. حسين محمد عطية، تقديم د/ جوزيف نسيم يوسف، الطبعة الأولى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٨م.

١٧- ابن بطوطه (أبوعبدالله محمد بن إبـــراهيم اللـــواتى) ت ٧٧٩هـــــ/ ١٣٧٧م: رحلة ابن بطوطة، الطبعة الأولى، دار صـــادر، بيـــروت، لبنان، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، ؛ دار الكتاب اللبنانى، بيروت، د.ت.

١٨- ------------: مهذب رحلة ابن بطوطه المسماه (تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، وقف عليه وضبطه أحمــد العوامرى بك ومحمد أحمد جاد المولى بك، جـ١، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٣٣م.

١٩- البغدادى (أبى الفرج قدامه بن جعفر الكاتب): الخراج وصنعة الكتابة، ملحق بكتاب المسالك والممالك لابن خردانبة، مطبعة بريل، ليـــدن، ١٨٨٩م.

٢٠- البغدادى (الإمام أبى منصور عبدالقاهر بن طاهر بن محمد البغدادى) ت ٤٢٩هـــ/ ١٠٣٧م: الفَرقُ بين الفِرق وبيان الفرقة الناجية مـــنهم، دراسة وتحقيق محمد عثمان الخشت، مكتبة ابـــن ســـينا، القـــاهرة، ١٤٠٩هـــ/ ١٩٨٩م.

٢١- أبى البقاء (عبدالله البدرى): نزهة الأنام فى محاسن الـــشام، الطبعـــة الأولى، دار الرائد العربى، بيروت، لبنان، ١٤٠٠هـــ/ ١٩٨٠م.

٢٢- ابن البلخى: فارس نامه، ترجمة وتحقيق يوســـف الهـــادى، الطبعـــة الأولى، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ١٤١٩هـــ/ ١٩٩٩م.

٢٣- البلاذرى (الإمام أبى الحسن البلاذرى) ت ٢٧٩هـــ/ ٩٨٢م: فتـــوح البلدان، عنى بمراجعته والتعليق عليه. رضوان محمد رضـــوان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـــ/ ١٩٨٣م.

٢٤- البندارى (الفتح بن على البندارى) ت ٦٤٣هـ: سنا البرق الشامى، اختصار من كتاب البرق الشامى للعماد الكاتب الأصفهانى، تحقيق فتحية النبراوى، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٩م.

٢٥- بنيامين بن يونه (الربى بنيامين بن يونه التطيلى النبارى الأندلسى): رحلة بنامين (٥٦١ - ٥٦٩هـ/ ١١٦٥ - ١١٧٣م)، ترجمها عن الأصل العبرى عزرا حداد، تقديم عباس العزاوى، الطبعة الأولى، المطبعة الشرقية، بغداد، ١٣٦٤هـ/ ١٩٤٥م.

- دار بن زيدون، بيروت، لبنان، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

٢٦- بيبرس المنصورى (الأمير ركن الدين بيبرس الناصرى المنصورى) ت ٧٢٥هـ: التحفة المملوكية فى الدولة التركية (تاريخ دولة المماليك البحرية فى الفترة من ٦٤٨هـ إلى ٧١١هـ)، نشره وقدم له ووضع فهارسه د.عبدالحميد صالح حمدان، الطبعة الأولى، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٢٧- ---------------: زبدة الفكرة فى تاريخ الهجرة، تحقيق د. زبيدة محمد عطا، جـ٩، جامعة المنيا، د.ت.

٢٨- ---------------: مختار الأخبار تاريخ الدولة الأيوبية ودولة المماليك البحرية حتى سنة ٧٠٢هـ، حققه وقد له ووضع فهارسه د. عبدالحميد صالح حمدان، الطبعة الأولى، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

٢٩- البيرونى (أبى الريحان محمد بن أحمد البيرونى) ت ٤٤٠هـ: كتاب التفهيم لأوائل صناعة التنجيم، منشور ومحلق مقتطفات منه بكتاب مؤلف مجهول، أخبار المجوس من الأرمن وورنك الروس، د.ت.

٣٠- ----------------: تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة فى العقل أو مرذولة، قدم هذه الطبعة د. محمود على مكى، سلسلة الذخائر عدد (١٠٩)، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٣م.

٣١- ابن تغرى بردى (جمال الدين أبى المحاسن يوسف الأتابكى) ت ٨٧٤هـ: النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، قدم له وعلق عليه محمد حسين شمس الدين، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

٣٢- ----------------: حوادث الدهور فى مدى الأيام والشهور، تحقيق محمد كمال الدين عز الدين، جـ١، الطبعة الأولى، عالم الكتب، القاهرة، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

٣٣- ----------------: الدليل الشافى على المنهل الصافى، تحقيق فهيم محمود شلتوت، جـ٢، جامعة أم القرى، السعودية، د.ت،؛ الجزء الأول، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٨م.

٣٤- التوحيدى (أبى حيان على بن محمد): أخلاق الوزيرين "مثالب الوزيرين الصاحب ابن عباد وابن العميد" حققه وعلق على حواشيه محمد ثاويت الصنجي، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

٣٥- التونسى (السيد خير الدين التونسى): أقوم المسالك فى معرفة أحوال الممالك، الطبعة الأولى، مطبعة الدولة، تونس، ١٢٨٤هـ.

٣٦- تيودور بيشوف الجرمانى: تحف الأنباء فى تاريخ حلب الشهباء، ترجمة وتحقيق د/ شوقى شعث، أ. فالح بكور، الطبعة الثانية، دمشق، ١٩٩٢م.

٣٧- الثعالبى (أبى منصور عبدالملك بن محمد بن اسماعيل) ت ٤٢٩هـ: لطائف المعارف، تحقيق إبراهيم الابيارى، حسن كامل الصيرفى، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م.

٣٨- الجاحظ: رسائل الجاحظ القسم الأول من الفصول المختارة من كتب الجاحظ، اختيار الإمام عبيد الله بن حسان، جـ٣، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

٣٩- الجاحظ البصرى (أبى عثمان بن عمرو بن بحر الجاحظ البصرى): التبصرة بالتجارة ((فى وصف ما يستظرف في البلدان من الأمتعة الرفيعة والأعلاق النفيسة والجواهر الثمينة))، الرسائل النادرة، عنى بنشره وتصحيحه والتعليق عليه، العلامة السيد حسن حسنى عبدالوهاب التونسى، الطبعة الثانية، مكتبة الخانجى، القاهرة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

٤٠- جوانڤيل: القديس لويس حياته وحملاته على مصر والشام (مذكرات جوانڤيل)، ترجمة وتعليق د/ حسن حبشى، الطبعة الأولى، دار المعارف، مصر، ١٩٦٨م.

٤١- الجوينى (علاء الدين عطا ملك بن بهاء الدين محمد) ت ٦٨١هـ: جهانكشاى، ترجمة أ.د/ السباعى محمد السباعى، نشر وتصحيح العلامة محمد بن عبدالوهاب القزوينى، ليدن، ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٧م.

٤٢- الحّرانى (أحمد بن حمدان بن شبيب الحرانى): جامع الفنون وسلوة المخزون، منشوز وملحق بكتاب. مؤلف مجهول، أخبار أمم المجوس من الأرمن وورنك الروس، د.ت.

٤٣- الحريرى (أحمد بن على الحريرى): الإعلام والتبيين فـى خـروج الفرنج الملاعين على ديار المسلمين، حقق نصه وعلق عليه د/ سهيل زكار، دار الملاح، ١٤١٠هـ/ ١٩٨١م.

٤٤- الحنبلى (الحافظ بن رجب محمد الحنبلى) ت ٧٩٥هـ: كشف الكربة فى وصف حال أهل الغربة، تحقيق ودراسة يسرى عبدالغنى البشرى، مكتبة القرآن، القاهرة، د.ت.

٤٥- الحنبلى الحلبى ت ٩٧١هـ: الزَّبَد والضَّربَ فى تاريخ حلب، حققه وشرحه د. محمد التتونجى، الطبعة الأولى، جمعية إحياء التراث الإسلامى، منشورات مركز المخطوطات والتراث، الكويت، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.

٤٦- الحنبلى بن العماد (أبى الفلاح عبدالحى بن العماد الحنبلى) ت ١٠٨٩هـ: شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، الطبعة الثانية، جـ٥، جـ٦، دار المسيرة، بيروت، لبنان، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

؛ شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، الدار اللبنانية، بيروت، لبنان، د.ت.

٤٧- ابن حوقل (أبى القاسم بن حوقل النصيبى) ت ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م: كتاب صورة الأرض، منشورات دار الحياة، بيروت، لبنان، ١٩٩٢م.

٤٨- ابن خُرداذبه (أبى القاسم عبيدالله بن عبدالله مولى أمير المؤمنين) ت ٣٠٠هـ/ ٩١٣م: المسالك والممالك، مطبعة بريل، ليدن، ١٨٨٩م.

٤٩- خسرو (ناصر خسرو علوى): سفر نامة، ترجمه عن الفارسية د. يحيى الخشاب، تصدير د. عبدالوهاب عزام، سلسلة الألف كتاب الثانية، الطبعة الثانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٣م.

٥٠- ابن خلدون (عبدالرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي) ت٨٠٨هـ: المقدمة المسماه بمقدمة العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر، علق عليه تركي فرحان المصطفى، جـ١، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربى، بيروت، لبنان، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

٥١- ------------: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر، المشهور "بتاريخ بن خلدون"، علق عليه تركي فرحان المصطفى، جـ٥، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربى، بيروت، لبنان، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

٥٢- ------------: التعريف بابن خلدون ورحلته غربًا وشرقًا، عارضه بأصوله وعلق عليه ووضع حواشيه. محمد بن تاويت الطنجي، قدم له د. عبادة كحيلة، سلسلة الذخائر عدد (١٠٠)، القاهرة، ٢٠٠٣م.

٥٣- الخوارزمى الكاتب (أبى عبدالله محمد بن أحمد بن يوسف): مفاتيح العلوم، تحقيق ڤان ڤلوتن، قدم لهذه الطبعة د. محمد حسن عبدالعزيز، سلسلة الذخائر، العدد (١١٨)، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٤م.

٥٤- خواندمير (غياث الدين المؤرخ الإيرانى): دستور الوزراء، ترجمه عن الفارسية وعلق عليه د. حربى أمين سليمان، تقديم د. فؤاد عبدالمعطى الصياد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٠م.

٥٥- خواندمير (محمد بن خاوند شاه) ت ٩٠٣هـ: روضة الصفا فى سيرة الأنبياء والملوك والخلفاء ، راجعه وقدم إليه د. السباعى محمد السباعى، ترجمه عن الفارسية د. أحمد عبدالقادر الشاذلى، الطبعة الأولى، الدار المصرية للكتاب، القاهرة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٥٦- الدلجى (الإمام شهاب الملة والدين أحمد بن على) ت ١٢١٠هـ/ ١٧٩٥م: الفلاكة والمفلوكون، قدم هذه الطبعة د. زينب محمود الخضيرى، سلسلة الذخائر عدد (١٠٥)، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٣م.

٥٧- أبى دلف (أبى دلف مسعر بن المهلهل الخزرجى) ت ٣٨٥هـ: الرسالة الثانية ((رحلته من بخارى إلى الصين مارًا بخراسان)) اعتنى بنشرها مينورسكى، وزارة التربية والتعليم، إدارة الثقافة، مطبعة جامعة القاهرة، ١٩٥٥م.

٥٨- الدمشقى (شمس الدين أبى عبدالله محمد بن أبى طالب): نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر، منشور وملحق بكتاب، مؤلف مجهول، أخبار أمم المجوس من الأرمن وورنك الروس، د.ت.

٥٩- الدمشقى (الشيخ أبى الفضل جعفر بن على الدمشقى): كتاب الإشارة إلى محاسن التجارة ومعرفة جيد الأعراض ورديها وغشوش المدلسين فيها، مطبعة المؤيد، القاهرة، ١٣١٨هـ.

٦٠- الدمشقى (محمد بن طولون الصالحى) ت ٨٥٣هـ: إعلام الورى بمن ولى نائبًا من الأتراك بدمشق الشام الكبرى، تحقيق محمد أحمد دهمان، الطبعة الثانية، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٦١- الدمشقي (محمد بن عيسى بن كنان الصالحي الدمشقي) ت ١١٥٣هـ/ ١٧٤٠م: المواكب الإسلامية في الممالك والمحاسن الشامية، تحقيق د.حكمت إسماعيل، مراجعة محمد المصري، القسم الثاني، وزارة الثقافة، إحياء التراث، دمشق، ١٩٩٣م.

٦٢- الدواداري (أبي بكر بن عبدالله بن أيبك) ت ٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م: كنز الدرر وجامع الغرر (الدرة الزكية في أخبار الدولة التركية)، المجلد الثامن، تحقيق أو لرخ هارمان، قسم الدراسات الإسلامية بالمعهد الألماني للآثار، القاهرة، ١٢٩١هـ/ ١٩٧١م.

٦٣- الدينوري (أبي محمد بن عبدالله بن مسلم بن قتيبة) ت ٢٧٦هـ: فضل العرب والتنبيه على علومها، تقديم وتحقيق د. وليد محمود خالص، الطبعة الأولى، منشورات المجمع الثقافي، أبوظبي، الإمارات، ١٩٩٨م.

٦٤- الذهبي (الحافظ المؤرخ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان) ت ٧٤٨هـ: العبر في خبر من غبر، حققه وضبطه على مخطوطين أبوهاجر محمد السعيد، جـ٣، دار الكتب، بيروت، لبنان، د.ت.

٦٥- ------------: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠هـ، تحقيق د. عمر عبدالسلام تدمري، الطبعة الأولى، دار الكتاب الجامعي، بيروت، لبنان، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

٦٦- رشيد الدين الهمذاني (فضل الله بن عماد الدولة أبي الخير بن موفق الدولة الهمذاني الفارسي) ت ٧١٨هـ: جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيزخان من أوكتاي قاآن إلى تيمور قاآن، نقله من الفارسية إلى العربية د/ فؤاد عبدالمعطي الصياد، راجعه وقدم له د/ يحيى الخشاب، المجلد الأول، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٨٣م.

٦٧- ــــــــــــــ: جامع التواريخ (الإيلخانيون تاريخ هولاكو مع مقدمة رشيد الدين، المجلد الثاني، جـ١، نقله من الفارسية إلى العربية محمد صادق نشأت، محمد موسى هنداوى، فؤاد عبدالمعطى الصياد، راجعه وقدم له د. يحيى الخشاب، وزارة الثقافة والإرشاد القومى، القاهرة، ١٩٦٠م.

٦٨- ــــــــــــــ: جامع التواريخ (تاريخ أبناء هولاكو من آباقا إلى كَيخاتوخان)، المجلد الثانى، جـ٢، نقله عن الفارسية إلى العربية، محمد صادق نشأت، د. فؤاد عبدالمعطى الصياد، القاهرة، ١٩٦٠م.

٦٩- ــــــــــــــ: جامع التواريخ (تاريخ غازان خان)، دراسة وترجمة د. فؤاد عبدالمعطى الصياد، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

٧٠- ابن الزبير (القاضى الرشيد بن الزبير): الذخائر والتحف، حققه د. محمد حميد الله، راجعه د. صلاح الدين المنجد، الطبعة الثانية، التراث العربى، وزارة الإعلام، الكويت، ١٩٨٤م.

٧١- ابن الساعى (على بن محمد بن انجب) ت ٦٧٤هـ: تاريخ الخلفاء العباسيين، قدم له وأعد فهارسه د. عبدالرحيم يوسف الجمل، مكتبة الأداب، القاهرة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

٧٢- ابن سباط (حمزة بن أحمد بن على المعروف بابن سباط المغربى): صدق الأخبار (تاريخ بن سباط)، عنى به وحققه د. عمر عبدالسلام تدمرى، الطبعة الأولى، جـ١، جـ٢، جروس برس، طرابلس، لبنان، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

٧٣- السخاوى (شمس الدين محمد بن عبدالرحمن السخاوى) ت ٩٠٢هـ: وجيز الكلام فى الذيل على دول الإسلام، تحقيق د. بشار عواد معروف، عصام فارس، جـ١، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

٧٤- ---------------: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، جـ٢، مكتبة الخانجى، القاهرة، د.ت.

٧٥- ابن سعيد المغربى (أبى الحسن على بن موسى المعروف بابن سعيد المغربى): بسط الأرض فى طولها والعرض، منشور ضمن كتاب، مؤلف مجهول، أخبار المجوس من الأرمن وورنك الروس، د.ت.

٧٦- السمرقندى (النظامى العروضى السمرقندى): چهار مقالة (المقالات الأربع) فى الكتابة والشعر والنجوم والطب، وعليه خلاصة العلامة محمد بن عبدالوهاب القزوينى، نقله من الفارسية إلى العربية. عبدالوهاب عزام، يحيى الخشاب، الطبعة الأولى، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م.

٧٧- السويدى (الشيخ أبى الفوز محمد أمين البغدادى الشهير بالسويدى): سبائك الذهب فى معرفة قبائل العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ت.

٧٨- السيوطى (جلال الدين أبوبكر ناصر محمد بن سابق همام الدين الخضيرى) ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م: التحدث بنعمة الله، تحقيق اليزابث مارى سارتين، قدم له د. عوض الغبارى، سلسلة الذخائر، عدد (١٠٦)، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٣م.

٧٩- ــــــــــــــــ: الوسائل فى معرفة الأوائل، تحقيق د. إبـــراهيم العدوى، د. على محمد عمر، مكتبة الخانجى، القاهرة، ١٤٠٠هـــ/ ١٩٨٠م.

٨٠- أبوشامة (عبدالرحمن بن إسماعيل بن شهاب الدين المقدسى الدمشقى) ت ٦٦٥هـ/ ١٢٦٧م: الروضتين فـــى أخبـــار الـــدولتين النوريـــة والصلاحية، جـــ٢، القاهرة، ١٢٨٧هـ/ ١٨١٢م.

٨١- ــــــــــــــــ: الذيل على الروضتين، القاهرة، ١٩٤٧م.

٨٢- ابن الشحنة (الشيخ محب الدين أبى الوليد محمد بـــن الـــشحنة) ت ٨١٥هـــ: روض المناظر فى علم الأوائل والأواخر. الطبعة الأولى، تحقيق سيد محمد مهنـــى، دار الكتـــب العلميـــة، بيـــروت، لبنـــان، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

٨٣- ابن شداد (عز الدين محمد بن علـــى بـــن إبـــراهيم) ت ٦٨٤هــــ/ ١٢٨٥م: تاريخ الملك الظـــاهر، باعتنـــاء أحمـــد حطـــيط، جمعيـــة المستشرقين الألمانية، فرانزشتايز، بقيسبادن، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٨٤- شرف خان البدليسى: الشرفنامة، ترجمها عن الفارسية إلى العربيـــة محمد على عونى، راجعه د. يحيى الخشاب، جـــ٢، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦٢م.

٨٥- شيخ الربوة (شمس الدين أبىعبدالله محمد الأنصارى): نخبة الـــدهر، الطبعة الأولى، السلسلة الجغرافية، رقم ٧، دار إحياء التراث الغربى، بيروت، لبنان، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٨٦- الشيزرى (عبدالرحمن بن نصر عبدالله جلال الـــدين الـــشافعى) ت ٥٨٩هـــ: نهاية الرتبة فى طلب الحسبة، قام على نشره السيد البـــاز

العرينى، بإشراف د. محمد مصطفى زيادة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م.

٨٧- الصفدى (صلاح الدين خليل بن أيبك) ت ٧٦٤هـ: تحفة ذوى الألباب فيمن حكم دمشق من الخلفاء والملوك والنواب، القسم الثانى، حققه إحسان سعيد خلوصى، زهير حمدان، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٢م.

٨٨- الصرفى (رزق الله منقريوس الصرفى): تاريخ دول الإسلام، جـ٢، مطبعة الهلال، الفجالة، القاهرة، ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م.

٨٩- ابن طباطبا (محمد بن على بن طباطبا المعروف بابن الطقطقى): الفخرى فى الآداب السلطانية والدولة الإسلامية، دار صادر، بيروت، لبنان، د.ت.

٩٠- الطوسى (أبوالحسن بن على بن اسحق الطوسى) ت ٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م: سياست نامة، ترجمه عن الفارسية إلى العربية د. السيد محمد العزاوى، دار الرائد العربى بالاشتراك مع بنياد فرنك إيران، القاهرة، ١٩٧٥م.

٩١- ابن طولون (شمس الدين محمد بن طولون): مفاكهة الخلان فى حوادث الزمان (تاريخ مصر والشام)، حققه وكتب المقدمة والحواشى محمد مصطفى، القسم الثانى، المؤسسة المصرية للتأليف، القاهرة، ١٩٦٤م.

٩٢- ابن طيفور (أبى الفضل أحمد بن أبى طاهر بن طيفور) ت ٢٨٠هـ: بغداد، دار الجنان، بيروت، لبنان، ١٩٠٨م.

٩٣- الظاهرى (غرس الدين خليل بن شاهين): زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، إعتنى بتصحيحه بولس راويس، مطبعة الجمهورية، باريس، ١٨٩٤م.

٩٤- ابن العبرى (أغريغوريوس الملطى) ت ٦٨٥هـ: تاريخ مختصر الدول، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، ١٨٩٠م.

٩٥- ابن عرب شاه (أقضى القضاة شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبدالله الدمشقى) ت ٨٥٤هـ: عجائب المقدور فى أخبار تيمور، الطبعة الأولى، مطبعة وادى النيل، القاهرة، ١٢٨٥م.

٩٦- ----------: فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء، تقديم وتحقيق وشرح أ.د/ محمد رجب النجار، الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة الذخائر، عدد ٩٤، القاهرة، ٢٠٠٤م.

٩٧- العرشى (القاضى حسين بن أحمد): بلوغ المرام فى شرح مسك الختام فى من تولى مُلك اليمن من ملك وإمام، أوصل حوادثه الأب أنستاس مارى الكرملى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٠٠م.

٩٨- العسقلانى (الإمام شهاب الدين أبى الفضل بن حجر العسقلانى) ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٩م: إنباء الغمر بأبناء العمر، طبع تحت مراقبة د. محمد عبدالمعين خان، الطبعة الثانية، جـ١، جـ٢، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٩٩- ابن العمرانى (محمد بن على بن محمد المعروف بابن العمرانى) ت ٥٨٠: الانباء فى تاريخ الخلفاء، تحقيق وتقديم د/ قاسم السامرائى، الطبعة الأولى، دار الآفاق العربية، القاهرة، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

١٠٠- ابن العميد (الملكين جرجس أبى الياس ابن أبى المكارم النــصارى): أخبار الأيوبيين، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت.

١٠١- العينى (بدر الدين أبومحمد محمود بــن يوســف ابــن محمــود) ت ٦٥٥هــ: عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان (حوادث سنوات ٦٤٨ – ٦٦٤هــ)، جــ١، تحقيق محمد أمين، الهيئــة المــصرية للكتــاب، القاهرة، ١٤٠٧هــ/ ١٩٨٧م.

١٠٢- --------------: السيف المهند فى سيرة الملك المؤيد، حققــه وقدم له. فهيم محمد شلتوت، راجعه د. محمد مصطفى زيادة، سلسلة الذخائر، عدد (٩٢) الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٣م.

١٠٣- الغزى الحلبى (كامل البالى الحلبى الشهير بالغزى): نهر الذهب فــى تاريخ حلب، جــ٣، قدم له وصححه وعلق عليه د. شوقى شعث، أ. محمود فاخورى، دار القلم العربى، حلب، سوريا، ١٩٩٣م.

١٠٤- أبوالفدا (عماد الدين إسماعيل بن على محمــود صــاحب حمــاه) ت ٧٣٢هــ/ ١٣٣٢م: المختصر في أخبار البــشر، الطبعــة الأولــى، المطبعة الحسينية المصرية، القاهرة، ١٣٢٥هــ/ ١٩٠٧م.

١٠٥- -----------: التبر المسبوك فى تواريخ الملوك، تقديم وتحقيــق وتعليق د. محمد زينهم محمد عزب، الطبعة الأولى، مكتبــة الثقافــة الدينية، القاهرة، ١٤١٥هــ/ ١٩٩٥م.

١٠٦- ابن الفرات (ناصر الدين محمد بن عبدالرحيم بن الفرات): تاريخ بن الفرات، حققه وضبط نصه د. قسطنطين زريــق، المجلــد الــسابع، بيروت، د.ت.

١٠٧- الفردوسى (أبوالقاسم الفردوسى): الشاهنامة، ترجمه عن الفارسية الفتح بن على البندارى، تحقيق د. عبدالوهاب عزام، جـ٢، الطبعة الثانية، سلسلة الألف كتاب الثانية ١١٥، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٣م.

١٠٨- فضل الله العمرى (ابوالعباس شهاب الدين أحمد بن يحيى) ت ٧٤٢هـ/ ١٣٤١م: مسالك الأبصار وممالك الأمصار، تحقيق كلاس تشى قبسبادن، ١٩٦٨م.

١٠٩- ابن فضلان (مبعوث الخليفة العباسى المقتدر إلى بلاد الصقالبة): رسالة بن فضلان "عن رحلته إلى بلاد الترك والخزر والصقالبة والروس واسكندنياقيا فى القرن العاشر الميلادى ٩٢١ – ٩٢٤م"، جمع وترجمة وتقديم د/ حيدر محمد غيبة، دار الكتاب العالمى، بيروت، لبنان، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

١١٠- ابن الفُوطى البغدادى (المؤرخ الكبير كمال الدين أبى الفضل عبدالرزاق) ت ٧٢٣هـ: الحوادث الجامعة والتجارب النافعة فى المائة السابقة، دار الفكر الحديث، بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

١١١- القرمانى (أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقى أبوالعباس) ت ٩٣٩ – ١٠١٩هـ: أخبار الدولى وآثار الأول، دار السداد، بغداد، العراق، ١٢٨٢هـ.

١١٢- القزوينى (زكريا بن محمد بن محمود القزوينى): آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، لبنان، د.ت.

١١٣- القزوينى (حمد الله أبوبكر بن أحمد بن نصر مستوفى قزوينى) ت ٧٣٠هـ: تاريخ كزيده (التاريخ المختار)، ترجمة محمود محروس قشطة، آداب عين شمس، ١٩٦٨م.

١١٤- القلعى (الإمام أبى عبدالله محمد بن على القلعى) ت ٦٣٠هـ: تهذيب الرياسة وترتيب السياسة، تحقيق إبراهيم يوسف مصطفى، الطبعة الأولى، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

١١٥- القلقشندى (الشيخ أبىالعباس أحمد) ت ٨٢٠هـ: صبح الأعشى وصناعة الإنشا، الطبعة الثانية، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٢٤٦هـ/ ١٩٢٨م.

١١٦- ----------: مآثر الإنافة فى معالم الخلافة، جـ٢، تحقيق أحمد فراج، الطبعة الأولى، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ١٩٨٠م.

١١٧- ابن قيم الجوزية (الإمام شمس الدين محمد بن أبى بكر) ت ٧٥١هـ: زاد المعاد فى هدى خير العباد، ٤ أجزاء، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

١١٨- كاترمير: مقدمة كاترمير، ترجمها عن الفرنسية محمد القصاص، مراجعة د. يحيى الخشاب، نشره ضمن كتاب الهمذانى، جامع التواريخ، المجلد الثانى، الجزء الأول، (من ص (١) إلى ص (١٧٩)، وزارة الثقافة والإرشاد القومى، الإقليم الجنوبى، القاهرة، ١٩٦٠م.

١١٩- الكتبى (الصلاح محمد بن شاكر أحمد الكتبى) ت ٧٦٤هـ: فوات الوفيات، حققه ووضع حواشيه وعلق عليه، محمد محى الدين عبدالحميد، جـ١، النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥١م.

١١- ابن كثير (الإمام الحافظ أبوالفداء إسماعيل بن كثيــر الدمــشقى) ت ٧٧٤هــ: البداية والنهاية، ١٤ جزء، أخرجه محمد بيومى، عبــدالله المنشاوى، محمد رضوان مهنا، مكتبة الإيمان، المنصورة، ٢٠٠١م.

١٢- ------------: النهاية فى الفتن والملاحم، تحقيق محمد أحمــد عبدالعزيز، جــ٢، دار التراث الإسلامى، القاهرة، د.ت.

١٢- الكرمانى (أفضل الدين أبى حامد بن حامد): بدائع الأزمان فى وقائع كرمان، دراسة وترجمة وتعليق د. ثريا محمد على، راجع الترجمة د. بديع محمد جمعة، الطبعة الأولى، عين للدراسات والبحوث الإنسانية، القاهرة، ٢٠٠٠م.

١٢- الكلبى (أبى المنذر هشام بن محمد السائب): كتاب الأصنام، تحقيــق أحمد زكى باشا، الطبعة الثالثة، دار الكتــب المــصرية، القــاهرة، ١٩٩٥م.

١٢٤- ماركوبولو: رحلات ماركوبولو، ترجمها إلى الإنجليزية وليم مارسدن وإلى العربية عبدالعزيز توفيق جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٧م.

١٢٥- مجير الدين الحنبلى (قاضى القضاة أبواليمين القاضى مجيــر الــدين الحنبلى): الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، الطبعة الأولى، الجزء الثانى، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف، العراق، ١٣٦٨هــ.

١٢٦- المدائنى (العلامة ابن أبى الحديد عزالدين عبدالحميــد المــدائنى) ت ٦٥٦هــ/ ١٢٥٨م: حملات الغزو المغولى للشرق، دار لارمــاثون، باريس، ١٩٩٥م.

١٢٧- المسعودى (أبى الحسن على بن الحسين بن على) ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٦م: مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق وتعليق قاسم الشماعى الرفاعى، المجلد الأول، المجلد الثانى، الطبعة الأولى، دار القلم، بيروت، لبنان، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٩م.

١٢٨- -----------: أخبار الزمان ومن أباده الحدثان وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٤١٦/ ١٩٩٦م.

١٢٩- المقدسى البلخى (أبى زيد أحمد بن سهل المقدسى) ٥٠٧هـ: البدء والتاريخ، المجلد الثانى، جـ٦، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت.

١٣٠- المقدسى (شمس الدين أبوعبدالله بن أحمد المعروف بالبشارى): أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، الطبعة الثالثة، مكتبة مدبولى، القاهرة، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

١٣١- المقريزى (تقى الدين أبى العباس أحمد بن على المقريزى) ت ٨٤٥هـ: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، جـ١، جـ٢، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت.

١٣٢- -----------: كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك، قام بنشره محمد مصطفى زيادة، جـ١، جـ٢، القسم الأول والثانى، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣٦م.

؛ تحقيق محمد عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٧م.

١٢٠- ابن كثير (الإمام الحافظ أبوالفداء إسماعيل بن كثيــر الدمــشقى) ت ٧٧٤هــ: البداية والنهاية، ١٤ جزء، أخرجه محمد بيومى، عبــدالله المنشاوى، محمد رضوان مهنا، مكتبة الإيمان، المنصورة، ٢٠٠١م.

١٢١- ------------: النهاية فى الفتن والملاحم، تحقيق محمد أحمــد عبدالعزيز، جــ٢، دار التراث الإسلامى، القاهرة، د.ت.

١٢٢- الكرمانى (أفضل الدين أبى حامد بن حامد): بدائع الأزمان فى وقائع كرمان، دراسة وترجمة وتعليق د. ثريا محمد على، راجع الترجمة د. بديع محمد جمعة، الطبعة الأولى، عين للدراسات والبحوث الإنسانية، القاهرة، ٢٠٠٠م.

١٢٣- الكلبى (أبى المنذر هشام بن محمد السائب): كتاب الأصنام، تحقيــق أحمد زكى باشا، الطبعة الثالثة، دار الكتــب المــصرية، القــاهرة، ١٩٩٥م.

١٢٤- ماركوبولو: رحلات ماركوبولو، ترجمها إلى الإنجليزية وليم مارسدن وإلى العربية عبدالعزيز توفيق جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٧م.

١٢٥- مجير الدين الحنبلى (قاضى القضاة أبواليمين القاضى مجيــر الــدين الحنبلى): الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، الطبعة الأولى، الجزء الثانى، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف، العراق، ١٣٦٨هــ.

١٢٦- المدائنى (العلامة ابن أبى الحديد عزالدين عبدالحميــد المــدائنى) ت ٦٥٦هــ/ ١٢٥٨م: حملات الغزو المغولى للشرق، دار لارمــاثون، باريس، ١٩٩٥م.

١٢٧- المسعودى (أبى الحسن على بن الحسين بـن علـى) ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٦م: مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق وتعليق قاسم الشماعى الرفاعى، المجلد الأول، المجلد الثانى، الطبعة الأولـى، دار القلـم، بيروت، لبنان، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٩م.

١٢٨- -----------: أخبار الزمان ومن أبـاده الحـدثان وعجائـب البلدان والغامر بالماء والعمران، دار الأنـدلس للطباعـة والنـشر، بيروت، لبنان، ١٤١٦/ ١٩٩٦م.

١٢٩- المقدسى البلخى (أبى زيد أحمد بن سهل المقدسى) ٥٠٧هـ: البـدء والتاريخ، المجلد الثانى، جـ٦، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت.

١٣٠- المقدسى (شمس الدين أبوعبدالله بن أحمد المعروف بالبشارى): أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، الطبعة الثالثة، مكتبة مـدبولى، القـاهرة، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

١٣١- المقريزى (تقى الدين أبى العباس أحمد بـن علـى المقريـزى) ت ٨٤٥هـ: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، جـ١، جـ٢، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت.

١٣٢- ----------: كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك، قام بنشره محمد مصطفى زيادة، جـ١، جـ٢، القسم الأول والثانى، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣٦م.

؛ تحقيق محمد عبدالقادر عطـا، دار الكتـب العلميـة، بيروت، لبنان، ١٩٩٧م.

١٣٣- ----------: الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، تحقيق وتعليق د. جمال الدين الشيال، الطبعة الأولى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

١٣٤- المنشى النسوى (شهاب الدين محمد المنشى): سيرة جلال الدين منكبرتى، الطبعة الثانية، تحقيق حافظ أحمد حمدى، دار الكتب، القاهرة، ١٩٥٣م.

١٣٥- مؤلف مجهول: تاريخ سلاطين المماليك (من ٦٩٠هـ إلى ٧٤١هـ)، قام على ترجمته ونشره المستشرق ك. ف زيترشنين، ليدن، ١٩١٩م.

١٣٦- مؤلف مجهول: تتمة كتاب وليم الصورى لمؤلف مجهول والمنسوب خطأ إلى روثلان (١٢٢٩ – ١٢٦١م)، ترجمة وتحليل وتعليق أسامة زكى زيد، كلية الآداب، جامعة طنطا، ١٩٨٩م.

١٣٧- مؤلف مجهول: حدود العالم من المشرق إلى المغرب، تحقيق يوسف الهادى، الطبعة الأولى، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

١٣٨- ابن النديم: الفهرست، اعتنى به وعلق عليه الشيخ إبراهيم رمضان، الطبعة الأولى، دار المعرفة الجامعية، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

١٣٩- نظام الدين الهروى (أحمد بخشى الهروى): المسلمون في الهند، الترجمة الكاملة لكتاب طبقات أكبرى، ترجمه عن الفارسية أحمد عبدالقادر الشاذلى، ٣ أجزاء، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٥م.

١٤٠- النويرى (شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب) ت ٧٣٣هـ: نهاية الأرب فى فنون الآدب، جـ٢٧، تحقيق د. سعيد عبدالفتاح عاشور، مراجعة د. محمد مصطفى زيادة، فؤاد عبدالمعطى الصياد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

؛ جـ٣٠، تحقيق د. محمد عبدالهادى شعيره، مراجعة د. محمد مصطفى زيادة مركز تحقيق التراث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

١٤١- النويرى السكندرى (محمد بن القاسم النويرى) ت ٧٧٥هـ: الإلمام بالإعلام فيما جرت به الأحكام والأمور المقضية فى وقعة الإسكندرية، تحقيق د. عزيز سوريال عطيه، ٥أجزاء، الطبعة الأولى، حيدر آباد، الهند، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

١٤٢- ابن الوردى (زين الدين عمر بن مظفر) ت ٧٤٩هـ: خريدة العجائب وفريدة الغرائب، منشور وملحق بكتاب، مؤلف مجهول، أخبار أمم المجوس من الأرمن وورنك الروس، ليدن، د.ت.

١٤٣- ----------: تتمة المختصر فى أخبار البشر (تاريخ بن الوردى)، الطبعة الأولى، جـ٢، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

١٤٤- اليافعي اليمنى (الإمام أبى محمد بن عبدالله بن سعد المكى) ت ٧٦٨هـ: مرآة الجنان وعبرة اليقظان فى معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، حققه ووضع حواشيه. خليل المنصور، جـ٤، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

١٤٥- ياقوت الحموى (الشيخ شهاب الدين أبى عبدالله ياقوت): المشترك وضعًا والمفترق صقعًا، الطبعة الثانية، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

١٤٦- ---------------: معجم البلدان، تحقيق فريد عبدالعزيز الجندى، الطبعة الأولى، دار الكتب، بيروت، لبنان، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

١٤٧- اليوسفى (موسى بن محمد بن يحيى اليوسفى) ت ٧٥٩/ ١٣٥٨: نزهة الناظر فى سيرة الملك الناصر، تحقيق أحمد حطيط، الطبعة الأولى، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

١٤٨- اليونينى (الشيخ قطب الدين موسى بن محمد) ٧٢٦/ ١٣٢٦: ذيل مرآة الزمان، المجلد الثانى والثالث، دار الكتاب الإسلامى، القاهرة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

ب- المصادر الفارسية

١٤٩- آيتى(عبد المحمد): تحرير تــاريخ وصـــاف، انتــشارات بنيــاد فرينكـــ، منابع تاريخ وجغرافياى (٣)، إيران،١٣٤٦شمسى .

١٥٠- بلخى (شيخ الإسلام صفى الملة والدين أبوبكر عبدالله بن عمـــر داود البلخى): فضائل بلخ، تصحيح وتحشية عبدالحى حبيبى، منيابع تاريخ وجغرافياى، ٣٧، إيران.

١٥١- البناكتى (فخر الدين أبوسليمان) روضة أولى الألبـــاب فـــى معرفـــة التواريخ والأنساب والمعروف بـــ تاريخ بناكتى، يه كو شش كوشش، د. جعفر شعار، سلسلة إنتشارات انجمن آثار مليءء، تهران، ١٣٤٨ شمسى.

١٥٢- خواندمير (غياث الدين بن همام الحسينى): تاريخ حبيب السير فـــى أخبار أفراد وبشر، از انتشارات: كتابخانه خيـــام، خيابـــان، ناصـــر خسرو، جانـــچاته، حيدرى، ١٣٣٣ شمسى.

١٥٣- القزوينى (حمدالله أبىبكر بن أحمد بن نصر مـــستوفى قزوينـــى) ت ٧٣٠هـــ: تاريخ كَزيده، جلد آول ، بسعى واهتمـــام أدوارد بـــرون انكلسى، دار السلطنة، لندن، ١٣٢٨ شمسى.

١٥٤- ---------------: نزهة القلوب، المقالـــة الثالثـــة، بـــسعى واهتمام كى ليسترانج انكليسى، بريل در ليدن، ١٣٣١شمسى /١٩١٣ مسيحى.

جـ: المصادر الأجنبية:

155- "ABÛL- Faraj" Bar Hebraeus: The Chronography of Gregory (1225- 1286), Amsterdam, 1976.

156- "Carpini" John pf Plano: "History of the Mongols" Ed by Dawsonbb, the Mongols Mission, New York, 1955.

157- "Novgorod": The Chronicle of Novgorod Vol. XXV, Translated from the Russian by Robert Mitchell and Neville Forbes, London, 1914.

158- "Rubruck" William: "The Journey of William of Rubruck" Ed by Dawson, the Mongol Mission, New York, 1955.

159- ------------------: Journey of the land of the Tartars, New York, 1998. Online Resource.

160- "Sawma" Rabban: The Monks of Kublâi Khân Emperor of China "The History of the life and travels of Rabban Sawma, London, 1928.

ثانيًا: المراجع

أ- المراجع العربية والمعربة.

١٦١- د. إبرار كريم الله: من هم التتار؟ ترجمة وتعليق د. رشيدة رحيم الصبروتى، الهيئة العامة للكتاب، سلسلة الألف كتاب الثانية، القاهرة، ١٩٩٤م.

١٦٢- إبراهيم أحمد العدوى: العرب والتتار، وزارة الثقافة والإرشاد القومى، عدد ٨٨ ، المكتبة الثقافية، القاهرة، ١٩٦٣م.

١٦٣- ------------: مصر والشرق العربى درع الإسلام، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٤م.

١٦٤- أبكار السقاف: الدين فى الهند الصين وإيران، سلسلة نحو آفاق أوسع، رقم (٤)، العصور الجديدة، القاهرة، ٢٠٠٠م.

١٦٥- د. أحمد السعيد سليمان: تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة، دار المعارف، مصر، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.

١٦٦- د. أحمد حطيط: حروب المغول "دراسة فى الاستراتيجية العسكرية للمغول من أيام جنكيزخان حتى عهد تيمورلنك"، الطبعة الأولى، دار الفكر اللبنانى، بيروت، لبنان، ١٩٩٤م.

١٦٧- د. أحمد عبدالكريم سليمان: المغول والمماليك حتى نهاية عصر الظاهر بيبرس (٦٤٨ – ٦٧٦هـ/ ١٢٥٠ – ١٢٧٧م)، الطبعة الأولى، دار النهضة المصرية، القاهرة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م.

١٦٨- ----------: المغول والمماليك فى عهد دولة بنى قلاوون (٦٧٨ – ٧٨٤هـ/ ١٢٧٩ – ١٣٨٢م)، الطبعة الأولى، دار النهضة المصرية، القاهرة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م.

١٦٩- د. أحمد مختار العبادى: قيام دولة المماليك الأولى فى مصر والشام، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٨م.

١٧٠- ---------------: فى التاريخ الأيوبى والمملوكى، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٢م.

١٧١- ---------------: فى تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د.ت.

١٧٢- د. أحمد مختار العبادى، سعيد عبدالفتاح عاشور، د. سعد زغلول عبدالحميد: تاريخ الحضارة الإسلامية العربية، الطبعة الثانية، منشورات ذات السلاسل، الكويت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

١٧٣- د. أحمد محمد إسماعيل الجمال: دراسات فى تاريخ الحضارة الإسلامية، دمنهور، ٢٠٠٢م.

١٧٤- أرمنيوس فامبرى: تاريخ بخارى منذ أقدم العصور حتى العصر الحالى، ترجمة أحمد الساداتى مراجعة وتقديم د. يحي الخشاب، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٨٧م.

١٧٥- أرنولد- شيرستى: تراث الإسلام، جـ٢، ترجمة وتعليق وشرح د. زكى محمد حسن، القاهرة، د.ت.

١٧٦- د. إسماعيل عبدالعزيز الخالدى: العالم الإسلامى والغزو المغولى، الطبعة الأولى، مكتبة الفلاح، الكويت، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

١٧٧- د. السيد الباز العرينى: المغول، دار النهضة العربية، بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

١٧٨- د. السيد عبدالعزيز سالم، د. سحر السيد عبدالعزيز سالم: دراسة فى تاريخ الأيوبيين والمماليك، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ٢٠٠٠م.

١٧٩- د. السيد عبدالعزيز سالم، د. سحر السيد عبدالعزيز سالم: محاضرات في تاريخ الحضارة الإسلامية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ٢٠٠١م.

١٨٠- بارتولد (ڤاسيلى ڤلاديميروفتش): تركستان من الفتح العربى إلى الغزو المغولى، نقله عن الروسية صلاح الدين عثمان هاشم، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، أشرف على طبعه قسم التراث العربى، الكويت، ١٩٧٤م.

١٨١- ---------------: تاريخ الترك فى آسيا الوسطى، ترجمة، د. أحمد السعيد سليمان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٦م.

١٨٢- برتولد شبولر: العالم الإسلامى فى العصر المغولى، الطبعة الأولى، نقله إلى العربية خالد أسعد عيسى، راجعه وقدم له د. سهيل زكار، دار حسان للطباعة والنشر، دمشق، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٣م.

١٨٣- براون (ادوارد جرانڤيل): تاريخ الأدب فى إيران من الفردوسى إلى السعدى، نقله إلى العربية إبراهيم أمين الشواربى، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م.

١٨٤- بطروشوفسكى: الإسلام فى إيران، ترجمة السباعى محمد السباعى، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٢م.

١٨٥- توماس. و. أرنولد: الدعوة إلى الإسلام (بحث فى تاريخ نشر العقيدة الإسلامية)، ترجمة د. حسن إبراهيم حسن، دكتور عبدالمجيد عابدين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧١م.

١٨٦- د. ثروت محمود عكاشة: جنكيزخان الإمبراطور الدموى، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٥١م.

١٨٧- ------------: إعصار من الشرق (جنكيزخان)، الطبعة الثالثة، الناشر الحديث، القاهرة، ١٩٦١م.

١٨٨- د. جلال يحيى: العالم الإسلامى الحديث والمعاصر، المكتب الجامعى الحديث، الإسكندرية، ١٩٨٢م.

١٨٩- د. جمال الدين الشيال: تاريخ دولة أباطرة المغول الإسلامية فى الهند، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٦٨م.

١٩٠- د. جمال عبدالهادى محمد، د. وفاء محمد رفعت: الطريق إلى بيت المقدس، الطبعة الثانية، دار التوزيع والنشر، القاهرة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

١٩١- جورجى زيدان: طبقات الأمم أو السلائل البشرية، مطبعة الهلال، الفجالة، مصر، ١٩١٢م

جوزيف نيدهام: موجز تاريخ العلم والحضارة فى الصين، ترجمة محمد غريب، سلسلة الألف كتاب الثانى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٥م.

١٩٣- جوستاف أ. فون جرونبام: حضارة الإسلام، ترجمة عبدالعزيز توفيق، الهيئة المصرية العامة للكتاب مكتبة الأسرة، القاهرة، ١٩٩٧م.

١٩٤- جيان بوه تسان، شاوشيون تشنغ، هوهوا: موجز تاريخ الصين، الطبعة الأولى، دار النشر باللغات الأجنبية، بكين، ١٩٨٥م.

١٩٥- د. حافظ أحمد حمدى: الشرق الإسلامى قبيل الغزو المغولى، الطبعة الأولى، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

١٩٦- ----------: الدولة الخوارزمية والمغول ((غزو جنكيزخان للعالم الإسلامي، وآثاره السياسية الدينية والاقتصادية والثقافية))، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٤٩م.

١٩٧- د. حسن الباشا: الألقاب الإسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٧م.

١٩٨- د. حسن عبدالوهاب حسنين: تاريخ جماعة الفرسان التيوتون فى الأراضى المقدسة (٥٨٦ - ٦٩٠هـ/ ١١٩٠ - ١٢٩١م)، تقديم د. جوزيف نسيم يوسف، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٩م.

١٩٩- د. حسين مجيب المصرى: الأسطورة بين العرب والفرس والترك دراسة مقارنة، الطبعة الأولى، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

٢٠٠- د. حسين محمد فهيم: أدب الرحلات (دراسة تحليلية من منظور انثوجرافى)، عالم المعرفة، يصدرها المجلس الوطنى للثقافة والفنون، عدد (١٣٨)، الكويت ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

٢٠١- خليل مطران: مرآة الأيام فى ملخص التاريخ العام، دار مارون عبود، بيروت، د.ت.

٢٠٢- ديماند. م. س: الفنون الإسلامية، ترجمة أحمد محمد عيسى، مراجعة د/ أحمد فكرى، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٨م.

٢٠٣- د/ رأفت محمد النبراوى: النقود الإسلامية منذ بداية القرن السادس وحتى نهاية القرن التاسع الهجرى، الطبعة الأولى، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ٢٠٠٠م.

٢٠٤- رجب محمد عبدالحليم: انتشار الإسلام بين المغول، دار النهضة العربية، القاهرة، د.ت.

٢٠٥- روجيه غارودى: ما يعدُ به الإسلام، ترجمة قصى أتاسى، ميشيل واكيم، وتقديم محمد البجاوى، محمد ياسر شرف، الطبعة الثانية، دمشق، ١٩٨٣م.

٢٠٦- زامباور: معجم الأنساب والأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامى، جـ١، ترجمة د/ زكى محمد حسن، حسن أحمد محمود، مطبعة جامعة فؤاد الأول، القاهرة، ١٩٥١م.

٢٠٧- د/ زبيدة عطا: بلاد الترك فى العصور الوسطى، دار الفكر العربى، القاهرة، د.ت.

٢٠٨- د/ زكى محمد حسن: الصين وفنون الإسلام، دار الرائد العربى، بيروت، لبنان، ١٤١٢هـ/ ١٩٨١م.

٢٠٩- د/ سعاد ماهر: الفنون الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، القاهرة، ٢٠٠٥م.

٢١٠- د/ سعد بن محمد الغامدى: المغول بيئتهم الطبيعية وحياتهم الاجتماعية والدينية، الطبعة الأولى، الرياض، السعودية، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

٢١١- ------------: المجتمع المغولى ((ضوابطه وقوانينه وأقوال جنكيزخان وحكمه والياسا والبيليك))، الطبعة الأولى، الرياض، السعودية، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

٢١٢- د/ سعيد عبدالفتاح عاشور: العصر المماليكى فى مصر والشام، دار النهضة العربية، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٦٥م.

٢١٣- ------------: الأيوبيون والمماليك فى مصر والشام، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٦م.

٢١٤- د/ شاكر مصطفى: موسوعة دول العالم الإسلامى ورجالها، الطبعة الأولى، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٩٣م.

٢١٥- د/ شعبان طرطور: الدولة الجلائرية، دار الهداية، القاهرة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٢١٦- د/ صبحى عبدالمنعم: المغول والمماليك السياسة والصراع، الطبعة الأولى، العربى للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٠م.

٢١٧- د/ صلاح الدين محمد نوار: المرأة ودورها فى المجتمع المغولى طبقًا لمصادر المغول وقوانين الياسا، الطبعة الأولى، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٩٩م.

٢١٨- ------------: الطوائف المغولية فى مصر وتأثيراتها العسكرية والسياسية والاجتماعية واللغوية والعمرانية فى عصر دولة المماليك البحرية (٦٥٨ - ٧٨٣هـ/ ١٢٦٠ - ١٣٨١م)، منشأة المعارف، الإسكندرية، د.ت.

٢١٩- د/ صلاح مصطفى الفوال: سوسيولوچيا الحضارات القديمة، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٨٢م.

٢٢٠- د/ طه عبدالعليم رضوان: فى جغرافية العالم الإسلامى، جـ١، الطبعة الخامسة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

٢٢١- د/ طه ندا: فصول من تاريخ الحضارة الإسلامية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٣م.

٢٢٢- د/ عادل إسماعيل هلال: العلاقات بين المغول وأوروبا وأثرها على العالم الإسلامى، الطبعة الأولى، عين للدراسات الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ١٩٩٧م.

٢٢٣- عباس إقبال: تاريخ المغول منذ حملة جنكيزخان حتى قيام الدولة التيمورية، ترجمة عبدالوهاب علوب، مراجعة حسن النابودة، المجمع الثقافى، أبوظبى، الإمارات، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

٢٢٤- --------: تاريخ إيران بعد الإسلام (من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية القاجارية ٢٠٥ - ٨٢٠هـ/ ١٣٤٣ - ١٩٢٥م)، نقله عن الفارسية وترجمه وقدم له وعلق عليه محمد علاء الدين منصور، مراجعة السباعى محمد السباعى، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٠م.

عباس العزاوى: تاريخ العراق بين احتلالين حكومة المغول (٦٥٦ - ٧٣٨هـ/ ١٢٥٨ - ١٣٣٨م)، جـ١، مطبعة بغداد، العراق، ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٥م.

٢٢٦- عبدالحميد العبادى، د/ محمد مصطفى زياده، د/ إبراهيم أحمد العدوى: الدولة الإسلامية تاريخها وحضارتها، دار النهضة مصر، الفجالة، القاهرة، د.ت.

٢٢٧- د/ عبدالسلام عبدالعزيز فهمى: تاريخ الدولة المغولية فى إيران، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠م.

٢٢٨- ــــــــــــــــــــ: منظومة فرهاد وشيرين للأمير على شير نوائى، ومقارنتها بمنظومة خسرو شيرين لنظام الكنجوى، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨١م.

٢٢٩- د/ عبدالعزيز حافظ دنيا: هزيمة التتار على أيدى العرب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د.ت.

٢٣٠- د/ عبدالقادر أحمد طليمات: مظفر الدين كوكبورى أمير أربل، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة، ١٩٦٣م.

٢٣١- ــــــــــــــــــــ: ابن الأثير الجزرى المؤرخ، دار الكاتب العربى، سلسلة أعلام العرب، عدد (٢٨٣)، القاهرة، د.ت.

٢٣٢- د. عبدالله إبراهيم: عالم القرون الوسطى فى أعين المسلمين، المجلد الثانى، منشورات المجمع الثقافى، أبوظبى، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠٢م.

٢٣٣- د/ عبدالله كامل موسى عبده: الآثار الإسلامية، مطبعة كلية الآداب، جامعة جنوب الوادى، د.ت.

٢٣٤- د/ عبدالمجيد أبوالفتوح بدوى: التاريخ السياسى والفكرى للمذهب السنى فى المشرق الإسلامى من القرن الخامس الهجرى حتى سقوط بغداد، الطبعة الثانية، دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٢٣٥- د/ عبدالمنعم حسنين: إيران فى ظل الإسلام فـى العـصور الـسنية والشيعية، الطبعة الثانية، دار الوفاء للنشر، المنصورة، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.

٢٣٦- د/ عبدالهادى التازى: إيران بين الأمس واليوم، قراءة جديدة لرحلة ابن بطوطه، الطبعة الأولى، المعهد الجامعي للبحث العلمي، المغرب، ١٩٨٤م.

٢٣٧- عزيز العظمة: العرب والبرابرة (المسلمون والحضارات الأخـرى)، الطبعة الأولى، رياض الريس للكتب والنشر، قبرص، ١٩٩١م.

٢٣٨- د/ عصام الدين عبدالرعوف الفقى: الدول المـستقلة فـى المـشرق الإسلامى منذ مستهل العصر العباسى حتى الغزو المغولى، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

٢٣٩- -------------: تاريخ الإسلام وحضارته، دار الفكر العربـى، القاهرة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

٢٤٠- د/ عصام شبارو: تاريخ المشرق العربى الإسـلامى (منـذ دخـول السلاجقة بغداد حتى دخول العثمانيين القـاهرة ٤٤٧ – ٩٢٣هـ/ ١٠٥٥ – ١٥١٧م)، الطبعة الأولى، دار الفكر اللبنـانى، بيـروت، ١٩٩٩م.

٢٤١- عطيه القوصى: عين جالوت ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م، مطـابع الـدار القومية، روض الفرج، القاهرة، د.ت.

٢٤٢- د/ عفاف سيد صبره: التاريخ السياسى للدولة الخوارزمية، الطبعـة الأولى، دار الكتاب الجامعى، القاهرة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٢٤٣- د/ على أحمد السيد: مشاهدات أودوريك دوبوردنون الفرنسيسكانى فى الصين (توفى ٧٣١هـ/ ١٣٣١م)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٦م.

٢٤٤- د/ على حسنى الخربوطلى: بين المغول واليهود، دراسات فى الإسلام، يصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، العدد (١٠٣)، القاهرة، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.

٢٤٥- غوستاف لوبون: حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، القاهرة، ٢٠٠٠م

٢٤٦- د/ فايد حماد محمد عاشور: الجهاد الإسلامى ضد الصليبيين والمغول فى العصر المملوكى، الطبعة الأولى، جروس برس، طرابلس، لبنان، ١٩٩٥م.

٢٤٧- فلاديمير ستوف. ب. يا: حياة جنكيزخان الإدارية والسياسية والعسكرية، الطبعة الأولى، ترجمه عن الروسية إلى الإنجليزية ميرسكى، وإلى العربية سعد بن حذيفة الغامدى، الرياض، السعودية، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٢٤٨- د/ فؤاد عبدالمعطى الصياد: مؤرخ المغول الكبير رشيد الدين فضل الله الهمذانى، الطبعة الأولى، دار الكاتب العربى، القاهرة، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٧م.

٢٤٩- ــــــــــــ: المغول فى التاريخ، دار النهضة، بيروت، لبنان، ١٩٧٠م.

٢٥٠- ــــــــــــــــ: الشرق الإسلامى فى عهد الإيلخانيين (أسرة هولاكو) منشورات مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، جامعة قطر، ١٩٨٧م.

٢٥١- فيشل والتر. ج: لقاء بن خلدون لتيمورلنك، ترجمة محمد توفيق، مراجعة يوسف روشا، قدم له وعلق عليه د/ مصطفى جواد، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ١٩٥١م.

٢٥٢- فيليب فارج، يوسف كرباج: المسيحيون واليهود فى التاريخ الإسلامى والعربى والتركى، ترجمة بشير السباعى، الطبعة الأولى، دار سينا للنشر، القاهرة، ١٩٩٤م.

٢٥٣- د/ قاسم عبده قاسم: عصر سلاطين المماليك التاريخ السياسى والاجتماعى، الطبعة الأولى، دار عين للدراسات الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ١٩٩٨م.

٢٥٤- كامل سعفان: معتقدات آسيوية (العراق، فارس، الهند، والصين، واليابان)، الطبعة الأولى، دار الندى، القاهرة، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

٢٥٥- كلود كاهن: الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية، ترجمة أحمد الشيخ، الطبعة الأولى، سينا للنشر، القاهرة، ١٩٩٥م.

٢٥٦- كليفورد. أ. بوزورث: الأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامى، ترجمة حسين على اللبودى، مراجعة د. سليمان إبراهيم العسكرى، الطبعة الثانية، مؤسسة الشراع العربى، القاهرة، ١٩٩٥م.

٢٥٧- كى لسترانج: بلدان الخلافة الشرقية (يتناول صفة العراق والجزيرة وإيران وأقاليم آسيا الوسطى منذ الفتح الإسلامى حتى أيام تيمور)، نقله إلى العربية وأضاف حواشيه وفهارسه. بشير فرنسيس، كوركيس عواد، مؤسسة الرسالة، بغداد، ١٩٣٦م.

٢٥٨- ----------: بغداد فى عهد الخلافة العباسية، ترجمة وتعليق بشير يوسف فرنسيس، الطبعة الأولى، المطبعة العربية، بغداد ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م.

٢٥٩- لطفى أحمد نصار: وسائل الترفيه فى عصر سلاطين المماليك فى مصر، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩م.

٢٦٠- لى هواين: المساجد فى الصين، ترجمة محمود يوسف، الطبعة الأولى، دار النشر باللغات الأجنبية، بكين، الصين، ١٩٨٩م.

٢٦١- د/ محمد أحمد حسونه: أثر العوامل الجغرافية فى الفتوح الإسلامية، دار نهضة مصر، الفجالة، القاهرة، د.ت.

٢٦٢- محمد أسد الله صفا: جنكيزخان، الطبعة الأولى، سلسلة أعلام الحرب (٣)، دار النفائس، بيروت، لبنان، ١٩٨٨م.

٢٦٣- د/ محمد جمال الدين سرور: دولة الظاهر بيبرس بمصر، دار الفكر العربى، القاهرة، د.ت.

٢٦٤- ------------: دولة بنى قلاوون فى مصر الحالة السياسية والاقتصادية فى عهدها بوجه خاص، دار الفكر العربى، القاهرة، د.ت.

٢٦٥- د/ محمد حمزة إسماعيل الحداد: السلطان المنصور قلاوون (تاريخ – أحوال مصر فى عهده – منشأته المعمارية)، الطبعة الثانية، مكتبة مدبولى، القاهرة، ١٩٨٨م.

٢٦٦- د/ محمد خميس الزوكة: آسيا دراسات فى الجغرافيا الإقليمية، الطبعة الثالثة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.

٢٦٧- د/ محمد عبدالعزيز مرزوق: الناصر محمد بن قلاوون، سلسلة أعلام العرب، العدد(٢٨)، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، ١٩٦٤م.

٢٦٨- د/ محمد عبدالله عنان: مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية، الطبعة الثانية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٦٩م.

٢٦٩- د/ محمد عزيز نظمي سالم: جدلية التاريخ والحضارة، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، ١٩٩٦م.

٢٧٠- د/ محمد فتحي الشاعر: مصر قاهرة المغول في عين جالوت، دار المعارف، القاهرة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

٢٧١- محمد كرد علي: خطط الشام، ٤ أجزاء، الطبعة الثالثة، مكتبة النوري، دمشق، بالإشتراك مع دار الملايين، بيروت، ١٩٨٣م.

٢٧٢- د/ محمد ماهر حمادة: الحروب الصليبية والغزو المغولي للعالم الإسلامي، الطبعة الثالثة، مؤسسة الرسالة، سلسلة وثائق الإسلام، رقم (٥)، بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٢٧٣- د/ محمد محمد مرسي الشيخ: أوروبا والتتار، إيداع دار الكتب المصرية، القاهرة، ٢٠٠٢م.

٢٧٤- د/ محمود أحمد محمد سيد أحمد قمر: دراسات في تاريخ الإسلام في الشرق الأقصى، مركز الدراسات والبحوث الآسيوية، جامعة الزقازيق، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

٢٧٥- د/ محمود إسماعيل: دراسات في الفكر الإسلامي، الطبعة الأولى، دار سينا للنشر، القاهرة، ١٩٩٤م.

٢٧٦- د/ محمود السيد: التتار والمغول، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ٢٠٠١م.

٢٧٧- د/ محمود سعيد عمران: المغول والأوروبيون والصليبيون وقضية القدس، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٣م.

٢٧٨- محمود شاكر: التاريخ الإسلامى (الدولة العباسية)، المجلد الخامس، جـ١، الطبعة السادسة، دار المكتب الإسلامى، بيروت، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

٢٧٩- محمود شتيت خطاب: بلاد ما وراء النهر، دار قتيبة، الطبعة الرابعة، بيروت، ١٩٩٠م.

٢٨٠- محمود شلبى: حياة الملك الظاهر بيبرس، الطبعة الأولى، دار الجبل، بيروت، لبنان، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

٢٨١- د/ محمود محمد زيادة: مجتمعات إسلامية، جـ٢، الطبعة الأولى، دار الطباعة المحمدية، الأزهر، القاهرة، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٣م.

٢٨٢- د/ محمود وصفى محمد: دراسات فى الفنون والعمارة العربية والإسلامية، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٨٠م.

٢٨٣- د/ مصطفى طه بدر: مغول إيران بين المسيحية والإسلام، دار الفكر العربى، القاهرة، د.ت.

٢٨٤- ----------: محنة الإسلام الكبرى أو زوال الخلافة العباسية من بغداد على أيدى المغول، الطبعة الثانية، سلسلة الألف كتاب الثانى، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩م.

٢٨٥- مونتجمرى: الدروب عبر التاريخ، ترجمة وتعليق العميد فتحى عبدالله النمر، جـ٥، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٢م.

٢٨٦- مير بصرى: أعلام التركمان والأدب التركى فى العراق الحديث، الطبعة الأولى، دار الوراق للنشر، لندن، ١٩٩٧م.

٢٨٧- هارولد لامب: جنكيزخان وجحافل المغول، ترجمة مترى أمين، مراجعة وتقديم د. زكى نجيب محمود، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٢م.

٢٨٨- د/ هدى درويش: دور التصوف فى انتشار الإسلام فى آسيا الوسطى والقوقاز، الطبعة الأولى، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ٢٠٠٤م.

٢٨٩- هولت. ب. م: عصر الحروب الصليبية (تاريخ الشرق الأدنى من القرن الحادى عشر حتى عام ١٥١٧)، ترجمة وتعليق د. عادل هلال، دمنهور، ٢٠٠٤م.

٢٩٠- هيلدا هوخام: تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين، ترجمة أشرف محمد كيلانى، الطبعة الأولى، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٢م.

٢٩١- ويستنفلد: جدول السنين الهجرية بلياليها وشهورها بما يوافقها من السنين الميلادية بأيامها وشهورها، ترجمة عبدالمنعم ماجد، عبدالمحسن رمضان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د.ت.

٢٩٢- يان. ف: جنكيزخان سفاح المغول، ترجمة صوفى عبدالله، دار الهلال، القاهرة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م.

٢٩٣- د/ يمنى رضوان: الدولة الجلائرية وأهم مظاهر الحضارة فى العراق وآذربيجان خلال القرنين الثامن والتاسع بعد الهجرة، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

(ب) المراجع الفارسية:-

پاول هرن: تاريخ مختصر إيران، حواشی وتعليقات دكتر رضا زاده شفق، ازنشر يات كميسبون معارف، مطبعة مجلس، طهران، ١٣١٤ شمسی.

٢٩٥- حميد رضا جلائی بور: كردستان علل تــداوم بحــران، آن پس از انقلاب إسلامی، تهران، ١٣٧٢.

٢٩٦- دكتر ذبيح الله صفا: تاريخ أدبيات إيران، جلد ســوم، بخــشی أول، انتشارات فردوس، تهران، ١٣٧٢ شمسی.

٢٩٧- رحمت الله مهزار: بزرگان شيراز، سلسلة انتشارات انجمن آثار ملی (٦٤)، تهران، آبان ماه، ١٣٤٨ شمسی.

٢٩٨- رحيم رئيس نيا: آذربايجان در سير تاريخ إيران، از آغارتا إســلام، بخشی أول، تهران، د.ت.

٢٩٩- سيد محمد تقی مصطفوی: "بك اثر ترايخی از دوران مادتــا عهــد إسلامی"، منشور ضمن كتاب ياد نامه إيرانی، منورســكی، شــامل مقالات تحقيقی مربوط بمطالعات إيرانی، تدوين مجتبــی ميــسنوی، تهران، ١٣٤٨

٣٠٠- شيخ فرخ خاتون استی: منظومة كردی، سلسلة أدبيــات عاميانــهٔ إيرانی، شمارة(٥)، ضبط وترجمة وتوضيح قادر فتــاحی قاضــی، تبريز، ١٣٥١.

٣٠١- شيرين بيانی: دين ودولت ((در ايران عهد مغول))، جلد دوم حكومت ايلخانی، مركز نشرد انشگاى، تهران، ١٣١٧.

٣٠٢- عباس إقبال: تاريخ عمومى إيران، بران سال ينجم دبير ستانها، استاد
دانشكاه، تهران، ١٣١٩ شمسى.

٣٠٣- عبدالحى حبيبى: رفع يكــ اشتباه قديم دربارة تُرك وترك، منــشور ضمن كتاب يادنامه إيرانى، منورسكى، شامل مقالات تحقيقى موبوط بمطالعات ايرانى، تهران، ١٣٤٨.

٣٠٤- دكتر محمد جواد مشكور: دينكرد مشتمل بر شرح بخشهاى دنيكرد، تاريخ أوستا وأدبيات دينى بهلوى، طهران، مهرماه، ١٣٢٥ شمسى.

٣٠٥- -----------: نظرى به تاريخ آذربايجــان وآثــار باســتانى وجمعيت تناسى آن، سلسلة انتشارات انجمــن، آثــار ملــى (٧٧)، تهران، بهن ماه، ١٣٤٩ شمسى.

306- (Abuslayman) Abdul Hamid. A: Towards an Islamic Theory of International Relations, the International Institute of Islamic thought, Herndon, U. S. A, 1993.

307- (Andréa) Alfred and (James) H. Overfield: The Human Record Sources of Global History, Vol I, 2d. ed, (Boston, Houghton Mifflin, 1994).

308- (Bercwe) Kate: The Journey of William of Rubruck, London, 2000.

309- (Berthoud) V. V: Turkistan Down to the Mongol Invasion, London, 1928.

310- ------------------: Four studies on the History of Central Asia, Vol I, Leiden, 1956.

311- (Bowden) C. R., The Modern History of Mongolia, London, 1968.

312- (Blair) Sheila. S: "The Arts of the Mongols", Saudi Aramco World, Calderwood university, January/ February, 2003.

313- (Bojegei) Kate: The Mongols, London, 1998.

314- ----------------: Mission to the Mongols, 28 May, 2002. Available at http://www.florilegium.org/files/culture/mongol-mission-art.html.

315- (Buckley) Patricia Ebrey: Chinese Civilization A Source book Second Edition Revised and Expanded, New York, 1993.

316- (Cahen) Claude: "The Mongols and the Near East", in Setton (ed),

A History of Crusades, Vol 2, London.

317- (Chan) Hak. Lam: The Composition of the Liao Chine and Sung Histories, Ed John, China under Mongol Rule, university Press.

318- (Ciniomggazine) Elpopola: Tibet on The Roof of The World, China, 1987.

319- (Columbia Encyclopedia): Sixth Edition "Mongols", Columbia university.

320- (David). J: Islam and Islamic history in Arabia and the Middle East (the Mongols and the Mamluks), Norway, 2000.

321- (David) Talbot Rice: Islamic Art, New York, 1992.

322- (Dawson) Christopher: The Mongol Mission, New York, 1955.

323- ------------------: Mission to Asia (Introduction to the Journey of William of Rubruck, Toronto, 1988.

324- (Demiéville) de Paul: La Route De la Soie, Paris, 1963.

325- (D'Ohsson): Histoire des Mongols, T. –IV, Amsterdam, 1892.

326- (Farquhor) David: Structure and Function of the Yuan Imperial Government, Ed John, China under Mongol Rule, University press.

327- (Florilegium) Stefan's: Mongol Mission – Art, Leiden, 2000.

328- (Foster) J. R and Charles Hartman: A History of Chinese Civilization, New York, 1985.

329- (Ghistele) Joosvan: Voyage en Egypte, préaux, 1933.

330- Geography of China: Foreign Languages, by (Anonymous) Press, Peking, 1972.

331- (Grajdanzev) A. J: The Mongols of Manchuria, Vol 8, N0 3, University of British, India, 1935.

332- (Grossley) Pamelakyle: The Manchus, Cambridge, U. S. A, 1997.

333- (Haider) Mansura: The Mongol Traditions and their Survival in Central Asia, Central Asiatic Journal, Vol 28, No 1- 2, Otto Harrassowitz., Wiesbaden, 1984.

334- (Hakluyt) Richard: The Principal Navigations, Voyages, Traffiques and Discoveries of the English Nation, Vol I, New York, 1927.

335- (Haslund). H: Mongolian, London, 1949.

336- (Helfgott) Leonard: A Cultural History of Islamic Textiles, Vol. 104, No. 5, U. S. A, 1999.

337- (Holt). P. M: The Age of the Crusades the Near East from the Eleventh Century to 1517, London, 1990.

338- (Howorth) Henry. H. F. S: History of the Mongols, London, 1927.

339- (Hung) William: The Transmission of the Book Known as the Secret History of the Mongols, Vol., 14, No 3, 4, Harvard, 1951.

340- (Ibrahim). HJ. T. Y: Muslims of China, Islamic Da'wah Centre Cetakan Pertama, 1991.

341- (Irwin) Robert: Islamic Art, London, 1997.

342- (Jack Weather) Frank: Genghis Khan and the Making of Modern World, New York, 2005.

343- (Jagchid) Sechin: "Why The Mongolian Khans Adopted Tibetan Buddhism as their Faith", Proceedings of 3rd East Asian Altaistic Canference, Taipai, 1970.

344- (Jones) Jin: The Mongol Terror 1212 to 1405 "The Ilkhans of Pesia", London, 2000.

345- (Kazakevich) V. D: The History of Russia and USSR, New York, 1947.

346- (Khadduri) Majid: War and Peace in the Law of Islam, Oxford university press, London, 1955.

347- (Lamb) Horold: Genghis Khan Emperor of all Men, London.

348- (Lessing) F. D: Mongolian- English Dictionary, Bloomington, 1973.

349- (Lindner) Rudi Paul: Nomadism , Horses and Huns, University of Michigan, August, 1981.

350- (Mackerras) Colin: Eastern Asia an Introductory History, Longman Cheshire, 1994.

351- (Macpherson) Catriona: The Mongols, 2003, London. http://members-tripod-com-whitebardcalhtm.

352- (Malafeev) Leopold: "Orthodox Idea of the Peace-Loving in aspect of Ethnic Relations in the Crimea", 2000. Available at

http://www.bsarg.crimeains.com/bsarginformres.htm.

353- (Martin). H. Desmond: The Mongol Army, Journal of the Royal Asiatic, London, 1943.

354- (Mitchell) Robert: Golomt Center for Shamanist Studies, Asian and Uralic Nation, "Shamanism", Indiana university Press, 1997.

355- (Morgan) David. O: The Mongols, U. S. A. 1996.

356- ------------------: "The Great Yasa of Chingiz Khan and Mongol Law in the Ilkhanate", Vol 49/1, Bulletin of the School of Oriental and African Studies, 1986.

357- (Moule). A. C: Christians in China before the year 1550, London, 1930.

358- (Namik). K. Pak: "The Impact of ICT revolution in Turkey Tuneling through Barriers, Perceptions, Journal of International Affairs, Vol 6, Turkey, 2001.

359- (Oestman) Peringe: The Realm of the Mongols, Norway, 1998.

360- ------------------: Welcome to the Realm of the Mongols, Norway, 1998. Available at http://www.coldsiberia/org.

361- Parker). E. H: A Thousand Years of Tartars (The History of Civilization, London, 1996.

362- (Ratchnvsky) Paul: Genghis Khan His life and Legacy Black Well.
U. S. A, 2000.

363- Raphael Israeli and Anthony: Islam in Asia, Vol. II, No. 83, U. S. A, 1984.

364- (Raphael) Israeli: Muslim in China Study in Cultural Confrontation, No 29, Humanities Press.

365- (Reuven) Amitai: Ghazan, Islam and Mongol Tradition, A View from the Mamluk Sultanate, Vol. 59, No 1, London, 1990.

366- (Riasanovsky) Valentin. A: Mongol Law, Indiana university Press, 1985.

367- (Richard) Davis: World Book "Mongol Empire Biggest Land Empire in History 1279- 1368", London, 1998.

368- (Ripinsky) M. Naxon: The Nature of Shamanism, :Albany state University of New York, 1993.

369- (Rockhill and Jackson): The Journey of William of Rubruck to the Eastern Party of the World 1253-1255), London, 1990.

370- (Rockhill): The Mongols A History, Vol 13, No 3, U. S. A, 1908.

371- (Rockhill) Deplyou. W: "First Europeans traveled to Khans Court" London, 2000.

372- --------------------: Study in the Journey of Rubruck, London, 1995.

373- (Rossabi) Marris: Women of the Mongol Court part of the lecture series in conjunction with Mongolia, Denver Art Museum, New York.

374- ----------------------: Nadaam Festival, the Center for the Study of Eurasian Nomads, 2004. Available at http://www.csen.org.

375- (Saunders) J. J: Genghis Khan and the Communists, History Today, Vol. XX, London, 1970.

376- ------------------: Muslims and Mongols, University Canterbury, 1977.

377- (Schneider) Brets. E: Mediaeval Researches from Eastern Asiatic Sowrcws, St. Peter Sbury, 1887.

378- (Schroeder) Rev. H. J: Disciplinary Decrees of the General Councils, London, 1937.

379- (Serruys) Henry Arlington: Prisons and Prisoners in Traditional Mongolia, Central Asiatic Journal, Vol. 27, 1983.

380- (Sharaldai) Saim Jirgoi: "The Offering Ceremonies of the Golden ordain", New York, 1997.

381- (Smith) Frauk: Genghis Khan, New York, 2005.

382- (Smith) John Masson: "Mongol Manpower and Persia population" Journal of the Economic and Social History of the Orient, Vol. XVIII, part 3, U. S. A., 1975.

383- (Sykes) Brigadier- General Sirpercy: A History of Persia, Macmillan, Co. Ltd. , London, 1958.

384- (Tartáglia) Michael: Reading the Journey of William of Rubruck, London, 1998.

385- The Editors of Tim- Life Books: The Mongol Conquests Ad 1200- 1300" The Mongol Hordes", U. S. A.

386- The World Book Encyclopedia: "Mongol Empire", Vol. 13, London, 1992.

387- (Timothy). M. May: Livestock of the Mongols, New York, 1997.

388- (Toynbee) Arnold: "La Chine d'hier et aujourd' hui", France, 1981.

389- (Wei) Jing: 100 Questions About Tibet, Baiwanzhuang Road Beijing, China, 1989.

390- (Weste) Stephen. H: "Mongol influence in the Development of Northern Drama", in China under Mongol Rule ed. J. D. Langlois. Princeton: Princeton, University Press, 1982.

391- (Wong) Marilyn Fu: "The Impact of Reification Northern Elements in the life and Art of Hsien – yu shu (1257- 1302)" in China under Mongol Rule ed. J. D. Langlois. Princeton: Princeton University press, 1994.

ثالثاً: الدوريات والرسائل:-

٣٩٢- أحمد عبدالعزيز بقوش: المجتمع المغولى فى عصر الإيلخانيين ضوء المصادر الفارسية، رسالة دكتوراه غير منشورة، قسم اللغات الشرقية، فرع اللغة الفارسية، جامعة عين شمس، ٢٠٠٤م.

٣٩٣- د/ أحمد مختار العبادى: "تكوين عالم الإسلام" مقال منشور فى مذكرات فى الثقافة الإسلامية، جامعة الكويت، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

٣٩٤- أحمد محمود حسن عامر: "تاريخ بلغار الفولجا المسلمين فى شرق أوروبا إبان العصور الوسطى" بحث منشور فى مجلة التاريخ والمستقبل، العدد الثانى، يوليو، كلية الآداب، جامعة المنيا، ٢٠٠٠م.

٣٩٥- الجود. س: "العلم فى فارس" بحث منشور فى كتاب تراث فارس، ترجمة السيد يعقوب بكر، أشرف على نشره أ.ج. أربرى، راجعه د. يحيى الخشاب، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٩م.

٣٩٦- ايليف. ج. هـ: "فارس والعالم القديم" بحث منشور فى كتاب تراث فارس، ترجمة محمد صقر خفاجة، أشرف على نشره أ.ج. أربرى، راجعه د. يحيى الخشاب، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٩م.

٣٩٧- بارت: "الفن الإسلامى ببلاد فارس" بحث منشور فى كتاب تراث فارس، ترجمة أحمد عيسى، أشرف على نشره أ.ج. أربرى، راجعه د. يحيى الخشاب، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٩م.

٣٩٨- تشانغ تشى تشنغ: "المسلمون فى شانغهاى" مقال منشور ضمن كتاب المسلمون الصينيون من هم؟ وأين هم؟، الطبعة الأولى، سلسلة كتب سور الصين العظيم، نشر مجلة بناء الصين، بكين، ١٩٨٣م.

٣٩٩- د/ جمال عبدالرحيم إبراهيم: "التأثيرات الفنية المتبادلة بين عمائر مصر فى عصر المماليك وما يعاصرها فى بلاد آسيا الوسطى" بحث منشور بمجلة كلية الآداب بقنا، جامعة جنوب الوادى العدد السادس لعام ١٩٩٦م.

٤٠٠- د/ جيهان محمد الشناوى: "المغول ذلك الإعصار المدمر" مقال منشور فى مجلة العربى الكويتية، العدد ٤٧١، الكويت ، فبراير ١٩٩٨.

٤٠١- د/ حسن عبدالقادر صالح: ((البلدان الإسلامية فى قارة آسيا))، فصل منشور ضمن كتاب البلدان الإسلامية والأقليات المسلمة فى العالم المعاصر، المؤتمر الجغرافى الإسلامى الأول، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، السعودية ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٤٠٢- د/ حميد محمد الدراجي: "بغداد من هجوم هولاكو إلى رحيل صدام" مقال منشور بجريدة الصباح الجديد، عدد (٤٠٠)، الاثنين ٩ أغسطس، العراق، ٢٠٠٥م.

٤٠٣- رتشارد اتجهاوسن: "الفن الإسلامى والآثار الإسلامية"، فصل منشور ضمن كتاب الشرق الأدنى مجتمعه وثقافته، إعداد ت كويلرينج، ترجمة د/ عبدالرحمن محمد أيوب، مراجعة د/ أبوالعلا عفيفى وآخرون، الطبعة الثانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٠م.

٤٠٤- زهراء ليو: "زيارة إلى قرية تار الإسلامية"، مقال منشور بمجلة المسلمون الصينيون من هم ؟ وأين هم؟ الطبعة الأولى، نشر وتوزيع مجلة بناء الصين، بكين، ١٩٨٣م.

٤٠٥- د/ سعد زغلول عبدالحميد: "الإسلام والترك فى العصر الإسلامى الوسيط" بحث منشور فى المختار من عالم الفكر(١)، دراسات إسلامية، تصدر عن مجلة عالم الفكر، وزارة الإعلام، الكويت، ١٩٨٤م.

٤٠٦- ـــــــــــــــــ: "الترك والمجتمعات التركية عند الكتاب العرب وغيرهم" بحث منشور فى مجلة كلية الآداب، المجلد العاشر، جامعة الإسكندرية، ديسمبر ١٩٥٦م.

٤٠٧- د/ سعد بن محمد حذيفة الغامدى: "جوانب من حياة المغول المعيشية"، بحث منشور بمجلة كلية الآداب، المجلد السابع والثلاثون، جامعة الإسكندرية، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٤٠٨- ـــــــــــــــــ: "الياسا دراسة نقدية تحليلية واستنتاجية لبعض نصوصها" بحث منشور بمجلة كلية الآداب- جامعة الإسكندرية، المجلد السابع والثلاثون، الإسكندرية، ١٩٨٩م.

٤٠٩- ـــــــــــــــــ: "الملك الناصر يوسف والمغول"، بحث منشور بمجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، المجلد الرابع والثلاثون، الإسكندرية، أكتوبر ١٩٨٦م.

٤١٠- سون مينع تشن: "المسلمون فى التبت" مقال منشور ضمن مجلة المسلمون الصينيون من هم؟ وأين هم؟ الطبعة الأولى، نشر وتوزيع مجلة بناء الصين، بكين، الصين، ١٩٨٣م.

٤١١- صبرى أبوالخير سليم: "قيام دولة مغول القفجاق فى روسيا وسياستها الخارجية"، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الزقازيق، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

٤١٢- د/ عبدالرحمن حميدة: "طريق الحرير بين ابن بطوطة وماركوبولو"، بحث منشور فى مجلة دراسات تاريخية، المجلد العاشر، الجزء (١٢- ١٣)، الأعداد (٤١- ٤٤)، إشبيلية للدراسات والنشر، دمشق، سوريا، ١٩٩١م.

٤١٣- عبدالله بن سعد بن محمد بن مسافر الغامدى: "دور المتطوعة فى حركة الجهاد ضد الصليبيين والمغول"، بحث منشور بمجلة المؤرخ العربى، تصدر عن اتحاد المؤرخين العرب، العدد الثانى، المجلد الأول، القاهرة، مارس ١٩٩٤م.

٤١٤- د/ على أبوعساف: "طريق الحرير والطرق التجارية الأقدم"، بحث منشور بمجلة دراسات تاريخية، المجلد العاشر، الأجزاء (١٢- ١٣)، الأعداد (٤١- ٤٤)، إشبيلية للدراسات والنشر، دمشق، سوريا، ١٩٩١م.

٤١٥. د/ كرم حلمى فرحات: "المسجد ودوره الحضارى فى ضوء مكانة جامع بن طولون"، بحث منشور ضمن ندوة الحضارة العربية الإسلامية فى العصور الوسطى ودورها فى بناء الحضارة العالمية، (حصاد ١٠)، ندوة عقدها الاتحاد بمقره فى القاهرة، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

٤١٦- ليفى: "فارس والعرب"، بحث منشور بكتاب تراث فارس، ترجمة محمد كفافى، أشرف على نشره، أ. ج. أربرى، راجعه د. يحيى الخشاب، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٩م.

٤١٧- ليوجيوتشى: "حى المسلمين فى شنينغ"، مقال منشور بمجلة المسلمون الصينيون من هم؟ وأين هم ؟، الطبعة الأولى، نشر وتوزيع مجلة بناء الصين، بكين، الصين، ١٩٨٣م.

٤١٨- مايك إدواردز: "جنكيزخان سيد المغول"، مقال منشور في مجلة الثقافة العالمية، ترجمة سعد بساطه، مراجعة أحمد خضر، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، العدد (٨٣)، الكويت، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

٤١٩- --------: "أبناء جنكيزخان الخانات العظام" مقال منشور فى مجلة الثقافة العالمية، ترجمة سعد بساطه، مراجعة أحمد خضر، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، العدد (٨٣)، الكويت، ١٤١٨هـ/ ١٩٧٧م.

٤٢٠- د/ محمد عبدالعظيم يوسف أبوالنصر: "مراكز التجارة في آسيا الوسطى"، بحث منشور فى مجلد ندوة طرق التجارة العالمية عبر العالم العربى على مر عصور التاريخ، حصاد(٨)، اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

٤٢١- محمد فاتح رمضان غانم: قيام الدولة المغولية في الهند ونظمها الداخلية فى الفترة (٩٣٢ - ٩٦٢هـ/ ١٥٢٦ - ١٥٥٦م)، رسالة ماجستير غير منشورة، آداب الزقازيق، ١٩٩٨م.

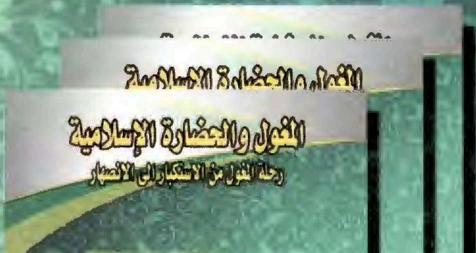
٤٢٢- د/ محمود محمد شاكر: "الأقليات المسملة فى قارة آسيا" منشور ضمن كتاب البلدان الإسلامية والأقليات المسلمة في العالم المعاصر، المؤتمر الجغرافى الإسلامى الأول، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض السعودية، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٤٢٣- د/ منى محمد بدر: الأعلام الإسلامية منذ ظهور الإسلام وحتى نهاية القرن الثانى عشر الهجرى (الثامن عشر الميلادى)، بحث منشور بمجلة كلية الآداب بقنا، الجزء الأول، العدد السادس، جامعة جنوب الوادى، ١٩٩٦م.

٤٢٤- موسوعة الأديان والمذاهب المعاصرة (الموسوعة الميسرة)، الندوة العالمية للشباب الإسلامى، الطبعة الثانية، الرياض، السعودية، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

٤٢٥- د/ نعمان محمود جبران: "محاولات المغول السيطرة على طريق الحرير"، بحث منشور فى مجلة دراسات تاريخية، المجلد العاشر، الجزء (١٢- ١٣) الأعداد (٤١- ٤٤)، إشبيلية للدراسات والنشر، دمشق، سوريا، ١٩٩١م.

٤٢٦- د/ يحيى الخشاب: "إسلام الفرس"، بحث منشور فى كتاب تراث فارس، ترجمة محمد كفافى، أشرف على نشره، أ. ج. أربرى، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٩م.


المغول والحضارة الإسلامية
رحلة المغول من الاستكبار إلى الانصهار